الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

المصادر العربية
مؤرخو القرن السابع (٥)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

دمشق

١٩٩٥م — ١٤١٦هـ

النظراء العلمانيون

كان الأول بين النظراء العلمانيين والأعلى مرتبة هو دوق نورماندي الذي هو كذلك ملك انكلترا، فهو دوق لنورماندي بموجب حق النسب، وهو ملك بحكم الاستيلاء والغلبة، ولقد روي —على كل حال— بأن القديس ادوارد كان من دون وريث، فمنح مملكته إلى وليم النغل، دوق نورماندي، لكن هذه المنحة كانت باطلة لأنه عملها وهو على فراش موته، من دون موافقة باروناته: دوق أوف أكوتين، ودوق أوف بيرغندي، وكونت أوف فلاندرز، وكونت شامبين، وكونت طولوز، الذي يعرف أيضاً باسم صنجيل (سينت جايل).

سقوط أمطار غير اعتيادية والرعود أثناء الشتاء

في يوم عيد الأبرياء في هذا العام، سقطت كميات من المطر بلغت حداً أنها غطت وجه الأرض، وبدا الأمر وكأن أيام الطوفان قد تجددت، وبدت الأخاديد وكأنها تشبه كهوفاً أو أنهاراً، وغطت الأنهار المروج وجميع المنطقة المجاورة، ولذلك أعطت مظهر بحر من البحار، هذا ومن وصفنا لإحدى الحالات يمكننا فهم الحالات الأخرى، وهكذا يمكنني أن أذكر أن واحداً من الأنهار في المناطق الشمالية من انكلترا جرف سبعة جسور كبيرة من الخشب والحجارة، وتم أيضاً جرف الطواحين والبيوت المجاورة وكان ذلك بسبب طوفان مياه الجداول الصغيرة، وفي اليوم المتقدم الذكر أيضاً كانت هناك زوبعة حادة جداً، ترافقت مع عاصفة برد عنيفة، أحدثت اضطراباً في الأنواء، وحجبت السماء بالظلام، حتى صارت مثل ظلام الليل، وتجمعت الغيوم مع بعضها، ومنها اندفع البرق بلمعان مخيف، تبعه تصادم للصواعق، ومن الواضح أن هذه الصواعق كانت بشائر شر، لأنها حدثت في منتصف الشتاء وكان البرد معادلاً لما يأتي عادة ويشعر به في شباط، وتبع هذا المناخ مناخاً كثيفاً ليس في أوانه، وقد استمر لمدة ثلاثة أشهر.

إحصاء ثروة الإيرل رتشارد

وفي حوالي الوقت نفسه عمل تقدير لثروة الايرل رتشارد، فتبين أنها وصلت إلى مبلغ كبير وصل حداً أنه كان بإمكانه أن يدفع مائة مارك يومياً لمدة عشرة أعوام، وذلك من دون أن ندخل الزيادة اليومية للأرباح التي كانت تأتيه من موارده في انكلترا وألمانيا.

اكتشاف ضريح القديس ألبان

ظهرت في هذا العام بعض التصدعات والشقوق في الجزء الشرقي من كنيسة القديس ألبان، ونظراً للمخاوف التي شعر بها بأن الجدران سوف تسقط، قرر رئيس الرهبان مع رهبان الدير ترميم الأجزاء المهدمة في أيام الاحتفال بعيد ميلاد ربنا، وعندما كان عمال الحجارة يعملون بمعاولهم فوق البلاط، شعروا من قرع أصوات أدواتهم، ومن أصوات خطواتهم، أن هناك شيئاً ليس عادياً وليس معروفاً مخفياً تحتهم، ولدى تفحصهم على عمق أكبر، وجدوا تحت الأرض، لكن ليس على عمق كبير ضريحاً حجرياً، مبني بشكل جميل، في بقعة بين مذبح القديس أوسوين Oswin, حيث يجري بالعادة ممارسة القداس الصباحي، ومذبح القديس وولستان Wulstan حيث كان موجوداً صورة نعش قديم، وضريح من الرخام مع أعمدة من الرخام أيضاً، وقد قيل بأن هذا كان الضريح القديم ومكان الدفن للقديس ألبان، ففي هذا الضريح الفخم كان القديس ألبان قد جرى دفنه بكل تشريف، وكان ذلك في اليوم نفسه الذي قطع به رأسه، والذين تولوا دفنه هم أصدقاؤه، وأقرباؤه، وتلاميذه، مع أن مراسيم الدفن جرت بصورة سرية، وأثناء الليل، خوفاً من الوثنيين، فإلى هنا نزل الضوء السماوي وظهرت الملائكة وهي تنزل وتصعد، وهي تغني كلمات الترنيمة التالية: «ألبان الشهيد اللامع هو الآن في مجد»، وعثر في هذا الضريح على ورقة من الرصاص، كان عليها محفوراً، وفقاً لعادات

القدماء ومنقوشاً الكلمات التالية: «عثر في هذا الضريح على جسد القديس ألبان المقدم الرئيسي لانكلترا»، وحدثت هذه الواقعة في ثمانية القديس اسطفان، بحضور السيد أسقف بانغر Banger, ورئيس الرهبان جون، وفيليب أوف شيستر، والمستشار الرئيسي للايرل رتشارد، وبعض النبلاء من حاشية وليم أوف بلنسية، أخو الملك لأمه، مع جميع رهبان الدير، وعدد كبير من المسيحيين الآخرين، الذين جرى الإعلان لهم عن الاكتشاف بشكل مهيب، ومنح الأسقف غفراناً لمدة خمسة عشر يوماً إلى جميع الذين شرفوا الاكتشاف بحضورهم، ومالبث بعد ذلك أن قدم رئيس أساقفة يورك إلى هناك لتقديم صلواته.

عدد الأعوام التي انقضت منذ آلام القديس ألبان

ينبغي أن يكون معلوماً أنه عندما وقعت هذه الوقائع، كان قد مضى تسعمائة وسبعين عاماً، يعني أن تقول أن الأمر احتاج إلى ثلاثين عاماً، حتى يكون العدد ألفاً.

موت بعض النبلاء

ولكي لايمضي احتفال العالم من دون الامتزاج بالأسف، مات في هذه الآونة، أي أن تقول في أيام عيد الميلاد رئيس رهبان دير القديس ادموند، ومات آنذاك أيضاً في مقتبل الحياة روبرت كوينسي Quincy, الذي أسف عليه كثيراً، ومات أيضاً وليم صاحب السيف الطويل، وألان دي واتساند، كاهن الملك ورجل العدالة، كما مات كذلك جون أوف لكسنغتون، وروجر بيغود، وأصيب ايرل ميرشال Mareschal بوجع مميت، فهؤلاء جميعاً كانوا قد ميزوا أنفسهم في المبارزات في بلاي Blie, وكانوا قد أرهقوا أنفسهم إلى درجة تجاوزت قواهم، حتى وصل بهم الأمر أن أعصاب مفاصلهم قد ارتخت، ولذلك لم يستردوا صحتهم بعد ذلك أبداً بشكل تام، ولذلك مات كثير منهم، وتمّ انقاذ

الايرل روجر بصعوبة كبيرة من بين فكي الموت، وجرى اختيار سيمون أوف ليوتون Luiton, رئيس الرهبان الحسن التجربة في دير القديس ادموند، رئيساً لرهبانية ذلك الدير.

كيف جرى جمع رؤساء رهبان طائفة السسترشيان بناء على أمر ملكي

في أيام عيد غطاس مولانا، قام الملك مع قليل من الاهتمام بالأمطار الثقيلة، وبعنف الرياح، وبفيضانات الأنهار، وبالمتاعب والاضطرابات التي قد تقع، فدعا رؤساء رهبان طائفة السسترشيان للاجتماع في لندن، لسماع أوامره الملكية، ولذلك جاءوا، وكأنهم قد أرغموا على فعل ذلك، مع أنهم تعرضوا للارهاق بتعاسة، وكانوا بلاأمل بالرحمة، وبعدما مثلوا أمام الملك، طلب منهم على الفور وبإلحاح تقديم مساعدة مالية وصلت إلى مبلغ كبير، وعلى هذا الطلب، أجابوه بالاجماع وكأنهم قد صدروا عن روح واحدة، وقالوا بأنهم لن يفعلوا ولن يستطيعوا من دون الموافقة العامة لهيئتهم الرهبانية العامة، أو على الأقل من دون الموافقة العامة لجميع رؤساء رهبان طائفة السسترشيان في انكلترا، الذين لم يكونوا آنذاك موجودين.

ولأنهم غادروا من دون تثبيت يوم يمكن أن يجتمعوا فيه مع بعضهم، أعطى الملك وهو غاضب جداً أمراً بعدم ابداء الرضا وتقديم الخدمات لرؤساء الرهبان السسترشيان، فزاد منح أذناً ضمنياً، إلى عمد المناطق، وإلى المسؤولين عن الغابات، وإلى الوكلاء الملكيين الآخرين (الذين كانوا جاهزين بما فيه الكفاية للقيام بالاستخراجات من دون أوامر الملك)، وشجعهم على ايذاء رؤساء رهبان طائفة السسترشيان وارهاقهم في المناطق المجاورة لهم، وبموجب أية ذريعة يمكنهم اختراعها.

موت بعض النبلاء

وفي حوالي أيام عيد الغطاس، مات ألان دي وورسانت Warsant, وكان كاهناً خاصاً بالملك ومن رجال العدالة، وكان قد تخلى مؤخراً وهو سعيد عن هذا المنصب الأخير قبل موته، ومات كذلك جون أوف ليكسنغتون، وكان شاباً وسيماً، وفارساً فصيحاً ومتعلماً، وهو بسبب علمه كان من قبل الحافظ للختم الملكي ومستشاراً خاصاً للملك، وكذلك مات جون الكاهن النظامي ورئيس رهبان نيوبري، وهو الذي كان من قبل قسيساً لجون مانسيل، وقد ارتقى إلى مثل هذا المنصب العالي، حيث لم يكن فقط رئيس رهبان دير نيوبري، بل كان مستشاراً سرياً للملك، ورسولاً إلى الأمراء المجاورين، لكنه تطلع الآن نحو المناصب الأسقفية، وفي هذه الآونة أيضاً عاد رئيس رهبان دير ويستمنستر، والأسقف المنتخب لكنيسة سالسبري، من بلاط روما، ومثل ذلك فعل بعض الأشخاص الآخرين ذوي المراتب والنفوذ، وكان هؤلاء جميعاً —حسبما تبرهن من النتائج— قد ذهبوا إلى بلاط روما برسائل شفوية غير مجدية تعلقت بمملكة أبوليا وصقلية، وقد تعرضوا لمخاطر كبيرة على الطريق، وجاء ذلك من كمائن الفرنسيين.

كيف رفض الملك قبول الأسقف المنتخب لإيلاي

وفي حوالي الوقت نفسه انتخب رهبان إيلاي بشكل صحيح نائب رئيس رهبانهم، وكان رجلاً مستقيماً وغير مذموم، ليكون أسقفاً لإيلاي، وراعياً لأرواحهم، وبذلك رفضوا الاستجابة لرغبات الملك الذي حثهم بالتماساته بكل رسائله وبوساطة رسل خاصين، وحرضهم على انتخاب رجل آخر، وبناء عليه غضب الملك غضباً شديداً، فعهد بالمسؤولية عن الكنيسة إلى جون ويلران، فكان بذلك كمن عهد بالحمل إلى ذئب جائع، فقام على الفور بقطع أشجار غابتهم، وأفقر المعتمدين عليهم، وآذى الرهبان أنفسهم إلى درجة أن جميع الخوف، من الرب

والاحترام للقديسين، قد اختفت بالداخل، وكل شيء بات عرضة للخطر وللدماء، ونزلت الكنيسة إلى أدنى أوضاع العبودية، وباتت مهيأة لهجمات الغزاة النهابين.

كيف جرى إرسال رسل خاصين إلى الملك الفرنسي

وفي عيد تحول القديس بولص إلى المسيحية، جرى ارسال الأسقف المنتخب لوينكستر، والفارس جون غيتسدن Gatesden، وبطرس دي أوريفالي Orivalles، باسم ملك انكلترا إلى الملك الفرنسي من أجل تمديد الهدنة المعقودة، لكن ماالذي عمل في القضية لم يظهر بعد.

كيف حصل الأسقف المنتخب لسالسبري على إذن بالاحتفاظ بموارده الماضية

وبعدما عاد المعلم جايل أوف برايدلفورد Bridleford الأسقف المنتخب لسالسبري من بلاط روما جعل الجميع يعرفون بأنه حصل على اذن من روما بالاحتفاظ بموارده الماضية وبعمادته، التي منها كان قد تنشق الرائحة الطيبة، وقد عدّ هذا شيئاً جديداً، لكن غالباً ماسمح به، بالنظر للمكافآت التي عملت، ولذلك لم يسبب مفاجأة لأحد.

الوصاية التي منحت إلى الملكة

وحوالي الوقت نفسه منحت الوصاية على الأرض التي كانت عائدة من قبل إلى وليم كانتلوب Canteloup، والتي كانت ممنوحة من قبل إلى ادوارد، إلى الملكة، ومثل ذلك أيضاً الوصاية على الأرض التي كانت عائدة إلى وليم صاحب السيف الطويل، وبناء عليه فإن الوكلاء الذين كانوا معينين تحت أخو وليم امتلكوا الجرأة والوقاحة،

لأنهم أصبحوا تحت حماية مثل هذه السيدة ذات المنصب السامي، ومارسوا لذلك ظلماً هائلاً على جيرانهم، حيث وصل الأمر حداً أن آلامهم أسالت الدموع من أعين حتى أعدائهم.

طائفة رهبانية جديدة

ظهرت الآن في لندن طائفة رهبانية جديدة، لم تكن حتى الآن معروفة، وأظهرت على الملأ ترخيصاً بابوياً، مماسبب الاضطراب إلى عدد كبير من الطوائف القديمة.

كيف جرى تعيين مواطن من بريشيا في محل الشيخ برانكليون

بعدما جرت استقالة الشيخ برانكليون من منصبه، تم تعيين مواطن من بريشيا Breschia في مكانه، وقد سار بشكل موثوق على طريق سلفه في تنفيذ العدالة، ومارس واجبات منصبه بنشاط مماثل.

انتخاب روجر دي مولند لأسقفية شيستر

وفي هذا العام أيضاً، قام الأسقف روجر أوف ويستهام بالاستقالة من منصبه، نتيجة لتقدمه في السن ولضعفه الجسدي، فانتخب رهبان الدير أسقفاً لهم وراعياً لنفوسهم المعلم روجر دي مولند Molend, وكان حفيداً للملك، ولذلك قبله الملك، ووافق على انتخابه كما ينبغي، لأنه ما كان في حال الأمانة يمكنه رفضه، مثلما فعل بالعادة في حالات الآخرين، وعلاوة على ذلك التمس من الرهبان الديريين انتخاب خازنه فيليب لوفل Lovel, ولذلك قاموا بناء على تحريض من الايرل رتشارد بانتخاب المعلم روجر المتقدم ذكره، الذي إليه مال الملك وعطف عليه، لأنه كان علاوة على ذلك حفيده.

كيف ازداد الويلزيون يومياً بالعدد والقوة

وفي هذه الآونة نقل الويلزيون النار والقتل إلى داخل المقاطعات

الويلزية الـواقعـة على حــدود انكلترا، ووافقهم الحظ، حيث أرغمــوا الانكليز على التراجع، كما أنهم طردوا من بلادهم واحـداً اسمه غريفين دي برونيت، وكان رجلاً صـاحب نفوذ، ومن أصل نبيل، وكان ويلزي المولد والأسرة واللغـة، ونهبوا جميع أراضيـه، التي كـانت غنية وواسعـة وعاملوها بالنار والسيف، وكـان سبب جميع هذه الأضرار التي لايمكن تعويضها وحشية الطغيـان، والنهم الذي لايشبع لغيوفري لانغلي، الذي ظلـم الويلـزيين حتى قــــالـوا أخيراً أنهم يؤثـرون الموت بشرف على الاستمـرار بحيـاتهم المهـانـة في ظل مثل ذلك الظلم والعبــودية، هذا وعندما جرى انتخـاب الايرل ملكاً لألمانيا كتب بلغة ودودة إلى للويلين Llewellyn وإلى المقـدمين الآخرين للجيش الويلزي، يرجــوهم، الاقـلاع عن غــاراتهم العـدوانيـة في سبيل هـدوء المملكة، وخشيـة أن ينزعج ويعاق في إجراءاته، وبالتـالي ينمنع من مغادرة المملكة، وعلى كل حــال عندمـا رأى الويلـزيون أن الفصل الممطر مــوافق لخططهم، وأن الطرق قد أصبحت غير ممكنة العبـور عبر المستنقعات، رفضـوا الاقلاع عن هجماتهم، ولذلك أرهقـوا أعـداءهم بنشاط أكبر، وقسمـوا جيشهم إلى قسمين، بسبب كثـرة العـدد، حتى يتمكنوا بـذلك بسهـولة أكبر من الحصول على المؤن، ووصل تعداد هذين القسمين إلى ثلاثين ألف رجل، مسلحين حسب عـادات بلادهم، وكـان بينهم خمسمائة فـارس مسلحين بشكل جيــد، ويمتطـون على خيــول مغطاة بالدروع، ولـذلك اشتكى ادوارد إلى أبيـه من أعمال الوقـاحـة من جــانب الويلزيين، ويقـال بأن الملك أعطاه الجواب التــالي: «مــاشـأني بهذا؟ إن الأرض هي أرضك بمـوجب أعطيـة مني، ابذل غـاية جهدك للمـرة الأولى، واعمل شهـرة لنفسك في شبــابك، حتى يمكن لأعــدائك أن يخافــوا منك بالنسبــة للمستقبل، أما بالنسبـة لي فأنا مشغول بأعمال أخـرى»، وهكذا تعرضت انكلترا للظلم بالاضطرابات المتنوعة الأشكال من جميع الجوانب.

حول وصوع رئيس أساقفة مسينا والسلطات التي كانت ممنوحة له

وجرى في هذا العام، عند حلول موعد الصوم الكبير، ارسال رئيس أساقفة مسينا من قبل البابا (لأي سبب لم يكن معروفاً)، ووصلت معه حاشية كبيرة من رهبان طائفة الدومينيكان، يمتطون على الخيول، وبحكم حمله لرسائل من البابا تخوله أن يفرض وأن يتسلم المساعدات المالية، كان بإمكانه انزال عقوبات ثقيلة على جميع المتذمرين والمعارضين، وبناء عليه بعث برسالة سلطوية إلى كل واحد من الأساقفة، يأمرهم بتزويدهم بالمساعدات المالية، وفق مبالغ جرى تحديدها من قبله، فقد استخرج من دير القديس ألبان ومن الديرة المعتمدة عليه مبلغ إحدى وعشرين ماركاً، كما أن رهبان دير القديس ألبان قد ذهبوا إلى زيارته في مقر اقامته بكل لطف وتواضع، غير أنه لم يسمح لهم بالمغادرة، بل احتفظ بهم مثل سجناء، حتى يرغمهم على اشباع مطالبه الشرهة، وعندما أجابه الرهبان بتواضع بأنهم لايملكون بنساً معهم، ردّ عليهم رئيس الأساقفة الغاضب بصلف: «لماذا أنتم متسولين هكذا؟ أرسلوا وراء بعض التجار الذين سوف يقرضونكم بعض المال»، وهذا مافعلوه، لأنهم كانوا مرغمين، لأنه لم يكن مسموحاً لأولئك الرهبان بمغادرة البيت، مع أنهم كانوا الرهبان المنتخبين للدير، فهم كانوا: رئيس شمامسة كنيسة القديس ألبان، وجون حامل ختم رئيس الرهبان وممثله، وكان رئيس أساقفة مسينا هذا راهباً في طائفة الدومينيكان، نحن أملنا أن نجد فيه تواضعاً أكثر مما أبداه، وكان حصل من البابا على الرسالة التالية التي تخوله استخراج المساعدات المالية:

«من الراهب جون الذي هو بفضل رحمة الرب رئيس أساقفة مسينا، إلى إخوانه المحبوبين كثيراً في المسيح رئيس الرهبان، والجماعة الرهبانية لدير القديس ألبان، في أبرشية لنكولن، تحيات في الرب. اعلموا.. إلخ

(لأن بقية الرسالة موجولة في كتاب Additaments).

وجرى في الوقت نفسه توجيه رسالة بليغة باسم البابا إلى ملك انكلترا، تحثه على اصلاح أخطائه المعتادة، وجاءت هذه الإشارة الأخيرة بسبب توسل لورانس أسقف روكستر، الذي عانى من كثير من الأذى على يدي بونيفيس، رئيس أساقفة كانتربري، لأن رئيس الأساقفة هذا قام وهو مسلح بقوة علمانية، فهاجم بالقوة، وقاتل ممتلكات تلك الكنيسة، التي كان بالحري ملزماً بالدفاع عنها وحمايتها، وأظهر رئيس الأساقفة الجرأة وأبدا الوقاحة والصلف لأنه كان محمياً من قبل الملك والملكة، وكذلك من قبل جميع شيعة الملك وأعوانه، لأنه كان عم الملكة، وعلاوة على ذلك كان أسقف روكستر المتقدم الذكر قد عانى من دمار لايعوض حلّ برئاسة أساقفة يورك، وألحقه بها أسقفية إيلاي، ومن مثل ذلك من الأضرار غير الاعتيادية التي لحقت بالكنائس الشاغرة على يدي الملك، الذي وضع جانباً كل احترام للمسيح، وعامل مفاتيح الكنيسة بالاستخفاف والتحدي، ورأى الأسقف المذكور أن خطراً مماثلاً كان معلقاً فوق أسقفيته ومحيقاً بها، في حال التخلي عن منصبه والاستقالة منه أو موته، وكانت محتويات الرسالة التي حصل عليها الأسقف المذكور، الذي انتظر في روما طويلاً من أجل الحصول عليها هي كما يلي:

«**من الاسكندر، أسقف، إلخ**، إلى ملك انكلترا اللامع، إلخ، إنه فيما يتعلق بأعمالك أيها المحبوب كثيراً»، (من أجل البقية انظر كتاب Ad-ditaments عند علامة السهمين المتصالبين).

موت بعض الأساقفة والنبلاء

في التاسع من شباط في هذا العام مات روبرت أوف هارتفورد Hartford, عميد كنيسة سالسبري وكان صاحب ذكرى طيبة،

ومتقـدماً كثيراً في السنين، وأكثـر تقدمـاً بالأخلاق، ومتقـدماً فـوق كل شيء بالمعرفة، وهو كما نعتقد كان بسبب فضائله المتفـوقة، صديقاً خاصاً للمخلص، كما مـات أيضاً رالف فتز— نيقـولا، قهرمـان الملك، ووليم دي مـاندفيل Mandeville, وكـانا معـاً من النبـلاء المتميـــزين، ومات أيضاً رتشارد أسقف اكستير Exeter.

زواج بلدوين إيرل ديفون من سافوينية

بناء على تحريض من الملكة، تزوج بلدوين دي ريفر Rivers من سيدة أجنبيـة، كانت من سافـوي، وقريبـة للملكة، وكانت كونتيـة ديفون Devon عـائــدة إلى بلـدوين، وهكذا فإن الممتلكـات الفـاخــرة ومـواريث الانكليـز قد تحولـت يومياً إلى الأجـانب، وهذه حقيقـة إمـا لم يعرفها الانكليز الجبناء أو تظاهروا بعدم معـرفتها، وقد تعرضت فسولتهم وسذاجتهم التامة إلى النقد من قبل الويلزيين الشجعان والأبطال.

المنح الكثيرة التي قدمها الملك إلى كنيسة القديس ألبان

وفي الثـالث مـن أيار في هذا العـام ذهب الملك إلى كنيســة القـديس ألبـان، وعمل تقـديمات عند المذبح الكبير، تألفت من طوق جميل جـداً مع مشبكين، وسلسلة صليب، وكـذلك بعض الخواتم الثمينة، أمـا عند مذبح القديس أمفيبالوس Amphibalus, في المكان نفسه، فقدم أيضـاً كأساً مـذهباً من الفضـة حتى يوضع فيـه الرماد الذي تمّ العثـور عليـه مؤخـراً في الضريح الذي ذكـرناه أعـلاه، وكـذلك ست قطع من الأقمشـة الحريرية، واحـدة منهـا عينها لتغطيـة الضريح المتقـدم ذكـره، والثـانية لتغطيـة ضريحي الناسكين روجـر وسيغـارد، كما أنه دفع بعض المال لترميم التـابوت، ومدّد إقـامته في ذلك المكان لمدة أسبـوع، وبما أن كـاتب هذا الكتـاب كـان مرافقـه الدائم في الأمـاكن وعند المائـدة، وفي قاعتـه، فقد أملى عليـه بعناية ودماثة أشيـاء كثيرة، وفي أثناء المحادثات،

كانت هناك إشارات متوالية إلى أخيه الايرل رتشارد، كما أنه ذكر النبلاء بالاسم الذين عليهم يعتمد الانتخاب، الأمر الذي جرى ادخاله في الجزء المتقدم من الكتاب، كما أنه ذكر أسماء جميع الملوك المقدسين لانكلترا، الذين جرى تطويبهم، وفي سبيل أن لاتكون هذه الشخصية العظيمة قد تعبت من دون فائدة في املاء هذه المسائل قمنا بتدوين أسماء هؤلاء القديسين في هذا الكتاب.

أسماء الملوك القديسين لإنكلترا

ألبيرت، وادوارد الشهيد، وكينيلم Kenelm, وأوسوولد، وأوسوين، ونيثان Neithan, وويستان Wistan, وفروموند Fromund, وأدوولف Edwulf, وادموند، وادوارد، وذكر الملك وعدد بالاسم جميع بارونات انكلترا الذي حضروا في ذاكرته، واكتشف أن عددهم قد وصل إلى مائتين وخمسين، لكن دعونا الآن نعود إلى موضوعنا ونتابع تاريخنا.

اضطرابات في جامعة اكسفورد

في التاسع من آذار في هذا العام، ذهب تسعة معلمين للعلوم العقلية في اكسفورد إلى كنيسة القديس ألبان، وقدموا في بيعة القديس أوسوين شكوى إلى الملك ضد أسقف لنكولن الذي كان يسعى للاعتداء على امتيازات المدارس، متجاوزاً ومضاداً للمبادىء القديمة المقررة للجامعة، وبناء عليه جرى تعيين يوم لسماع الأسقف وهو يرد على هذه الشكاوي، وكان ذلك لدى اقتراب موعد عقد برلمان كبير، وذلك من أجل سماع حجج الفريقين، وتأسيس سلام بين الجماعتين، وفي ذلك اليوم نفسه، قال الراهب الذي كتب هذا الكتاب بشكل سري إلى الملك: «ياصاحب الجلالة، بحق اسم الرب، انتبه للكنيسة المتأرجحة المترنحة، لأن الجامعة، التي هي الحاضنة والسيدة لعدد كبير جداً من الأساقفة المقدسين قد

اضطربت إلى أبعد الحدود، وإذا ماتعرضت جامعة اكسفورد، التي هي المدرسة الثانية للكنيسة، لابل بالحري الأساس لها، للاضطراب، من المتوقع بالطريقة نفسها، وبالوقت نفسه، ومن المخشي منه أن الكنيسة كلها سوف تتدمر»، وعلى هذا الكلام أجاب قائلاً: «لاسمح الرب أن يكون الأمر كذلك، على الأقل في أيامي كلها».

عودة رئيس رهبان دير ويستمنستر مع أصحابه من بلاط روما

في يوم عيد القديس بريسكا Prisca, في هذا العام، عاد رئيس رهبان دير ويستمنستر والأسقف المنتخب لسالسبري من بلاط روما، بعدما عانيا من كثير من الأذى، وتعرضا لمخاطر كبيرة من مكائد خصومهما، لأنه لعبور الألب، الأمر الذي فعلاه في سبيل قضاء أعمال للملك، كان معناه أنه توجب عليهما المرور عبر فرنسا، حيث عانيا من أعظم الخسائر، وأثناء تلك الرحلة مات واحد من أصحاب رئيس الرهبان، وكان اسمه هنري دي مير Mer, وكان من رجال العدالة المتجولين التابعين للملك، مات ومضى ليقطف ثمار أعماله، وفقد رئيس الرهبان أيضاً آخرين من حاشيته أثناء الرحلة.

كيف جرى نهب ممتلكات أسقفية إيلاي

وتعرضت في الوقت نفسه، الأراضي والغابات، والبلدات في أسقفية إيلاي إلى مخاطر كبيرة جداً، فقد جرى قطع الغابات، وتجفيف البحيرات بفتح أقنية، ونهبت الأسماك، وتم الاستيلاء على الحيوانات وهي في الحدائق، وهكذا وضع كل الخوف من الرب، ومن القديس ايثلرد Ethelred, جانباً، وفرضت الضرائب على أفراد شعب الأسقفية، وتعرضوا للأذى بطرق متنوعة، وكان ذلك على أيدي الوكلاء الأخساء للملك وجباته، وفي الوقت الذي كان فيه الأسقف المنتخب ورهبان الدير كلهم أمل في أن يصغى إليهم من قبل الملك في اليوم المحدد، أصبح

الملك عدوهم المعلن، مفضلاً الوقـوف ضد الأسقف المنتخب، وكان هذا كـافياً لإثارة مشـاعر الاستغـراب والفضيحـة في نفس كل واحد، وكـان السبب الرئيسي وراء هذه التهـم هو التـالي: «كـانت جـزيرة إيلاي منذ العصور القـديمة حصناً ومكاناً للالتجاء لعدد كبير جـداً من الذين عانوا من الأضرار في أيام الحرب، ولم يكن مـوائماً ولا مأموناً العهدة بالـوصاية على مثل هذا المكان، الذي كان مثل قلعة، إلى أجنبي من الدير، كان أبلهاً وغير خبير في إجراءات الحروب، ولم يتعلم قط مهارة وحكمة البلاط».

كيف ذهب الأسقف المنتخب لإيلاي إلى روما

مضى الأسقف المنتخب بكـل سرعـة وبشكل مفـاجيء نحـو البـلاط البابوي بعد الخسـائر العظيمة التي عانى منها، وحـافظ رئيس الأساقفة في الوقت نفسـه بعناد على الاستمرار بأعمال تنكيله، لإرضـاء الملك، ومع أن رئيس الأسـاقفـة هذا، عندمـا كـان قـد قـام مـن قبل بفحص الأسقف المنتخب، ولم يجد سبباً للاعتراض ضده، كتب إلى أصـدقائه في بلاط روما ضـده، وذلـك في سبيل أن يجري رفضـه، وأن يجري تعيين الـراهب آدم مـارش Marsh عـوضـاً عنه، مع أن هذا الراهب آدم، الذي كـان راهباً من طائفـة الفرنسيسكان، كان متقدمـاً بالسن، وقد امتلك كثيراً من المعارف والعلم، وتخلى عن العظمة الدنيوية، وعن موارد واسعة، في سبيل ارتداء الزي الرهبـاني، وعلى الرغم من ذلك يروى بأنه أعطـى مـوافقتـه وأبدى رضاه ليحلّ محل الأسقف المذكور، وذلك وفقاً لقول أوفيد: «نادراً مارأيت أي واحد كان من برج المريخ لم يكن الربح موافقا لعقله».

نادراً مارأيت واحداً من أهل برج المريخ

لم يكن قلبه يبتهج بالمكاسب

وقام المعلم هنري أوف وينغهام Wengham, الذي إليه أوكل الملك مهمة حث رهبان إيلاي وترغيبهـم للاستجابة لطلبه، فتحمل بصبر

التفكير بعدم اختيار أي واحد آخر وترقيته إلى تلك الأسقفية المذكورة، وأعلن بتواضع أن أي واحد من الاثنين أجدر منه شخصياً بذلك المنصب.

المعجزات التي عملت عند قبر القديس ألبان

في هذا العام نفسه، وحوالي هذا الوقت نفسه، وقعت معجزات بشكل متواصل في كنيسة القديس ألبان، في البقعة التي عثر فيها على ضريح القديس ألبان، ففي يوم عيد القديس أغنس جرت إعادة طفل إلى الحياة بعد موته، وفيما بعد تمت إعادة واحد آخر مثله، وفي البقعة نفسها جرى شفاء عدد من المشلولين والعميان، وجميع المعجزات التي عملت، قد تبرهن أنها قوية الأساس وصحيحة، وذلك بموجب بينات أناس موثوقين، من أمثال الكهنة ورجال الأبرشيات والمحلفين العائدين للمناطق المجاورة، لأنه ليس الذنب المقترف بنشر تقارير زائفة حول تشريف الرب وحمده، أقل من البقاء صامتاً تجاه الأخبار التي هي صحيحة.

كيف جرى إرسال مبعوثين إلى ملك فرنسا

وجرى في يوم عيد تحول القديس بولص إلى المسيحية، ارسال الأسقف المنتخب لوينكستر وجون غيتسدن Gatesden, وبطرس دي أوريفالي D'Orivalles, إلى الملك الفرنسي، وذلك باسم ملك انكلترا، لقضاء بعض الأعمال السرية الخاصة بالأخير.

كيف حافظ الأسقف المنتخب لسالسبري على موارده السالفة

وفي هذه الآونة نفسها عاد المعلم برايدلفورد Bridleford, الأسقف المنتخب لسالسبري من البلاط الروماني، وأظهر ترخيصاً مكتوباً، صادراً عن البابا، به سمح له بالاحتفاظ بموارده السالفة لبضع سنوات، وكان بدعة عجيبة جديدة ولدتها روما.

زيادة عدد الوصايات الممنوحة إلى الملكة

وجرى في هذا الوقت نفسه أيضاً منح الوصاية على أرض وليم كانتلوب Cantelupe (التي كانت ممنوحة من قبل إلى ادوارد) إلى الملكة، ومثل ذلك أيضاً الوصاية على أرض وليم صاحب السيف الطويل وهي الأرض التي تخلت عنها على الفور إلى قهرمانها الراهب وليم أوف تارنتوم Tarentum, الذي فغر فاهه وراء المال مثل سعي علقة الخيول وراء الدم، ونتيجة لذلك قام الوكلاء الذين جرى تعيينهم تحت وليم الراهب المذكور بالتظاهر بالتجبر والوقاحة، بحكم أنهم تحت رعاية وحماية سيدة لها مثل ذلك المنصب الرفيع، فظلموا الناس من الجيران، وهكذا تعرضوا للافقار بسبب حجج تافهة، لابل حتى من دون حجة مهما كان نوعها، وهكذا صار الحال مثلما حدث في الماضي كثير من الملوك مارسوا الطغيان في انكلترا.

طائفة جديدة من الرهبان

وفي حوالي الوقت نفسه، قامت طائفة جديدة من الرهبان، لم تشاهد من قبل ولم تعرف باظهار نفسها في لندن، وعند ظهور رهبانها كانوا يرتدون أكياساً، ولذلك عرفوا بالرهبان المرتدين للأكياس.

موت مرغريت أخت القديس إدموند

وماتت في هذه الآونة أيضاً مرغريت رئيسة راهبات كيتباي Katesby, أخت القديس ادموند، رئيس أساقفة كانتربري، وكانت امرأة ذات قداسة عظيمة، قد أجيزت فضائلها المتميزة بصنع معجزات.

البرلمان العظيم الذي انعقد ليقول فيه الايرل رتشارد وداعاً لانكلترا

في منتصف الصوم الكبير من هذا العام نفسه، جرى عقد بارلمان عظيم، فيه ظهر أساتذة الفكر والآداب من اكسفورد، بناء على أوامر الملك، من أجل إعادة تأسيس السلام بين جامعة اكسفورد وأسقف لنكولن، الذين أنهكهم، ووصل إلى هذا البارلمان أيضاً رتشارد ايرل غلوستر، وجون مانسيل، اللذان كانا قد ذهبا إلى ألمانيا لرؤية كيف كانت الأمور قائمة، ولإعداد السبيل لرتشارد، ايرل أوف كورنوول، الذي انتخب مؤخراً ملكاً على ألمانيا، وكان هذين الشخصين جاهلين بالانتخاب الزائف لملك اسبانيا، الذي أكد فيما بعد بأنه هو الذي انتخب أولاً، حسبما ستبينه الرواية المقبلة، وكان الايرل رتشارد الملك المنتخب حديثاً لألمانيا، حاضراً أيضاً في هذا البرلمان، من أجل القول وداعاً إلى الجماعة العامة لانكلترا، وفي الحقيقة كان جميع نبلاء انكلترا موجودين تقريباً هناك، وعين الايرل المذكور فولك أسقف لندن وكيلاً رئيسياً على ممتلكاته التي بحوذته في انكلترا، وأثناء عقد جلسات هذا البارلمان، كانت هناك أعداد كبيرة جداً من أهل مدينة لندن، وكانوا من الكثرة بمكان أن مدينة تكاد بصعوبة أن تحتويهم.

كيف جرى استدعاء رئيس أساقفة كانتربري إلى روما للإجابة حول الأضرار التي اقترفها روكستر

وأصر في الوقت نفسه أسقف روكستر، الذي عانى من أضرار لا تحتمل على يدي رئيس أساقفة كانتربري على متابعة شكاويه التي عملها لجميع البلاط الروماني، ولأن قضيته استدعت انتقاما مناسباً (لأنها كانت اعتداءات ثقيلة) وذلك بعد تحذيرات كثيرة جرى توجيهها إلى الملك، الذي تولى تشجيع رئيس الأساقفة المذكور في وقاحته العدوانية،

جرى استدعاء رئيس الأساقفة هذا للمثول شخصياً أمام البابا، للإجابة على الشكاوي التي عملت ضده، ولتقديم ترضية على الخسائر التي تسبب في إلحاقها.

حول مرض أسقف هيرفورد

أصيب أسقف هيرفورد بتمعط الجلد أو بنوع من أنواع الجذام، وجاء ذلك عقوبة له على ذنوبه المضاعفة.

كيف طلب الملك المساعدة لابنه ادموند

قبل ان يرفض البارلمان المتقدم ذكره، أحضر الملك ابنه ادموند، مرتدياً لزي أبولي، وجعله يمثل أمام الاجتماع، وأشار إليه أمامهم جميعاً، وقال على مسمع من الجميع: «إنكم تشاهدون يا رعيتي المخلصة، ابني ادموند، الذي دعاه الرب بكرمه ومنته إلى المرتبة الملكية، وترون كيف هو بشكل واضح جديربحظوتكم جميعاً، وكيف سيكون عملاً لا إنسانياً وطغياناً من الذي سوف يرفض أن يقدم إليه مساعدة معقولة وفعالة، ونصيحة في هذه الأزمة»، وأضاف أنه قام بناء على نصيحة البابا وحسن نواياه، وكذلك الكنيسة الانكليزية معه، وفي سبيل الحصول على مملكة صقلية، فألزم نفسه —تحت طائلة عقوبة فقدانه مملكته— بدفع مائة وأربعين ألف مارك من دون الفائدة، التي تزداد يومياً، دون أن تكون ظاهرة، وأنه حصل أيضاً لمدة خمسة أعوام متوالية، على العشور، التي ينبغي فرضها على جميع رجال الدين بشكل عام، أي أن تقول من منافعهم، التي سوف يجري احصاؤها، وفقاً للطريقة الجديدة للضرائب، من دون انقاص لأي نفقات، باستثناء النفقات التي حصلت بفعل الضرورات، وكذلك جميع المنافع اللاهوتية التي شغرت خلال العام الأول، وذلك حتى اكمال الأعوام الخمسة، وجعل هذا الخطاب آذان الجميع ترتجف، وألقى الرعب في القلوب، خاصة وقد علموا بأن هذا

الطغيان، نشأ عن البابا وصهدر، ومع أنهم قدموا أعذاراً، وسألوا منحهم بعض الوقت، كانوايعرفون أنهم لن يستطيعوا الحصول حتى على هذا المعروف، وقد أرغموا أخيراً على اعطاء وعد بالتفريج عن الملك ومساعدته لمواجهة الضروريات الضاغطة عليه، على شرط - على كل حال - أن يقوم من ذلك الوقت فصاعداً بالالتزام بالصك العظيم دون خرق له، وهو ما كان قد وعد مراراً به وأن يفعله، والذي غالباً ما قدمه لهم ثم أعاد تقديمه إليهم، وأن يتوقف عن إلحاق الأذى بهم وافقارهم، على أساس حجج فارغة، وعلى أساس هذه الشروط وعدوا الملك بدفع اثنين وخمسين ألف مارك، مع أن ذلك سوف يلحق أضراراً لا يمكن جبرها بالكنيسة الانكليزية، وعلى الرغم من هذا لم يقبل الملك بهذه الأعطية الثمينة حتى وإن كانت بهذا الحجم.

كيف تسلم المتطفلون على عمادة يورك موارد هذه العمادة

قام الروماني الذي فرض نفسه بطريقة مراوغة على عمادة يورك، فاستولى بالقوة بشكل فاضح على مقعد العميد في السدة أثناء ساعة الطعام، لأنه كان مسلحاً بحظوة البابا وحمايته، محدثاً بذلك أضراراً كثيرة متنوعة وأذى عظيماً ألحقه برئيس الأساقفة ثم تسبب أخيراً بتعليقه مع أنه كان رجلاً بريئاً، وواحداً قد حبي بالقداسة كلها، وأخيراً، وبعد كثير من الخلافات، وفي سبيل السلام وافق الروماني على الجلوس قانعاً باستلام مائة مارك سنوياً من كنيسة يورك، إلى أن يكون قد تجهز بشكل أفضل.

وصول رئيس أساقفة كولون إلى إنكلترا

ما أن ارفض المؤتمر المتقدم ذكره أو البارلمان (الذي كان الحضور فيه كبير جداً) حتى وصل رئيس أساقفة كولون، يحيط به بعض الأساقفة، وكان بصحبته دوق أيضاً بقصد تشجيع الايرل رتشارد للقيام بتولي المملكة الألمانية من دون خوف (وهي التي دعيت باسم المملكة

الرومانيـة لأنها كانت بالواقع لديها العهد بتولي الامبراطورية الرومـانية) وهي التي منحت إليه من دون معارضـة أي واحد، وذلك بغية حكمها بسـلام من قبله، والذي كـان مصـدراً للدهشـة للكثيرين فيها بعـد، هو الصمت الذي التزم به تجاه حقيقـة، أن بعض نبلاء ألمانيا، قـاموا —بناء على تحريض من الفـرنسيين— بالموافقـة على انتخـاب ألفـونسـو، ملك اسبانيا، لتولي المملكة المتقدمة الذكر.

وينبغي أن يكون معلومـاً، أنه كان موجـوداً في البارلمان العـام المتقدم ذكره ستة رؤساء أساقفة هم رؤساء أساقفة: كانتربري، ويورك، ودبلن، ورئيس أساقفة ميسينا، الذي كـان يتلقى أموالاً كثيرة من كل واحد من الناس، ورئيس أساقفة تارنتوم Tarentum في أبوليا، الذي قدم ليفرض على الملك مـايتعلق بمسألة أبوليا، وأسرع ايـرل غلوستر وجون مـانسيل قادمين من القـارة حتى يكونا حاضرين في البـارلمان، وهما وإن عملا تقصيـاً دقيقاً، كـانا جاهلين بالعـائق الذي ألقي على طريق الايرل رتشارد ايرل كورنوول، بانتخاب واحد آخر سواه.

الأمر البابوي إلى رئيس رهبان القديس ألبان بتزويد أحد الإيطاليين بمنفعة غنية

وفي نهاية آذار، أرسل البابا أمـراً سامياً إلى رئيس رهبـان دير القديس ألبان، قضى بتجهيز منفعـة موائمة واعطائها إلى أحـد الرومان، وكأنه لم يفعل مـافيه الكفايـة في قضية روماني آخـر، كان قبل عـدة أيام مضت، جلب رسالة ملحـة، إن لم تكن أكثر من هذه الرسـالة، كانت على الأقل مثلها، وهكذا تكدسـت التعاسات فـوق التعاسـات في انكلترا، وتشوق الأساقفـة إلى التحرر من اقـامتهم المؤقتة في هذا العـالم، لأننا لم نعد أبناء سـارة بل الأبناء غير الشرعيين لهاجـر العبـدة، وجـردنا من الحرية التي حررنا بها المسيح.

كيف قدم بعض نبلاء ألمانيا الولاء إلى الإيرل رتشارد

وقـام في هذا الوقت أيضـاً، كـونراد رئيس أسـاقفـة كـولون وبعض النبلاء الألمان الآخـرين الذين كانوا قـد جاءوا برفقتـه إلى لندن، بتقديم الولاء وأقسمـوا على الاخـلاص للايـرل رتشـارد، وبناء عليـه أعطى الايرل على الفور خمسمائة مارك إلى رئيس الأساقفة لتغطية النفقات التي تحملها في رحلته إلى هنا، وأعطاه أيضـاً تاجاً أسقفياً جميلاً جـداً، مرصعاً بالأحجار الكـريمة، وموصـولاً بقطع من الذهب، وعندما وضعه على رأسـه، قـال وهو بادي السرور: «لقـد أغناني الايرل رتشـارد وأغنى كنيستي بهدية ثمينـة، ومثلما وضع التـاج الأسقفي على رأسي، سـوف أضع على رأسـه تاج المملكة الألمانية أو الرومـانية، هو قـد توجني، وأنا سوف أتوجه»، ولقد رأيت من المناسب ادخال كلام رئيس الأساقفة في هذا الكتـاب، حتى يمكن للخلف أن يعلمـوا كم كان الأجـانب دهاة، فوجدوا الوسائل حتى يتغلبوا على بساطة الانكليز.

كيف حصن ملك فرنسا قلاع نورماندي

عندما سمع الملك الفرنسي بهذه الإجـراءات، أضاف بحكمة إلى قوة وحصـانة القـلاع الموجـودة على حـدود مملكتـه، وحصّن مـدن وقـلاع نورمـاندي، وشحنهـا بشكل خـاص بفرنسيين محليين، وأصـدر أوامـره بوجـوب بأن يكون هناك زواج بين الفرنسيين والنورمـانديين، والعكس صحيح، في سبيل أن يتحدوا براوبط الصداقة المتبـادلة، وقد جرى تنفيذ هذه الخطة، لأنهم قالوا: «كان الانكليـز قد تشجعوا فيما مضى وامتلكوا الجرأة، بوسـاطة الامبراطور الرومـاني أوتو، الذي كان فـارسـاً شجاعـاً جـداً، ومجدداً بوساطة فـردريك، الذي قـامت له روابط قـرابة بملكهم (الانكليز) وبالأقرباء الآخرين، ولذلك كانوا عدوانيين كثيراً نحو مملكة فـرنسا، ومع ذلك، إن هذه المملكة مـاتزال بفضل حماية الرب مستمـرة بالقوة وبالرفعة والعظمة»، وبذلك حصلوا على بعض المواساة.

كيف قدم بعض النبلاء الألمان الولاء للإيرل رتشارد

وقام بعض النبلاء الألمان الآخرين، الذي قدموا مع رئيس أساقفة كولون، وتسلموا بعض الهدايا الثمينة من الايرل رتشارد، بتقديم الولاء إليه، وأدوا أيمان الطاعة بدقة له، عندما كانوا على وشك مغادرته، وفعلوا ذلك حتى لايكونوا موضع ريبة.

إحصاء الأموال التي أنفقت من دون فائدة من قبل الملك

وقام في هذه الآونة المحاسبون في قاعة الملك بفحص جميع السجلات المالية، وقاموا بإحصاء دقيق للمبالغ التي أنفقت، وقد تبرهن لهم، وكانوا جديرين بالثقة، أنه منذ أن شرع الملك في نهب وتبديد ثروات مملكته، قد أنفق تسعمائة ألف وخمسين ألف مارك، وهو مبلغ مخيف أن تفكر حوله، لأن مملكة انكلترا لم تشعر قط بالحصول على مثل ذلك المبلغ الكبير من المال، ولاأقل من ذلك بكثير، لأنه أوليس من الأفضل لك أن تفقد سيفك أو سهمك بتركهما يسقطان إلى قعر البحر، من أن تدعهما ينتزعان منك من قبل عدوك؟

مغادرة رئيس أساقفة كولون لإنكلترا

في عيد الفصح صعد رئيس أساقفة كولون ظهر غليون كبير، كان راسياً في نهر التيمز، وأقلع من لندن، وكان الغليون مشحوناً بالرجال، ومسلحاً، ومجهزاً بالمؤن من أجل الرحلة، وقد بادر مسرعاً نحو الوطن ليكون جاهزاً لاستقبال السيد الجديد المنتخب، الايرل رتشارد، ولإعداد السبيل من أجله للوصول إلى مملكته بأمان.

مغادرة الإيرل رتشارد لإنكلترا

وفي اليوم الثالث من أسبوع الفصح، قام ايرل كورنوول، المنتخب حديثاً ملكاً على ألمانيا بوداع أصدقائه، وعهد بنفسه إلى صلوات رهبان

الطوائف، وانطلق نحو ساحل البحر، تحيط به حاشية كبيرة من النبلاء، حيث كان ناوياً على الاقلاع من يارماوث، لكن الرياح لم تكن موائمة، وقد انتظر لوقت طويل على الساحل، مقابل نفقات كبيرة من دون فائدة، ومارس —على كل حال— عندما كان مقيماً على الساحل بعضاً من الطغيان على كنيسة القديس ألبان، وهو مارأينا أنه من الأفضل العبور به بصمت من أن نأتي على ذكره في هذا الكتاب.

نقص المؤن بين أتباع الإيرل رتشارد

وعندما كان الايرل مبدداً وقته عند الساحل تحيطه حراسة كبيرة، وذلك في توقع لريح موائمة، حدث نقص في المؤن، بحيث أصبحت عزيزة، حتى أن المكيال الواحد من الطحين قد بيع بمبلغ خمسة عشر شلناً، وصارت الطيور والبط قليلة جداً، وغالية إلى أبعد الحدود، وجرى بيع لحم البقر والغنم بأي سعر أراد البائع أن يفرضه، ولولا أن الايرل دفع عن رضا —حسبما فعل بالعادة— ثمن المشتريات، لصارت حالة العوز أسوأ، ولضغطت على جميع أتباعه، أو أبعدتهم كلياً عنه.

إلغاء حكم جائر أصدره هنري دي مارا ضد رئيس رهبان دير القديس ألبان

وينبغي أن نتذكر أيضاً، أنه عندما كان الملك في القارة، وكان الايرل رتشارد نائب المملكة، جرى إلغاء الحكم الجائر، الذي أصدره رجل العدالة هنري دي مارا Mara, وجاء الالغاء بفضل الجهود المتواصلة لوليم هورتون Horton, وكيل المؤونة في الدير، فبموجب قرار هنري المذكور، كان قد جرى تغريم رئيس رهبان دير القديس ألبان بمبلغ مائة باوند، وذلك بشكل غير عادل، لأن رجاله لم يذهبوا (لأنه لم يكن مفروضاً عليهم الذهاب) إلى شيسترهانت Chesterhunt, لأن ذلك كان خارج اطار امتياز رئيس الرهبان،

ولاقى هنري المذكور عقوبة عادلة، بوساطة انتقام الشهيد ألبان، حيث أنه مات ميتة بشعة وفي ظروف سيئة، عندما كان مسافراً عبر الألب، ولم تتوقف الجهود المشكورة لوكيل المؤونة المذكور، حتى حصل من الايرل على الرسالة الموثقة التالية، التي منها من الممكن عرض امتيازات دير القديس ألبان بوضوح للأيام المقبلة، إلى الذين يرغبون بمعرفتهم.

الرسالة التي حصل عليها رئيس رهبان دير القديس ألبان من الإيرل رتشارد

«من هنري الذي هو بنعمة الرب، إلخ:

من خلال تفحصنا لصكوك أسلافنا ملوك انكلترا، التي هي بحوذة رئيس رهبان دير القديس ألبان، تبين أن رجال رئيس الرهبان المذكور، لايجوز لهم الذهاب وراء امتيازهم، الأمر الذي يمكن لرئيس الرهبان المذكور أن يريه إلى أي مستدعي، أو في أية مناسبة، وأمام أي رجل عدالة، أو تفتيش، لذلك قمنا باعفاء رئيس الرهبان المذكور من المائة باوند، التي جرى بها تغريم بلدة وامتياز القديس ألبان، وذلك بسبب أن الأشخاص العائدين لذلك الامتياز لم يمثلوا أمام رعايانا المخلصين: هنري دي مارا، ووليم ويلتون [في شيستر هانت] التي هي وراء الامتياز المتقدم الذكر، وذلك لدى التفتيش والتقصي الذي عقد فيما يتعلق بخرق الصرافة والتقايض، ومن أجل تغريم الخارق للصرف وللتقايض المذكور»، ومن أجل البقية انظر كتاب Additaments, وعلاوة على ذلك كانت هذه الرسالة موثقة.

الربح المخجل الذي ابتغي استخراجه من الصرافة

قبل عدة أيام من هذا، جرى استخدام طريقة مخجلة وغير إنسانية للاستخراج، وهي مازالت مستمرة، وقد وضعت قيد التطبيق على البريء وعلى المجرم سواء، وذلك بالنسبة لامتياز الصرافة الذي حصل

عليـه الايرل رتشـارد من الملك، لأن أي إنسان كـان على وشك القيـام برحلة، أو القيـام بأي نوع من الأعمال مهما كـان تافهـاً، وتوجب عليـه مقـايضة وتبـديل أية نقود مع الجيران أو الأصـدقاء، ومهما كـان المبلغ صغيراً، أو مهما كـان الأمر ودفع الإنسـان لفعله بحكم الضرورة، كـان الفاعل لذلك يتهم بالاحتفـاظ بالصرافة، لإلحاق الضرر بالملك، وهكذا كـان يعـاقـب بحـدة، وكأنه فتح حـانوت صرافـة للمال، وقـام الايرل رتشـارد بهذه الوسائل بافقـار الكثيرين، وجمع آلافاً كثيرة من الماركـات وكدسها في خزانته.

مغادرة الإيرل رتشارد إنكلترا إلى ألمانيا

وبعـدمـا عيّـن الايرل أسقف لندن وصيـاً على قـلاعـه، وأراضيـه، وممتلكاته في انكلترا، وجعله وكيـلاً مطلقـاً لـه، أقلع بحـراً مع أسطول كبير، كـان محتفظاً به في مـوانيء انكلترا، وكـان يتألف مـن سفن تم الاستيـلاء عليهـا في جميع مناطـق انكلترا وبلدان أخـرى، وهو على كل حـال لم يقـدم أيـة تعـويضـات لدير القـديس ألبـان على الأضرار التي اقترفت من قبله، سواء في قضية Miclefeld أو في قضايا أخرى، التي كان منهـا أن طفلاً يتيماً جرى تجريده من أراضيه، فتحـول إلى حالة تعيسـة من الفقـر، وكـان ذلك بـوسـاطة جـون غيتـدن Gatesden, وذلك على الرغم من عدم الخوف الكلي مـن الرب، وتأثر رئيس رهبان دير القديس ألبـان، وتحركت شفقته، فتحمل المسـؤولية عن ذلك الطفل المحروم، وتولى تربيته وتنشئته، وكان اسمه روجر، وقد حمل الايرل معه سبعمائة ألف باوند، ولم يعـدها قط، وكانت كلها ملـوثة بالدم، بوساطة جـرائم كثيرة، وذلك بالاضافـة إلى الزيادة اليوميـة في الموارد في انكلترا، التي كانت تجبـى يومياً وتنهب، وبهذه الوسـائـل جردت انكلترا من هذه ومن أشيـاء أخـرى كثيرة، وبشكل خـاص المال، ونـزلت إلى حـالة من الفقر مؤسفة، بينما تفاخر الأجانب في نهبهم لها.

وينبغي أن يكـون معلومــاً أنه من أول يوم مـن شبــاط حتـى هذا الوقت، الذي هـو بداية أيار، اضطرب الهواء بعـواصـف الرياح والمطر، الأمر الذي حول انكلترا إلى مـايشبه المستنقع الموحل، وحملت الأخاديد مظهر خنادق، وكـانت الخنادق تشبه المستنقعـات، وبدت الأنهار وكأنها أذرعة للبحر، وهكذا تولت ثـلاثة أشهر تحويل الأرض إلى أرض قاحلة ومن دون ثمار، ولذلك قـام كثير من المزارعين ببـذر بذور جـديدة في أراضيهم.

النار الرهيبة التي أحرقت معبد محمد (صلى الله عليه وسلم)

قـدم في هذه الآونة إلى دير القـديس ألبـان، رجل محترم هو معلم رهبـان كنيسة القـديس توما في عكا، وقـد جلب معه أخبـاراً إلى رئيس الرهبان وإلى الرهبان، ذكر أنها كـانت صحيحة، فقد ذكر أولاً أن نائبهم كـان سليماً ومعـافى، وأنه كان شـاغـلاً نفسـه بنشاط وفـاعليـة بالأعمال الصعبة العـائدة لكنيسة القديس ألبـان في بلاط روما، وهو المكان الذي قدم منه شخصياً.

وذكـر أيضاً أن برقـاً جهنمياً محرقـاً قـد نزل من السموات، وأحـرق فجأة ودمـر معبد محمـد (صلى الله عليـه وسلم) مع تمثاله (كـذا)، وأنه حدث مـرة أخرى انفجار ثان، مشـابه للأول، حوّل المعبـد المذكور إلى قطع صغيرة وأن انفجاراً ثالثاً قام —كما هو معتقد— بدفع الخرائب إلى الهاوية في الأرض، وقال: بعد هذا قامت هذه النار التي أحرقت بحرارة مدمـرة تماماً، مع أنها لم تعط ضوءاً لامعـاً، بالزحـف تحت الأرض، مثل نار الجحيم، فـأحـرقـت حتى الصخـور، ولم يكـن بالإمكان اطفـاءها، وهكذا فإن مدينة مكة كلها والمنطقة المحيطة بها، احترقت تماماً بنار غير قابلة للاطفاء.

النهر الملتهب

وقـدم أيضـاً رواية تحدثت عـن نهر ملتهم، كـان على عكس الطبيعـة المائية، حيث لم يكن راضياً بحدوده فـاتبع مجرى غريباً، وشق طريقه إلى الجبـال العـاليـة، وأخـذ بالمفـاجأة الذين هربـوا إلى قممهم للالتجـاء، ودمرهم بلهب مجرى تياره، وكأنهم قد أحرقوا بالنار، وهكذا فإن الذين نجـوا من النار الكبريتية الموجـودة في الأسفل جـرى ابتلاعهم بوسـاطة هذا النهر الملتهب.

كيف حصل رهبان بيت لحم على موضع للاستقرار في كمبردج

جرى منح مكان للإقـامة إلى رهبـان بيت لحم في كمبردج، في شارع يقـود إلى ترومبنغتـون Trumpington, ولبـاس هؤلاء الرهبـــان مشـــابه للبـاس الرهبـــان الدومينيكان، غير أن قبعـــة الرأس تحمل على صدرها شعـار نجمة حمراء، خماسية الشكل، في وسطهـا دائرة لونها لون السماء، وهذه عملت في ذكرى النجم الذي ظهر في بيت لحم عند ميلاد مـولانا، وقد ظهـرت الآن طوائف رهبـانية كثيرة في انكلترا، حتى كـان هناك خلط عجيب فيما بينهم.

كيف استدعى رئيس أساقفة كانتربري رجال الدين في أسقفيته

وفي تلك الآونة نفسهـا استـدعى بونيفيس رئيس أسـاقفة كـانتربري ورؤساء شمامسـة أسقفيته، للاجتماع، حتى يقومـوا بعد التوجـه بالدعاء المخلص وطلب العـــون مـن الروح القـــدس، بعمل بعض الترتيبـات لتقديم العـون إلى كنيسة انكلترا المترنحة، والتي كان مضغـوطاً عليها في هذه الأيام المعـاصرة بمظالم ثقيلـة ولاتحتمل، وغير اعتيـادية، لأن الملك وقع تحت تأثير بعض النصـائح الخفية لبعض المتملقين وأعـداء المملكة، فسمح لبعض الأعــراف الجديدة وغير النظاميـة، بأن تنشـأ مثل نبـات شوكي بين الفـواكه أو في حـديقة المسرات، وأن تخنق الأشجـار المثمرة،

ولذلك كانت هنالك آمالاً وثيقة بأنه في هذا الاجتماع سوف يكون رئيس الأساقفة قد حُبي بالقوة من عليين ليقيم نفسه مثل حاجز أمام بيت الرب، وأن يسير متبعاً خطوات القديس توماس الشهيد، لإنشاب القتال ضد أولئك المتمردين ضد الكنيسة.

وفاة كاترين ابنة الملك

وفي حوالي عيد العثور على الصليب المقدس، ماتت كاترين ابنة الملك، التي كانت خرساء، ومناسبة للاشيء، مع أنها امتلكت جمالاً كبيراً، وقد تغلب الحزن على الملكة حتى أنه سبب لها المرض، الذي اعتقد أنه غير قابل للشفاء، لأنها لم تستطع الحصول على الشفاء من البراعة الطبية، أو على المواساة البشرية.

الشكوى التي عملها أسقف روكستر في روما

وقام في الوقت نفسه لورانس أسقف روكستر، في دفاعه المشكور عن امتياز كنيسته، بالمتابعة بحرارة واصرار، يوماً بعد يوم، والتمسك بالشكوى التي تقدم بها أمام البابا والكرادلة ضد بونيفيس رئيس أساقفة كانتربري، الذي غزا بشكل جائر ممتلكات كنيسته ومقتنياتها، ونتيجة لذلك استدعي رئيس الأساقفة للمثول شخصياً أمام البابا.

الحملات النشطة التي قام بها الويلزيون ضدّ الإنكليز

وفي الوقت نفسه، عبر الويلزيون عن غضبهم بشغل أنفسهم بلا هوادة وبشكل فعال في النهب، والقتل والاحراق، ولم يتمكن جميع البارونات الجيران، مع أنهم توحدوا مع ايرل غلوستر، من تقديم أية مساعدة إلى الانكليز أو إلى ادوارد، وضحك الويلزيون فقط وسخروا من جهودهم، وهكذا كسبت الكراهية الشديدة بين الويلزيين والانكليز المزيد من الأرضية، مثل الطاعون، وبما أن ادوارد قد تهددهم بمساعدة الايرلنديين له، الذين دعاهم لتقديم العون له، لسحقهم مثل إناء من

الفخــار، وبناء عليــه عمل الويلـزيون احتيــاطاتهم، وجهـزوا بعض الغلايين، الذين شحنوهم بالرجال بصورة جيدة، وبالسلاح، وزودوهم بكميــات جيــدة من المؤن، وذلك بهدف وضعهم في البحــر، مع نيــة انشاب القتال ضد الايرلنديين هناك.

العثور على جسد مالكولم ملك السكوتلنديين

وحـدث في هـذا العـام نفســه أثناء إرسـاء أسس بعـض الأبنيـة في التاينهاوث، في رئاسة رهبانية دير القديس ألبان، أن تمّ العثور على عظام مالكولم Malcolm ملك السكوتلدنيين ومعــه ابنه ادوارد (حول أعمال هذا الملـك ومــوته هناك روايـة في كتـــاب Additaments)، وخلاصة لتلك التفاصيل، هي أنه عندمـا كان مع جيشه كله يقوم بغارة هجومية في انكلترا، حورب من قبل روبرت دي ماوبري Mowbray، مـؤسس الكنيسة عند التـاينهاوث، وقـد قهره وقتله، وبعـد ذلك، بما أنه كان ملكاً، أمر به ليدفن عند التاينهاوث.

ترميم أسوار لندن

وفي هذا العام أيضـاً، أمر الملك بأسوار لندن، التي كـانت في أوضاع متداعية، ومن دون شرافـات، بأن ترمم بشكل صحيح، على نفقة المدينة كلها.

الخلاف بين سيمون إيرل ليستر ووليم دي بلنسية

وفي هذه الآونة نفسهــا، نشب خــلاف، بحضــور الملك وكثير من النبلاء في لندن بين سيمون ايرل ليستر ووليم دي بلنسية، لأن وليم هذا بحكم أنه كـان أخـاً للملك لأمـه، مارس وحشيتـه ضـد جميع جيرانه، وبشكل خـاص ضـد رهبـان الطوائـف، وقـد امتلك الجرأة في ممارسـة طغيانه، مثل إخـوته، صدوراً عن عـلاقته الأخوية بـالملك، وقام بشكل جـائـر بالاغارة على ممتلكـات الايرل المذكور، واستـولى على الأسـلاب

وحملها من هناك، وقام قهرمان الايرل بانقاذ أسلابه، فغضب وليم وتهدد وتوعد وكدس الأذى على الايرل، بكل من الكلام والفعل، وعرضت قضايا الشكاوي هذه أمام الملك، وتبادل الفريقان الانتقادات ضد بعضهما بعضاً، ووصل الأمر بينهما إلى حد التلاكم، وتبادل الضربات، لأن وليم قام بحضور الملك والنبلاء فاتهم الايرل بالكذب —إذا استخدمنا الاصطلاح العام— ثم اتهمه بعد ذلك بالخيانة، وكان هذا عدواناً كبيراً على فارس، ولذلك أثير الايرل عند هذا إثارة كبيرة، وسعى —كما قيل— إلى الانقضاض عليه (لأن الغضب جنون صغير) لكنه منع وأوقف من قبل الملك، وذلك بكل صعوبة، حيث أنه ألقى بنفسه بين زوج أخته وبين أخيه، وكان خائفاً من أن يقوم الايرل بقتل الذي وجّه الإهانة إليه، وأنتجت رواسب هذا الصراع بين الفئتين عداوة ما كان بالإمكان التخلص منها فيما بعد.

كيف جرى تحليل رهبان درم من الحرمان من شراكة المؤمنين

وبعد مضي عدة أيام، وبعدما كان رهبان درم، الذين كانوا مع الكهنة النظاميين لغيسبورن Gisburne، هم وحدهم الذين قاوموا الإجراءات غير الأمينة لوكلاء البابا، وتحملوا نتيجة لهذه المقاومة انزال عقوبة الحرمان من شراكة المؤمنين لمدة طويلة، بعد هذا كله، وبعد لأي، وبعد كثير من المناقشات، نالوا وحصلوا بوساطة السلطة الكاملة للبابا، على رسالة تحليل، بوساطتها صاروا قادرين، وهم مسرورين كثيراً على تأدية قداساتهم وواجباتهم، آه، لو أنهم كان معهم رفاق في اضطراباتهم، ومؤيدين في صمودهم، كم كانت كنيسة انكلترا ستكون سعيدة في انتصارها على المضطهدين لها والظالمين، أما بالنسبة للرسالة التي حصل عليها الرهبان المتقدم ذكرهم، فمن الممكن العثور عليها في كتاب Additaments.

إلغاء الانتخاب الذي عمل في قضية أسقفية إيلاي

جرى في عيد القديس غورديان Gordian والقديس ايبيماخوس Epimachus, إلغاء انتخاب الأسقف المنتخب لإيلاي، وجاء ذلك بناء على تدخل من الملك ومن رئيس أساقفة كانتربري، اللذان سعيا إلى تعيين المعلم آدم مارش —الذي كان واحداً من طائفة الفرنسيسكان— مكانه، وأثارت هذه الإجراءات دهشة الجميع، لأنه لاالانتخاب ولاالمُنتخب من الممكن رفضهما بصورة عادلة، كما أنه كان من غير الممكن العثور على أية خطيئة في الانتخاب، بل كل ما هنالك أن أحد المراوغين، الذي احتاج إلى الوقوف على أرض مكشوفة، قام بإقحام غلطة وإلصاقها فيه، بأنه كان فقط راهباً ساذجاً، وعديم الخبرة في القضايا الدنيوية، وغير قادر تماماً على إدارة وحماية الأسقفية الفخمة لإيلاي، والجزيرة التي كانت هناك، والتي كانت منذ قديم الزمان ومازالت مكاناً للجوء للذين تعرضوا للظلم في أيام الاضطراب.

لكن الرائج اعتقاده ويرجح على هذا، هو أن أبواب الحظوة الملكية كانت مغلقة ضد الرهبان، على أساس ثباتهم واخلاصهم، الذي به رفضوا الاستجابة لمطلب الملك الضاغط منهم، بانتخاب مستشاره هنري أوف وينغهام، ليكون أسقفاً لهم، وكان هذا الطلب قد عمل من دون معرفة هنري المذكور، وعندما علم بأن رهبان الدير قد انتخبوا شخصاً مناسباً وموائماً ليكون راعياً لنفوسهم، قال للملك: «توقف ياصاحب الجلالة عن الفرض على هؤلاء الرهبان الأتقياء، ولاتستمر في ازعاجهم بمطالبك الملكية والتماساتك المسلحة، لأن الرهبان قد توجهوا بالدعاء، وطلبوا عون الروح القدس، وبعد ذلك انتخبوا بشكل صحيح شخصاً موائماً ومناسباً، وهو واحد أفضل مني وأنا، لاسمح الرب في أن أتولى وأستحوذ على مثل هذه الأسقفية الفخمة، أو أنه اغتصب مثل

هذا المنصب الديني الفخم بضمير مريض»، ولهذا الكلام نال المستشار ثناء الإنسان والرضا من الرب، لكن غضب الملك لم يتوقف، كما أنه لم يتمنع عن إنهاك الأسقف المنتخب والأسقفية، وكان الأسقف المنتخب قوياً في حقه، ولذلك ذهب إلى روما للحصول على التثبيت والمواساة من البابا والمساندة في اضطرابه الكبير.

كيف متّن ملك فرنسا دفاعات نورماندي

وأمر الملك الفرنسي بالوقت نفسه بتحصين قلاع نورماندي وتقويتها، وبالعناية بها، وبانتزاع مناصب الولاة من الأشخاص المشكوك بهم، ثم إنه عهد بهذه الوظائف إلى فرنسيين، أما بالنسبة للنورمان الذين لم يرغب بعزلهم من وظائفهم، فقد ربطهم بنفسه بروابط لايمكن فصمها، إما بالقرابة أو ببعض روابط الاتحاد الأخرى، ونقل ديرة الطوائف الرهبانية التي كانت على مقربة من الحدود باتجاه ألمانيا، ومثل ذلك باتجاه نورماندي، وأسكن الرهبان في أماكن أخرى، وزاد في الوقت نفسه من ممتلكاتهم، ثم بنى بعد ذلك قلاعاً في تلك الأماكن، وزودها بكل الأعتدة والمؤن الضرورية، واستهدفت هذه الاحتياطات التي اتخذها، أن لايجد ملك ألمانيا الذي طالب ببواتو، ولاملك انكلترا الذي طالب بنورماندي، مكاناً للاستراحة هناك، إذا مارغبا بالاغارة عسكرياً والتوغل في تلك البلاد، ذلك أن الفرنسيين كانوا خائفين كثيراً، من أن يجري سحقهم بين هاتين المملكتين، مثل السحق بين حجري الرحا، وقاموا على كل حال، حسبما جرت عادتهم، بتطمين بعضهم بعضاً، بمثل الكلمات التالية: «قام الامبراطور السالف أوتو، الذي كان أشجع الفرسان، والذي ترقى إلى المقام الامبراطوري الروماني بتهديد فرنسا بشكل جاد، لكنه تراجع في معركة بوفل Bovel, وهو مهان، وقام الرجل نفسه، الذي كان قريباً لملك انكلترا، فدخل في تحالف مع الايرل وليم، الذي كان لقبه صاحب السيف الطويل، وكان أخاً لملك

انكلترا المذكور، ومع فيرراند Ferrand كونت فلاندرز، ورينالد، كـــونت بولون، وهـوغ دي بوفي Bove, ومع محاربين آخـــــــرين متميزين، ونوى اجتيـاح فرنسا بحيش قـوي، وكان ذلك في أيامنا، لكنه سحق بفضل عناية الرب، وعلاوة على ذلك، قام في الوقت نفسه، الملك جون الانكليـزي بحصار قلعـة روشي —أو— مويني -Roche -au, Moines وبما أنه كـان مطارداً من قبل لويس، الذي لم يكن آنذاك ملكاً، قـام برفع الحصـار، وهرب من أمـام مطارده، وحـدث ذلك على الرغم من أن القـوات الفـرنسية كـانت مقسـومـة إلى قسمين، قسم هو الذي كـان يتبع أبيـه، الملك الفـرنسي، في حين بقي القسم الآخـر معـه، ومجدداً تفوه الامبراطور فردريك الذي كان أقوى جميع الملوك المسيحيين والذي كـان قـد تزوج من أخت ملك انكلترا، بتهـديدات مرعبـة ضـد فـرنســا، لكن الرب القــدير حفظنا تحت جناحي وقـايتـه الفـاعلة»، وبضربهم لهذه الأمثلة طمأن أحدهم الآخر.

كيف وعد أساقفة إنكلترا بدفع مبلغ كبير من المال إلى الملك تبعاً لبعض الشروط

وفي هذه الآونة نفسها، منح أسـاقفة انكلترا الذين أصبحـوا ضعفاء، وجبناء رعاديد (حيـث لم يقلدوا مثابرة السسترشيان وصمـودهم الذين قدموا رفضاً مكشوفاً وواضحاً إلى الملك في وجهه شخصياً عندما طلب ملبغـاً كبيراً من المال) مبلغ اثنين وأربعين ألـف مـارك إلى الملك، وذلك لزيادة الأضرار الجسيمـة التي لحقت بالكنيسـة وبالمملكة، وجـرى منح هذا المبلغ إلى الملك أو إلى ابنه ادمـوند، من أجل الاستحـواذ على مملكة أبوليا، مع أن الحصول على تلك المملكة بات ميئوساً منه أكثر فأكثر كل يوم، ووعد الملك الذي كان راضياً قليلاً بهذه المنحة، أنه سوف مع أول فـرصة ممكنة، يلطف من ظلم الكنيسـة، ويعيدها إلى وضعهـا الصحيح من الحرية، وحول هذه الشروط وضعت بنود وصل تعـدادها إلى حوالي

الخمسين، وقد أمر الأساقفة بتدوينهم كتابة، في سبيل تنفيذهم، أو وضعهم موضع التنفيذ في الوقت المناسب، وكان ذلك بحضور الملك، والنبلاء، والأساقفة، وكانت هذه البنود، أو المواد مشابهة لتلك التي قاتل في سبيلها القديس توماس الشهيد، رئيس أساقفة كانتربري الممجد كثيراً، ومن أجلها قهر، وهي كثيرة حتى يتولى الإنسان كتابتها، حيث أنها تحتاج إلى ليلتين أو ثلاث ليالي حتى يمكن تدوينها على الورق، انظرها في كتاب Additaments.

وفاة وولتر أسقف نورويك

في يوم عيد القديس وولستان Wulstan, الذي حلّ في العشرين من أيار، مات وولتر دي سفيلد Suffield, أسقف نورويك في كلوستر، وحمل جسده إلى الكنيسة الكاتدرائية في نورويك، ليدفن بتشريف هناك، وروي فيما بعد بأن معجزات قد عملت عند قبره، وكان هذا الأسقف قد أعطى في أيام المجاعة جميع كؤوسه وأوانيه الفضية، وكذلك جميع أمواله، لصالح إفادة الفقراء.

المرسوم الجديّد الذي عمل في روما فيما يتعلق بالذين انتخبوا لرئاسات الرهبانيات المعفية

وفي هذا العام أيضاً، صدر مرسوم في روما، من قبل البابا واخوانه الكرادلة، الذين لاحقوا بنشاط منافعهم واهتموا بمرابحهم، دون الاهتمام بشؤون الآخرين، وقضى هذا المرسوم أن «كل واحد سوف يجري من الآن فصاعداً انتخابه إلى رئاسة رهبانية معفية، عليه الذهاب إلى روما من أجل تثبيته ولكي يتلقى التبريك»، وتعرضت الديانة بوساطة هذا المرسوم غير الاعتيادي للخطر، وجردت الكنيسة من ازدهارها الدنيوي، لأنه لم يعد من الضروري بالنسبة للرهبان أن ينتخبوا رعاة لنفوسهم شخصاً ناضجاً، وراهباً، بل رجلاً نصف علماني،

يفضل الفروسية على العدالة، ويؤثر شريعة جستنيان على شريعة الرب، «التي تهدي النفـــوس»، وعــــلاوة على ذلك، لنفترض أن مثل هذا الشخص جرى انتخابه (لأن أي نوع آخر من الرجال سوف يجري رفضه من قبل الملك ووكلائه) قد يحدث أنه بعد اضاعة كثير من الوقت في السفر عبر الألب، قد يجري عدم الموافقة على الشخص المنتخب، ومن ثم يحدث إلغاء الانتخاب، أو قد يموت الأسقف المنتخب أثناء سفره، وفي كلتا الحالتين سوف يكون الدير قد وهن، لأن الملك الذي لصالحه تكون جميع الممتلكات قد صودرت، سوف يقوم بسلبها وابتلاعها كيفما شاء.

كيف عمل ملك إنكلترا الاستعدادات للقيام بحملة إلى ويلز

وحوالي الوقت نفسه أصدر الملك مذكراته، وعممها على جميع أرجاء انكلترا، دعا فيها كل من يتوجب عليهم تأدية خدمة فروسية لمولاهم وملكهم أن يكونوا مستعدين، جاهزين، مزودين بالخيول والسلاح، للحاق به إلى ويلز في عيد مريم المجدلية، حيث سوف يزحف بحملة لضبط عنف الويلزيين وكبح جماحهم، لأنهم كانوا يجتاحون كما يريدون، وقد استولوا على قلاع نبلاء الحدود، لابل حتى إنهم استولوا على قلاع الانكليز، بوقاحة، وقتلوا حامياتهم، ونشروا النار والقتل، والاحراق في كل اتجاه، وبناء عليه، علم الويلزيون بأن الملك سوف ينزل إلى الميدان للقتال ضدهم بجيشه، فتصرفوا بحكمة بأن أبعدوا زوجاتهم وأولادهم وقطعانهم إلى المناطق الداخلية من البلاد، حول سنودون Snowdon, والمناطق الجبلية الأخرى، التي لايمكن للانكليز الوصول إليها، وفلحوا حقولهم، ودمروا الطواحين الموجودةعلى الطرقات التي سيزحف عليها الانكليز، ونقلوا جميع أنواع المؤن، ودمروا الجسور، وجعلوا المخاضات لايمكن عبورها بحفر حفر فيها، في سبيل أنه إذا ماحاول العدو عبورها، سوف يتعرض للغرق، وساعدهم الحظ في هذه الحرب، لأن

قضيتهم، ظهرت حتى بالنسبة إلى أعدائهم، بأنها قضية عادلة، والذي دعمهم بشكل رئيسي وشجعهم هو أنهم كتروجانيين Trojans (الذي منه انحدروا) كانوا يناضلون بثبات جدير بنسبهم في سبيل شرائع أجدادهم وامتيازاتهم.

الويل للانكليز التعساء، الذين ديس عليهم تحت الأقدام، من قبل كل أجنبي، حيث سمحوا للامتيازات القديمة لمملكتهم بأن تموت، ولم يشعروا بالحياء والخجل من المثل الذي ضربه الويلزيون، الذين فضلاً عن أنهم تمنعوا عن اظهار الطاعة لادوارد ابن الملك، قاموا بالاستهزاء به، وكدسوا الاهانات والشتائم عليه، ونتيجة لذلك راودته المشاعر، وتبنى فكرة التخلي عن ويلز، وعن الويلزيين غير المدجنين، آه ياانكلترا، لقد عددت عن حق وصيفة جميع الشعوب، وكأنك بلد في أدنى درجات العبودية وأحطها، فكل ماتولى السكان المحليون رعايته، قام الأجانب بنهبه.

وصول الإيرل رتشارد إلى ألمانيا

ووصل في حوالي الوقت نفسه الايرل رتشارد سالماً إلى ألمانيا، حيث وجد حشداً كبيراً من الناس ينتظرون لتحية وصوله بمظاهرات كبيرة جداً من السرور والتشريف، وبما أن هؤلاء الناس كانوا قد تحملوا نفقات كبيرة، أمر بتوزيع مبلغ كبير من المال بينهم، بوساطة إعادة ماأنفقوه والتعويض عليهم، ونتيجة لهذا حصل على ثناء الجميع ونواياهم الطيبة نحوه.

كيف جرى تتويج الإيرل رتشارد ملكاً على ألمانيا

في يوم صعود ربنا، الذي وقع في السابع والعشرين من أيار، جرى تتويج رتشارد ايرل كورنوول ملكاً على الألمان أو الرومان، وتولى إجراء احتفال التتويج كونراد رئيس أساقفة كولون، في اكس لى شابيل بمهابة

عظيمة، وبأبهة كبيرة، وفقاً للعادات التي وصلت من الأيام الخالية، ولم يكن هناك متذمراً أو مزعجاً للاحتفال، وهي واقعة لم يحدث مثلها قط منذ العصور القديمة، وجرى في الوقت نفسه تتويج زوجته الكونتسة سينيثيا Cynthia ملكة معه، وفي اليوم التالي، الذي كان يوم الجمعة، أنعم الملك رتشارد بمرتبة الفروسية على ابنه هنري، من زوجته الماضية ايزابيلا، واحتفل بمنح الفروسية لهنري المذكور مثلما احتفل بتتويج نفسه، بوساطة وليمة في كل يوم من هذه الأيام، وكان هذا سبباً جيداً لإثارة دهشة الألمان، هذا ومن الممكن الوقوف على وصف كامل لهذه الإجراءات في رسالة كان قد أرسلها إلى انكلترا، وهي موجودة في كتاب Additaments.

تعيين جون أوف أفني قهرماناً لألمانيا

شرع الملك رتشارد يعمل بهدوء من أجل ترتيب شؤون المملكة، حيث تبنى آراء نبلاء البلاد، وعمل بناء على نصائحهم، وأخذ بشكل خاص بنصيحة رئيس أساقفة كولون، وعيّن جون أوف أفني Avennes قهرماناً له، وكان رجلاً خبيراً بالحرب، وكان مايزال هناك بعض الذين يتحركون ضد سلطته، وكان من بين هؤلاء رئيس أساقفة تريفي Treves, وكان رجلاً قوياً، ومن أهل الحرب، وقد تشجع في طيشه وتهوره بوساطة الحظوة التي أبديت نحوه من قبل الفرنسيين.

الخصام بين رهبان وينكستر ورهبان غلاستونبري

في هذا العام نفسه، وقبل أيام قليلة من وقوع الحادثة المشار إليها أعلاه، تسبب رئيس رهبان وينكستر ومعه رهبانه، ورئيس رهبانية غلاستونبري ورهبان الدير، بنشوب خلاف، بسبب مطامحهم، مما نجم عنه فضيحة غلفت جميع الطائفة الرهبانية، وبددت ممتلكات كنائسهم

الفخمة والقديمة، وألحقت الأذى بهم والعار إلى الأبد، وأعتقد أنه ليس مفيداً التحدث عن تفاصيل أخطائهم في هذا الكتاب، ذلك أن ذكرهم يحتاج إلى عناية خاصة ووقت طويل، وفي الحقيقة إنني أفضل التزام الصمت تجاه مثل هذا الشقاق، الذي يقدم الوقود إلى بلاط روما، أكثر من جلبه المصالحة إليهم.

موت موريس فارس إيرلاندا

في هذا العام نفسه، وقبل عدة أيام مضت، مات موريس فتز—جيرالد، وكان فارساً شجاعاً ومقبولاً، وكان قد شغل من قبل وظيفة مسؤول العدالة في ايرلاندا، ولم يكن هناك أدنى من أحد، وعاش هذا الرجل طوال حياته بأخلاق موضع الثناء، لكنه نال سمعة سيئة، وربما كان ذلك عن طريق الخطأ، وذلك بتسببه بموت رتشارد الايرل مارشال.

موت روبرت أوف سوثندون

ومات في العلام نفسه أيضاً روبرت أوف سوثندون Sothindon, وكان كاهناً خاصاً بالملك، ومن قبل رجل عدالة متجول، وقد وقع مريضاً في هارتفورد، وفي ذلك المكان أنهى حياته ودفن.

استيلاء الويلزيين على قلعة عائدة لإيرل غلوستر

وفي ثمانية عيد القديس بندكت، قام للويلين، القائد العام للويلزيين بهجوم مفاجىء على ممتلكات ايرل غلوستر، واستولى بالقوة على قلعة عائدة لذلك الايرل، وهناك قتل جميع الذين وجدهم في القلعة.

موت أليس رئيسة راهبات كيتباي

وماتت في هذا العام أيضاً أخت القديس ادموند، رئيس أساقفة كانتربري، السيدة أليس، رئيسة راهبات كيتباي Katesby,

وكانت ناسكة ذات قداسة مدهشة، وبريئة، وقد روي حدوث معجزات عند قبرها.

وفاة الرئيس الصالح لرهبان نورويك

ومات في الوقت نفسه الرئيس الصالح لرهبان نورويك، وكان رجلاً صاحب قداسة عظيمة، وكان متميزاً بعلمه، وكان يقوم بالاضافة إلى القداسات، وساعات الصلوات النظامية، والصلوات الخاصة والسرية، بانشاد المزامير كلها يومياً، وقد انتخب هذا الرجل عن جدارة أسقفاً لنورويك منذ حوالي العشرة أعوام، لكن الملك آثر نصيحة المستشارين الأشرار، فتولى إلغاء الانتخاب، على أساس بعض الحجج الواهية.

كيف وقع الملك مريضاً من خلال الحزن

وحوالي الوقت نفسه، أي حوالي نهاية شهر أيار، تغلب الحزن على الملك وقهره، نتيجة النجاحات المتوالية للويلزيين، وبسبب مقتل أعداد كبيرة جداً من رعاياه الخاضعين له، على تخوم ويلز، وكذلك لتفكيره بأنه قد خدع فيما يتعلق بمملكة أبوليا، التي في سبيلها أنفق مبالغ هائلة من المال من دون فائدة، ومجدداً ازداد حزنه بسبب المرض الشديد للملكة، ووفاة ابنته كاترين، وسبب له تراكم هذه الأحزان حمى ثلثية، أبقته لمدة طويلة في لندن، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الملكة حبيسة فراشها في ويندسور Windsor بسبب نوبات آلام ذات الجنب.

مقتل مرافق لوليم دي بلنسية من قبل شعب لندن

وفي حوالي الوقت نفسه، كان هناك مرافق يعمل في خدمة وليم دي بلنسية أخي الملك، وقد تصرف بوقاحة كبيرة في لندن، وقد أشهر سكينه وأقسم أنه سوف يغمسها في دماء المواطنين، وقد وضع تهديداته قيد التنفيذ، فجرح بعضهم من دون أي سبب، وبعد ايقاعه الجراحات، تلفظ بالاهانات والتهديدات، معتمداً كما هو معتاد على حماية سيدة،

وانقضت الفئات الدنيا من المواطنين عليه على شكل حشد كبير، لأنه كان غير قادر، وليس راغباً بوضع حد لرعونته، وهاجموه بالحجارة والعصي، وقتلوه، وقد جرى حمله إلى بيت عندما كان على وشك الموت، وقد قال وقتها: «من أجل خاطر الرب، أخبروا مولاي بأن موتي لم يكن نتيجة خطأ أي إنسان، بل ينبغي عزوه فقط إليّ أنا شخصياً، وإلى حماقتي ووقاحتي، لأننا بوثوقنا بحماية ساداتنا وموالينا، دسنا من دون رحمة على الأبرياء، وكذلك على المجرمين».

وعندما سمع وليم بهذه الواقعة، تقدم بشكوى أمام الملك ضد مواطني لندن، وفي سبيل إثارة غضبه أمر بجلب جسد الرجل الميت وعرضه أمامه، وعندها جرى استدعاء عمدة المدينة، وبعدما طلب منه بكل حدة تقديم تقرير عما حصل أجابه قائلاً: «مولاي الملك أنا لايمكنني ضبط عنف الشرائح الدنيا من المواطنين، لكن اسأل عن الذي قاله الرجل المتمدد ميتاً عندما كان على حافة الموت»، وعندما عرف الملك جميع تفاصيل حقائق القضية قال: «لقد تلقى المعتدي الذي استحقه فقط»، لكن بقايا المشاعر السيئة ضد المواطنين لم يتم التخلص منها تماماً، كما سوف تبين الحكاية التالية بالتفصيل.

وفاة روجر أوف ويستهام أسقف شيستر

وحوالي الوقت نفسه غادر المعلم روجر أوف ويستهام Westham, أسقف شيستر الذي كان رجلاً جديراً بالثناء كثيراً، طريق الجسد كله، وكان قد عانى منذ زمن طويل من آلام الشلل الارتجافي، وقد استقال من أسقفيته، وقد خلفه المعلم لونغسورد Longsword.

المعجزة الاعتيادية التي عملت في كنيسة القديس ألبان

وحوالي الوقت نفسه، أي أن تقول مع بداية الخريف، قدر رئيس رهبان ورهبان دير القديس ألبان أن الموسم المؤلف من القش والقمح

في خطر كبير من التعرض للتلف بسبب التساقط الكثيف للمطر، ولذلك توصلوا إلى قرار أثناء اجتماع هيئتهم الكهنوتية، حسبما جرت العادة في أحوال مثل هذا الخطر، وقضى قرارهم بوجوب إعلان الصيام في أرجاء رئاسة شماستهم، وأن يتم الالتزام به من قبل الناس وكذلك من قبل الرهبان، وأنه يتوجب حمل نعش القديس ألبان في مسيرة مهيبة إلى كنيسة القديسة مريم في الحقول، وسار الرهبان والناس وراء النعش حفاة وهم يتفوهون بصلوات مخلصة، وقد نفذ هذا كما ينبغي، وفي اليوم نفسه، ومن خلال فضائل الشهيد، توقفت الأمطار المدمرة.

مغادرة جامعة باريس لمكانها

وفي تلك الآونة نفسها، غادرت جامعة باريس لتلك المدينة، تاركة إياها شبه فارغة، وجاء هذا جزئياً بسبب أن موسم الحصاد بات وشيكاً، وجزئياً بسبب تنكيل الرهبان الدومينيكان، لأن الراهب هوغ، الذي كان من طائفة الدومينيكان، وكاردينالاً في كنيسة روما، قد استخدم كل مساعيه الجبارة، لإضعاف قضية الباحثين، ولتمتين موقف الدومينيكان، الذين كانوا واقفين ضدهم.

الغارات المدمرة للويلزيين

وجد الويلزيون أن القضية باتت الآن قضية حياة أو موت بالنسبة لهم، فدخلوا في تحالف ثابت، حيث اتحد الذين كانوا في الشمال مع الذين كانوا في جنوب ويلز، وهو أمر لم يكن معروفاً من قبل، لأنهم كانوا حتى الآن دائماً متعادين ضد بعضهم بعضاً، ثم إنهم قاموا بناء على موافقة عامة، بهجوم حاد ومفاجيء على جيش الملك، وقد حرضهم على القيام بذلك المعلومات التي تلقوها من الجواسيس والخونة، وكان جنود الملك في وضع صعب، في منطقة مستنقعية، قرب قلعة هناك، حيث توقعوا أن يعثروا على مكان للالتجاء، لكن عندما تراجعوا على

أمل الحصول على الحماية هناك، وجدوا أعداءهم عوضاً عن الأصدقاء، ولذلك جرى تمزيقهم، وسحقوا وكأنهم كانوا بين حجري رحا، فقد هوجموا من الأمام ومن الخلف، وقد هزموا وأرغموا على الفرار، أو التعرض للقتل حسب إرادة العدو، وسقط في ذلك الصراع الدموي بعضاً من مشاهير الفرسان الذين كانوا في خدمة ملك انكلترا، وكان من بين كثيرين ستيفن بانكان Bancan, وكان صديقاً عزيزاً على الملك، وروبرت أوف نورهام Norham, مع عدد كبير آخر، نحن لانتذكر أسماءهم.

وبعد هذا النصر قبل الويلزيون غريفين دي برون Griffin de Brun, الذي عملوا بموجب معلوماته، ونصيحته فنجحوا، قبلوه للتحالف معهم، وكان هو في الحقيقة ويلزياً من حيث المولد وشجاعاً، ومن أصل نبيل، لكنه كان قبل بضعة أيام مضت قد التحق بملك انكلترا، وبناء عليه قام الويلزيون بتدمير جميع أراضيه، وممتلكاته التي كانت كبيرة جداً، والتي لم يستطع الملك ولم يتمكن من ضمان سلامتها وأمنها.

الخطاب الحماسي الذي ألقاه للويلين مقدم الويلزيين

بات منذ ذلك الحين للويلين، مسروراً للنصر الذي حصل عليه بوساطة أتباعه الويلزيين وللأسلاب التي أغنته والتي حصل عليها من المهزومين، وقد قوي جانبه بالتحالف الذي عقده مع ويلزي الشمال، وكذلك بتجديد تحالفه مع غريفين المتقدم ذكره، لذلك شغل نفسه في تشجيع أتباعه وتطمينهم، وذلك بقوله: «حتى الآن قام رب الحشود بمساعدتنا، ومن الواضح إلى الجميع أن النصر الأخير لايمكن عزوه إلى شجاعتنا، بل لعاطفة الرب الذي يقاتل مع القليل مثلما يفعل مع الكثير، فكيف كان لنا نحن الضعفاء، وغير المعتادين على الحرب، والجبناء، عندما نقارن بالانكليز، أن نتجرأ، فنقف ضد ملكهم، لولا أن

الرب أعطانا وقايته؟ فلقد شـاهد الرب ما نزل بنا، وكيف أننا ببساطتنا قـد فـرض علينا غيوفـري لانغلي، والوكـلاء الآخـرين الذين لايرحمون للملك، وكـذلك التابعين أيضـاً لإدوارد، وعليكم أن تعلمـوا أننا الآن، ومنذ الآن فصاعـداً نحن نقاتل في سبيل حيـاتنا، وإذا ما وقعنا بالأسر، فسـوف لـن نحصل على الرحمة مطلقـاً، لذلك علينـا أن نقف ثابتين مع بعضنا، فنحن إذا بقينا غير متفـرقين، سـوف نكون لايمكن غلبتنا قط، ونحن نرى بوضوح مثل وضـوح النهار، كيف قـام ملك انكلترا بإفقار رعـاياه الانكليـز الطبيعيين، وكيف جـردهم من مـواريثهم، وأهانهم، فكيف يمكن على هذا أن يوفـرنا، الذي يطلب إلحاق الأذى بنا، والذي أثرناه للانتقـام؟ فهـو يستهـدف اقتـلاعنا من على وجـه الأرض، لكن القضيـة العادلة هي التي تحمينا، وتخزي خصـومنا، وإنه من الأفضل لنا أن نموت، وأن نغـادر إلى الرب، من أن نعيش في الظلم، وأن نموت في النهاية بناء على إرادة أعدائنا»، وتشجع الـويلزيون بهذا الخطاب، فتابعوا الحرب بشـدة، وأوقفـوا أنفسهم على القتل، والحرق، والسلب، ليـلاً ونهاراً، فحولوا جميع المنطقة الحدودية بين انكلترا وويلز إلى صحراء.

مرض أسقف هيرفورد

وفي هذا العام نفسـه، جرت عقوبة أسقف هيرفـورد، الذي غرق من كثير من اللعنات التي نزلـت على رأسـه، عقـوبتـه من قبل الرب بطرق مضاعفة كثيرة، ومن المؤمل أن ذلك كان من أجل اصلاحه، فقد أصبح مثل طريد مختبىء، ولم يترك لـه حظه السيء أحـداً في أسقفيتـه قـد اهتم بالعثـور على أمـاكن تخفيـه، فقـد قـال بعضهم بأنه ذهـب مسرعـاً إلى مونتبيلير Montpellier, حتى يشفى من مـرضه الذي كـان يعاني منه، لأنه كـان يعاني من مـرض التمعط، أو من الجذام في أنفـه، والذي شـوّه وجهـه كلـه، لأنه تبعـاً لما قـاله الأطبـاء إن التمعط في الجلد، هو الجذام بالنسبة للجسد.

الاتهام الذي قدم أمام البابا ضدّ روستاند

وجرى في حوالي الوقت نفسه توجيه التهمة إلى كاهن البابا الخاص، المعلم روستاند، أمام البابا، بأنه اهتم بمصالحه دون مراعاة للعدل: بجمع المقتنيات، والموارد، والأموال في انكلترا، وإنه بإرغامه الملك والأساقفة على إطاعة رغباته، أصبحت له بعض الأهمية بين نبلاء المملكة، وذلك نتيجة لثروته الكبيرة.

وصول ملك إنكلترا مع جيشه إلى شيستر

وفي حوالي الوقت نفسه، الذي كان موسم الحصاد، وصل ملك انكلترا وبرفقته جيش كبير إلى شيستر، فمنع الويلزيين، وحال بينهم وبين العثور على الطعام في تلك المناطق، وبدد أتباعه الموسم الوافر من القمح ومن منتجات الأرض الأخرى، مما ألحق الأذى بهم أنفسهم وكذلك بالآخرين، ونتيجة لهذه التصرفات أصبحت المؤن خلال وقت قصير قليلة جداً في أوساط الجيش، ولذلك عانت الخيول والبشر كثيراً من العوز الشديد، وقام الملك في الوقت نفسه، حتى يدفع بالويلزيين —الذين دعاهم باسم الأعداء والخونة له— إلى متاهة اليأس، فبعث إلى سكوتلندا وايرلاندا وبلدان أخرى، يطلب أعداد كبيرة من العساكر، في سبيل التضييق على الويلزيين وحبسهم، وسحقهم مثل سحق آنية من الفخار.

وعند ذلك قام للويليين فأرسل —بناء على نصيحة نبلائه— رسلاً خاصين إلى الملك، وتقدم بالرجاء من أجل السلام، على كل حال، على شرط «أن يحتفظوا بشرائع أجدادهم وامتيازاتهم بسلام حسبما اعتادوا أن يفعلوا، وأنهم غير ملزمين بتقديم حساب عن أعمالهم إلى ادوارد، أو إلى أي واحد آخر، بل إلى الملك فقط»، ذلك أنهم أعلنوا بوضوح «أنهم سوف لن يخضعوا بأي حال من الأحوال، ويداوموا على قبول توزيعهم

أوبيعهم مثل ثيران أو حمير»، ورفض الملك —على كل حال— الاستماع إلى التماساتهم التي قدموها بتواضع وكذلك إلى رسالتهم، بل شجع جنوده على القتال، ونشر علمه، وتقدم نحو الأمام يوماً بعد يوم، يحيط به رجاله المسلحين، وكان مثل تنين لايعرف كيف يوفر أي واحد، وهدّد بإبادة كاملة للويلزيين.

تثبيت سيمون دي وانتون أسقفاً على نورويك

وفي حوالي يوم عيد القديس بطرس في الأغلال، جرى تثبيت المعلم سيمون دي وانتون أسقفاً على نورويك، وقد قام بعد انتخابه مباشرة من قبل الرهبان، بارسال رسل مسرعين إلى بلاط روما، حيث استطاعوا بوساطة الرشاوي الوافرة، الحصول على ترخيص يمنحه سلطة الاحتفاظ بموارده الماضية لمدة أربع سنوات، مع أن أسقفيته جيدة ومزودة بشكل جيد بسلع هذا العالم، وبات هذا النوع من التنازل عادة في بلاط روما.

ابتعاد عواطف ملك إسبانيا عن ملك إنكلترا

وفي هذا العام نفسه أيضاً، نأى ملك اسبانيا بعواطفه وابتعد بها عن ملك انكلترا، ذلك أنه قال بأن أخا الملك الأخير، ايرل كورنوول، قد حلّ محله في ألمانيا، أو المملكة الرومانية، ولذلك طلب المساعدة منه، أي من ملك انكلترا، ضد أعدائه، وفقاً لشروط الصك المعمول بينهما الذي جاء فيه: «كل واحد متوجب عليه وملتزم بمساعدة الآخر»، وعلى هذا رد ملك انكلترا وأجاب قائلاً: «بناء عليه إن ملك اسبانيا ملزم بتقديم المساعدة عندما يحتاجها أخي لأنه لايمكنني وسوف لن أتخلى عن تقديم المساعدة له، فهو قد انتخب بصورة شرعية ملكاً لألمانيا، وجرى تتويجه من دون معارضة أي واحد، ولو أن أي واحد تقدم بإدعاء لصالح ملك اسبانيا، وأنه له حق، وبرهن أنه جرى انتخابه بشكل صحيح من قبل،

فإن أخي رتشارد، ايرل كورنوول، ما كـان ليوافق على انتخابه شخصياً، ومـا كنت أنا لأقـدم له المسـاندة، بأي حـال من الأحـوال»، وبهذا هدأ الغضب الطائش لملك اسبانيا.

العودة المخزية للملك إلى إنكلترا

وفي تلك الآونة، وجـد الملك أن الحرب سـارت ضـده، وأن المؤن أصبحت قليلـة، وأنها ازدادت ندرة في كل يـوم، وأن الذين وعـدوه بالمسـاعـدة لم يقـدمـوا، وأن المناخ غير الـرحيم للشتـاء بات وشيك الحضـور، لـذلك عمل استعـداداته للعـودة إلى انكلترا، بحكم اقتراب حلول عيـد القـديس ميكائيل، ولذلك وجـه زحفه بصـورة مخزية نحـو لندن، وذلك من أجل أن يكون حـاضراً في عيد القـديس ادوارد، الذي وقع خلال أسبوعين من عيد القديس ميكائيل.

كيف جرى إرسال رسل خاصين إلى ملك فرنسا لاسترداد امتيازات ملك إنكلترا

وجـرى في حـوالي الوقـت نفسـه، ارسـال وولتر أسقف ووركستر Worcestor, وسيمون ايرل ليستر، وروجر بيغود الايرل مارشال، وبطرس أوف سـافـوي، وروبرت ويلران في بعثـة خـاصـة إلى الملك الفـرنسي، للتبـاحث معـه من أجل إعـادة ممتلكات ملك انكلترا، التي احتفظ بها بشكل غير عادل لمدة طويلـة، ورد الملك الفرنسي على طلبهم باعتـدال، غير أن أخويه والنبـلاء الفرنسيين، أجـابوا بوقاحـة وغضب، وقدموا رفضاً مكشوفـاً، وعلى هذا عاد الرسل دون أن يحققوا عرضهم، ووصلوا إلى الوطن في حوالي عيد طهارة العذراء المباركة.

موت نيقولا فارنهام الذي كان مرة أسقفاً لدرم

ومات في هذا الوقت نفسـه المعلم نيقولا أوف فارنهام Farnham,

الذي كان من قبل أسقف درم، وهو الذي كان قد استقال من أسقفيته، في سبيل أن يكون أكثر هدوءاً وراحة ليجني ثمار التأمل، وقد مات في ستوكتون Stockton, وكانت عزبة فخمة قائمة على نهر تي Tees, وهي قد صارت من نصيبه، عندما جرى تزويده بعزبتين أخريتين هما: عزبة هوفدون Hovedon وعزبة ايسنغتون Esington, وعندما وصلت أخبار موته إلى الملك، استخرج ثلاثمائة مارك من أسقفية درم، على أساس أنه لم يمتلك الوصاية على تلك الأسقفية تماماً عندما كانت شاغرة، وذلك خلال الحقبة التي مضت مابين استقالة نيقولا المذكور، حتى تعيين خليفته وولتر.

وكان وولتر رئيس أساقفة يورك، وفولك أسقف لندن، يعدان وصيين وحاميين للحصة العائدة لنيقولا المذكور، ولم يخجل مستشارو الملك من نصيحة مولاهم، كما عمل.

الخلاف بين ملكي الدانمارك والنيرويج

وتفجر في هذا العام خصام جاد بين ملكي الدانمارك والنيرويج، ووقعت عدة معارك في البحر بين سفن البلدين، أثناء رحلاتهم، وكان على كل حال قد تم التوصل بوساطة الأساقفة في المملكتين، إلى إعادة السلام بينهما، ومات في هذا العام أيضاً هاكو Haco, الابن الأسن، والوريث لملك النيرويج المتقدم ذكره، وكان شاباً، له مظهر جميل.

كيف عاد الملك من ويلز من دون تحقيق أي إنجاز متميز

ومع نهاية الخريف، اقترب حلول الشتاء الذي جعل الأيام قصيرة، وجلب البرد، وبما أن ندرة المؤن سيطرت على جيشه، قام الملك بناء على نصيحة مستشاريه الخاصين، الذين لم يكن بإمكانهم تحمل حالة العوز، بالمغادرة من شيستر، وعاد نحو لندن، حتى يكون موجوداً لدى

الاحتفال بعيد تحويل القديس ادوارد، ولدى سماع للويلين بهذا لحق به وطارده لوقت طويل، بقصد مهاجمة وقتل المتخلفين من جيش الملك، وهكذا بعدما أنفق مبلغاً كبيراً من المال، عاد الملك مخزياً، وقد لحقت به أصوات السخرية من عدوه، حتى وصل إلى بلاده، التي كانت مكاناً فيه أمان عظيم بالنسبة له، ومع ذلك زحف وهو مسلح بشكل وسيم في وسط جيشه، مع الراية الملكية وهي منشورة، وقد شجع أتباعه من المقاتلين ليقوموا بقتل الويلزيين، الذين هم حثالة الجنس البشري.

حول خلع ستيفن أوف ليكسنغتون رئيس رهبان دير كليرفو

أثناء مرور الوقت على هذه الصورة، جرى خلع ستيفن أوف ليكسنغتون، رئيس رهبان دير كليرفو، بشكل مهين، من منصبه، لأنه حصل على امتياز الاستحواذ على تلك الرئاسة إلى الأبد، وكان ذلك معاكساً لمبادىء وأحكام طائفة السسترشيان، لكن قد قيل بأن هذا جرى التخطيط به ضده بشكل شرير، ومن خلال الحسد، لأنه كان قد أسس، وبعد ذلك دعم على نفقته مدرسة في تشاردني Chardenay, وكذلك بسبب تميزه بفضائله، وعلو مكانته لعلمه، وعلاوة على ذلك لأنه كان من أصل انكليزي، وعندما سمع البابا بهذا رغب في تحليله، وإعادته إلى منصبه السالف، لكن أعداء ستيفن المذكور، حصلوا بوساطة توزيع سخي للرشاوى في بلاط روما، حصلوا على تثبيت قرار العزل الذي أعلن ضده.

المرسوم الجديد الذي عمل في روما الذي أرغم كل أسقف منتخب على الذهاب إلى روما

وفي هذه الأثناء فشت أخبار بأن الأسقفان المنتخبان لإيلاي ولكنيسة القديس ادموند، قد وعدا بتقديم مبلغ كبير من المال في بلاط روما في سبيل الحصول على امتيازاتهما، حتى أن جميع الناس الحكماء والعقلاء

أصيبوا بالدهشة وشعروا بالاستغراب، وبعدما نجحا في عملهما، مع أنهما تورطا في ديون ثقيلة، عادا إلى الوطن حزينين لأنهما كانا السبب في تعريض كنيستهما لخطر كبير، وكان هذا نتيجة لذلك المرسوم الأكثر مصاً للدماء الذي صدر في روما، والذي بموجبه صار كل أسقف منتخب مرغماً على عبور الألب، مما كان يلحق الأذى به، أو بالحري يدمره، في سبيل أن يحشو حاويات نقود الرومان، وعندما علم الملك بأخبار هذا المرسوم، الذي استنزف كنيستي الأسقفين المتقدم ذكرهما، خجل، أو بالحري توجب عليه أن يخجل، لدى التفكير أنه لدمار كرامته، هوجمت مملكة انكلترا بالفضائح الكثيرة، وظلمت بوساطة كثير جداً من الأعداء، وظهرت علامات هذه الاضطرابات على الأساقفة، وفي سلب الكنائس في الوقت نفسه تحت سلطة الملك، وسلطة وكلاء الملك، وظهرت أيضاً في الحالة المحزنة والمديدة التي عانت منها الأديرة المهجورة، وإذا ماحدث ومات الأسقف المنتخب وهو مسافر، أو أنه رفض وجرى إلغاء انتخابه، فإن جميع هذه المآسي سوف تتجدد، وإذا ما حدث في المستقبل وجرى انتخاب أي شخص ضعيف لأحد الديرة —وكان واحداً لم يتعذب في ركب الخيول، أو السفر والترحال إلى أماكن نائية بشأن قضايا دنيوية— سوف يتعرض الدير إلى الدمار تحت هذا القانون القاسي، وبما أن المنتخب سوف يكون مرغماً على توريط نفسه، قبل التعيين، بديون لايمكنه دفعها، فإن الممتلكات الدنيوية للدير سوف تتلاشى.

عودة هنري بن رتشارد ملك ألمانيا إلى إنكلترا

وفي حوالي عيد القديس ميكائيل، عاد هنري بن رتشارد ملك ألمانيا، الذي نصب فارساً من قبل أبيه في اليوم التالي لتتويجه، وذلك حسبما روينا من قبل، عاد إلى انكلترا، ومثله فعل أيضاً بعض النبلاء الانكليز، الذي وقفوا إلى جانب الملك المتقدم ذكره، وكان من بينهم هوغ سبنسر

وجيمس أودلي Audeley, وستيفن تشيندوت Cheinduit مع عدد كبير آخر، ولم يكن سبب عودتهم معروفاً، لكن من المعتقد، وهذا ما تأكد بمثابة حقيقة من قبل أشخاص موثوقين، أن الألمان لم يكونوا مثلما فعل الانكليز، فلم يسمحوا لقلب ملكهم بالميلان مثل القصب، إلى آراء ونصائح الأجانب.

الحرمان الكنسي لرئيس أساقفة يورك

وحوالي هذا الوقت نفسه، ألقى البابا يده بشدة على رئيس أساقفة يورك، وأمر بأن يعلن بشكل مهين في جميع أرجاء انكلترا بحرمانه كنسياً، وأن يتم ذلك مع شموع مشتعلة مترافقة بقرع الأجراس، وقد سعى بوساطة هذه المرعبات إلى اضعاف عزيمته واصراره، ولكن رئيس الأساقفة تمتن في اصراره، بوساطة مثل القديس توماس الشهيد، وبوساطة مثل وتعليم القديس ادموند، الذي كان معلمه من قبل، وكذلك بثبات وإيمان القديس روبرت أسقف لنكولن، وهكذا تحمل جميع هذا الطغيان الصادر عن البابا بصبر، ولم ييأس من تلقي المواساة من السماء، ورفض أن ينعم بالموارد الغنية لكنيسته على أشخاص غير معروفين وغير جديرين من ماوراء الألب، كما أنه لم يخضع مثل امرأة، ولم يركع أمام إرادة البابا، بالتخلي عن الأحكام الدقيقة للعدل، ولذلك كان كلما ازدادت لعناته بناء على أوامر البابا، كلما ازدادت تبريكاته من قبل الناس، مع أن ذلك كان سرياً، بسبب الخوف من الرومان.

وصول الملكة إلى كنيسة القديس ألبان

في الثامن من تشرين الأول، ذهبت الملكة برفقة زوجة ادوارد، وعدة سيدات أخريات، إلى كنيسة القديس ألبان للوفاء بنذورها، ولترد الشكر إلى القديس، وأيضاً لتقدم تقدمة جميلة عند ضريحه، لأنها عندما كانت تناضل تحت مرض حاد جداً، وعدت الشهيد، بأنها سوف تذهب إلى

هناك، وسوف تأخذ معها هدية نذرية، وبناء عليه قدمت تقدمة عند المذبح، عبارة عن رداء ثمين جميل، وهو الذي ندعوه بشكل عام باسم Baudkin.

خصوبة بيترايس كونتسة بروفانس

إنني أعتقد أنه ينبغي عدم مروري صامتاً، دون أن أذكر حقائق، علمت بها عندما توفرت الفرصة، وذلك فيما يتعلق بخصوبة رحم بيترايس كونتسة بروفانس، فقد ولدت ثلاث ملكات لامعات، وهن ملكات: فرنسا، وانكلترا، وألمانيا، واثنتين من هؤلاء الملكات، أي ملكة فرنسا، وملكة انكلترا، قد جلبن إلى العالم ملكتين، وأعني بذلك ملكة سكوتلندا، وملكة نافار، وهكذا فإنه بهذا التوالد، الذي هو منحة ربانية، فإن الكونتسة بيترايس التي تقدم ذكرها، قد نشرت هالة من الضياء على جميع امتداد العالم المسيحي بتقديم خمس ملكات إلى الجماعة والمجتمع، وبالاضافة إلى هؤلاء أعطت الكونتسة بيترايس الخصبة نفسها بالولادة ابنتان نبيلتان أخريتان، كل واحدة منهن تزوجت من ابن ملك، حيث تزوجت الأولى من كونت أنجو، والثانية من كونت بروفانس.

طغيان التتار

في وسط هذه العاصفة العامة التي أزعجت العالم، ومثلما حدث في البلدان الغربية أنها أثارت بهياجها الحروب بين الويلزيين والانكليز، ومثل ذلك كان العداء والطغيان العائد للتتار وللمسلمين قد ثار في الشرق، وقد أرغمت شعوب كثيرة على أن تدفع الجزية للتتار، ومثل ذلك فعل السلاطين، والأمراء، والملوك، والخلفاء، ورغبة من التتار في اخضاع الصليبيين إلى الأوضاع نفسها، طلب التتار من الداوية والاسبتارية، ومن الآخرين من سكان الأرض المقدسة أن يخضعوا إلى

سلطانهم الذي لايحتمل، ولقد قاموا بعدما تشاوروا أثناء الليل، وبعد مداولات كافية وطويلة، أجابوا بالاجماع على رسائل التتار بأنهم «قد غيروا أزياء ملابسهم، وعهدوا بأنفسهم لخدمة الرب، ليس من أجل العيش برفاهية وسرور، بل بالحري حتى يموتوا من أجل المسيح، الذي لم يرفض في تلك البلاد المعاناة من الموت من أجل تخليص الجنس البشري»، ثم استطردوا يقولون إن هؤلاء التتار —أو هؤلاء الشياطين التتار— قد جاءوا، ولسوف يجدون عبيد المسيح معسكرين وجاهزين لانشاب القتال ضدهم في الدفاع عن الشريعة المسيحية».

دمار الحشيشة من قبل التتار

خلال هذا العام، دمر هؤلاء التتار المقوتين الحشيشة، وهم جنس أكثر مقتاً، فهم يحملون خناجر من حولهم، وإذا مارغب أي واحد في معرفة وقاحة هؤلاء التتار، وطرائق حياتهم وعاداتهم، أو إذا رغب في أن يقرأ عن أوهام الحشيشة وقسوتهم، يمكنه الحصول على المعلومات، بالقيام ببحث نشيط في كنيسة القديس ألبان.

كيف أنه بعد وفاة هورتولد جرى تعيين بطرس دي أوريفالي مكانه

وفي حوالي عيد القديس ميكائيل مات هورتولد Hurtald الذي كان كاهناً خاصاً ومستشاراً للملك، وكان خازناً لقاعته، وجرى تعيين بطرس دي أوريفالي Orivalles محله، وهكذا خلف أجنبي أجنبياً.

كيف أخذ نبلاء سكوتلندا على أنفسهم العهد القيام بتوجيه إجراءات الملك والملكة

وفي هذه الآونة ورط الاسكندر ملك سكوتلندا نفسه باقتراف حماقات غير لائقة، مع أنه عندما يتولى الشباب القيادة، يتوقع الناس

منهم ثماراً عـالية المنفعـة بالنسبة للمملكة، فقـد اتبع نصائح الأجـانب، واهتم بمصالحهـم، ورفعهم فوق رعاياه الطبيعيين، وقـد غضب هؤلاء من هذا السلوك، وقـامـوا حتى يحولوا بينه وبين القيـام بإجراءات أكثـر سـوءاً، فـوضعـوه والملكة تحت الحجـر، وزيادة على ذلك، أبقـوا الملكة معزولة عنه، خشية أن تلتحق بأبيهـا، وبذلك حذوا حذو الألمان، إلى أن يتمكنوا من الخلاص من الأجـانب جميعاً ويبعـدونهم عن المملكة، ومنذ ذلك الحين أمسك نبلاء سكوتلندا بأزمـة حكومة مملكتهم بسهولة كبيرة وأمـان، وعلاوة على ذلك اتهمـوا الملكة بأنها أثارت غضب أبيهـا، وأنها بعثت إليه للقـدوم ضدهـم مع جيشه ليجلب الدمار للبـلاد، وقالوا بأنه من خـلال شكاويها جـرى تدمير روبرت دي روس، الذي كـان أعظم نبـلاء الشمال، فقـد جـرى تـدميره من دون رحمة وبشكل كـامل، وتمت مصادرة جميع ممتلكاته القابلة للبيع ثم بيعت.

المعارك بين جيمس أودلي والويلزيين

وفي هذا الوقت نفسه، قام نبيـل قوي وغني اسمه جيمس أودلي Au-deley (وكـان واحـداً من الذين جـاءوا مؤخـراً من ألمانيـا)، كـان يمتلك أراضي، وقـلاع وممتلكـات أخـرى في ويلز، كـان الويلـزيون قـد هاجموها ودمـروها أثناء غيابه، قـام بالشروع بدوره بحمـلات هجوميـة، ضـد مقترفي الشرور هؤلاء، وأرسل بالكثير منهم إلى الظلال في الأسفل، مطالباً أيديهم بتقـديم حساب عن دماء إخـوانه، لكن قام الويلزيون فجأة بالانقضاض من مخابئهم التي تشبه أوكار الثعالب، وشقوا طريقهم خلال المستنقعات، وصـدوا حملات أعدائهم الغزاة بجميع الوسـائل التي كانت بمقدورهم، وبذلك وقعت مذبحـة كبيرة، وتحولت بيوت وقلاع إلى رماد من على الجانبين، وبهذا تناقصت قوة انكلترا يومياً، لأنه كان هناك بالعادة تجارة جلبت استيراداً مـن ويلز إلى انكلترا، مـن خيـــول وثيران، وسلع أخرى مختلفة الأنواع، كانت مربحة لسكان البلدين معاً.

كيف أكد ملك إسبانيا بأنه قد انتخب ملكاً لألمانيا قبل انتخاب الإيرل رتشارد

وتحقق في هذه الآونة خبر اشاعة، أزعجت الكثيرين، وقد أفادت بأن ملك اسبانيا قد أكد أنه جرى انتخابه بشكل صحيح ملكاً على الرومان، قبل انتخاب الايرل رتشارد، وكبرهان على هذا وقف رئيس رهبان تريفي، وبعض النبلاء الألمان الآخرين ثابتين ومن دون تغيير في وقوفهم إلى جانب ملك اسبانيا المذكور، وفي الوقت نفسه وعد ملك فرنسا بتقديم نصائحه ومساعدته إلى ذلك الفريق، لأن الفرنسيين كانوا منزعجين كثيراً تجاه التشريف الذي دفع إلى الايرل رتشارد، وغاضبين من المنافع التي سوف يحصل عليها الألمان من انتخابه، لأنه كان هناك فيما بينهم أنفسهم منذ قديم الزمان عداوة فطرية وكراهية من غير الممكن اطفاءها، وهي قد ازدادت بالحرب الكبيرة التي وقعت مؤخراً بين الألمان، وبينهم أنفسهم وبين الفرنسيين الذين نالوا المساعدة من حلفائهم الفلمنكيين.

وكان على كال انتخاب رتشارد الملك الجديد لألمانيا أمراً مقرراً، ونظامياً، ولايمكن تغييره، لأنه عندما جرى في العام الماضي الإعلان عن انتخابه في لندن إلى الملك وإلى نبلاء انكلترا من قبل نبلاء ألمانيا، لم يكن ظاهراً أي ظل من المعارضة مهما كان صغيراً، كما أنه لم يكن هناك فيما بعد عندما قدم رئيس أساقفة كولون إلى انكلترا، وهو الذي كان المستشار الأعلى للامبراطورية، وعندما جاء كان برفقته عدد كبير من زعماء الناس في ألمانيا، ولم يذكر هؤلاء ملك اسبانيا أو انتخابه، ومثل ذلك لم يفعل الأشخاص الحكماء الذين جرى ارسالهم للقيام بالتقصي حول القضايا في ألمانيا، وبناء عليه فإن ملك ألمانيا كان مستقراً، هادئاً في استحواذه لملكه وقد تعامل مع تهديدات ملك اسبانيا باستخفاف، مع أن الأخير هدّد بمحاربته بالقوات المتحدة العائدة لملوك فرنسا،

وأراغون، ونافار، وعلاوة على ذلك أقحم ملك اسبـانيا فقرة في رسائله أطلق فيها على نفسه لقب «الملك المنتخب للرومـان أو لألمانيا»، وعندما سمع رتشـارد ملك ألمانيا بهذه التهـديدات، رد غير هياب: «دعـوه يأتي مع جميع قواته، وليفعل أسـوأ مايمكنه، فأنا سوف ألاقيه خـارج حدود مملكتي».

رسالة ملك إسبانيا إلى ملك إنكلترا

وفي هذه الأثناء كتب ملك اسبـانيـا إلى ملك انكلترا يرجـوه بحـرارة «أن يقـدم إليه مسـاعدة فعـالة، حسبما هو متوجب عليـه، ضد رتشـارد ايرل كـورنوول، الذي اغتصب بوقـاحة تاج ألمانيـا، وحلّ بشكل مخادع محله —أي محل ملك اسبـانيـا— عندما كـان قليل من الناس متـوقعين مثل هذا الإجـراء»، وقـد حث ملك انكلترا على مسـاعـدته توافقـاً مع شروط الصك المعمول بينهما، الذي بموجبه كـان كل واحد منهما ملزماً بمسـاعـدة الآخـر ضد كل عـدو أي عـدو، وكـانت هذه المعـاهدة قـد عملت، عندمـا أعيـد تأسيس السلام بينهما في غسكوني، وبعـدمـا تسلم الملك هذه الرسالة، رد عليه كما يلي: «إنه بالنسبة لي، إنني أطالب بسرعة وبإلحاح بالمساعـدة منه إليّ شخصياً، ومن أخي ضد أعـداءنا المتمردين، هذا وإن كل من يعادي أخي ويقـف ضده، هو يعد لسبب جيـد العدو الخاص بي، لأن الذي ليس معـي هو ضـــدي»، وينبغي أن نـذكـر بأن غسكوني كان قد جرى منحها من قبل الملك الانكليزي هنري مع ابنته، إلى ألفـونسو ملك اسبـانيا، الذي تملكهـا بمـوجب صك كان مثبتـاً من الملكين: رتشارد وجون.

ونتيجـة لهذا تعـاهـد ملك اسبـانيـا مع هنري الثـالـث الملك الحالي، وبمـوجب ذلك كان على ابن هنـري الاقتران بأخت ملك اسبانيـا، وأن على كل واحد منهما تقـديم المساعدة للآخـر في وقت الحاجة، وأن ملك اسبانيا سوف يتخلى عن ادعـائه بغسكوني لصالح ملك انكلترا ولصالح

ورثتـه، وقـد عمل صك يتعلق بهذه الاتفـاقـات المتبـادلة، وعمل ملك انكلترا أيضاً صكاً مهينـاً، تقرر فيه عمل تعـويض إلى جميع الغسكونيين على الخسائـر التي تكبدوها من خلال قـدومه، وخضع ملك انكلترا إلى جميع هذه الخسائـر والاهانات، لأنه عندما كان سيمـون ايرل ليستر قد أخضع تقـريبـاً العصاة الغسكونيين، أرسل الملك أوامـر إلى نبـلاء تلك البـلاد بمقـاطعـة الايرل، وهكذا بمـوجب ذلك ألغيت سلطاته تمامـاً، وبهذه الصفقة غير السعيدة حصل الملك على خسارة جسيمة، في كل من الأراضي والمال، ونال ضرراً لايمكن تعـويضـه بالنسبة لكـرامته، وكـان عمل الملك هذا مضـاداً للصك الذي يحمله الايرل والذي حصل عليـه منه، وفي سبيل أن لايظهر هذا التصرف وكأنه سرقة، خلص الملك ذلك الصك منه واسترده مقابل ستة آلاف مارك، ومجدداً قام —كما ذكرنا من قبل أعـلاه— بعبور القنال شخصيـاً مع جيش كبير، وكـانت جميع هذه الإجراءات مؤذية له، هذا وتقدم ذكر هذه الأحداث أعلاه.

كيف جرى إرسال رسل خاصين إلى فرنسا

وفي هذه الآونة، جرى ارسـال أسقف ووركستر، والأسقف المنتخب لوينكستر، ورئيس رهبـانيـة ويستمنستر، وايرل ليستر، وهوغ بيغـود الايرل مـارشـال، وبطرس أوف سـافـوي، وروبرت أوف ويلران في رسالة خاصة من ملك انكلترا إلى ملك فرنسا، للقيام ببعض الترتيبات، إذا كـان من الممكن عملهـا بأي سبيل مع الشرف، مع الملك الفـرنسي، من أجل أن يتـولى الإعـادة إلى ملك انكلترا الممتلكات والامتيـازات العـائـدة إليـه منذ الزمن القـديم، وبذلك يكـون من الممكن منع إثارة العـداء، الذي يمكن أن تنتج عنه الحروب وسفـك الدمـاء، لأنه بدا أنه لايتماشى مع العقـل والدين أن يدان الابن ويحكـم عليـه بحمل أوزار ظلم أبيـه، وفي الحقيقة كانا قـد تأذيا حتى الآن بما فيـه الكفاية وعـوقبا، فقـد مضى حتى الآن حـوالي الخمسين سنة، منذ أن حـرم ملك انكلترا

بشكل مؤسف له، من أراضيه في القـارة، وعاد المندوبون الذين أرسلهم إلى فرنسا إلى الوطن، وهم بحالـة صمت وأسف، بعدما قوبلوا بكلمات قاسيـة وتهديدات، وبعدما تسلموا رفضـاً كلياً واضحاً بعـدم الاستجابة لطلبـاتهم، وقـد انزعج جميع النبـلاء الـذين دعـاهم الملك إلى بارلمان في لندن، ولذلك توصلوا إلى قناعة بـأن الرسل عادوا من دون التمكن من انجـــاز مهمتهم، وحصلوا على لاشيء، باستثنـاء السخـريـة، والتمس رتشارد ملك ألمانيا أيضاً بتـواضع من الملك الانكليزي إعادة الممتلكات العـائـدة إليـه، ولاقى هذا المطلب مثلما لاقت القضيـة الأخـرى، حيث جـرى تأجيل النظر فيهـا، حتى يفـرغ الملك الفـرنسي من بارلمانه، الذي كان سـوف يعقد في منتصف الصيام الكبير، ولذلك بقي رئيس رهبـانية ويستمنستر في فرنسا للحصول على جـواب حول هذه القضايا، في حين عاد الآخرون إلى الوطن.

كيف جرى تحويل منطقة الحدود مع ويلز إلى صحراء فعلية

ويؤسفنا القـــول بأن حـدود ويلـز جـرى تحويلهـــا إلى صحـراء غير مسكونة، فقد سقط السكان ضحايا للسيف، وأحـرقت البيوت والقلاع بالنار، وسقطت أشجار الغابـات أمام البلطة والمسحاة وسقطت المواشي والقطعـان ضحـــايا للجـزارين، أو مـاتت مـن الجوع، وهكذا جـردت انكلترا من جزء كبير منها.

مختصر أخبار العام

كـان هذا العام كله غير خصب وشحيح، لأن كل الذي جـرى بذره في الشتـــاء، وأزهر في الـربيع، وبات ناضجـاً في الصيـف تلف ودمـــر بوسـاطة الأمطار الخريفيـة، وجلبت أعمال السلب التي مـارسهـا البـابا والملك في انكلترا، قلة الأموال وندرتها، وكـانت وراء فقر غير اعتيادي، وبقيت الأرض غير مـزروعة، ومـات كثير من الناس من المجاعـة، وفي

حوالي عيد الميلاد ارتفع سعر مكيال القمح إلى عشرة شلنات، وبات التفاح نادراً ومثله الأجاص لابل أكثر، وكذلك التين، والدراق، والكرز، والخوخ، وقد تلفت جميع الفواكه التي حفظت بالجرار فساداً كاملاً، وهكذا كان العام عاماً قاحلاً، وعلاوة على ذلك أعطى الفرصة لحميات مميتة، استعرت إلى درجة، أننا إذا لم نذكر جميع الحالات، نجد أنه في كنيسة القديس ادموند، جرى دفن أكثر من ألفي جسد في المقبرة الواسعة، وكان ذلك خلال الصيف، ومات الشطر الأكبر منهم في أيام الشعرى أي مابين أوائل تموز وأوائل آب، وكان هناك رجال شيوخ كانوا قد شاهدوا من قبل بيع مكيال القمح بمارك لابل حتى بعشرين شلناً، لكن ذلك كان من دون جوع الناس حتى الموت، ولكي نضيف إلى التعاسات كان رتشارد ملك ألمانيا قد جرد مملكة انكلترا من آلاف كثيرة من الماركات، التي قد أمر بتحصيلها من أراضيه في انكلترا.

وعاشت الأرض المقدسة في آلام العزلة، والخوف من التتار، فقد امتلك ملك هؤلاء القوم أربعة ملايين من الرجال المقاتلين، وسار هؤلاء في ركابه، وذلك حسبما سمعنا من أشخاص متعلمين وموثوقين، وهم قد أخضعوا حتى الآن نصف العالم، وفعلوا ذلك بالقوة، وكل من رغب القيام ببحث دقيق حولهم، يمكنه أن يجد في كنيسة القديس ألبان، روايات حول طرائق حياتهم القذرة كثيراً.

وانتشرت في هذا العام آلام دائمة وموجعة، نادراً ما سمحت بقوة التنفس لأي واحد عاني منهم، ولم يكن هناك يوم جليدي واحد، كما لم يقع أي يوم جميل، كما أن وجه الأرض والبحيرات التي كانت بالعادة تصبح قاسية بالجليد لم تصبح قاسية على الاطلاق، ومثل ذلك لم تكن هناك قطع ثلجية متجلدة معلقة من أطراف البيوت، بل كانت هنالك أمطار ثقيلة غير منقطعة، وكان هناك ضباب حجب السماء. حتى عيد طهارة العذراء المباركة.

كيف احتفل ملك إنكلترا بعيد الميلاد في لندن

عام ١٢٥٨ لتجسيد المسيح، وهو العام الثاني والأربعين من حكم الملك هنري الثالث، وقد أمضى الملك المذكور عيد الميلاد في لندن، حيث كان ينتظر وصول الرسل الذين كان قد بعث بهم إلى لندن، وهناك احتفل بذلك العيد بمهابة كبيرة وبفخامة، برفقة كثير من النبلاء، وكان الملك أيضاً حاضراً في العيد الذي احتفل فيه على شرف القديس ادوارد.

وصول أسقف إيلاي ورئيس رهبانية دير القديس ادموند

وحوالي الوقت نفسه، وصل أسقف إيلاي ورئيس رهبانية دير القديس ادموند إلى انكلترا، وكانا عائدين من بلاط روما، حيث نجحا في الحصول من البابا على مرسوم تثبيت لهما كل على انفراد في منصبه، وذلك على الرغم من معارضة الملك وسوء نواياه، ومعه رئيس أساقفة كانتربري، وهكذا تصرف الملك وفعل بناء على النصائح الفاسدة، فدمر كرامته الملكية، وسعى إلى إلحاق الأذى بالكنيسة بطرائق مضاعفة.

اضطرابات في روما

في هذا الوقت، وقبل مضي بضعة أيام، وقعت اضطرابات جادة في مدينة روما، نتيجة لإجراءات الشيخ م. M, الذي كان مواطناً من بريشيا، نأى بنفسه عن مسالك العدالة فأفقر شعب روما وظلمه بمختلف الطرق، وفعل ذلك بناء على تحريض النبلاء له، وقد حصر هو اهتمامه وجعل شغله فقط هو العمل على ارضاء النبلاء المذكورين، خاصة الآنيبلدي Annibaldi, ثم إن الناس قاموا بناء على نصيحة واحد اسمه متى أوف بيلفيور Belvoir, وكان انكليزياً، ومواطناً من أتباعهم، يعمل معلماً في صناعة الخبز، قاموا بالاحتشاد مع بعضهم على شكل جمهور كبير، حيث قاموا بهجوم عنيف على السجن، حيث

كان برانكليون الشيخ السالف مسجوناً، وقد نجحوا في فتحه واطلاق سراحه، وما أن عملوا ذلك حتى عينوه شيخاً، وتماشياً مع العادة القديمة لتلك المدينة أقسموا على الولاء وتقديم الاخلاص له، ثم إنهم تمكنوا بمساعدة برانكليون، من طرد أعدائه من المدينة، وألقوا جانباً كل احترام للبابا، فعلقوا على المشانق اثنين من الآنيبلدي، وكانا قريبين لواحد من الكرادلة، وقام البابا بانزال عقوبة الحرمان الكنسي ببرانكليون وشيعته، ونتيجة لذلك أعلنوا أن لديهم امتيازاً يقضي بمنع أي بابا من إنزال عقوبة الحرمان الكنسي بهم، وبناء عليه هم لم يكتفوا بالسخرية منه، بل هدّدوا بإلحاق الأذى بالبابا والتنكيل به وبكرادلته حتى الموت، وأثار هذا خوف البابا على سلامته، فقال لإخوانه: «عندما يكون الغضب مندفعاً ابتعد عن مجراه»، وخوفاً من أن الشرور سوف تتبع، انسحب فجأة إلى فيتربو، وبنيته التحرك أبعد والانتقال إلى أسيسيو Assisio.

وفاة وليم هيرون عمدة نورثأمبرلاند

ومات في هذا الوقت نفسه وليم هيرون Heron عمدة نورثأمبرلاند Northumberland, وكان رجلاً شرهاً جداً، ومطرقة متوحشة بالنسبة للفقراء، ومنكلاً بالطوائف الرهبانية، ومن الشره الدنيوي والعطش لنيل الثروة، عبر —كما هو معتقد— إلى المناطق الجهنمية ليعاني من عطش Tantalus.

وفي حوالي عيد غطاس مولانا، مثل المندوبون النبلاء الذين بعثهم ملك انكلترا أمام الملك الفرنسي، الذي عاملهم بكياسة وتكريم، وأجابهم بلطف حول القضية التي حضروا من أجلها إلى هناك، وهي قضية الطلب بإعادة نورماندي والممتلكات الأخرى في القارة، لكن أخويه وبعض النبلاء الآخرين، رفضوا بكل وضوح الاستجابة لمطالبهم، ولذلك عاد الرسل إلى الوطن دون انجاز لمهمتهم.

حول الاتهامات التي عملت ضد بعض مواطني لندن

وفي الوقت نفســه أيضــاً، عمل سكان لندن من الطوائـف الوسطى والدنيـا شكوى جـادة تقـدمـوا بها إلى الملك، بأن الذين جـرى تعيينهم لجمع المال من أجل إعـادة بناء أسوار المدينة، حسبما كـان الملك قد أمـر من أجل كرامتهم، قـاموا بخـداع بالاحتفاظ بالجزء الأكبر من هذا المال في حـوافظ نقـودهم، في سبيـل إيذاء الطوائف الوسطـى والدنيـا من المواطنين، وفي الحقيقـة إنهم قـد فعلوا الشيء نفسـه في جميع الجبـايات والضرائب التي تولوها، وتبرهن حول هذا الموضـوع أنهم كانوا مدانين، وحدث على كل حـال أن وفرت حياتهم بعـد صعوبة كبيرة، وذلك بناء على وساطة جون مانسيل، لكنهم أرغموا على دفع فدية عن أنفسهم.

وفاة جون أوف أفني

ومـات في هذا الوقت نفسـه جـون أوف أفني قهرمـان ملك ألمانيـا، الذي رست عليه جميع آمال ذلك الملك.

وفي هذه الآونة أيضـاً، قـام الويلزيون، الذين يئسـوا تمامـاً من عقـد سـلام مع الملـك، ومن الحصـول على رحمة منه، فـاستـولوا على بعض البلدات الاقليمية على حدود ويلز، وكانت عائدة إلى ادوارد وإلى بعض النبـلاء الآخـرين، واستـولوا على جميـع المؤن التي كـانت مخزونة هناك، ودمروا وأحـرقوا البقية، وقطعوا رؤوس جميع الرجـال الذين وجدوهم في البلدات المذكـــورة مـن دون رحمة، ومن دون السماح لهم بفـــداء أنفسهم.

كيف تواضع البابا بنفسه إلى الشيخ برانكليون

وفي حـوالي ذلك الوقت نفسـه، حدث أنه مثلما كـانت لندن مسرحـاً لإثارة كبيرة واضطراب عظيم، كـانت رومـا يتقـاذفها انشقـاق كبير بين المواطنين، لأنه عندمـا اشتكى النبلاء إلى البـابا، وحـرضوه على اصـدار

الحرمان الكنسي ضد شعب روما، وضد شيخهم برانكليون، مع جميع المشايعين له، هزأ برانكليون من تهديداتهم وضحك منهم فقط، وعامل تهديداتهم باستخفاف، وهكذا فإنهم لم يكتفوا فقط بعدم الاهتمام سوى قليلاً والانشغال بالقوة التي ستفرض ضدهم، لابل قللوا من قيمتها وعاملوها باستخفاف، وكان الشيخ برانكليون الذي رقي إلى ذلك المنصب مؤخراً محبوباً من قبل جميع الناس، ومارس الآن بجرأة سلطاته لمعاقبة جميع مقترفي الآثام في المدينة، والانتقام بشكل خاص لنفسه ضد الذين كانوا وراء سجنه، فقد عهد بهؤلاء إلى المشانق، ولم يوفر لاأصدقاء ولاأقرباء البابا، وكان غير قابل للافساد لابالالتماسات، ولا بالتهديدات ولابالرشوات الصادرة عن أي أحد، وعلاوة على ذلك أصدر مرسوماً عاماً أمر فيه جميع شعب المدينة، تحت طائلة الحرمان من الأملاك والمواريث، وعقوبة النفي، بأن يجهزوا أنفسهم بالسلاح، وللاحتشاد مثل رجل واحد للقيام بحملة ضد أغنانو Agnano, مسقط رأس البابا، وما أن سمع سكان ذلك المكان بهذا الأمر، خاصة أقرباء البابا وأصدقائه حتى ذهبوا إليه —البابا— وعبروا عن أساهم قائلين: «ياصاحب القداسة كن رحيماً على الأقل نحو أصدقائك وأقربائك،ونحو مدينة أغنانو كلها التي هي مسقط رأسك، لأن مرسوماً قد صدر عن الشيخ برانكليون، وجّهه إلى الرومان، أمرهم فيه جميعاً بحمل السلاح، ومن ثم بإلقاء الحصار على مدينتنا وهم في حالة غضبهم، سوف يأتون مثل رجل واحد، وسوف يدمرون المدينة، ويزيلون القلاع، ويجتثون البيوت ويسوونها بالأرض، وسوف يستولون على ممتلكات المحاصرين ومن ثم سوف يقتلونهم جميعاً من دون رحمة»، وبعد سماع البابا لهذا الخطاب، قام، مع أنه غضب، وعلى الرغم من أنه كان يكره الشيخ برانكليون، بإرسال رسل خاصين —عن رضا أو من دون رضا— والتمسوا بأعظم تواضع، بأن يكبح غضبه، وأن يوفر أغنانو، التي كانت مدينة طفولته [البابا]، خشية أن يكون موضوع

الكراهيـة لجميع بني البشر، وبناء عليه تبنى الشيخ الرحمة، وتنازل أمـام التماسـات البـابا المتـواضع، مع أنـه واجـه صعـوبة كبيرة في منع الناس وكبحهم عن تدمير جميع العوائق التي واجهتهم.

ومنحت هذه القضيـة أعظم البهجـة والسرور إلى مانفـرد الذي كـره البـابا، ومن ثم تعـاطف قلبياً مع الشيـخ، وكان مسروراً بشكل خـاص لدى رؤيتـه وهو الذي قـام قبل وقت قصير، برمي التهـديدات، وزمجر متفوهاً بقرار عقـوبة الحرمان الكنسي، قد تواضع الآن وتذلل كثيراً، إلى حـد أرغم فيـه على طلب السـلام، ووعد الأمير مـانفـرد أيضـاً الشيخ برانكليون، بأنه سـوف يساعده في جميع أحوال الحاجـة، وانحدر صديق الملك هنري وهوى إلى حـالة متردية وعـزلة، وهو الذي إليـه دفع ذلك الملك مساعدة كبيرة جداً مع نجدة عظيمة، وجميع ذلك المبلغ الكبير من المال، الذي كان قد جباه، وأرسله إلى هناك من أجل الحصول على مملكة أبوليا، وكان كافياً لدفع الفوائد وابعادها عنه، وهي الفوائد التي تزحف بسرية حتى قـامت بغل الملك غير المدرك وغير الحكيم، وعـلاوة على ذلك اتهمـه البـابا بأنـه تولى خـداع الكنيسـة واستغلهـا وتطفل عليهـا، ونتيجة لذلك ساءت سمعته كثيراً لدى جميع الشعوب.

غضب البابا ضدّ ملك إنكلترا

وحـوالي الوقت نفسه انفجـر غضب البابا ضـد ملك انكلترا، لأنه لم يلتزم بوعـوده الكثيرة، من أنه سوف يقوّم أخطائـه المعتادة، وذلك تحت طائلة عقـوبة فقدانه مملكتـه، وبناء عليه وتحت المطالب الملحـة للورانس أسقف روكستر مع آخـرين كثر، وبعد كثير مـن الانذارات غير المثمرة، تبنى فكرة الزمجرة ضـد الملـك بقـرار عقـوبة الحرمـان الكنسي، ووضع المملكة تحت عقوبة الحرمان من شراكة المؤمنين، وانزال عقوبات متوالية عليه، تزداد فيها حدة العقاب بالدرجات.

وكـان الملك في حـالة اضطراب عقلي، فدفـع خمسة آلاف مـارك إلى البابا لتهدئة غضبه، ولتأجيل إعلان العقوبة لبعض الوقت، ووافق البابا تحت ضغط التماسـاته ورشاويـه على طلبه هذا، وهكذا أفقـرت انكلترا وجـردت من ثروتها من كل جـانب، وفي الوقت نفسـه مـاتت الآمـال بالحصـول على امتـلاك مملكة أبوليــا، باستثناء أمل واحـد صغير جـداً اعتمـد على نفـوذ رتشـارد الملك الجديـد لألمانيـا، وكـان هذا الأمل في الحقيقـــة خفيف جـــداً، لأنه لم يكن قـــد توصـل بعـــد إلى المقـــام الامبراطوري.

عودة روستاند إلى إنكلترا

وفي هذه الآونة أيضاً، قدم إلى انكلترا، المعلم روستـاند، كاهن البابا، لكن لأي سبب، لم يكن ذلك معـروفـاً، سـوى أنه جـاء للقيـام بزيارة، ولجمع موارده، لأنه امتلك ثورة وافرة في انكلترا، كان قد حصل عليها، وأنعم بها عليه في وقت قصير، ولهذا السبب كـان عندما ذهب أخيراً إلى روما حصل على عدم رضا الكثيرين، لابل حتى على غضب البابا نفسه، لكن باستخـدامه العـلاج المعتـاد لتلك الشكوى، نجا من العقـوبة التي أحاقت به وكانت متوقعة.

تكريس ثلاثة أساقفة في كانتربري

في يوم أحد آلام مولانا يسوع المسيح، جرى تكريس ثلاثة أساقفة في كـانتربري، وهم: المعلم سيمون أوف وانتـون Wanton لأسقفية نورويك، والمعلم روجـر أوف ميولان Meulan لأسقفية شيستر، والمعلم وولتر أوف إكستير Exeter لأسقفيـــة إكستير، وجـــرى انتخاب هؤلاء جميعاً خلال أسبوعين، وجرى تثبيتهم وتكريسهم أساقفة بمهابة صحيحة من قبل بونيفيس رئيس أساقفة كانتربري.

الترتيبات التي عملت حول التزود بالمؤن بين رئيس رهبان دير القديس ألبان وبين الرهبان

وفي هذا العام نفسه أيضاً، بما أن رهبان دير القديس ألبان قد تشكوا مراراً إلى رئيسهم جون (ولم يكن ذلك من دون سبب جيد) بأنهم لم يكونوا يزودون بشكل صحيح أو نافع بالخبز والجعة من أجل استخداماتهم الخاصة، ومن أجل التوزيع بين ضيوفهم من دينيين وعلمانيين، بحكم أن ذلك الدير قد تأسس لهذه الغاية، أي تقديم وسائل كافية لعيش الأشخاص المتقدم ذكرهم، قام رئيس الرهبان المتقدم ذكره بصرف انتباهه لتدبير علاج ناجع لهذه الحاجة، وبالمحصلة عملت الترتيبات التالية بين رئيس الرهبان والرهبان، وعلى هذا الأساس توجب أن يتسلم الرهبان منذ ذلك الوقت فصاعداً زيادة معلومة وثابتة من الخبز والجعة، وذلك بما يكون كافياً لتقديم منعش معقول وموائم لهم أنفسهم وللضيوف، وجرى تدوين ذلك في صك اتفاقية، ختمت من الطرفين، وتمّ تثبيتها من قبل الملك، ومقابل هذه الترتيبات، واللطف الذي عمل إليهم، قام الرهبان بالتعبير عن شكرهم، فسددوا من قبل أنفسهم وبوسائط رؤساء رهبان الديرة المعتمدة على دير القديس ألبان، ديوناً محددة وصلت إلى مبلغ..... ماركاً، كانت مستحقة على رئيس الرهبان المتقدم ذكره لبعض التجار في القارة، لكن بقي هناك بعض الديون الأخرى الثقيلة التي توجب سدادها من قبل رئيس الرهبان المذكور، وفي سبيل أن تكون تفاصيل هذا العمل الكريم والسخي والذي كان عملاً لطيفاً، أن تكون معلومة من قبل جميع الذين رغبوا في معرفتها، رأينا من الموائم أن ندخل في هذا الكتاب الصك الملكي الذي قضى بتثبيت الاتفاقية المذكورة أعلاه.

صك تثبيت الإتفاقية المتقدم ذكرها

«من هنري الذي هو بنعمة الرب ملك انكلترا، وسيد ايرلندا، ودوق نورماندي وأكوتين، وكونت أنجو، إلى رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الرهبانيات، ورؤساء الرهبان، والايرلات، والبارونات، ورجال العدالة، والعمد، والنواب، والقساوسة، والوكلاء، وإلى جميع المتبقين من رعاياه المخلصين:

قمنا بفحص التدبير والترتيب الذي عمل فيها بين جون أوف هارتفورد، رئيس رهبانيات دير القديس ألبان، ورهبان الدير نفسه الذي نصه كما يلي:

من جون أوف هارتفورد الذي هو بنعمة الرب رئيس رهبانيات دير القديس ألبان إلى جميع الأتباع المخلصين للمسيح، تحيات في الرب:

إنه حق وواجب علينا، أن نقدم موافقة راضية على الطلبات المحقة للمتشكين، وأن نضع رغباتهم موضع التنفيذ تماماً، ماداموا لم يضلوا عن طريق الصواب، ولذلك رأينا من الموائم أن نجعل معلوماً لدى جماعتكم، بأننا سوف نتصرف مثلما عمل أسلافنا رؤساء الرهبانيات في دير القديس ألبان وجعلوا العادة في العصور الخالية توفير امدادات من المؤن فيما يتعلق بالخبز والجعة، من أجل الاستخدامات العامة لرهبان ديرنا المذكور، وأيضاً للضيوف الذين يمكن أن يحدث قدومهم، وسوف تستخرج هذه المؤن من حاصلات بارونيتنا، وكذلك من كنائسنا، التي لنا فيها حقوقاً وقفية، ومن الكنائس الأخرى التي ليس لنا فيها حقوقاً وقفية، وكذلك من مزارعنا ومن الموارد العائدة إلى الدير المذكور.

وقد جرى تحريضنا بمحرضين خيريين مضاعفين، ولقد رغبنا في زيادة كرامة الدير المذكور، وفي تحسين أحوال الرهبان فيما يتعلق بالتزويد بالمؤن المذكورة، وذلك من أجل أن يبقى الرهبان من الآن

فصاعداً بسلام واستقرار إلى الأبد، ورغبنا أيضاً في تحرير رؤساء الرهبانيات الذين سيخلفوننا من تقديم المؤن المذكورة، من أجل عيش الرهبان المذكورين، ولذلك قررنا، مع الخوف من الرب أمام أعيننا، وبناء على الرغبة العامة، ونصيحة ومواءمة رهباننا، بتعيين الحصص المذكورة أدناه إلى الرهبان المذكورين: أي أن تقول كنيستي هارتبورن Hertburn وايلنغهام Eglingham في أسقفية درم، وكنيستي نورتون ووالدون Waldon, وبأربعين شلناً، سوف يدفعها الآن قسيس والدون سنوياً، وأيضاً العشور، مع القش الذي نتسلمه بالعادة في أسقفية واتفورد Watford, مع عشر ماركات من قسيس واتفورد للوقت الحالي، وكذلك كنيسة هونتون مع ستة ماركات سنوياً من قسيس بوتغريف Potsgrave, مع ماركين ونصف المارك من كنيسة هارتبورن، في أسقفية لنكولن، وأيضاً مع ستة ماركات من قسيس أبلتون Appleton في أسقفية يورك، وكذلك جميع التقديمات التي تأتي من احتفالي القديس ألبان، وكذلك عزبة كنغبري Kingsbury, مع جميع متعلقاتها، وكذلك أيضاً مع خمسة رجال في بلدة وستويك Westwick, مع سماد ساحة كنيسة القديس ألبان لتحسين أوضاع العزبة المذكورة، عندما يرون ذلك مناسباً.

وينبغي أن يكون معلوماً أيضاً أن القمح والشعير المنقوع العائد للدير المذكور يتوجب أن يطحن في مطاحننا في داخل ساحة كنيسة القديس ألبان وفي خارجها أيضاً، من دون نفقات، بحكم أنه قمحنا، والاعفاء من المطالبة بأية نفقات من الدير المذكور من أجل إصلاح أحجار الطواحين، أو الطواحين، أو المياه، أو على أي أساس آخر، ولسوف نوفر للدير المذكور البيوت الموائمة، التي سوف تكون ضرورية من أجل التخمير والخبز، ومن أجل عمل الشعير المنقوع، وأيضاً من أجل خزن

القمح، ومن أجل إيواء خيولهم، مع جميع الأدوات الضرورية لجميع القضايا المذكورة أعلاه.

وفيما يتعلق بعزبنا، حيث سوف توضع العشور المذكورة، سوف نوفر بيوتاً مناسبة من أجل خزن القمح و القش، ومن أجل إقامة رجالهم وخيولهم، وكذلك جميع الآنية الضرورية لطبخ أطعمتهم، وكذلك الأخشاب من أجل وقودهم بكميات كافية في كل من داخل ساحة دير القديس ألبان وخارجها، والمواد أيضاً من أجل ترميم البيوت المتقدم ذكرها، الأمر الذي هو بالغالب ضروري، ولسوف نقوم نحن وخلفاؤنا بضمان، وبتسديد، وبالدفاع على نفقتنا، لصالح الدير المذكور وضد جميع الناس، عن الحصص المتقدم ذكرها، مع جميع متعلقاتها، وتسكين وتحرير المتقدم ذكرهم، ولسوف نتحمل إلى الأبد جميع التكاليف العادية وغير العادية في الكنائس المتقدم ذكرها، وكذلك أقساط التعويضات، حيثما يكون مثل ذلك.

وفي سبيل المزيد من الأمان لهذه الاتفاقية، قررنا التفوه بحكم الحرمان الكنسي ضد جميع الذين سوف يقومون بناء على تحريض من الملك أو من البابا، أو بدافع شخصي بخرق، أو التسبب بخرق الأحكام التي تقدم ذكرها، مالم يحدث أن تتم التغييرات بناء على الموافقة العامة وكذلك الغربة لكل من رئيس الرهبانية مع جميع رهبان الدير، في سبيل الصالح الأعظم والمنفعة الأكبر للدير ولكنيسته.

ونحن علاوة على ماتقدم سوف نقوم بمحض إرادتنا، وبناء على الموافقة العامة لإخواننا الرهبان المتقدم ذكرهم، برهن أنفسنا إلى كل من الملك (الذي هو ولي نعمتنا) ولورثته للمستقبل، وإلى البابا وخلفائه كما يلي، أي أن تقول إذا قمنا نحن أو خلفاؤنا، في أي وقت من الأوقات، بالتجرؤ على الاقدام بطيش على تغيير الأحكام المتقدم ذكرها، سواء كلياً أو جزئياً (لاسمح الرب بذلك) وكان ذلك من دون الموافقة العامة

لرهبـان الدير المتقـدم ذكره، كما أوضحنا أعـلاه، يمكن للملك وورثتـه الاستيلاء على بارونيتنا، وكما يمكن أيضاً للبابا ولخلفائه بوساطة الروادع اللاهوتية، أن يـرغمنا بشكل فعال على الالتزام الدقيـق بالأحكام المتقدم ذكرهـا، وكذلك بوسـاطة جميع الوسائل التي يرونها مـوائمة، وبوسـاطة الوسائل الشرعيـة المتوفرة لـديهم، وفي سبيل أن تمتلك جميع المواد المتقدم ذكرها قوة كـاملة إلى الأبد، وضعنا أختامنا، وكذلك ختم ديرنا على هذا النص المكتوب. صـدر في كنيسة القديس ألبـان، أثناء اجتماع كامل الهيئة الرهبانية، في يـوم الجمعة، الذي جاء بعد عيد القـديس متى الرسول، في سنة ألف ومائتين وسبع وخمسين لتجسيد ربنا».

تثبيت ماتقدم أعلاه من قبل الملك

«وبناء على الفحص الذي أمـرنـا بعمله، علمنا بأن الشروط والأحكام سوف تكون لصالح عتقنا وتقـدمنا وورثتنا، نحن نصدق، ونمنح، ونؤكد الشيء نفسه لأنفسنا ولورثتنا، حسبما تقـدمت كتابة الوثيقـة المعمولة بيننا، ونشهد.

ولتقديم برهان آخر حول ذلك، إن ارادتنا، ونحن نمنح باسمنا وباسم ورثتنا السلطة إلى رئيس الرهبانية وإلى الرهبان الديريين للمكان نفسه، أنه في حال استقالة أو مـوت رئيس الرهبانية المذكور، أو رؤسـاء الرهبان من خلفائه في كنيسة القـديس ألبان المتقدم ذكرها، بأن يمتلكوا وأن تكون بين أيديهم بصـورة حرة مع الاستحـواذ السلمي، إلى الأبد، في أوقات شغـور رئاسة الـرهبانية المذكورة، أو في الأوقات الأخـرى، استحواذ وتملك جميع الحصص المتقدم ذكـرها، للاستخدام كما تقدم الذكر أعـلاه، وأن يرتبوهـم حسب رغباتهم، من دون أية إعاقـة من جانبنا، ومن جانب ورثتنا، أو أي واحـد من نوابنا أو مـوظفينا الآخـرين، كما أننـا لن نسمح للأحكام التي تقـدم ذكـرها، والمتعلقـة بالـدير المذكـور، بأن يجري تغييرها أو الاعتـداء عليها، بأية طريقة من الطرق من قبل أي من نوابنا أو موظفينا الآخرين».

أسماء الشهود الخاصين

وكان الشهـود: غيوفري أوف لوزغنان، ووليم دي بلنسيـة، أخوينا، وسيمــون دي مـونتفـورت— ايرل ليستر، ورتشـــارد كلير -Clare ايرل أوف غلـوستر وهارتفـــورد، وروجـــر بيغــــود— ايرل أوف نورثأمبرلاند، ومارشـال انكلترا، وبطرس أوف سافـوي، وهوغ بيغود، وجــون مـانسيل، وخـــازن يورك، وفيليب لـوفل، وهنري أوف باث، وروبرت ويلران، ووليم دي غري Gray, ووولتر أوف ميريتون Mereton, وهيــوبرت بوغي Pogeys, مع آخـــرين كلهم كـانوا حضوراً. صـدر تحت يدنا في ويستمنستر في هذا اليوم الثـامن من آذار، في العام الثاني والأربعين من حكمنا».

من الذي كان وراء تحقيق الإتفاقية المتقدم ذكرها

وتحققت هذه الترتيبـات لصـالح الرغبات الفعـالة لرئيس الـرهبانيـة المتقدم ذكره من خلال متابعة ونشاط وبراعة وليم أوف هورتون -Hor ton الحاجب، وجـون بولوم Bulum حـــامل الختم، اللذان امتلآ بالغيرة والحماسة في خدمة الرب، والعـاطفة نحو إخوانهم، وجرى تعيين المعلم وليـم أوف هنتنغـــدون Huntingdon باسم الــــدير معلماً من أجل الضيـوف، ووصياً على الممتلكـات المتقدم ذكـرها، وعلى النظار الاقليميين.

عودة روستاند من بلاط روما

وفي حـوالي منتصف الصـوم الكبير، عـاد المعلـم روستـاند من بلاط روما، وقـد جرد من سلطاته الماضية، لأنه تعرض إلى الاتهام أمـام البابا من قبل أعــدائـه، بالتعطـش إلى المال والشره، والطريقـة غير الســوية، وبوضعه جـانباً كل الغضب من الرب، حيث استـولى على كثير جداً من الموارد الغنية، وبذلك رفع من شـأن نفسه فوق نفســه، ولدى استحواذه

على هذه الأمـلاك والموارد، ولكي ينال الحظوة الكبيرة لدى الملك، أكـد بأنه كـان مـن أهل بوردو، ونتيجـة لذلك هو مـن الرعـايا الطبيعيين للملك، ولذلك سوف يقدم إليه مساعدة فعالة ومستمرة في بلاط روما، وفي كل مكان آخـر، وفي الحصـول على السلطة في أبوليـا، وفي ترتيب الأمور الأخـرى العائدة إلى الملك، وبوسـاطة مثل هذه الوعود والكلام الناعم اللطيف فـرض نفسه على سـذاجة الملك، وبذلك أثرى بوسـاطة كثير من أعطيـات الموارد، ولكن بعد لأي، وبناء عل مبـادرة من بعض أعدائـه استدعي للعـودة إلى روما، وهناك جـرى تقريعه بحـدة من قبل البـابا بسبب سلوكـه وتصرفـاته، وقـد وجـد صعـوبة كبيرة في استرداد حظوته مثلما كـان من قبل، وجـرى على كل حـال تجريده من منصبـه، وسلطته وتمت إهانته.

وصول المبعوث البابوي هيرلوت إلى إنكلترا

وبعـد ذلك على الفور، أي أن تقـول في الأسبوع التـالي قبل الفصح، قدم إلى انكلترا المعلم هيرلوت Herlot, وكان كاهناً كاتباً للعدل، وخاصاً للبابا، وهو وإن لم يطلق عليه اسم نائب بابوي، أظهر جميع أبهة وفخامة واحد من هذا القبيل، وقد وصل إلى لندن يحيط به عشرون من الأتباع على الخيـول، وكان الأشخاص المقربون إليـه من الأتباع يرتدون ثياباً ثمينـة، مع ثمانية (؟) أردية، أي أن خمسة منهم ارتـدوا أردية ضيقة من دون أكمام، وخمسة مع أكمام، وكما جرت العادة، حياه الملك باحترام لدى وصوله، لأنه كان مزوداً بأعظم الصلاحيات والسلطات.

وصول بعض السفن إلى إنكلترا وهي محملة بالقمح

وفي الوقت نفسـه أيضـاً، وعندمـا كـانت هناك مجاعـة غير اعتيـادية منتشرة ومستبـدة إلى درجة أن أعـداداً كبيرة تلاشوا في أنفسهم ومـاتوا، وقـد بيع مكيـال القمح في لندن مقـابل تسعـة شلنات أو أكثـر، في هذا

الوقت وصلت حوالي الخمسين سفينة كبيرة إلى انكلترا قادمة من القارة، وقد جرى ارسالها من قبل رتشارد ملك ألمانيا، وهي محملة بالطحين والخبز، ووقتها جرى عمل إعلان من قبل السلطات الملكية، تحظر على أي مواطن من لندن بيع أي قمح من أجل الخزن، مع التفكير ببيعه بأسعار عالية إلى الذين بحاجة إليه، وذلك كما اعتادوا أن يمارسوا ذلك، وفي الحقيقة، كان المواطنون المذكورين، مشهورين بسوء السمعة، بقيامهم في وقت الحاجة، إما بشكل خياني بإرسال سفن محملة بالمؤن وابعادها، أو بالقيام بشراء حمولاتهم كلها، من أجل بيعهم حسب هواهم إلى الذين يريدون مثل هذه المواد للعيش والاستهلاك، وقد أفيد بما هو حقيقة مؤكدة أن ثلاثة مناطق من انكلترا متحدة مع بعضها لم تنتج مثل ذلك القدر من القمح، الذي جلب بوساطة هذه المراكب، لكن نظراً لندرة الأموال، ومع أنها لطفت إلى حد ما من آثار المجاعة، التي كانت عامة في جميع أرجاء انكلترا، إنها لم تُزل مؤثرات المجاعة تمام الإزالة، لأن الملك قام في سبيل الإضرار بمملكته، التي كانت قد جردت من ثروتها من قبله، فرفع من شأن جميع الأجانب وأغناهم، وهم الذين اختاروا القدوم إلى هناك.

الطبيعة المدهشة للفصل

في هذا العام نفسه، استمر المناخ الهادىء للخريف حتى نهاية كانون الثاني، وعلى هذا لم تتجمد مياه وجه الأرض في أي مكان خلال ذلك الوقت، لكن انطلاقاً من ذلك الوقت، أي أن تقول من عيد طهارة العذراء المباركة حتى نهاية آذار، هبّت الريح الشمالية من دون انقطاع، وانتشر الصقيع المستمر، مترافقاً مع ثلج، ومع برد لايحتمل، لف وجه الأرض، وتأثرالفقير بشدة، فجرى تعليق جميع أعمال الزراعة، وقتل صغار الضأن، إلى درجة بدا فيها الحال وكأن هناك طاعون منتشر بين الأغنام والخرفان.

الأوضاع المزدهرة لرتشارد ملك ألمانيا

أخضع رتشارد ملك ألمانيا أعـداءه، وجذبهم وربطهم بقضيته بحكمة كبيرة، بلغت حـداً أن المدن الايطاليـة الفخمة قـدمت إليـه اليـد اليمنى للصداقـة، أما بالنسبة لتهـديدات أعدائـه، وبصورة خاصـة: الفرنسيين، والاسبان، وشعب تريف، والمناطق المجاورة، فكانت أيضـاً صامتة، مع أنهم نووا إلحاق الضرر به.

وصول توماس أوف سافوي إلى إنكلترا

في أسبوعي عيـد الفصح، قدم إلى لندن، تومـاس الذي كان من قبل كونت فـلاندرز، وهو محمول على محفة، لأنه كان في حـالة صحية سيئة، وقـد أطلق سراحـه من سجن توريـن، ومنح الحرية مقـابل التبـادل مع بعض تجار أوستي، الذيـن جـرت فـديتهم مقـابل مبلغ كبير من المال، وكان الملك الفـرنسي، قد عمل كثيراً من هؤلاء التجـار سجناء بناء على طلب البـابـا، وأرغمهم على فـداء أنفسهم، حتى يطلـق سراح تومـاس المتقـدم ذكـره، وينال حـريتـه للعـودة إلى انكلترا، حيث سيتسلم هدايا وافرة.

الغرامة الثقيلة التي فرضت على مواطني لندن

وجـرى اتهام مواطني لندن ببعض المخـالفات نحـو الملك، فعوقبـوا بطرق مضـاعفة، وأرغمـوا على فـداء أنفسهم، وإنهم حتى بعدمـا فعلوا هذا وجـدوا صعوبة كبيرة في استرداد حظـوة الملك، وكان المقـدم بينهم هو رالف هيردل Hurdel, وكان عمدة المدينة، وقد مات حزناً.

انتهاء الهدنة بين الإنكليز والويلزيين

وانتهت في هذا الوقت الهدنة بين الانكليز والويلزيين، وضغط أعوان الملك عليهم من دون رحمة حتى أنهم باتوا غير قـادرين على شراء الملح،

والقمح، أو أية ضروريات أخرى، وقام الويلزيون على كل حال باستغلال انشغال الملك واهتمامه بنزاعه مع نبلاء سكوتلندا، الذين كانوا قد رفعوا رؤوسهم ضدهم، وذلك مع أسقف درم، الذي استدعي للظهور في بلاط الملك، فرفض بتمرد المثول هناك، وكدس الأذى فوق الأذى، فزاد الويلزيون من أعمال نهبهم، وخرقوا وتوغلوا خلال حدود ويلز واجتاحوها للتزود بما كانوا بحاجة إليه.

كيف جرى حشد فرسان إنكلترا ضدّ الويلزيين

وفي حوالي الوقت نفسه، دعا الملك جميع فرسان انكلترا بوساطة مذكرة ملكية، وأمرهم بأن يكونوا جاهزين مع الخيول والسلاح، من أجل القيام بحملة عامة على ويلز، وسحق الويلزيين واجتياح أراضيهم إلى حد تدميرها كلياً، وعندما جرى استدعاء الفرسان، عبروا عن أساهم، لأنهم غالباً ماخضعوا للخسارة، وظلموا بنفقات بلافائدة.

البارلمان الذي عقد في لندن

في اليوم الذي جاء بعد يوم الثلاثاء، الذي يعرف بشكل عام باسم Hokeday, تمّ عقد بارلمان في لندن، لأن الملك كان مضغوطاً عليه بالقلق حول قضايا كثيرة صعبة، كان من بينها قضية مملكة أبوليا، التي حولها وبشأنها، جرى بعث المعلم هيرلوت بمهمة خاصة، ليحصل على جواب حاسم حول القضية، وعلاوة على ذلك طولب الملك بمبلغ كبير من المال، لدفعه ربط البابا نفسه ببعض التجار، وذلك لصالح الملك، وبناء على طلب ملح منه، وكان الملك مغلولاً بعقوبات ثقيلة، ثقيلة إلى حد أنني أعتقد أنه عمل غير كريم الاتيان على ذكرها، وكان مبلغ المال المطلوب ضخماً جداً، سوف يسبب الدهشة والرعب لكل من يسمع برقمه، وحزن نبلاء المملكة حزناً كبيراً، لأنهم أنزلوا إلى حالة الدمار هذه، بسبب السذاجة المتناهية لرجل واحد.

وكـان الملك —علاوة على ذلك— شـديد الغضب بسبب الويلزيين، الذين تفاخروا بأنهم آذوه مراراً وتكـراراً، وصدوه مراراً مع جيشه كله، وأنهم غالباً ما حصلوا على النتيجة الأفضل في القتال عندما واجهو نبالة انكلترا كلها، وأضـاف إلى غضبه وحنقه، أنه سمـع، أنه مع انتهاء الهدنة في حـوالي أيام عيد القـديس ايلفيجي Elphege, بأنهم استأنفوا نظامهم في النهب، والقتل، والحرق، وأنهم عملوا غارات نفذوا فيها إلى كونتيه بمبروك Pembroke, حيث قتلوا عدداً كبيراً من السكان بشدة كبيرة، وأنهم كدسوا الاهانات، وسـوء المعاملة على الذين سمحوا لهم بالنجاة بأرواحهم، وحول هـذه الإجراءات اشتكى وليم دي بلنسية بصـورة ثقيلة إلى الملك، وعليـه ردّ الملك قـائـلاً: «أنفق ياأخي الحبيب بعضـاً من المال الذي تملك منـه كميـات كبيرة، لتنتقم لأضرارنا»، لكن وليم اكتفى فقط بتكديس التهديدات فـوق التهديدات، وأضاف الإهانة إلى الإهانة، وأعلن بأن هذه الأشيـاء كلهـا قـد وقعت بناء على مـوافقـة ورضا الانكليز الخونة، وبعد وقت قصير فصّل مـا كان تفوه به من قبل باضطراب، وقدمـه بمثابة ملاحظـة عامة، وشعـر تجاه هذه التهمة ايرل غلوستر وايرل ليستر بكثير مـن الخجل والغضب، ومع ذلك تـابع وليم التفـوه بالسباب ضـد ايرل ليستر، وتجرأ بحرارة أكبر بشكل مكشـوف، وبحضـور الملك والنبلاء، على التأكيـد على أن الايرل كـان خائناً قـديماً وكـذاباً، وأمام هذا إلتهب الايرل غضبـاً وسخطاً، وردّ قائـلاً: «لا، لا، ياوليم، أنا لسـت ابن خـائـن، كما أنني لست نفسي خـائناً، ووالدينا لم يكونا مثل بعضهما»، ثم إنـه رغب بأخـذ انتقـام مبـاشر تجاه هذا الأذى الكبير، وسعى لكي ينقـض على وليم، لكنه منع من قبـل الملك نفســه، الذي فصـل بينهما، ولكن بصعـــوبة كبيرة، وهكذا هدأ غضـب الايرل لبعض الوقت.

وسوف لن تكون مسألة سهلة إحصاء المضار التي اقترفت في جنوب

ويلز، أثناء الصراع الأخير ضد الويلزيين، ويكفي أن نقول، بأن الذين كانوا المنتصرين، وضعوا داخل الملح القمح والحاجيات الأخرى الضرورية، التي كانوا من قبل بحاجة إليها.

اجتماع الفرسان للزحف ضدّ الويلزيين

في اليوم التالي وخلال الأيام التي تلته عقد الملك والنبلاء مداولات دقيقة، حول كيف ينبغي عليهم القيام بسحق تمرد الويلزيين، وكيف يمكنهم ذلك، وايقاف غاراتهم المتوالية، وبناء عليه جرى حشد كل جماعة الفرسان، من أجل أن يقوم الذين عليهم التزام تقديم خدمة فروسية إلى الملك، بتجهيز أنفسهم بالخيول والسلاح، وأن يكونوا جاهزين في شيستر، ليسيروا وراء الملك في حملة إلى ويلز، في يوم الاثنين قبل عيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان، ونتيجة لذلك تمّ سماع الكثير من الاشاعات والشكاوي بين الناس، لأن الملك قام مراراً وتكراراً بافقار نبلائه وانهاكهم من دون كرامة أو ربح، وذلك عن طريق طلب ضريبة الخدمة العسكرية مراراً كثيرة منهم، وازعاجهم لدى اقتراب موسم الحصاد، خاصة عندما كانت مجاعة غير اعتيادية قد دمرت كثيراً من الناس.

وأولى الملك قليلاً من الاهتمام لمخاطر المملكة، ومع أنه كان مجرداً تماماً من المال، وكان على وشك الانخراط فوراً في حرب، قام الآن وبكل سرعة بدفع ألف مارك إلى توماس أوف سافوي الذي كان من قبل كونت فلاندرز، والذي وصل مؤخراً محمولاً على محفة، حيث كان في وضع صحي متدهور، كما أنه أعطى مائتي مارك إلى أحد البواتيين، الذي كان يخدم بالعادة على المائدة الملكية، ويقوم بتقطيع اللحم له، ولم يهتم هذان بالمخاطر الكبيرة التي كانت المملكة عرضة إليها، فتسلما جميع أعطياته بأيدي مفتوحة.

وما أن شعر توماس بأن حافظة نقوده قد امتلأت، حتى قام بوداع الملكة (التي لم يرفض أعطياتها مثلما لم يرفض أعطيات الملك)، وعاد على الفور إلى القارة، بقصد تدمير مدينة تورين، من دون اهتمام بالرهائن الذين كانوا محبوسين هناك، وكان اسم البواتي المتقدم الذكر وليم دي سينت هرمس Hermes, الذي لم يقم بالمغادرة في الوقت الحالي، بل بقي متوقعاً هدايا أكثر.

تكريس روبرت دي تشوز أسقفاً لكارلآيل

في يوم عيد القديس تيبورتيوس Tiburtius وأصحابه، جرى تكريس المعلم روبرت دي تشوز Chause, الذي كان كاهناً للملكة، أسقفاً على كارلآيل من قبل أساقفة: باث، وسالسبري، وبيرموندسي Bermondsey, في لندن.

وفاة رئيس أساقفة أرماغ

ومات في الأسبوع نفسه في لندن رئيس أساقفة أرماغ Armagh, وهو الذي كان من قبل عميد كنيسة القديس بولص.

اضطرابات رئيس أساقفة يورك

وفي حوالي الوقت نفسه أيضاً، ألقى البابا يده الثقيلة على رئيس أساقفة يورك، الذي كان وضعه بالنسبة إلى العالم قد تأذى كثيراً، لكنه تحسن كثيراً في نظر الرب، لأن صبره قد ازداد تناسباً مع أعمال التنكيل المضاعفة له، وهكذا بات مستعداً للاستشهاد في سبيل تحقيق نبوءة القديس ادموند رئيس أساقفة كانتربري، وفي الحقيقة لقد قرأنا بأن كثيرين قد تسلموا تاج الشهادة من دون سفك دمائهم، لأنه بالاضافة لكثير من الذنوب اقترفوها بحقه، حرموه الآن من امتياز حمل الصليب أمامه من قبل كاهنه الرئيسي، حسبما جرت العادة، ومع ذلك استمر يرفض الركوع أمام بعل، وأن يتخلى عن المنافع الرئيسية لكنيسته لأناس

غير جــديرين، لابل أجــانب غير نظيفين، مثل الذي يـرمي اللآلئ إلى خنزير.

كيف هوجم أسقف هيرفورد بمرض تمعط الجلد

تعـرض أسقف هيرفـورد لزيارة تفقـديـة من قبل الرب، فقـد تشـوه بأكثر الأمـراض قذارة، الذي يدعى تمعط الجلـد، وذلك نتيجة لأضراره الخيانية لمملكة انكلترا كلها.

كيف أعطى إدوارد عزبه إلى وليم دي بلنسية

تخلى ادوارد الابن الأكبر للملك عن أراضيه وعن العزب الغنية، التي كـان قـد تلقـاها هدية من أبيـه، وهـم: عـزبتـا ستـانفـورد Stanford, وبراهام Braham وعــزب أخــرى كثيرة، وتركهم معـــروضين وكأنهم للضمان بعهدة وليـم دي بلنسية، الذي امتلك كميـات وافرة من الأموال، وفعل ادوارد ذلك حتى يتمكن بهذا من الحصول على المساعدة التي كان يحتاجها، ولارضـاء شره عمه وحبه للمال، وسبب هذا الإجراء نذير شـؤم محزن بالنسبـة لمستقبل الاثنين، لأنـه بالنسبـة لوضع الشـاب، أظهر أنه عندما سيصل إلى السلطة الكاملة للمملكة، سوف يضيع ويبدد ثرواتها، وبالنسبة لقضية وليم، أنه سوف يتم تجريده من ثرواته الخيالية.

وصول الراهب الفرنسيسكاني مانسيوتوس في مهمة من البابا

وحـوالي الوقت نفسـه وصل إلى انكلترا، بناء على مبـادرة من الملك، راهب من طائفـة الفــرنسيسكان اسمـه مـانسيـوتوس Mansuetus, وقـد أرسل مـن قبل البـابا، مـزوداً بسلطات كبيرة، وقــد تبع خطوات المعلم هيرلوت، وكانت سلطاته في الحقيقة، قد وصلت إلى درجة —كما قيل— أنه قام بتحليل شيعـة الملك، أياً كانوا، عندمـا كانوا يودون تغيير تعهداتهم [بأن يكونوا صليبيين]، أو عندما جـرى حرمانهم كنسياً، لابل حتى تســويغ المتكلمين زيفــاً والحانثين بأيمانهم، ونتيجـة لـذلك امتلك

كثيرون الجرأة والوقاحة في اقتراف الذنوب، لأن سهولة الحصول على الغفـــران أعطت سبباً لاقتراف الذنوب، لكن فيما بين العقـــلاء والأشخاص الحكماء قد أعطى هذا وسبب نشوء الاستهزاء والسخرية، كما سوف تظهر الرواية التالية بشكل كامل.

الجواب الذي أعطي من البارلمان إلى الملك

وانعقد البارلمان الذي تقدم ذكره في هذا الوقت، وقام الملك بالمطالبة بسرعة وإلحاح بمبلغ كبير من المال من أجل الانفاق على شؤونه في أبوليا، وفي سبيل متابعة مشاكل أخرى صعبة، وقام النبلاء على الفور بالاجابة بثبات وبالاجماع، بأنهم لايستطيعون الاستجابة بأية طريقة من الطرق من دون تدمير أنفسهم بشكل لايمكن جبره، لأنه تولى بالغالب استنزاف أنفسهم، وغالباً ما أنفق حتى القليل الذي يمتلكونه للانفاق على عيشهم، وكان ذلك من دون فائدة، فهو إن حصل على مملكة أبوليا من البابا إلى ابنه ادموند بطريقة غير صحيحة وغير حكيمة، لابد من أن يعزو ذلك إلى سذاجته، ولابد من أن يوصل القضية إلى النهاية الأفضل التي يستطيعها، لأنه تصرف بصورة غير حكيمة ومن دون الحصول على نصيحة نبلائه، ومثل ذلك رفض جميع المداولات والعقلانيات التي تنظر بشكل عام إلى نتائج الأعمال مسبقاً، ولقد توجب عليه أن يكون قد تعلم على الفور أن يكون حكيماً، وأن يحذو حذو أخيه رتشارد ملك ألمانيا، الذي عندما عرضت عليه المملكة المذكورة أي أبوليا، وقدمت إليه أعطية من البابا، وجرى إرسال المعلم ألبيرت لإعلان ذلك له، رفضها على الفور باستخفاف، وخاصة وأن انكلترا كانت مفصولة عن أبوليا بعدد كبير غير معروف من الممالك تستخدم لغات متنوعة، وبعدد كبير جداً من الامارات، وكذلك بعدد كبير من المدن المجهزة بشكل جيد بالجنود والسلاح، وببحار وجبال، وببلدان واسعة، متعبة جداً أن تسافر عبرها.

والذي خافه الايرل رتشارد أكثر من أي شيء آخر، وكان ذلك لسبب منطقي، تعلق بالسلوك المراوغ للبلاط الروماني، والخيانات المضاعفة للأبوليين، الذين دمروا حلفاءهم وأقرباءهم بالسم، ولكن حتى لايظهر وقحاً تجاه البابا، الذي بسبب مقامه هو أعلى من جميع الأمراء والأساقفة، والذين صدوراً عن الصداقة قد انتخبوه، كتب الايرل بسبب ذلك المقام السامي، جواباً إلى البابا بأنه سوف عن طيب خاطر يوافق على خطته، إذا ما سمح البابا لجميع الصليبيين بمساعدته وهو أمر يستطيع ترتيبه بسهولة على أساس مدينة نوسيرا في أبوليا، التي كانت مسكونة من قبل المسلمين، وأن يعطيه نصف النفقات التي سيتحملها في تلك الحرب، وسوف يعطيه ملكية بعض المدن والقلاع التي كانت آنذاك ملكاً للبابا، وذلك مع رهائن جيدين، وذلك في سبيل أنه عندما سيأتي إلى هناك سوف يجد أمكنة آمنة للالتجاء، والحماية فيهم ضد المتمردين، أو ضد أي واحد سوف يثور ضده، وإذا —علاوة على ذلك— مامنحه الحماية بوثائق مدونة مختومة بالختم البابوي العظيم.

كيف فرض البابا الأمر خداعاً على ملك إنكلترا

وعندما جرى اخبار البابا بجميع هذه المطالب، رفض الموافقة عليهم بأية طريقة من الطرق، ولذلك أرسل بشكل سري رسلاً، كانوا قادرين تماماً على اخضاع عقول المستمعين إليهم، بوساطة دهاء حججهم، ويمكنهم أن يفرضوا أنفسهم خداعاً على فسولة الملك وعلى سذاجته المتناهية، بمنح مملكة أبوليا إلى ابنه الأصغر ادموند، ووعدوه بمساعدة فعالة في ايصال القضية إلى نهاية صالحة، وبهذه الوعود الفارغة فرح الملك إلى أبعد الحدود، وشعر بسرور عارم، إلى حد أنه منح البابا ورسله كل الذي كان بحوذته، وكل ما كان بإمكانه الحصول عليه، بأية وسيلة من الوسائل، وبثقة وسرية وعد بالمزيد.

ونتيجة لهذا تنافس رسل البابا أحدهم مع الآخر بالفعل، حول

القدوم إلى انكلترا إلى عند الملك، من أجل الحصول على الهدايا الثمينة للملك، لأنهم شموا عن بعد الرائحة الطيبة لأمواله، فقد جاء أولاً أسقف بولونا الذي قام باسم البابا بمنح ادموند المذكور مملكة أبوليا واسنادها إليه بوساطةخاتم، ثم جاء رئيس أساقفة ميسينا، الذي لم يعد فارغ اليدين، وجاء من بعده على التوالي جون أوف ديفا، ثم المعلم برنارد، ثم المعلم برنارد أوف سيينا، ثم روستاند، وبعده هيرلوت، ثم عدد كبير آخر، لكثرتهم يصعب ذكرهم، وكل واحد منهم استقبله الملك بأعظم الموارد والتشريف، مما ألحق الأذى وسبب الدمار لمملكته كلها، ولذلك أثير النبلاء تجاه صمت وفسولة الأساقفة، وسعوا لتنظيم إجراءات الملك، لو أنهم تمكنوا من فعل ذلك بأية وسيلة من الوسائل.

موت رئيس أساقفة تريف

وفي هذه الآونة نفسها، مات رئيس أساقفة تريف، الذي كان قد شكل حلفاً مع دوق برابانت وكان معارضاً لملك ألمانيا.

كيف جرى منح الملك مساعدة مالية

بما أن نبلاء المملكة قد قدموا جواباً قاطعاً بالاجماع لطلب الملك المستعجل للحصول على مساعدة مالية، وقد صرحوا أنهم لايستطيعون وكذلك لايرغبون بالخضوع أية مدة أطول لمثل هذه الاستخراجات، لذلك حمل الملك نفسه غاضباً، وتحول نحو أساليب ماهرة أخرى، لجرف مبلغ كبير من الكنيسة، ولذلك توجه بالخطاب في المقام الأول، إلى رئيس رهبانية دير ويستمنستر، وأداره بوساطة وعود خادعة ليحرك حماسه وحماس رهبانه إلى عمل مدون، وبناء عليه أصبح ضامناً للملك بمبلغ ألفين وخمسمائة مارك، في سبيل أن يقدم مثلاً شنيعاً، يمكن أن يعطيه الوسائل لاستخراج مثل ذلك المبلغ من الديرة الأخرى.

كيف جرى إرسال سيمون باسليف بمهمة إلى مختلف رئاسات الرهبانيات لاستخراج المال منهم

ثم إن الملك أرسل بكل سرعة سيمون باسليف، مع هذه الرسائل إلى الديرة الأخرى، من أجل أن يقوم رؤساء رهبانهم بالتعهد بحمل الحمل نفسه، وأساء الملك بهذا الإجراء وأضر بسمعته إلى درجة عالية، لأن العمل بحد ذاته أظهر إلى أي مدى كان متشوقاً لظلم الكنيسة من دون رحمة، وقام سيمون باسليف، البارع والكذاب، الذي كان محاسب الملك ومستشاره، في سبيل اشباع رغبته في تنفيذ أوامر الملك، حتى وإن كانت غير موائمة وغير صحيحة، فذهب بكل سرعة إلى وولتهام Waltham، وقدم رسالة الملك، والتمس من رئيس الرهبان والرهبان في وولتهام التعهد بالقيام بالواجب نفسه مثل الذي فرضه رئيس رهبان ويستمنستر على نفسه عن طواعية، أي بالكتابة بيده وبأيدي الرهبان بأن يكونوا ضامنين للملك لدفع مبلغ سبعمائة مارك لصالح الملك.

وأراهم أيضاً الرسائل المصدقة حول هذه القضية، والعائدة إلى رئيس رهبان دير ويستمنستر مع المجمع الرهباني للدير نفسه، وهي تحمل أختامهم، ولدى مشاهدة ذلك، ارتعب رئيس رهبان دير وولتران كثيراً، وسأله عما إذا كانت هناك رسائل مماثلة موجهة إلى الديرة الأخرى، فأجابه سيمون: «في الحقيقة أنا لدي رسائل إلى دير القديس ألبان، وإلى دير ردنغ، وإلى الأماكن الأخرى»، ثم إن رئيس الرهبان شرع بالتشاور مع رهبان الدير في مقر الهيئة الرهبانية، وأعطى أخيراً إلى سيمون الفهم، في جواب لطلبه، أنه مهما كان نوع التصرف الذي قام به حول هذه القضية رئيس رهبان دير ويستمنستر والرهبان (الذين أظهروا بحكم الضرورة المراعاة للملك، لأنهم كانوا ملزمين بإطاعته في المسائل الصعبة، بحكم كونه المجدد لكنيستهم) هو لن يكون بأي حال من

الأحوال كفيلاً، أو سيتعهد بنفسه بأية طريقة من الطرق بدفع مثل ذلك القدر من المال إلى الملك، «لأنه ما من أسقف كان مسموحاً له وفقاً لما هو مدون في المراسيم البابوية، في مادة الالزامات، أن يخضع كنيسته لمثل هذا الخطر والمخاطرة»، وعلى هذا الكلام أجابه سيمون: «الملك سوف يعطيك أية ضمانة ترغب بها، تكون مكتوبة، من أجل تحديد دفع مالك وتأكيد ذلك»، لكن رئيس الرهبان رد عليه قائلاً: «نحن لانرغب بوجود أية مناسبة للخلاف مع الملك، أو أن نتورط بدعوى قضائية معه، لأننا لانمتلك الامكانات للتنازل معه على أرضيات متساوية، ونحن لايمكننا جلبه إلى القضاء أو أن نفرض عليه الدفع، إذا كان ضعيفاً بما فيه الكفاية بالإصغاء إلى رأي ضال»، وهنا أضاف سيمون قائلاً: «أشفقوا من أجل خاطر الرب، أشفقوا على مولاكم، وحاميكم الخاص، لأن بيعته سوف توضع على الفور تحت عقوبة الحرمان من شراكة المؤمنين، يعني أن تقول إن ذلك سيكون خلال ثلاثة أيام أو أربعة، ولسوف يتبع ذلك إجراءات أقسى، مالم توافقوا على التماساته، وكما تعلمون بشكل جيد، هو أحسن المسيحيين، والأكثر تقوى بين الملوك، ولن يرغم على الاقلاع عن الالتزام بتنفيذ الواجبات الدينية، من أجل أي مبلغ مهما كان من الذهب الصافي.

كيف ذهب سيمون باسليف إلى رئيس رهبان ورهبان دير القديس ألبان

وبما أنه لم يستطع النجاح على هذه الصورة، أو بوساطة أية مناقشات مراوغة وكذب، غادر غاضباً، وكدس التهديدات فوق التهديدات، وأخذ طريقه إلى دير القديس ألبان، مصحوباً بواحد من كتّاب الملك، كان هو مرافقه في مهمته، في سبيل ربط رئيس الرهبان مع رهبان ذلك المكان، وإلزامهم بالموافقة على رغبات الملك، بوساطة خطابات مخادعة، أو بوسيلة ما أو أخرى، سواء أكانت صحيحة أو خاطئة، لكن رئيس

رهبان وولتهام كان قد أرسل رسالة سرية بكل سرعة إلى رئيس رهبان دير القديس ألبان وإلى الجميع هناك، حيث أخبرهم بجميع الذي حدث، وكيف أن سيمون باسليف قد حاول بوساطة حجج مخادعة وملتوية، وسعى بناء على الطلب الملح للملك أن يربط كنيسة وولتهام بدفع سبعمائة مارك إلى الملك، وكيف أنه رغب بجعل رئيس الرهبان والرهبان أن يصبحوا ضامنين له بوساطة وثيقة مدونة، ووصل سيمون المتقدم الذكر (أو بالأصح أن نقول سينون) إلى كنيسة القديس ألبان قبل صلوات ساعة الهيئة الرهبانية، وتظاهر بأنه قدم من لندن في ذلك اليوم، وأنه سار طوال الليل تقريباً (مع أنه جاء مباشرة من وولتهام) وألقى بنفسه على مقعد وأمال رأسه عليه، وغرق في النوم، ثم إنه ذهب بعد هذا بكل سرعة إلى رئيس الرهبان، وتحدث بلهجة حزينة وآسفة وقال: «لقد أرغمت يامولاي أنا ومرافقي بحكم الضرورات الكبرى، على السفر وقطع المسافة كلها بين لندن وهذا المكان في الليلة الماضية»، وقدم رسالة الملك، التي تولت الاشارة إلى مبلغ مختلف عن الذي كان قد ذكره شفوياً، وعرض أيضاً بشكل مكشوف رسالة رئيس رهبان ويستمنستر مع التجمع الرهباني للدير، مبرهناً بأنهم وافقوا بأريحية على طلب الملك، وبضربه لهذا المثل أمل أن يخضع رئيس الرهبان والرهبان في دير القديس ألبان إلى ارادة الملك، كما أنه وعد أيضاً، باسم الملك، أن أي صيغة مكتوبة يرغبون بها، ينبغي اعدادها، من أجل ضمان دفع المال، الذي سأله اقراضه لبعض الوقت، تحت ضمانة مكتوبة، وكان المبلغ الذي طلبه كما ذكر، قد وصل إلى سبعمائة مارك، وأضاف أنه إذا مارفض رئيس الأساقفة، سوف ينال غضب الملك الأبدي، لأنه بيعته كانت تحت خطر التعليق، الأمر الذي هو لن يقبل به ويرضى بأي حال من الأحوال.

وتملكت الدهشة رئيس الرهبان والرهبان، لابل في الحقيقة جميع

الذين سمعوا هذه الرسالة، وجاءت دهشتهم من طغيان الملك ودهائه، خاصة وأنه يرغب بوساطة التماساته الملحة بالحصول على وثيقة مكتوبة من رئيس الرهبان والرهبان تشبه تلك التي كان قد حصل عليها رئيس رهبان ورهبان دير ويستمنستر.

وبناء عليه جرى عقد مؤتمر للتشاور في مقر الهيئة الرهبانية، وأخيراً جاء الجواب حاسماً، بأنهم لايمكنهم بأي حال من الأحوال الرضوخ لمطلب الملك «لأن ذلك سوف يكون مضاداً للمحظورات البابوية، ومناهضاً للكرامة»، وعرض على سيمون أيضاً وأري توجيهات مكتوبة، إحداها موجهة بشكل خاص إلى وارن Warren الذي كان من قبل رئيساً للرهبان، وإلى خلفائه، وقد ورد في الوثيقة المذكورة فقرة تحرم عليهم وضع كنيستهم تحت الالزام بأية طريقة من الطرق، وذلك تحت طائلة عقوبة التعليق، والحرمان من شراكة المؤمنين، والحرمان الكنسي، وبناء عليه، اختار هكذا رئيس الرهبان والرهبان في دير القديس ألبان الحصول على غضب الملك الأرضي الذي عمل طلبات غير عادلة، وآثروا ذلك على اغضاب الملك السماوي، ثم إنهم بخرقهم لما حرمه البابا، سوف يغلون أنفسهم بأغلال التكفير.

وعندما سمع سيمون أسبابهم للرفض تظاهر بالهدوء واللطف، وأجابهم بحرارة قائلاً: «أصدقائي المحبوبين لاتزعجوا أنفسكم مطلقاً حول هذا، لأن ملكنا معه رجلاً مقدساً جداً، هو راهب من طائفة الفرنسيسكان، اسمه مانسيتوس، قد جرى إرساله من البابا بمثابة حماية، وهو لديه سلطات كاملة، وهو جاهز تماماً لتحليل جميع الذين حنثوا بأيمانهم في سبيل مساعدة الملك في حاجته الضاغطة كثيراً، إنما إذا كنتم لن تساعدوا الملك في هذه الآونة، سوف أعود على الفور إلى لندن، وسوف أخبر الأسقف بأنكم ألقيتم جانباً كل احترام للملك، وأنكم ازدريتم حمايته، وأنكم تعاملون لطف وسلطة الراهب المذكور

باستخفـاف»، وعلى هذا تلقى سيمـون جـواباً جـاء فيـه: «إنه لن يبـدو منطقياً أن نرغب بأن نتعرض لعقوبة الحرمان الكنسي، وأن يجري تحليلنا في الوقت نفسـه، ووفق الطريقة نفسهـا ينبغي علينا عـدم اطاعة أوامـر طبيب دجـال يمكن أن يقـول: لاتخافوا اكسروا أرجلكم، أو أي عضـو آخر، وأنا سوف أجد لكم جراح جيد، سوف يتولى شفاء وإعادة العضو المكسـور، يضـاف إلى هذا، إذا كنا سنفعل هـذا، فلسـوف نذنب بطرق مضاعفة، ففي المقام الأول سـوف نكون كذابين معروفين بالكذب، وفي المقام الثاني إذا مـاوضعنا أختامنا —الأمر الذي يعني رهن إيماننا— على مثل هذه الوثيقـة، فلسوف يصرخـون عـالياً ضـدنا، بأننا تصرفنا بشكل ظالم، وهذا أمـر لن نفعله بأي حـال من الأحوال»، فعقب سيمـون على هذا قائلاً: «مامعنى هذا؟ هل سأذهب مغـادراً فارغ اليدين؟ إن مولاي الملك سـوف يعتقـد بـأنني بعثت بعض الخلاف بينكم وبينـه، وبذلك سـوف ينزل اللوم كله على رأسي، مع أنني بريء، ولماذا واجـه مـولاي هذا الصـد على أيـديكم؟ أنتم لاتمتلكون شيئاً إلا الذي أعطاكـم إياه الملك أو أجـداده، ولذلك إنكم ملزمـون بشكل عـادل أن تقـدمـوا المساعـدة إليه في هذه الضـائقة الطـارئة، لاسيما وأن كل شيء عـائد إلى الملك»، وعلى هذه الحجج رد رئيس الرهبان والرهبـان قائلين: «صحيح إن كل شيء عـائـد إلى الملـك، لكن من أجل الحماية، وليـس من أجل التدمير، فهذا ماأقسم الملك عليـه عند تتويجه، ثم مراراً كثيرة بعد ذلك، ولذلك نحن لانولي أدنى اهتمام للحجج الواهية العائدة لك».

وعندمـا سمع سيمـون هذا، لجأ إلى استخـدام نوع آخـر من الخداع، وعلى ذلك قـال: «إذا كنتـم لن تفعلوا شيئاً آخـر للملك، افعلوا على الأقل مايلي: دونوا كتابة الموافقة على طلب الملك، وذلك تماشياً مع طلبه ورغبتـه، واختمـوا مـاسـوف تكتبـونه، واحتفظـوا به بين أيديكم في خـزانتكـم، وهكذا عندمـا تلين قلوبكم في أي وقت مـن الأوقـات

وتتواضعون، يمكن للملك أو لمندوبه أن يجدها جاهزة، وسوف يأخذها عندمـــا يحل الوقت المناسب، افعلـوا حتى لايكون استخفـــافكم ولامبالاتكم واضحين تمام الوضـوح»، وعلى هـذا أيضـاً أجابه رئيس الرهبـان والرهبـان قـائلين: «لاياسيمون لا، لأنـك وقتها سـوف تقـول —ويمكنك القـول بشكل منطقي— بأننا وافقنا، وكتبنا بذلـك وثيقـة اعتراف ذكـرنا فيهـا مـوافقتنا على رغبـاته، حسبما هو الـوضع بالنسبـة لرسالة رئيـس رهبان دير ويستمنستر التي عرضتهـا علينا وأريتنا إياها، وبذلك سـوف نضرب مثـلاً خسيسـاً للآخـريـن، الذين أنت راغب في الانقضـاض عليهم، واخضـاعهـم لإرادتك، وهذا لن نفعله مطلقـاً»، وهكذا ذهب رجل الاغواء وغادر مضطرباً، دون تحقيق هدفه.

الخداع الذي وضع قيد التطبيق من قبل سيمون المتقدم ذكره ليفرض على بعض رؤساء الرهبان

لقد أدخلت جميع هذه التفاصيل بالكامل، من أجل أن يعلم القارىء لهذا الكتـاب، كم هم خطيرين الأعداء الداخليين، ومـدى الأذى الذي أراد هذا الانكليــزي المنحط سيمـون وسعـى لإنزاله على المملكة وعلى الكنيسة، وقام رئيس الرهبان المذكور والرهبان بالكتابة بصورة متواضعة وباعتدال وصـداقة، واعتذروا عن أنفسهم على أساس قـاعدة صحيحة، وبذلك نجوا من المخاطر التي تهددهم، وفي الوقت نفسـه، كان سيمون قد أعلن مـرفقاً إعلانه بيمين، بأنه سـوف يذهب على الفور إلى الملك في لندن، ومع ذلك لم يشعر بالخجل ولم يخش أن يتهم بكذبة أخرى، فغيّـر طريقـه، وذهب بسرعـة كـاملة إلى ردنغ، ليـوقع بـالفخ رئيس رهبـان ورهبان ذلك المكان بأحابيل خداعه المعتادة وزيفه، لكن كانوا قد أنذروا مسبقـاً بقدومـه، وأخبروا بإجراءاته، ولذلك واجهـوه في وجهه بجـرأة، وهكذا فإن الجور الذي هو زيـف لذاته، أخفق في مقـاصـده، وكنت في الذي كتبتــه أعـلاه،قـد ذكـرت المبلغ الاجمالي مـن المال بالكامل، لأن

الطلب الملكي المكتـوب، استهدف كل واحـد من الديرة الأربعـة، التي هي: ويستمنستر، والقـديس ألبان، وردنغ، ووولتهـام، وأن تصبح هذه الديرة كفيلة، أي كل واحدة منهـا للآخر، من أجل المبلغ كـاملاً، وعلى هذا الأساس سـوف يكون كل دير مسؤول عن نفسـه، وعن كل واحد من الآخرين من أجل خمسمائة مارك، أي من أجل ألفي مارك، وخمسمائة مـارك من أجل الفـائدة، وقـد طلب الملك الحصـول على هذا المال بكل سرعة، وعلى ذلك سوف يكون مرغماً على الاستدانة من تجار السماسرة.

كيف شق الرهبان الفرنسيسكان طريقهم بالقوة إلى داخل مدينة القديس ادموند

وحوالي هذا الوقت نفسـه، قام الرهبـان الفرنسيسكان بفضل السلطة الممنوحـة إليهم من البابا، بفـرض أنفسهم على مـدينة القديس ادمـوند، ضد إرادته، وذلك على الرغم مـن معارضة رئيس رهبـان ورهبان ذلك المكان، ولقـــد أدخلوا إلى هنـاك وأسســوا أنفسهـم بوســاطة رجلين علمانيين، هما: ايرل غلوستر، الذي كـان عـدواً معلناً لرئيس الرهبا ن المذكـور وللرهبـان، وغيلبيرت برسـتـون، وقبـل عـدة أيام مضت كـان رئيس الرهبـان المذكور قـد جاء من البلاط الـروماني، حيث كـان يقوم بأخذ احتيـاطات للمستقبل ضد عنف الرهبان المذكـورين، وسلح نفسه مسبقاً برسالة من البابا، لكن على الفور، حصل بعد هذا هؤلاء الرهبان على رسالة أخرى، مـوجهة لهدف معاكس، بوساطة اضـافة تلك الفقرة «دون التقيد»، ولدى سماع الناس بهذه الإجراءات، لم يستطيعوا بصعوبة التعبير عن دهشتهم، مـن قيـام مثل هؤلاء الناس المقـــدسين —الذين اختاروا عن طـواعية الفقر ليكون حصتهـم— برميهم جانبـاً كل خوف من الرب، وحيث استخفوا بغضب الشهيد المبجل، وبالناس، ولم يهتموا بحماية الامتيـازات، بل خـرقـوا، وأزعجوا حـالة سـلام تلك الكنيسـة النبيلة، التي كـانت معروفـة تمامـاً بكرامتها العـاليـة وبقدمهـا، ولم يكن

رئيس الرهبان قد شعر بالانهاك نتيجة الرحلة المتعبة عبر الألب، أو بالديون الضخمة التي كان قد تورط بها، بقدر ماتضايق من هذا الإجراء، وليضيف إلى أحزانه، كان خائفاً جداً من الإجراءات القانونية التي اتخذت من قبل ايرل غلوستر، ولإدراكه لضعف أوضاعه الصحية، وافق على تأجيل القضية.

إكمال البارلمان الذي بدأ مؤخراً

استمرت المشادات الكلامية بين الملك ونبلاء المملكة في البارلمان الذي تقدم ذكره أعلاه حتى يوم الأحد الذي جاء بعد يوم عيد الصعود، ويوماً بعد يوم ازدادت الشكاوي وتضاعفت ضد الملك، وتركزت حول أنه لم يحافظ على وعوده، وأنه عامل مفاتيح الكنيسة باستخفاف، وخرق شروط الصك العظيم مراراً ومراراً لانقاذ نفسه، وكان من أسباب الشكاية الأخرى، أنه رفع من شأن إخوته لأمه، وكأنهم من أهل هذه البلاد الطبيعيين، وفعل ذلك بطريقة لاتحتمل، معاكسة لحقوق وشريعة المملكة، ولم يسمح باتخاذ أية إجراءات ضدهم في المحكمة العليا، ومع أن صلف إخوة الملك المذكور، والبواتيين الآخرين كانت لاتحتمل، كانت تصرفات وليم دي بلنسية قد تفوقت عليهم جميعاً في الوقاحة والصلافة، واشتكى ايرل ليستر، فوق الآخرين، من هذا بمرارة ليس فقط إلى الملك، بل إلى الجماعة كلها على اتساعها، وطالب بإلحاح بأن تناله يد العدالة، وعلاوة على ذلك جرى توجيه النقد إلى الملك من أجل إغناء جميع الأجانب، والدفع بمصالحهم، وأنه أرفق هذا بازدراء رعاياه الطبيعيين ونهبهم، مما سيؤدي إلى دمار المملكة كلها، وقيل له وأفهم أنه كان محتاجاً معوزاً، في حين يمتلك الآخرون أموالاً وافرة، ولحاجته إلى الأموال لم يعد بإمكانه استرداد حقوق مملكته، لابل لم يعد بإمكانه ضبط الغارات المدمرة للويلزيين، الذين هم الحثالة الحقيقية لبني البشر.

وباختصــار مجمل نجـد أن تجاوزات الملـك تتطلب أن تعـالج بشكل خــاص مفـــردة، وكــانـت ردات فعل الملك هي الاعتراف بصـــدق الاتهامات، مع أن ذلك جاء متأخراً، وقـد تواضع بنفسه، وقد أعلن أنه غالبـاً ماألزم بقبـول النصائح الشريرة، ووعـد وأقسم عند مذبـح ومزار القديس ادوارد، بأنه سوف يقوّم أغلاطه القديمة تماماً وبشكل صحيح، وسـوف يظهـر الحظوة واللطف نحـو رعـــاياه الطبيعيين، لكن تبـدلاته المتكررة جعلته من قبل غير جـدير بالتصديق، وبما أن النبـلاء لم يتعلموا بعـــد كيـف يحافظون على بروتـوسهم Proteus منضبطاً (لأنها كـانت مسألة شاقـة وصعبة)، جـرى تعليق جلسات البـارلمان، وتأجيله حتى عيد القديس برنابا، حيث سيجتمع في اكسفورد.

وفي هذا الوقت قـام نبـلاء انكلترا أمثـال ايرلات: غلوستر، وليستر، وهيرفـورد، والايرل مارشـال، مع رجال آخـرين لهم تميزهم بالتحـالف فيما بينهم لاتخاذ إجـراءات احترازية، لأنهم شعروا بمخـاوف كبيرة من مؤامرات الأجانب ودهائهم، وكـانت لديهم بعض الشكوك أيضاً حول إجـراءات الملك الخفيـــة، ولذلك ذهبـوا تحت حماية مـــرافقـة كبيرة من الفرسان والأتباع المسلحين.

الأنواء غير الموسمية

في هذا العام هبت الريح الشماليـة بدون انقطاع لعدة أشهـر، وعندما عبر نيســـان وأيار والجزء الرئيسي من حـــزيران، ولم يكن مشـــاهداً أية أغـراس صغيرة ونادرة، أو أية أشجار مبرعمـة ومزهرة، نتيجـة لذلك، بقيت هناك آمـال ضئيلة حـول موسم مثمـر، ونظراً لندرة القمح مـات عـــدد كبير من فقـــراء الناس، وتم العثـور على جثـث الموتى في جميع الاتجاهات، وقد انتفخت وكانت شاحبة، وكانت كل خمسة جثث وستة ممددة في مـرابط الخنازير، أو على أكـوام القمامـة والمزابل، وفي الشـوارع الموحلة، والذين كانت لديهم ديرة لم يتجرأوا في حالة عوزهم على تزويد

الذين كانوا يموتون بغرف في الديرة، خوفاً من العدوى، وعندما كان يتم العثور على عدد من الجثث، كان يتم عمل حفر واسعة وكبيرة في المقابر، حيث كانوا يمددون فيهم أعداداً كبيرة من الجثث مع بعضهم.

البعثة الخاصة إلى الملك الفرنسي

خلال الوقت الذي مضى قبل عقد البارلمان في اكسفورد، جرى اختيار رسل خاصين من ايرلات وبارونات انكلترا، وقد أرسلوا إلى الملك الفرنسي، للحصول على بعض المواساة منه، أو على الأقل لمنع أية عوائق من أن ترمى في الطريق، فتعيقهم في خططهم ونواياهم، لأنهم كانوا يسعون في سبيل منفعتهم، ومن أجل منفعة البلدان المجاورة لترتيب ولتهدئة الإثارة التي قامت في انكلترا نتيجة للفسولة المستمرة طويلاً والمتعلقة بسذاجة الملك.

تأسيس دير رهباني من قبل جون مانسيل

في هذا العام نفسه أيضاً، أسس جون مانسيل رئيس كنيسة بيفيرلي Beverley, والذي كان كاتباً ومستشاراً خاصاً لدى الملك، وكان رجلاً عاقلاً وحكيماً، أسس في رومني Romney, على بعد حوالي الميلين عن البحر، ديراً للكهنة النظاميين، وجهزه على نفقته، ووضع فيه كهنة نظاميين، ولقد أقنعه بالقيام بهذا العمل هو التقدير بأن الحظوة الملكية ليست وراثية، وأن ازدهار الدنيا لن يدوم إلى الأبد، كما أنه تأثر بالمثل الذي ضربه بطرس كاسبورت Chaceport, الذي قام قبل وقت قصير بتقوى وسعادة، فأسس ديراً للطائفة نفسها، ولذلك كان يأمل بأنه عندما سيعبر من عالم استحواذ الثروات المؤقتة، يمكن أن لايفقد الثروات التي كانت سرمدية.

وفاة سيوول رئيس أساقفة يورك

وفي حوالي أيام عيد الصعود، قام رئيس أساقفة يورك في سبيل

الصعود مع الرب بالخروج من سجن هذا العالم، وفرّ طائراً إلى السماء، ومن المعتقد من دون أي شك في أنه قايض حياته الأرضية بملكوت السماء، وحصل على تاج النصر، بعدما قاتل بشجاعة حتى أقصى ماامتلكه من قوة في سبيل كنيسته ضد طغيان بلاط روما، وكان ذلك من خلال فضائله، والمحن الكثيرة التي مرّ بها، وسار سيوول رئيس الأساقفة هذا على خطى القديس ادموند، واتبع منهجه (فهو الذي كان قد أصغى إلى محاضراته، وكان باحثاً لديه وتلميذاً) وقد سعى بأن يقلد بنفسه وبأعماله وأخلاقه ذلك القديس وأعتقد أنني ينبغي أن لاأتجاوز ذكر أن القديس ادموند، عندما كان يحاضر في اللاهوت في اكسفورد، اعتاد أن يقول إلى أعز الأصدقاء عليه، وإلى طلابه الخاصين: «آه ياسيوول، ياسيوول سوف تعبر من هذا العالم شهيداً، فلسوف تهاجم وتقتل بالسيف أو بوساطة محن هذا العالم الهائلة، وعلى كل حال ليكن المواسي لكم الذي أوحى بالمزمور الذي يقول: «كثير من الممتحنين محقين، ومن هذه المحن سوف يحررهم الرب في أحد الأيام»، وإنها لحقيقة واضحة ومقررة أن كثيراً من الشهداء، عبروا من هذا العالم من دون أن تسفك دماءهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال القديس يوحنا الانجيلي، وعدد كبير آخر.

أقوال وأعمال رئيس الأساقفة المتقدم الذكر لدى اقترابه من الموت

عندما رأى رئيس الأساقفة المقدس هذا أن الموت بات بلاشك قريباً، وأنه على وشك العبور من هذا العالم، نهض بنفسه قائماً، وبيدين متشابكتين، وبسحنة باكية، توجه نحو السماء، وتفوه بالدعاء التالي: «آه أيها الرب يسوع المسيح، الذي أنت أعدل القضاة، إنك تعلم بعلمك الدقيق كم تعرضت في براءتي إلى الإرهاق بطرق مضاعفة من قبل البابا، الذي أنت سمحت لأن يصبح حاكماً على كنيستك، بسبب (كما يعلم

الرب ولأنه ليس سراً للدنيا) أنني رفضت قبول أشخاص غير معروفين وغير جديرين لإدارة الكنائس التي عهـدت بها لعنايتي، أنا الذي لست جـديراً، وقمت على كل حـال خشية الاستخفـاف بحكم البـابا، مع أنه حكم غير عـادل، ولكي يكون عـادلاً، قمت بالتـوسل متـواضعـاً، ورجوت بأن أحلل من أغلال الحرمان الكنسي، لكنني استأنفت مترافعاً ضد البابا إلى القاضي الأعلى الذي لايفسد، والسموات والأرض سوف تكون شهودي، كيف أنه هاجمني، وقـرعني، وفضحني بطرائق مضاعفة كثيرة».

وفي مرارة نفسه، قام بناء عليـه بالكتابة إلى البابا (متأثراً بمثل روبرت أسقف لنكولن) وعبر عن آلامـه وأحـزانه التي يمكن مـواسـاتها، لأن البـابا قد أرهقـه، لأنه رفض —كما ذكرنا أعـلاه— قبول أشخـاص من دون خبرة، جاهلين باللغة الانكليزية، فما كـان من البابا إلاّ أن قام أولاً بتعليقه، ثم قام مـرة ثانية بمنعه من تخطي عتبـات الكنيسة، ثم قام الآن بأخذ الصليب من أمـامه، ثم مرة ثانية أعلن عن حـرمانه كنسياً في جميع أرجـاء المملكة (مع أن الوكلاء لمثل هـذا الحرمان الكنسي قـاموا بتنفيـذ واجبهم من دون رضـا)، وهكذا أسـاء إلى اسمـه الجيـد وآذاه بطرق مختلفة، مما آذاه دنيـوياً كثيراً، ثم إنه قام على كل حـال بالشكوى بمرارة، من أنه قد تحمل ذلك بصبر، لكنه كان لايستطيع أن يتحمل إلاّ بصعوبة بالغـة الحملات العنيفـة لبعض الكهنة، الذين تفـاخـروا بأنفسهم بأنهم يمتلكون سلطات البـابا وتفـويضه مـن أجل إجراءاتهم، خـاصـة المعلم جوردان الذي كـان يسعى فاتحاً فاهه لالتهـام منصب العمادة، وكرر أنه قد تحمل هذا كله بصبر، حتى لايقـال بأنه ضحك ليسبب الاهانة لأبيه، مثل حـام، بكشف عورته، بل كـان قلقاً لإخفـائها وتغطيتهـا مثلما فعل سام، وكان غـالباً مايعيد إلى ذاكرته الوصيـة المختصرة التالية «في كشف لعورة أبيك، أنت مثل حام، ومثل سام في اخفائها».

وفي رسـالتـه، قام بناء عليـه، فتصرف مثلما تصرف روبرت المذكـور، أسقف لنكولن، فتوجه بالرجاء بتواضع واخلاص إلى البابا «ليلطف من طغيـانه المعتـاد، وليأخـذ بالمثل الذي ضرب بإنسـانيـة وتواضع من قبل أسـلافـه»، لأن الرب قـال لبطرس: «أطعم شيـاهي، ولاتجزهم، أو تسلخهم، ولاتجوفهـم ولاتفترسهم»، لكن البـابا ضحك من طلبـه، وعامله باستخفاف، وشعـر بغضب عظيم، لأنهما امتلكا الوقاحة الكبيرة بازعاجه على هذه الصورة، فهو البابا ولايجوز التصرف نحوه هكذا بأي حال من الأحوال، ولذلك رفض الاصغاء إلى التحذيرات السلمية لكل من رئيس الأساقفـة سيـوول، أو إلى روبرت المذكـور، رئيس أسـاقفـة لنكولن.

معجزة الماء الذي تحول إلى خمرة

وحـدث في أحد الأيام عندمـا كـان [رئيس الأسـاقفة] يتعـرض من المرض المميت الذي كـان يعاني منه، إلى ضغط شديد وصـل إلى حد أنه شعـر بالعطش، وطلب مـاء من أحـد الينابيع، وعندمـا قـدم الماء إليـه، باركه بتقـوى، وكما قال إنه لافـائدة من الشكاية، ولدى تذوقـه له وجد أن طعمـه كان طعم خمرة وليس مـاء، وقـد وبخ خادمـه لقيـامه بغشـه، حيث قـال له: «لماذا غششتنـي بهذا المشروب؟ وأين وجـدت هذا؟»، وأجابه الخادم قائلاً: «في النبع يامولاي، ولم أكن لوحدي هناك»، ثم إنه أحضر اثنين آخـريـن من الخدم، الذين كـانوا واقفين هناك، وعنـدها أضاف يقول: «هنا شهـود موثوقين حول صدق مـاقلته»، ووقتها تذوق الخادمان ماكان في الكأس، وأعلنا أنها خمرة جديدة، وعندما سمع رئيس الأساقفة ماقاله الرجال، وخوفاً من أن يقوم خدمه بنشر الخبر وتعميمه، شرب ماكـان في الكأس، وتوجه بالرجـاء إلى خدمه بلهجـة لطيفة (لأنه كان رجلاً لطيفاً في كلامه) بأن لايقـولوا شيئاً حول القضية، وقد حدث هذا قبل موته مباشرة.

حول المجاعة الكبيرة التي انتشرت في جميع أرجاء إنكلترا

وفي حوالي عيد الثالوث في هذا العام، هاجم طاعون مخيف لايمكن احتماله، الناس، وبشكل خاص الذين كانوا من الشرائح الدنيا، ونشر الموت فيما بينهم، إلى درجة محزنة جداً، ومن دون أن نأتي على ذكر جميع الحوادث، لعله يكفي ذكر الحادث التالي: «فقد هلك في مدينة لندن خمسون ألفاً من الفقراء، وتمّ الآن نشر الإعلان التالي: «اذهبوا جميعاً أنتم الذين بحاجة إلى الخبز، وتسلموا حصة من الخبز من فلان وفلان من النبلاء»، وحدد المنادي أسماء الأشخاص والأماكن التي كانوا سوف يتسلمون منها الصدقات، وفي الحقيقة انتشرت المجاعة في انكلترا إلى حد أن كثيراً من الآلاف من بني البشر ماتوا من الجوع، لأن الحبوب وصلت إلى حد النضوج متأخرة كثيراً في الخريف، بسبب الأمطار الثقيلة، ولذلك توفر المحصول فقط في عيد جميع القديسين، وذلك في عدة أجزاء من المملكة، وقد بيع مكيال القمح بستة عشر شلناً، وفي عشية عيد القديس يوحنا المعمدان هبت عاصفة من الأمطار مثلها لم يشاهد قط في أيامنا، حيث فاض مجرى السيفيرن Severn من سالسبري إلى بريستول إلى درجة أن الماء تدفق (كما قال بعضهم من خلجان مخفية في المناطق الداخلية) وغطى جميع المروج، وأتلف جميع الحاصلات في المناطق المجاورة للنهر، وبسبب عنف الفيضان مات عدة رجال، وكثير جداً من الأطفال، ومن الحيوانات أعداد لاتحصى من مختلف الأنواع.

رسالة ملك إسبانيا إلى ملك ألمانيا

وفي هذا العام أرسل ملك اسبانيا رسالة لم تكن مناسبة ووقحة إلى ملك ألمانيا، يحثه مع التهديد بأن «يتخلى عن مملكته في ألمانيا. وأن يغادر من هناك»، وعلى هذا الطلب أجابه ملك ألمانيا وهو غير هياب وبمعنويات عالية قائلاً: «إنه إذا مااختار أن يأتي لمحاربتي، فلسوف

يجدني جاهـزاً لمقابلته خـارج حدود مملكتي، وسأستقبله بحـد السيف»، وقام ملك اسبـانيا وقد استثير أكثر بهذا الجواب فدمج جيشـه مع قوات مملكتي أراغون ونافار،ووجّه زحفه نحو ايطاليا، ولكن عندما كان غائباً حاول المسلمون الاسبـان الاستيلاء على قرطبة، ولـدى سماعه بهذا عاد كما ذهب لإيقـاف غـزواتهم،وقـام على كل حـال بـإرسـال بعض الشخصيات المتميـزة في بعثة إلى البـابا، للمطالبة بحقـوقه، وليطلب من البـلاط الرومـاني أن لايقبل أي واحد سـواه لحكم الامبراطورية، فهـو أعظم ملوك اسبانيـا وأكثرهم قوة، وهو الذي مدّ حـدود المسيحية أكثر من أي ملك مسيحي آخر، وفي جواب على هذا، قال البابا لصالح ملك ألمانيـا: «أنتم تعلمون ياأبنائـي الأعزاء، وعليكم أن تكونوا عـارفين، أن النظام الاجـرائي الصحيح، والعـرف المعتـاد والموافق عليـه منذ الزمن القـديـم، وهو مـايزال قـائماً، هو أن تعـد مملكـة ألمانيـا تابعـة للمقـام الامبراطوري، وهو مقام ينبغي استحواذه مسبقاً، لأنه الاستحواذ الأول له، لذلك دعوا مولاكم، الملـك اللامع لاسبانيا، أن ينتخب أولاً بشكل صحيح ملكاً لألمانيا، في إكس لا شبيل، من قبل رجال دين ونبلاء تلك البلاد، الذين بين أيديهم مقاليـد الانتخاب راسية، وذلك بحكم العرف القديم، ودعـوه أولاً يجري تكريسه بشكل مهيب ومن ثـم تتويجه ملكاً، وبعـد ذلك، سـوف نريه الحظـوة بقـدر مـابين أيدينا من قـوة، واضعين الخوف من الرب أمـام أعيننا، ونريه أنفسنا أننا لصالحه، ومـوافقين على دفع انتخاب مولاكم، الملك اللامع لاسبانيا، لأنه جدير بكل تكريم».

وقـام الرسل بناء على التقـدير الدقيق لجواب البابـا، وكذلك تقـديراً منهم للجواب الذي أعطاه الملك إلى ملكهم، ونظراً لأحكام الإجراءات القضائيـة، فنصحوه بأنه سوف يكون مـن الحكمة وأكثر فـائدة له حماية مملكتـه، التي كـان المسلمون يتـآمـرون ضـدها، هذا وعندمـا بات هذا معلوماً لدى نبـلاء ايطاليا، قـدم كثيرون منهم اليد اليمنى للصـداقة إلى

ملك ألمانيـا، وعلى الفـور قـدمـوا له ولاءهـم، واستقبلهم الملك بلطف، ودفع مبلغاً كبيراً من المال لتحرير بعض المدن الألمانية من الديون، وبهذا الإجـراء طوقهم، وبذلك كسب حظوة عظيمة لدى رجـال ذوي سلطة بين الألمان، فقط لو أنه كان نشيطاً في الإجراءات الحربية مثلما هو حكيم ومتفوق في آرائه.

عودة رئيس رهبان دير القديس إدموند من البلاط الروماني

وحوالي هذا الوقت نفسه قام رئيس رهبان دير القديس ادموند الملك الشهيد، بعدما أطال اقامته وأنفق عليها كثيراً في بلاط روما، بالعودة إلى الوطن، وهو متـورط بديون كبيرة، وعـلاوة على ذلك كـان الـرهبـان الفرنسيسكان، كما ذكرنا من قبل، قد بنوا لأنفسهم ديراً، على الرغم من معارضـة رئيس الرهبان المذكـور مع رهبانه، وكـان أثناء زيارته الأخيرة لروما قد حصـل على امتياز، بموجبه جرى منع الرهبـان المذكورين من محاولة القيام بمثـل هذا الإجراء مهما كانت الأحـوال، لكنهم تمكنوا من إلغـاء كل شيء حصل عليـه، بوسـاطة إضـافة العبـارة المعـروفـة «دون التقيد».

البارلمان الذي عقد في أكسفورد

ومع اقتراب حلول عيـد القـديس برنـابا، بادر كبـار نبـلاء البـلاد مسرعين نحو البارلمان الذي كان سيعقد في اكسفورد، وأعطوا أوامر إلى جميع الذين عليهم واجب أداء خدمة الفروسية للملك بمرافقتهم، وهـم مجهـزين ومستعـدين، وكأن عليهم الدفـاع عن أشخـاصهم من هجمات الأعـداء، ووضع هؤلاء هذا الأمـر مـوضع التنفيـذ، وأخفـوا أسبـابهم الحقيقية لعملهم هذا، تحت التظاهر أن قـدومهم على هذه الصورة، هو اظهار أنفسهم أنهم جاهزين للانطلاق بقواتهم الموحدة ضد أعداء الملك في ويلز، وفي الحقيقة توفرت لديهم مشاعـر كبيرة، أنه نتيجة لعدم اتفاق

الفئات، أنه سوف يتفجر خلاف شديد ونزاع بينهم هم أنفسهم، وأن الملك وإخوانه من البواتيين سوف يدعون جميع الأجانب لمساعدته ضد رعاياه الطبيعيين، وعلاوة على ذلك قام النبلاء بعمل احتياطات اضافية، بحراستهم الموانىء البحرية حراسة دقيقة.

وفي بداية البارلمان، كانت الخطة المقترحة للنبلاء قد تقررت من دون تغيير، وجرى الاتفاق عليها، وطالبوا بشدة وإلحاح بوجوب أن يحافظ الملك باخلاص على شروط صك الحريات والامتيازات لانكلترا، وأن يلتزم به، وهو الصك الذي عمله والده، ومنحه لرعاياه الانكليز، وهو الذي أقسم جون المذكور على الالتزام به، وهو الصك الذي قام الملك الحالي هنري مراراً كثيرة بمنحه، وأقسم على الالتزام به، وهو الصك الذي جرى اعلان الحرمان الكنسي ضد المخترقين له، وأن يجري الإعلان عن هذا الحكم من قبل جميع أساقفة انكلترا، فهو الذي كان قد أمر بهذا، وأن يكون إعلان الحرمان بحضوره نفسه وحضور باروناته، وهو بناء عليه بات محروماً كنسياً.

وطالبوا علاوة على ذلك، بتعيين قضاة لتقديم العدالة إلى الذين عانوا من الأضرار، وأن يكونوا محايدين نحو الأغنياء ونحو الفقراء، كما أنهم تقدموا ببعض المطالب الأخرى، المتعلقة بشؤون المملكة، عازمين على رفع شأن مصالح الملك والمملكة، وسلامهما، وكرامتهما، وعلاوة على ذلك أصروا، على وجوب أن يقوم الملك بمشاورتهم، والاصغاء إلى نصائحهم في عمل الترتيبات الضرورية، وأقسموا جميعاً بتقديم كل واحد منهم يده اليمنى إلى الآخر، وذلك بمثابة عهد على الاخلاص، بأنهم سوف يتابعون نواياهم، مقابل مخاطرة فقدانهم لأموالهم، ولأراضيهم، لابل حتى لأراضيهم، وكذلك لما هو عائد لأتباعهم، واعترف الملك بمنطقية احتجاجهم، وأقسم بشكل مهيب بأنه سوف يصغي إلى آرائهم ونصائحهم، وارتبط ابنه ادوارد أيضاً بيمين مماثل،

وجـرى رفض هذا القسم من قبـل جـون ايرل وارني، ومن قبل إخـوة الملك لأمه، أي وليم دي بلنسية والآخـرين، وعلاوة على ذلك صدرت الأوامـر إلى مـوانيء انكلترا لأن تكون محروسـة بدقـة أكبر، وأن تكون أبواب لندن مغلقة بعناية أكبر وبأمـان أعظم أثناء الليل، وبناء عليه قال بعضهم: «أغلقت أبواب لندن أثناء الليل، خـوفاً من خـداع الفرنسيين، من أن يقتحموا المدينة».

وبعدما مددوا اقامتهم في اكسفورد لبضعة أيام، اجتمعوا مع بعضهم في دير رهبان الدومينيكان للتداول حول الذي ينبغي فعله بشأن المشكلة الصعبة، المتعلقة بتحسين الأوضـاع الصعبة، للمملكة المضطربة، وهناك جددوا تحالفهم، ومثل ذلك أعادوا تأدية أيمانهم، وثبتوا عزمهم على أنهم لن يسمحوا لأنفسهم، حتى أمام الحياة والموت، أو ضياع الممتلكات، أو الحب والكراهية، أو لأي سبب مهما كـان، بأن يتزحـزحوا عن نواياهم، أو يضعفـوا، وهي النوايا التي قضت بالتطهر من الأجـانب المدنسين في المملكة، التي أعطيت بحكم الأصل إليهـم أنفسهم، ولأجـدادهم الذين كـانوا رجـالاً مـن أصل نبيل، وهم يطالبـون باسترداد حقـوقهم مع الشرائع الصحيحـة، وقـرروا أنه إذا وجـد أي واحد، مهما كـان، وقـام بمعارضة مـاقرروه، ينبغي ارغامه، حتى لو كـان ذلك ضد إرادته، على الالتحـاق بهم، ومع أن الملك، وابنه الأكبر ادوارد، قـد أديا اليمين، بدأ ادوارد يسعى بقـدر مـايستطيع إلى الانسحـاب من قسمـه، وذلك مثلما فعل جـون ايرل وارني، وهنري بـن رتشـارد، ملك ألمانيـا، حيث أخـذ يتعلل، ويقـول أنه لايمكنه ولابأي حـال من الأحـوال أداء مثل هذا القسم، من دون مشـورة أبيـه واذنه، وبناء عليـه جـرى اخبـاره بكل وضوح وبشكل علني، أنه حتى والـده إذا لم يوافق على خطة البارونات ويشـارك فيهـا، لن يتمكن من الاحتفـاظ حتى ولابشبر من الأرض في انكلترا.

وعـلاوة على ذلك، أقسم إخـوة الملك المتقـدم ذكـرهم بكل تأكيـد بمـوت المسيح وبجـراحـه، بأنهم لن يتخلوا مـاداموا أحيـاء، أبداً، عن القـلاع، أو الموارد، أو الوصـايات، التي أعطاهم إياها أخـوهم الملك بمحض ارادته، مع أن سيمون ايرل ليستر، قد تنازل مجاناً إلى الملك عن قلعتيـــــه كينيلـوايـت Kenilwithe وأوديهام Odiham, اللتان كان قد فرغ من ترميمها وتحصينها قبل عدة أيام مضت، وعندما عمل البـارونات هذا الاعـلان، مـؤكـدين إياه بأيمان لايمكن تعـدادها، توجه سيمون ايرل ليستر بالخطـاب شخصياً إلى وليم دي بلنسية، الذي كان متفجراً غـاضباً أكثر من الآخرين، وقـال في رد له عليه: «عليك أن تكون متأكـداً من أنك إما سـوف تتخلى عن القـلاع التي بين يديك من الملك، أو أنك سوف تخسر بلاشك رأسك»، وقـال الايرلات الآخرون والبـارونات الشيء نفسـه، وأقسمـوا على ذلك بـأكثـر الطرائق تأكيـداً، ونتيجة لذلك بات البـواتيون في حالة رعب شديد، ولم يعلمـوا ماالذي عليهم فعله، لأنهم إذا ماحملوا أنفسهم على الاختفـاء في أي من القلاع، وهم مجردين مـن المؤن المخـزنـة ومن وسـائل الدفـاع، سـوف يجري حصـارهم، وسـوف يهلكـون من الجوع، لأنه حتى إذا لم يقم النبـلاء بحصـارهم ولم يفعلوا ذلك، فإن جماعـة الشعب كلـه، سـوف تتـولى حصارهم، وتدمـر قلاعهم وتجتثها إلى الأساسات، ولذلـك قاموا فجأة وبصـورة سرية بالفـرار، وذلك أثناء الإعداد لتنـاول طعام الغـداء، وفي سبيل أن لاتكشف نواياهم، تظـاهروا بأنهم يودون الجلوس إلى المائـدة، وأثناء فرارهم، كانوا غالباً ماينظرون خلفهم، وجعلوا خدمهم يصعدون إلى أبراج عاليـة، لمعرفة فيما إذا كـان البارونات يقـومون بمطاردتهم، ولم يوفـروا أطراف خيـولهم، حتى وصلوا إلى وينكستر، حيـث لخوفهم وضعـوا أنفسهم تحت حماية جناحـي الأسقف المنتخب لوينكستر، الذي عليـه رست جميع آمـالهم، وعـلاوة على ذلك لقـد أملوا في العثـور على مكان للجوء في القـلاع العائدة إليـه، أي إلى الأسقف المنتخب المذكور،

وأصبح النبلاء في الوقت نفسه أقوى تحالفاً مع بعضهم، وعينوا مسؤولاً عن عدالتهم هوغ بيغود، وكان أخاً لايرل مارشال، وفارساً مشهوراً ومن أصل رفيع، ومن دم انكليزي نقي، وكان بارعاً تماماً في شرائع البلاد، وقد قام بواجبات العدالة والقضاء بكل نشاط، ولم يسمح لامتيازات المملكة بالتداعي بأي شكل من الأشكال. وعندما عرف النبلاء وتأكدوا من فرار البواتيين —حسبما ذكرنا من قبل— خافوا من أن يقترب الفارون من شاطيء البحر، لاستدعاء الأجانب، من بواتيين وغيرهم من القارة لمساعدتهم، وقد رأوا أن التأجيل سوف يجلب الخطر، ولذلك أعطوا أوامر دقيقة إلى جميع أتباعهم وإلى كل شيعتهم، بأن يهبوا إلى السلاح، وأن يمتطوا خيولهم بكل سرعة، وبذلك أنهوا البارلمان في اكسفورد، من دون أية نتيجة ثابتة ومحددة.

الخلاف في روما بين البابا والشيخ برانكليون

وحرر في الوقت نفسه رتشارد، ملك ألمانيا، بحكمة بعض مدن ألمانيا، من ديونها الثقيلة، ومن تعهداتها التي كانت متورطة بها من قبل ملوك ألمانيا من أسلافه، وكان رئيس أساقفة تريف مريضاً منذ وقت طويل، إلى حد أنه ساد اعتقاد بأنه مات منذ أيام كثيرة مضت، وقام رئيس الأساقفة هذا بإرسال رسالة إلى الملك المذكور، أنه «مالم يقم ملك اسبانيا، حسبما وعد بشكل ايجابي، بالقدوم لمساعدته، أي مساعدة رئيس الأساقفة المذكور، ودوق برابانت، اللذان كانا متحالفين مع ملك اسبانيا، فإنهما سوف يقدمان من خلال تحالفهما الوثيق والمخلص، الطاعة له، بحكم كونه ملك ألمانيا».

وعلاوة على هذا قام سكان كثير من مدن ايطاليا، فقدموا اليد اليمنى للصداقة له، لأنهم كانوا قد تشوقوا كثيراً إلى وصوله، وإلى ترقيته إلى المقام الامبراطوري، وكان في الوقت نفسه برانكليون شيخ روما، يقوم بتدمير قلاع النبلاء الرومان، ويتولى سجن أصحابها، كما أنه شنق أو

شـوّه عدداً من أقـرباء الكرادلة ونسبـائهم، ولم يعمل بذلك مخالفـاً بأي شكل من الأشكال لرغبات الشعب الروماني وخططه، وكان هذا الشيخ له حظوة لدى الأمير مـانفـرد، الذي كـان يتطلع نحـو الامبراطورية، ونتيجـة لذلك كرهـا معاً ملك ألمانيـا، ووضعـا خططاً لمعارضتـه، ولهذا السبب بالذات، فإن البـابا الذي كـره الشيخ والأمير مـانفـرد، أظهـر الحظوة نحو ملك ألمانيا المتقدم الذكر.

كيف حصل رئيس رهبان دير رامسي على إمتياز إقامة السوق في القديسة إيف

وفي هذا العـام نفسه أيضـاً، استردت كنيسـة رامسي حقها وامتيـازها الكامل في سوق القديسة ايف، وجاء ذلك بوساطة براعة الادارة لرالف رئيس رهبان رامسي، وكـان هذا الامتياز قد حصلت عليه بمثـابة أعطية من الملك ادغار Edgar، جـرى تثبيتها من قبـل الملوك القدمـاء الآخرين، كما أن هذا التملـك له قد تثبت وتمتن بموجـب كتابة أصيلة، صدرت عن القديـس توماس الشهيد —رئيس أساقفـة كانتربري، ولقد قيل بأن رئيس الرهبـان رالف المذكـور قد دفـع خمسمائة مـارك فضي في سبيل استرداد امتيـاز ذلك السوق المذكـور، وهو امتياز كـان قد ضـاع، ليس بسبب خطيئة الكنيسـة المذكـورة، بل بسبب الاعتراضـات التافهـة لبعض الآخـريـن، وهي اعتراضـات وضح لكثيرين أنها كـانت زائفـة وبلاأسس.

وفاة رتشارد رئيس رهبان دير ويستمنستر

في الثامن عشر من تموز، في هذا العام، مات، قرب وينكستر، رتشارد رئيس رهبان دير ويستمنستر، وكـان رجلاً وسيماً في مظهـره، وفصيحاً، وعـالي المعرفـة بنوعي الشرائع اللاهوتيـة والمدنيـة، كما أنه كـان صديقـاً خاصـاً بالملك، ولذلك تحمل عن طواعية في خدمتـه كثيراً من المتاعب،

وأنفق الكثير من الأموال، في كل من القارة والوطن، وقد تمكن رتشارد المذكـور، بوساطة حكمتـه العظيمة، التي تميـز بها كثيراً، تمكن من زيادة أمـلاك الدير بـاثني هايد Hide من الأرض، كما حصل على كثير من الامتيازات لصالح الدير، ولكن بما أن الفضائل تمتزج بالعادة ببعض الشرور، وضع رتشـارد هـذا المذكـور ختمـه مع ختـم ديره على وثيقـة كتبت من قبل الملك، حتى يقـوم رؤساءالرهبان الآخـرون الذين وردت أسماءهم فيها بوضع أختـامهم عليها أيضاً بسهولة أكثـر وبجرأة أعظم، وكانت هذه الوثيقة قـد كتبت في ذلك الوقت لاقناع بعض كبار رؤساء الرهبان في انكلترا ليرهنوا أنفسهم لصـالح الملك، لدى بعض التجار في القارة، في سبيل دفع مبلغ كبير من المال، بناء على وعد بإعطاء ضمانة إلى رؤساء الرهبان المذكورين ولخلفـائه، من أجل دفع المال المذكور وسداده من قبل الملك، والحفاظ على كنائسهم مؤمنة، ولكن بما أنه لم تتوفر الثقة بهذا الوعد، جـاءت موافقتـه لوحده من دون مسـوغ، لأن جميع رؤساء الرهبان الآخـرين قاوموها بالاجماع وبنشـاط، مضيفين —بوساطة إلهام لاهوتي— أن مثل هذا الالتـزام إذا ما تمّ الأخـذ به من قبلهم والشروع به، فإن البقيـة سـوف يحذون حـذوه، وحمل جسـد رتشـارد المتـوفى إلى ويستمنستر ودفن بتشريف في كنيسته الديرية هناك.

كيف مات فيليب رئيس الرهبان المنتخب لدير ويستمنستر قبل تثبيت انتخابه

وجرى انتخـاب فيليب مقدم الرهبان في الدير المذكـور ليكون رئيساً للرهبان هناك، لكنه عندما سمع بانتخـابه عبر عن معارضته الشديدة في إعطاء مـوافقته، وذلك من خـلال الخوف من المرسوم البـابوي الأعظم ظلماً، الذي أرغم كل صـاحب منصـب ديني على الذهاب شخصيـاً إلى رومـا، لأنه كـان يفضل ويـرى أنه من الأحسن له الرفض، للبقـاء في الوطن يمارس طريقته السالفة في الحياة، وقد آثر ذلك على تعريض نفسه

لمثل تلك المخاطر في سبيل منصب دنيوي، ولكن بما أنه تم التغلب عليه من قبل اخوانه الرهبان بكثرة إلحاحاتهم، ثم بما أنه قد جرى انتخابه بشكل شرعي من قبل الجماعة كلها، وافق على رغباتهم، على شرط هو أن يرسلوا بعض الأشخاص الآخرين إلى البلاط للحصول على التثبيت لانتخابه، وبناء عليه سافر بعض من أعلى الرهبان مكانة في سبيل تحقيق هذا المقصد، وترافعوا بأكثر الأسباب قوة وعللوا عدم حضور رئيس الرهبان المنتخب، وبعد كثير من المصاعب، بسبب معارضة الكرادلة، حصلوا أخيراً على المعروف المطلوب، لكن ذلك جاء من خلال دفع مبلغ كبير من المال، وعندما كانوا على طريقهم عائدين، بعد تسويتهم لأعمالهم بصعوبة كبيرة، وصلتهم أخبار بأن رئيس رهبانهم المنتخب قد مات للتو، وأن آخر جرى تعيينه في مكانه بأقصى سرعة ممكنة، ولذلك استأنفوا وهم حزينين كثيراً مهمتهم الماضية بالسفر إلى بلاط روما.

انتخاب غودفري دي كاينتون رئيساً لأساقفة يورك

وفي الوقت نفسه، اجتمع الكهنة النظاميون في يورك وانتخبوا عميدهم المعلم غودفري أوف كاينتون Kineton رئيساً لأساقفة يورك، وقد ذهب بشخصه إلى بلاط روما، وبعد كثير من المصاعب والنفقات أنهى أعماله نهاية مرضية، وعاد إلى الوطن سالماً.

الموتان الذي تسببت به المجاعة بين الناس

وانتشرت في تلك الآونة نفسها مجاعة كبيرة ومميتة في البلاد، حتى أن مكيال القمح ارتفع ثمنه إلى خمسة عشر شلناً وأكثر، وكان ذلك في وقت كانت فيه البلاد قد انعدمت فيها الأموال، وهكذا كانت هناك أعداداً لاتحصى من الجثث ممددة في الشوارع، وما من أحد في الحقيقة كان بإمكانه أن يتذكر بأنه شاهد من قبل مثل هذا الشقاء وهذه المجاعة، مع أنه كان هناك كثيرون ممن شاهدوا الأسعار ترتفع أكثر مما كانت

عليه الآن، ومالم يتم جلب القمح من القارة للبيع، فإن الأغنياء سوف يكون بإمكانهم بصعوبة النجاة من الموت، وعلاوة على ذلك كانت جثث الموتى ملقاة فوق أكوام القمامة والأوساخ في الشوارع، وهي منتفخة ومهترئة، ولم يكن هناك أي واحد ليقوم بدفنهم، كما أن المواطنين لم يتجرأوا ولم يختاروا استقبال الموتى في بيوتهم، خوفاً من العدوى، وكانت أيضاً ندرة الأموال كبيرة جداً، حتى لو أن القمح بيع بسعر صغير للمكيال، بات من النادر وجود أي واحد يمكنه امتلاك الإمكانات لشرائه، لكن الرب لكونه رحيماً قدم العلاج بشكل سريع، حسبما تقدم الذكر أعلاه.

مغادرة إخوة الملك لأمه وسفرهم من إنكلترا

في ثمانية تحويل القديس بندكت، أي في الثامن عشر من تموز، قال إخوة الملك الذين تقدم ذكرهم وداعاً للانكليز، ثم قاموا بمغادرة انكلترا مصحوبين ببعض البواتيين الآخرين، وكان من بينهم وليم دي سينت هيرمس (الذي اعتاد على الوقوف إلى جانب الملك أثناء تناوله للطعام، مع منديل اصبع وكان يقطع اللحم له)، وأعداد كبيرة أخرى من الذين ظلموا المملكة كلها، ونهبوا ثرواتها، وخاصة نقودها، وأراح هؤلاء البواتيون أنفسهم أولاً في وينكستر، وبعد ذلك في بيت عائد للأسقف المنتخب لوينكستر في ساوثوورك Southwark في لندن، ولقد روي بأن كثيراً من نبلاء انكلترا قد تأثروا من السم هنا وهناك، وتبرهنت النتيجة أن ذلك كان حقيقة، ولدى وصولهم إلى شاطىء البحر، عهد بهم النبلاء الذي قادوهم إلى هناك عهدوا بهم إلى عناية إله البحر نبتون Neptune, وعند وصولهم إلى بولون Boulogne كتبوا إلى الملك الفرنسي لكي يسمح لهم بالسفر بأمان خلال بلاده، أو أن يقيموا هناك لبعض الوقت، وفقاً لامتياز فرنسي قديم ولعرف موجود، كما طلبوا اذناً للأسقف المنتخب لوينكستر

بالبقاء بعض الوقت في باريس بمثابة باحث، لكن الملك الفرنسي رفض، لأنه كان غاضباً، بسبب الشكاوى التي عملتها ملكة انكلترا، وأضاف الملك بأنهم قد طردوا من انكلترا «بشكل مهين بسبب جرائمهم».

وعندما سمع بهذا هنري ابن ايرل ليستر، قام فجأة بعبور القنال لمهاجمتهم، وفعل ذلك إما من دون علم أبيه، أو ضد ارادته، أو ربما كان ذلك برضاه، ولدى وصوله إلى هناك التقى بعدد من الأصدقاء، الذين كانوا صدوراً عن احترامهم لأبيه ولتعاطفهم معه، كانوا جاهزين للانتقام للأضرار التي لحقت به، لأنه تحدث كيف أن وليم دي بلنسية، قام معتمداً على حظوة ملك انكلترا، وتأييد اخوانه الآخرين الذين كانوا حضوراً، فتجاوز جميع الحدود بشتائمه في بارلمان لندن، واتهم أبيه بالكذب بشكل معلن، وفعل ذلك ضد الايرل وسماه خائناً قديماً، الأمر الذي أدهش كثيراً من سكان القارة حيث عجبوا كيف قام أناس أدنى نبالة منه، وأكثر قرابة أيضاً من الملك، فرغبوا أو تجرأوا على تقريع أو تشويه سمعة مثل ذلك النبيل في مكانته السامية، وذلك سواء بالقول أو بالفعل، ذلك أنه نبيل الأصل، وواحداً من أعظم النبلاء جميعاً وأعلاهم مكانة سواء في داخل الوطن أم في القارة، وعلاوة على ذلك، إنه لم يكن لائقاً، كما أنه كان من الصعب التصديق بأن رجالاً مرتبطين بالملكية يمكنهم التفوه بمثل تلك الكلمات المهينة.

وبناء عليه لدى سماع أصدقاء الايرل بالحقيقة ومعرفتهم بها، استعدوا للالتحاق بجون في حملته على البواتيين، وعندما عرف البواتيون صورة الأوضاع، انسحبوا بصورة سرية إلى بولون، لكن مطارديهم أداموا مراقبة المكان من جميع الجهات، من البحر ومن البر، وهكذا قاموا بتطويقهم، وجردوهم من جميع وسائل النجاة، وكانوا الآن أحراراً في انهاكهم وازعاجهم حسبما يستحقون.

كيف اعترض قسطلان دوفر مبلغاً كبيراً من المال وصادره

قام رتشارد غري Gray, الذي كان رجلاً شجاعاً ومخلصاً، والذي كان أيضاً قد جرى تعيينه قسطلاناً لدوفر، لصالح البارونات، بفحص جميع الأشخاص الذين عبروا أو أرادوا العبور من خلال ذلك المكان بكل دقة، وأثناء فحصه الدقيق لكل ما كان ينقل إلى هناك، وقف في حوالي هذا الوقت على مبلغ كبير من المال، كان سينقل سراً من هناك من قبل البواتيين المذكورين، وقد استولى عليه كله واحتفظ به في القلعة، وفي الهيكل الجديد في لندن، جرى أيضاً الاستيلاء على مبلغ كبير، وصل إلى حجم أنه أثار الدهشة العظيمة للذين سمعوا به، وكان مخفياً هناك من قبل البواتيين المذكورين، مع أن فرسان الاسبتارية حاولوا أن ينكروا ذلك، وجرى الاستحواذ على المال، ليجري انفاقه بشكل نافع، تحت اشراف كل من الملك والبارونات، من أجل منفعة المملكة.

رغبة الويلزيين في تقديم اعتذار مذل إلى ملك إنكلترا

وفي هذه الآونة نفسها تقدم الويلزيون، الذين تشاجروا مع ملك انكلترا وحصلوا على سمعة سيئة لديه، بعروض سلام مشرفة، وأعلنوا عن أنفسهم أنهم جاهزين لتبرئة أنفسهم في محكمة قضائية، من جميع التهم التي وجهت ضدهم، وكذلك من تهم القتل والنهب والسلب.

كيف قبل اللندنيون بالمشاركة بقرارات البارونات

وجرى في عيد القديسة مريم المجدلية إرسال رسل خاصين إلى لندن، وذلك من قبل جماعة انكلترا كلها، وهناك دعوا المواطنين الذين كانوا معينين بمثابة بارونات للاجتماع في الغيلدهول Guildhall, وكان السؤال الذي عرض عليهم، عما إذا كانوا باخلاص سوف يقبلون بالمشاركة بقرارات البارونات، وإذا ما كانوا سيلتحقون بثبات بقضيتهم، وتقديم مساعدة فعالة إليهم في الوقوف ضد خصومهم، وعلى هذا

قدمـوا جميعاً الموافقـة عن طيب خاطر، وكتبوا صكـاً بتأكيد هذا الشيء، وختمـــوه بالختم العـــام للمـدينـة، لكنهم لم يكن بنيتهم الإعـــلان عن القـــرارات التي اتخذت، بسبـب مـــرض ايرل غلوستر، الـذي نشأ عن بعض السم، الذي دس إليه، وذلك حسبما قيل بشكل عـام، هذا وكانوا قد أملوا بأنه سوف يتعافى من مرضه لأن مايشبه الدماء خرج من البثور الكثيرة التي ظهـــرت على جســده، وعلى شعـره، وعلى أظـافـره، كما أن جلده قد تسـاقط، وتساقطت أيضاً أسنانه، وهكذا حلق وتطهـر، وعهد به للعناية وللمعالجة الطبية للمعلم جـون أوف سينت جايل، الذي كان راهباً من طائفة الدومينيكان، وهو الذي كـان قد عالج من قبل روبرت أسقف لنكولن، وشفاه من مرض مماثل.

كيف جرى تسميم عدد من النبلاء في إنكلترا

وبدأ الآن كثير من نبـلاء انكلترا الذين جرى سمهم في الوقت نفســه —كما قيل— من قبل البـواتيين، يتـــلاشـون في أنفسهم، وفـارقـوا هذه الحياة، في حين بقي آخرون يتأرجحون بين الحياة والموت، وكان بعضهم علمانيين ذوي مـراتب وسلطة، وكـان آخرون رجـالاً نبـلاء ومتعلمين، وليس واضحاً بعـد للانكليز فيما إذا كان البواتيون قـد دسوا لهم السم، لأنهم اعتقدوا بأن هذا المرض ربما قـد صدر عن مصيبة أخـرى، وأظهر نفســه بشكل واضح، وكـــان هناك، عـــلاوة على ذلك، بعض الأشرار الذين يدسون السم، الذين خلفهم البواتيون، وكانوا متورطين في بعض الخطط الشريرة، وأعمال التآمـر ضد النبلاء، ونتيجة لذلك شعـر النبلاء بالريبة وتشككوا بمتعهدي الأطعمة، والطباخين، والسقاة، وخشيوا من أن يكونوا قد ارتشوا لاقتراف جرائم مماثلة ضد سادتهم.

عدم استقرار فولك أسقف لندن

أثناء وقـوع هذه الأمـور الصعبـــة والمهمـة، وخـلال هذه الترتيبـات الجديدة والسعيـدة جـداً لمسـائل المملكة، كـان فـولك أسقف لندن غير

متوائم بالمرة، وكسول وفاتر الهمة، وبسلوكه على هذه الصورة آذى سمعته الجيدة وزاد من ذلك، بسبب أنه رفع شأنه بسبب أصله، أكثر من البقية، وبما أن آمال البارونات قد رست عليه، فإن سلوكه قد أغضبهم، لأنهم اعتمدوا عليه لتسويغ الملك مع الناس.

الكلام القاسي للملك الذي وجهه إلى إيرل ليستر

وتزايدت مخاوف البارونات وقلقهم بالقدوم إلى شهر تموز، مع وبائه المفترس، واشتداد انتشار أمراضه، الأمر الذي يثير الهواء الساكن، والذي أخافهم أكثر من أي شيء آخر هو تفاهة الملك وتقلباته غير المنضبطة، الأمر الذي اكتشفوه وتأكدوا من وجوده من الكلام التالي الذي تفوه به، ففي أحد الأيام كان قد غادر قصره في ويستمنستر، وصعد ظهر أحد المراكب ليتناول غداءه، وليتمتع برحلة فوق نهر التيمس، ووقتها أصبحت السماء غائمة، وجاءت عاصفة مترافقة بالبرق وبمطر ثقيل، والملك الذي ارتعب من العاصفة من هذا النوع أكثر من أي شيء آخر، أصدر أوامره بالرسو به على الفور، وكان المركب آنذاك مقابل القصر الفخم لأسقف درم، حيث كان ايرل ليستر مقيماً آنذاك، وعندما عرف الايرل بوصول الملك، ذهب مسروراً لاستقباله، وفي سبيل تهدئته قال له: «مم أنت خائف، لقد ذهبت العاصفة الآن وزالت»، وعلى هذا الكلام ردّ عليه الملك ليس مازحاً، بل جاداً كل الجد قائلاً: «إنني أخاف من الرعد ومن البرق بدون قياس، ولكن بحق رأس الرب، إنني أخاف منك أكثر من جميع الرعد والبرق في العالم»، وردّ عليه الايرل بلطف قائلاً: «هذا غير عدل وغير معتمد يامولاي، بأن تخافني، وأنا صديقك الثابت، فأنا دوماً مخلص لك ولذويك ولمملكة انكلترا، والذي عليك بالحري هو أن تخاف من أعدائك، ومن المدمرين لك، والذين يتملقون لك زيفاً ورياء»، وتوجس كل واحد بأن هذه الكلمات قد خرجت متفجرة من الملك، لأن ايرل ليستر قد أصر

على قرار ارغام الملك على القبول بالقرارات التي اتخذت، وكذلك ارغام جميع الذين وقفوا ضدها، ليحولوا دون الوقوف إلى جانب خططهم، ودون الطرد الكلي لإخوته، الذين تسببوا بإفساد المملكة كلها.

العثور إثر وفاة برنارد على صندوق مليء بالأوراق البيضاء مختومة بالختم البابوي العظيم

وفي حوالي هذا الوقت نفسه مات المعلم برنارد دي نيمفا Nym-pha فجأة، وكان من أهالي ضواحي روما، وكان رجلاً بارعاً وغنياً، وعمل كاتباً لدى رتشارد ايرل أوف كورنوول، واستخرج المال من الصليبيين بحجج مريبة، وعثر بين مقتنياته على صندوق مليء بأوراق مختومة بالختم البابوي العظيم، وهي أوراق كان من الممكن ملئها حسب الرغبة، واستخدامها في أي مجال سيء، مثل استخراج المال بطريقة فاسدة قائمة على الغش، من الفقراء، وكأن ذلك بوساطة سلطات البابا وتفويضه.

اجتماع أساقفة إنكلترا في أكسفورد

وحوالي الوقت نفسه، وجهت الدعوة إلى أساقفة انكلترا بشكل عام للاجتماع في اكسفورد، من أجل القيام بتطوير وإصلاح أحوال الكنيسة الانكليزية المترنحة، والتي دفعت بطرق مضاعفة كثيرة إلى هنا وهناك، وباتت مهددة بخطر السقوط كلها مع بعضها، وقدم إلى ذلك المكان أربعة أساقفة، قد جرت انابتهم هناك من أجل قصد معين، وهؤلاء هم أساقفة: نورويك، وشيكستر، واثنين آخرين، أنا لم أتذكر اسميهما، ودعا هؤلاء الأساقفة جميع رؤساء الرهبان المعفيين مع آخرين من الطوائف الأخرى، أو حماتهم الأقوياء، لأنهم رغبوا في أن يعرفوا فيما إذا كانوا سيقبلون بالمشاركة بمبادئهم وقراراتهم، وهل سيقف الأساقفة إلى جانبهم ويتحدوا معهم في تأييد الشيء نفسه والدفاع عنه، ولكن بما أن

بعض الأساقفة كانوا غياباً لسبب أو لآخر، ولأن بعضهم قد ترددوا في إعطاء موافقتهم، لم يتمكنوا من تقديم جواب ايجابي آنذاك، ولذلك غادروا جميعاً، تاركين الأعمال دونما انتهاء، وقد جرى تقديم المبادىء في كتاب Additaments.

العثور على السم

بعد مضي وقت قصير، انتشر تقرير، وعملت شكاوي، بأن سماً قاتلاً قد دسّ إلى أناسٍ متنوعين في انكلترا، وبشكل خاص إلى النبلاء، وأن مؤثراته كانت آخذه بالانتشار في مختلف الاتجاهات بصورة محزنة، وبرهنت نتيجة الأحداث التي ورد ذكرها أعلاه، على الفور بأن هذه كانت حقيقية، لأنه تمّ العثور في بعض الأماكن السرية كثيراً، على بعض الجرار التي يطلق عليها بشكل عام اسم Cortrells, وجرى فتح مغاليقهم بصعوبة كبيرة، وقد وجدوا فيهم، وفقاً لتقرير عام، سائل أزرق، وكان سماً مميتاً، وهو قد عرض على بعض الكلاب الجائعة، فرفضت تذوقه، ولكن عندما جرى مزجه مع أطعمتهم الأخرى، وقدم إليهم، تناولوه فماتوا على الفور، وقد قيل بأن هذه كانت مؤامرة من الأجانب لتسبيب الموت إلى الانكليز.

وحشية الأسقف المنتخب لوينكستر نحو واحد من الكهنة

ولقد حدث، قبل وقت قصير مضى، أن قام جون فتز— غيوفري، الذي كان المسؤول عن العدالة في ايرلندا، وكان مشهوراً بأصله النبيل، وغنياً، وقوياً، بإعطاء كنيسة إلى واحد من كهنته، ولدى سماع الأسقف المنتخب لوينكستر بهذا، ادعى أنه يمتلك حق الاشراف على الكنيسة نفسها، وأمر وهو في حالة غضب شديد بطرد الكاهن المذكور منها، وأنه إذا ماأبدى أية معارضة، بأن يجري سحبه منها بإهانة وقوة، وأن يرمى به في أي مكان قذر.

وبناء عليه قام وكلاء الأسقف المنتخب المذكور، بطرده من الكنيسة بوحشية كبيرة، ولأنه عبر عن دهشته ضد تصرفاتهم، أظهروا صفاقتهم ضده، إلى حد أنهم أرادوا قتله، وأهانوه، وضربوه، وجرحوا بعضاً من خدمه، وطردوهم من بيوتهم، ونهبوا الكنيسة، وتمت معاملة بعض خدم الكاهن المذكور بصورة لاإنسانية بشعة، إلى حد أنهم انهاروا وماتوا خلال أيام قصيرة، ونقلت أخبار هذه الفعلة الشنيعة إلى الحبر الروماني من قبل بعض البارونات، وعندما سمع رجل العدالة المتقدم ذكره بها، غضب بشكل محق، وتقدم بشكوى إلى الملك، الذي تصرف حسبما كانت عادته، فحاول أن يلطف خطيئة الأسقف المنتخب، وحث الفئة المتشكية على عدم فضح الأسقف المنتخب، باتهامه بمثل ذلك الذنب الكبير، وبعدم اتخاذ أي اجراء قضائي ضده، ولذلك عبر جون المتقدم ذكره بالقضية وتجاوزها صامتاً، وانتظر وقتاً أكثر مواءمة للانتقام، وعندما وجد في الوقت الحالي، أن جبروت البو اتيين قد انهار، جدد شكواه، واتهم واحداً من البواتيين، كان خادماً للأسقف المنتخب المذكور لوينكستر، باقتراف الجريمة الكبرى، والأسقف المنتخب نفسه، بأنه هو الذي أمره باقتراف الجريمة.

نقاهة إيرل غلوستر

ووجد ايرل غلوستر —الذي كان مقيماً في سننغ Sunning, وهومكان قرب ردنغ نفسه— وقد أخذ بالتحسن بعض الشيء في صحته، ومع ذلك لم يتجرأ، بسبب خبث مرضه، أن يزعج نفسه، خشية من أن يستعيد شدته ثانية، ذلك أنه كان يعاني من الآلام في الداخل والخارج، داخلياً بسبب موت أخيه و. W, الذي بسبب فقدانه حزنت انكلترا كلها، وخارجياً، مع أنه كان ناقهاً، كان قد تشوه بشكل مخيف، حيث فقد شعره، وكذلك بشرته، في حين باتت أسنانه وأظافره وضيعة وشاحبة، وتهدد بالسقوط منه.

كيف دمر الشيخ برانكليون حصون بعض قطاع الطرق

ووجد في هذا العام أيضاً الشيخ الروماني برانكليون أن وقاحة النبلاء الرومـان وتجبرهم أمر لايمكن قمعه إلاّ بطريقة واحدة هي تدمير قلاعهم، التي كانت بالواقع مكاناً للاختباء لرجال العصابات وقطاع الطرق، ولذلك تولى تدمير حوالي مائة وأربعين من قلاع النبلاء المذكورين، وأمر أن تجتث إلى الأرض، وهكذا أمكن استرداد السلام والهدوء بشكل كامل، وبذلك تفرق قطاع الطرق الذين يسمونهم Birri ومعهم جميع الآثمين والجناة، في كل من روما نفسها والمناطق المحيطة بها.

الشكاوي التي رفعت ضدّ البواتيين

وأرسلت التعليمات إلى كثيرين ممن تعرضوا للأذى بشكل مهين وللأضرار والاعتداءات من قبل البواتيين الذين تقدم ذكرهم، للتقدم بشكاويهم حول القضايا المتعلقة بهم، مع إعطاء براهين حول الأضرار التي لحقت بهم على أيدي إخوة الملك المذكورين، وتم التأكيد لهم أنهم إذا ماعرضوا شكاويهم مؤيدة ببراهين جيدة، وتابعوها بإصرار، فإن كل تعويض سوف يقدم إليهم، وفقاً لما تمليه العدالة، ولكن بما أن موسم الحصاد بات وشيكاً، ورأوا أنه من غير الموائم متابعة مثل هذه الإجراءات، ولربما ستكون متاعبهم واضطراباتهم، بعد كل شيء، من دون هدف ومحصلة، لذلك رفضوا متابعة شكاويهم، إلى أن يروا مناسبة أفضل.

كيف سمح للبواتيين بالعودة إلى الوطن من خلال فرنسا

وبما أن إخوة الملك المتقدم ذكرهم كانوا محاصرين ومضيق عليهم في بولون، حسبما تقدم الذكر أعلاه، بعثوا رسولاً موثوقاً إلى ملك فرنسا، ورجوه بتواضع، بأن لايتخلى عن الذين فروا للالتجاء إلى صدر حمايته

أثناء اضطراباتهم، بل بالحري التعامل معهم وفقاً لامتياز مملكته (الذي ألزمها باستقبال من فرّ إليها وحمايته بسلام) بإرسال رسل سلام، وأدلاء من أجل رحلتهم، والسماح لهم بالمرور خلال مملكته، وهم على طريقهم إلى بواتو، وجرى قبول هذا الطلب عن طواعية من قبل ذلك الملك العظيم التقوى، وما من أحد يشك أن اظهار الرحمة نحو التعساء —مع أنهم لم يستحقوا ذلك— هو تمام الإحسان.

زيادة المجاعة بسبب دمار الموسم بالأمطار الثقيلة

وفي هذه الآونة أيضاً، أي في نهاية تموز وبداية آب، وبسبب عجز المواسم في هذا العام وكذلك في العام المنصرم، ازداد الشقاء، والعوز، وانتشرت المجاعة، حتى أن الذين اعتادوا على مساعدة الآخرين باتوا الآن بين الأشقياء الذين هلكوا من العوز، والذي أرعب الفئات الدنيا من المجتمع أكثر من النبلاء هو استمرار تساقط الأمطار الغزيرة، التي هددت بتدمير مواسمهم، التي كان الرب قد أعطاهم آمالاً حولها من قبل، وباختصار نقول كانت انكلترا سوف تسقط عجزاً بنفسها لولا أنها أعيدت إلى الحياة، بوصول بعض المراكب العائدة إلى التجار من القارة، حيث كانت محملة بالقمح والخبز للبيع، وقد جاءت من هولاندا وألمانيا، لكن بقي هناك أن كثيرين كانوا قد أنفقوا أموالهم كلها، قد ماتوا من الجوع والعوز، وكان من الممكن رؤية أشخاص من المراتب العليا، امتلكوا من قبل وفرة من جميع الأشياء، لكن جميع ثرواتهم قد أنفقت تماماً، لذلك أرغموا الآن على العيش على صدقات الآخرين، والتسول من باب إلى باب، وقد غلبهم الحياء، وكانت وجوههم شاحبة من الجوع ومن الحاجة إلى الراحة، ولتمضيتهم لياليهم من دون نوم، في أسى وفي نحيب، وفي أيام عيد صعود العذراء المباركة، عندما تمتلىء الاهراءات بالعادة بالحبوب السنوية، نادراً ماكانت هناك سنبلة واحدة ناضجة، ونظراً لازدياد تساقط الأمطار يومياً، كان العمال الأجراء

وقطعانهم يتكلفون نفقات عالية جداً، دون أن يستطيعوا مغادرة بيوتهم، أو القيام بأي عمل مفيد في الحقول، ونتيجة للظروف التي لم تكن معروفة من قبل، كانت مواسم القمح جاهزة في يوم عيد جميع القديسين للحصاد، لكنها كانت بلافائدة، وشبه تالفة، وحدث في بعض الأماكن أن كانت هناك بعض المزروعات صالحة للاستخدام بعض الشيء، ولذلك حصدت ونقلت، لكن في كثير من المناطق الأخرى تركت كلياً في الحقول لاستخدامها بمثابة سماد لإغناء التربة، وينبغي أن يكون معلوماً أيضاً، أن الأرض لو أنتجت في ذلك العام موسماً وافراً، لكان من الممكن انقاذ كل شيء، ولكانت وفرة المواسم كافية لمدة تقارب العامين حتى يمكن استهلاكها.

الإعلان عن صوم والمسيرة التي أعقبت ذلك في سبيل الحفاظ على المواسم

وبما أن جميع وسائل المواساة الإنسانية قد أخفقت، تمت العودة الآن إلى المواساة اللاهوتية، ولذلك تقرر في اجتماع عقد في مقر الهيئة الكهنوتية في كنيسة القديس ألبان، أنه ينبغي القيام بصوم عام ومهيب، ويتوجب الإعلان عن ذلك بين الناس، من قبل رؤساء الشمامسة في جميع الكنائس في تلك البلدة، وأن السكان عليهم جميعاً الاجتماع بتقوى عميقة في يوم عيد القديس أوسوولد Oswald, الذي يقع في التاسع من آب، وأنه ينبغي أن يتبع ذلك مسيرة يقوم بها رهبان الدير وهم حفاة، إلى كنيسة القديسة مريم في الحقول، ثم أن يقوموا هناك بالتقدم بالرجاء إلى الرب وإلى أمه حتى يتوليا رحمة الناس، ولكي يشفق الرب ويستجيب للأدعية، وبفضل وجود أمه هناك، فيعيد الأنواء إلى شكلها الطبيعي.

ولدى سماع شعب لندن بهذا، لاموا أنفسهم لتباطئهم، وتأثروا بهذا المثل الذي ضرب، ولذلك قرروا القيام بصوم عام، تم فرضه على

الطوائف الرهبانية وعلى مواطني وسكان المدينة، وأن على الناس من كلا الجنسين الالتزام بالندم والتوبة، والمشاركة بالمسيرات، وأن يتم تناوب ذلك بين بعضهم، وبين الكنائس، وأن يقدموا صلوات تقية مخلصة إلى الرب، بأن يحفظ ثمار الأرض، الأمر الذي أعطى أملاً به، بمنحهم موسماً هادئاً وموائماً، وذلك للسماح للناس بجمع حصادهم وحبوبهم ووضعها في الاهراءات، وذلك بوساطة ضبط تساقط الأمطار وايقافها، لأنهم قالوا: «نحن يمكن أن نتحمل بصبر أكبر اخفاق اللامرئي، أكثر من سحب المنفعة بعدما تقدم الوعد بها»، وجرى تنفيذ هذه القرارات عن طواعية وباخلاص وتقوى، ومالبثت النتائج أن تبرهنت على الفور أنها فعالة، ذلك أنه خلال وقت قصير، حدث بوساطة تدخل تلك المحامية الأكثر قوة عنا [العذراء مريم]، والشهيد المبارك ألبان، مع القديسين الآخرين، أن توقف المناخ السيء الذي استمر طويلاً جداً، أو صار يأتي لماماً، ونزلت أسعار القمح منذ ذلك التاريخ، حتى بيعت الحبوب بنصف السعر الذي كانت تكلفه من قبل، لأن الصلوات الخالصة للناس، وماتبع ذلك من تغير في الأنواء، والمناخ قد وعدوا بموسم وافر سريع في كل من القمح والفواكه.

وفاة هنري ليكسنغتون أسقف لنكولن

في الثامن من آب مات هنري ليكسنغتون، أسقف لنكولن في نيتلنغتون Netlington وهي عزبة عائدة له قرب لنكولن، وقد دفن جسده، مع كل الاحترام المستحق في الكنيسة الكاتدرائية في لنكولن.

مغادرة هيرلوت مندوب البابا لإنكلترا

مع اقتراب حلول عيد صعود العذراء المجيدة، غادر هيرلوت مندوب البابا، انكلترا، وكان موثقاً ومستشاراً خاصاً للبابا، وجاء إلى

انكلترا مسلحاً بأعظم السلطات من البابا، ولكن عندما شاهد الأوضاع المضطربة للمملكة، قام بتعقل بالمغادرة بهدوء، حتى تهب رياح السلام والوحدة، وتكون الأوضاع أكثر مواءمة له.

مصادرة بعض الأموال العائدة للأسقف المنتخب لوينكستر

وفي الوقت نفسه تابع حاكم دوفر مراقبة يقظة على الساحل، وقام بتفتيش دقيق لجميع المسافرين،الذين وجد عدداً كبيراً منهم محملين بالنقود المحبوبة كثيراً، وكانت منقولة لصالح الأجانب، وخفف عن هؤلاء الأشخاص أحمالهم، حتى يمكن أن يسافروا بسهولة أكبر، وجرى في هذا الوقت بالذات العثور على ألف مارك، عائدة إلى الأسقف المنتخب لوينكستر، وكان قد أودعها في دوفر، وأعطيت هذه الأموال إلى أربعة فرسان، وقدمت إليهم نقداً، لتجهيز ماهو ضروري لرحلة، كانوا ربما سيقومون بها إلى روما، وذلك باسم الملك وباسم نبلاء انكلترا، ليترافعوا لصالح قضية البارونات، من دون أي خلاف أو تأخير، وليعلموا البابا بخبر العثور على أوراق بيضاء مختومة بالختم البابوي الكبير، في صندوق عائد إلى المعلم بيرارد دي نيمفا، وكان ذلك بعد وفاته، وليبرهنوا له في الوقت نفسه بوساطة هذه الأوراق البيضاء المختومة، وليروه البدع الكثيرة، والكثيرة المضاعفة، التي سعى الرومان بوساطتها لتلويث البلاد، وأخذ المندوبون معهم هذه الأشكال من الأوراق البيضاء المختومة بالختم البابوي الكبير، وقت اكتشافهم.

قلق ملك فرنسا من أجل إقامة سلام دائم مع إنكلترا

كان ملك فرنسا الأكثر تقوى، يدرس بنشاط الوسائل التي تمكن من إقامة سلام دائم بين مملكتي فرنسا وانكلترا، لأنه قال: «ينبغي بذل أعظم الجهود في سبيل تأسيس سلام ثابت ودائم بين أبنائي وأبناء ملك انكلترا، الذين هم أبناء خالة، والذين سوف يكونون بفضل الرب

ملوكاً، حتى لاتستمر المملكتان بقضم بعضهما بعضاً، بناء على إثارة عدو الجنس البشري، ولكي لايقوم السكان بتبادل أعمال النهب، وقتل بعضهم بعضاً، وبذلك سوف يقذفون في جهنم»، ولذلك أمر بجمع مبلغ كبير من المال، حتى يساعده على تنفيذ خططه التي أبدعها في عقله، واعداً رعاياه الفرنسيين بأنهم سوف يجنون منافع كبيرة من اسهاماتهم، ورجاهم أن لايغضبوا من التكليف القصير العمر، الذي منه سيحصلون على منافع دائمة للمستقبل.

تعيين أربعة فرسان في كل كونتية للبحث في مآسي الفئات الدنيا

وصدرت في هذه الآونة مذكرة عن الملك إلى كل كونتية، موجهة إلى أربعة فرسان يجري تعيينهم في كل كونتية، للقيام ببحث دقيق ومخلص في طبيعة المظالم وسماتها والمآسي التي عانت منها الفئات الدنيا على أيدي جيرانهم الأكثر قوة، وليتولوا الفحص بكل دقة والتمحيص في سبب كل شكوى وأذى، تسبب به أي واحد كان، وأنزل بأي واحد من الناس، وذلك لوقت طويل مضى، ولكي يجلبوا نتائج فحوصاتهم، مغلقة تحت أختامهم، حتى يعرضوها أمام البارونات في موعد جرى تحديده في تلك الرسائل، التي من الممكن الوقوف عليها في كتاب Additaments.

غضب الملك ضد فيليب لوفل
بسبب الأضرار التي لحقت بالغابات

ومع بداية أيام الحصاد من هذا العام، قام الملك بفحص دقيق في أوضاع غاباته في أحواز ستوني ستراتفورد Stony Stratford, وقد نمي إليه بأن فيليب لوفل الذي كان كاتباً ومستشاراً خاصاً به مع خازنه، قد تسببا بأضرار لاتعوض للغابات الملكية، وكان الملك في الحقيقة قد منحه بشكل حر وبكرم ملكي عدداً من الحيوانات للاحتفاظ

بها في حدائقه، ولاستخـدامات مائدته، غير أنه أساء استخـدام معروفه، وبلا حيـاء تجاوز العـدد المسمـوح بـه إليـه، فـوصـل إلى درجـة عشرة أضعاف، كما أفاد التقرير.

وغضب الملك غضباً شديداً تجاه هـذا، وقام بفحص داخل الغابات، فـوجـدهم فـارغين من الحيـوانات، وأخبر —كما ذكـرنا أعـلاه— بأن فيليب لوفل كـان السبب في هذا، فأمسكه بقسـوة من ذراعـه قـائـلاً: «فيليب، بحق رأس الرب، إنني أعتقلك بحكم كـونك الأكثر انحطاطاً بين رعيتي»، وكان فيليـب راغباً في تهدئة غضب الملك، لـذلك رد عليه بلطف واعتـدال وتذلل قـائـلاً: «مـولاي الملك، الذي أنا خـدمتك باخـلاص لبعض الوقت في بيت مـالك، هناك عدد كبير من المسـؤولين عن الغـابات، وبشكـل خـاص في ويتلوود Whittelewood, الذين مارسوا الطغيان ضـد أتباعهم من سكان الريف، والذين حولتهم جـرائمهم إلى أنـاس لايمكن تصـديقهم، وذلك حسبما يمكـن لرئيس رهبـان ورهبـان دير بيكل Beccles أن يبرهنوا، ولذلك —إذا تفضلت— لاتصـغ بسرعـة لـلإفـادات السريـة والخفيـة لمثـل هؤلاء المتهمين، لأنهم يسعون إلى تشويه سمعة الملك، حتى يمتلك أعداءه سبباً للقول: ينتهي الملك، مثل الشيطان باعتقـال وتدمير الذين خدموه، حتى أن ذلك طال الذيـن خـدمـوه على أحسن مـايرام في وظائفهم»، وأثير الملك أكثـر بهذا الكـلام، وأمـر بإيداع فيليب في سجـن المارشـال، وهو يقـول بصوت مـرتفع: «بما أنني رفعت من شأنك مع آخـرين، وبفضل مني عينتك في وظائف عـالية ومـربحة، ولذلك توجب عليك خـدمتي بدقـة أكثر وباخـلاص أعظم، ولهذا إنك تستحق أن تعاقب بشـدة أكبر لأخطائك وآثامك»، وهذه الكلمات نفسها قد اعتاد أن يستخدمها مراراً ويقـولها إلى روبرت باسليف، عندمـا أخـذ ذلك الشخص بالتمـرد على سلطتـه، قبل بضع سنوات خلت، لكن فيليـب، الذي كـان قـد عمل

أعمالاً صالحة لكثير من الناس، لم يكن من دون أصدقاء، ولدى عثوره على بعض الأشخاص من ذوي المراتب العليا كفلاء له حتى يستطيع اثبات براءته، أطلق سراحه لبعض الوقت، وذلك إلى أن يتمكن كما أمل بأن يتم اطلاق سراحه تماماً.

إلقاء عمدة نورثأمبتون في السجن

اقتفى عمدة نورثأمبتون طريق سلفه، وليم دي لآيل، الذي كان عمدة قبله، وقلده حيث أثير بالشره، فألحق الأذى بعدد من الأشخاص الأبرياء، وعملت شكاوي حول سلوكه إلى هوغ بيغود، المسؤول الرئيسي عن العدالة، فوجده مجرماً باقتراف عدد من أفاعيل الأذى والظلم، ومع اقتراب حلول ميلاد مريم المباركة، اعتقل، وأودع في سجن مضيق عليه، وقد نجا بذلك بصعوبة بحياته.

وفاة روجر أوف ويكهام

وفي هذه الآونة مات روجر أوف ويكهام Wickham, وكان كاتباً خاصاً ومستشاراً للملك، وقد شغل منصب المسؤول عن العدالة، واستخدم غاية جهده لتقديم الترضية للملك بتنفيذ أوامره.

وفاة وليم أوف تارنتوم

ومات في هذه الآونة أيضاً وليم أوف تارنتوم Tarentum, وكان راهباً من طائفة رهبان السسترشيان، وكان ناظراً ونوعاً ما قهرماناً للملكة، وقد ضل هذا الرجل وابتعد كثيراً عن أحكام القديس بندكت، وكان مثاراً بشره لايعرف الاستقرار ولاالشبع، فقام إما ببيع أو برهن جميع الممتلكات والعزب لصالح الملكة، حيث زاد بذلك بشكل واسع ممتلكاتها، لكنه بزيادة خسائر الآخرين وتعريضهم للمخاطر، أساء إلى سمعته بشكل لايمكن تعويضه، ومع أن الرهبان، خاصة الذين كانوا من طائفته، وجه إليهم اللوم من أجل أخطاء وليم المذكور، وجرى

تقريعهم معه، وجلب هذا سوء السمعة للطائفة كلها، مع ذلك صنعت له الملكة الأعذار، ورخصت أغلاطه، وبذلك سمحت لذنوبه بالازدياد لسنين كثيرة.

كيف جرى إرسال رسل إلى البابا باسم جماعة إنكلترا

وجرى ارسال رسل خاصين إلى البابا باسم المملكة وجماعة انكلترا كلها، مع أوامر بتقديم رسائلهم على الفور، ومن ثم العودة بأقصى سرعة ممكنة، من دون انتظار أو اصغاء إلى أية مناقشات أو مباحثات، وكان واحداً من هؤلاء هو بطرس برانشي Branche, وكان رجلاً من أكثر الناس فصاحة وتقوى، وقد مات في باريس، مما نشر الذعر وسبب الحزن للبقية، غير أنهم تابعوا سفرهم، بتصميم على الاستمرار، وتحقيق غرض بعثتهم، وكل من يرغب في معرفة هدف رحلتهم، وأن يرى نسخة عن الوثيقة التي كتبت من قبل البارونات، يمكنه أن يجدها في كتاب Additaments.

الخيانة التي اقترفت ضد الويلزيين

وفي إحدى المناسبات، عندما كان الانكليز عاقدين لمراهنات سلمية مع الويلزيين، وجدوا أن فئتهم أكثر عدداً وأعظم قوة من الويلزيين، فقال واحد من الفرسان الانكليز لباتريك، الذي كان مقدمهم: «مولاي باتريك، إنك بارون عالي المقام لدى الملك، وأنت مقدمنا اللامع والمحامي عنا، انظر لقد قام الرب، إله الحشود، والمنتقم، بوضع أعداءنا بين أيدينا، لأننا أقوى وأكثر عدداً من الويلزيين، دعنا نهاجمهم وهم غارين، وأن نرسلهم أسرى إلى مولانا الملك، الذي إليه هذا النصر سوف يكون مقبولاً كثيراً، لكن إذا لم تستجب لطلبي، سوف أتهمك بأنك خائن للملك»، وعندما سمع الانكليز بهذه الخطة المقترحة، ولاسيما رجال الحدود، الذين نسميهم رجال التخوم، انقضوا فجأة على

الويلزيين، وهكذا قتلوا بشكل خياني كثيرين منهم، ولكن بعد وقت قصير وقع ثقل المعركة على رجال التخوم هؤلاء أنفسهم، وسقط عدد كبير من هؤلاء الخونة قتلى بدورهم، وكان بينهم البارون باتريك المتقدم الذكر، أما الجبان الذي اقترح اقتراف هذه العملية الخيانية، فقد نجا خلسة من ميدان المعركة عندما كان الآخرون يقاتلون بحدة.

وكان قائد الويلزيين في هذا الصراع الدموي، داود، الأصغر بين ثلاثة إخوة، كانوا أبناء للويلين الكبير، الذي كان قد حاز على كثير من الانتصارات التي تستحق الذكر بشكل خاص، وقد قيل عنه الكثير من قبل في هذا الكتاب في الأماكن المناسبة، وكان هناك ابن آخر من أبناء للويلين، وكان اسمه أيضاً للويلين حاضراً في هذه المعركة، وتصرف بنفسه بشجاعة كبيرة ضد الانكليز، محتذياً حذو والده في كل سبيل، ومبرهناً عن نفسه أنه لم يكن ابناً متدنياً، وكان الابن الآخر، وهو الأكبر بين الثلاثة، محفوظاً في سجن مشدد عليه.

تكريس غودفري رئيساً لأساقفة يورك

وعند اقتراب حلول عيد الميلاد، جرى تكريس المعلم غودفري المتقدم ذكره في روما رئيساً لأساقفة يورك، حيث تبين إلى كل من البابا ولجميع الذين فحصوه أنه مناسب وشخص موافق لذلك المنصب، وبعدما أنهى بشكل موائم الأمور المتعلقة بكنيسته، عاد في الوقت المناسب ليتولى ادارتها وتسييرها.

رغبة رئيس أساقفة كانتربري في أداء بعض القداسات في كنيسة القديس ألبان

وكانت كنيسة لنكولن شاغرة في هذه الآونة، ولذلك أرسل رئيس أساقفة كانتربري رسالة إلى رئيس رهبان كنيسة القديس ألبان، اقترح فيها القدوم إلى هناك، وتقديم بعض القداسات (إذا كان ذلك موافقاً

عليـه من قبل رئيس الرهبان) في الكنيسـة الديرية هناك، ولدى وصـول هذا الخبر، بات رئيس الرهبـان مـذعـوراً، خشيـة أن يجري تجريد هذه الكنيسة من امتيـازاتها بأية طريقة من الطرق، وبعد القيـام بالمشاورات، قرر معارضـة رغبته، وبناء عليه جرى اخبار رئيس الأسـاقفة جواباً، أنه لن يستقبل للقيام بهذا بأي شكل من الأشكال، لأنه من الواضح أن دير كنيسـة القـديس ألبـان كـان منذ القـديم معفيـاً، الأمـر الذي ينبغي أن لايكون سراً بالنسبـة له، ولأنه كان في ذلك الوقت مستحـوذاً على ادارة كنيسة لنكولن، التـي كانت شاغـرة، كان من المعـروف بشكل جيد أنها مستثناة كليـاً وخـارج امتياز كنيسـة القـديس ألبـان، ولدى سماع رئيس الأساقفـة بهذا تخلى بهدوء، لأنه وجد أن متـابعة العمل في هـذه القضية سـوف يكون بلافـائـدة، ولذلك تولى اعطاء قـداسـات في دنستيبل Dunstable, وقـد طلب على كل حـال بأن يستقبل ضيفـاً في كنيسـة القديس ألبـان من باب الكرم، وبناء عليـه، جرى استقبـاله أثناء الذهاب وأثناء الاياب، بلطف واحترام، وتم تزويـده بوفرة من الطعـام عندما كان هناك، وبذلك كان راضياً تماماً، وتقدم بالشكر إليهم، وبارك في الوقت نفسـه كل من المضيفين والضيـافـة، وترك كنيستهم مع جميع ممتلكاتها دونما ازعاج، ودونما أذى.

انتخاب بندكت أوف غريفسند أسقفاً للنكولن

في يوم الاثنين التالي قبل عيد القـديس ميكائيل، جرى انتخاب المعلم بندكت أوف غـريفسند Gravesend, عميـد كنيسـة لنكولن أسقفاً لكنيسة لنكولن، وذلك بموافقة جميع الفرقاء، لأنه بدا لهم شخصاً جديراً بالثناء، وواحداً يبدو أنه لن يكون مهملاً لمصالح أي واحد يكون تحت سلطته.

تكريس كنيسة سالسبري

في اليوم التالي لعيد القديس ميكائيل، جرى تكريس كنيسة سالسبري Salisbury من قبل بونيفيس، رئيس أساقفة كانتربري، وكان ذلك بحضور الملك وكتلة عديدة من الأساقفة، وقام الأسقف بتأمين الضيافة لجميع الذين احتشدوا هناك أثناء القداس.

خلع فيليب لوفل من منصبه ومعه بعض الآخرين

في حوالي أيام عيد القديس لوقا الانجيلي في هذا العام، جرى طرد فيليب لوفل، خازن الملك من منصبه، بموجب قرار قضائي صدر عن البارونات، وبالنسبة للمنصب المتقدم الذكر تم تعيين جون دي كراشال Crachal, الذي كان رئيس شمامسة بدفورد Bedford, مكانه، ولم يحزن فيليب كثيراً لعزله شخصياً، وذلك بقدر ماحزن لسبب ذلك، ولسقوطه من منصبه العالي، فعرض على الملك مبلغاً كبيراً من المال في سبيل إعادة تأسيس اسمه الجيد، ولكي يكون صديقاً للملك، ولو من حيث المظهر على الأقل، ووفق الطريقة نفسها، وبموجب نصيحة من البارونات، وبشكل خاص من المسؤول الرئيسي عن العدالة، جرى صرف عدة آخرين من مناصبهم في بيت المال (الخزانة)، وتم تعيين آخرين محلهم، وجرى تعيين توماس وايموندهام Wy-mondham قائد جوقة المرتلين في كنيسة لشفيلد Lichfild خازناً لبيت المال، حيث يجري ختم المذكرات بالختم الأخضر.

كيف توبعت المراقبة والضبط لنهم العمد

وجرى ضبط نهم العمد بحكمة ولأسباب صالحة، لأن المرتزقة، قاموا متجاوزين كل الحدود، فمارسوا حتى الآن استخراج الهدايا من السكان، بأية وسيلة من الوسائل، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة، وزودوا بعضهم بعضاً بزيادة مزارعهم، وركبوا وتجولوا مع حواشي

كبيرة، وظلموا سكان الأرياف باستخراجاتهم، وبحجج تافهة ومن دون أسس صحيحة، وبناء عليه تقرر أنه إذا ماأقدم أي واحد من ذلك الحين فصاعداً، على تقديم هدية إليهم بشكل سري أو علني، أي إلى العمد، أو إلى أي واحد منهم، من أجل الحصول على العدالة، أو من أجل تعطيل مسيرة العدالة الحقة —مالم تكن مثل هذه الهدايا مكونة من كمية لطيفة من الطعام والشراب— فإن كلاً من الراشي والمرتشي ينبغي عقوبته بقسوة.

المندوبون الذين أرسلوا من إنكلترا إلى البارلمان الذي عقد في كامبري

في حوالي عيد القديس ليونارد، توصلت جماعة الفرسان التي كانت مجتمعة في لندن، إلى قرار قضى بإرسال مبعوثين خاصين إلى البارلمان السري الكبير، الذي تقرر عقده في كامبري Cambray بين ممالك: فرنسا، وانكلترا، وألمانيا، وبقي الملك، بناء على نصيحة البارونات، في انكلترا، في حين وقع الاختيار على من سوف يتابع الإجراءات هناك ممثلاً لملك انكلترا وللمملكة فكانوا: أسقفي ووركستر ولنكولن، وروجر بيغود— الايرل مارشال، وايرل ليستر، وقد عبر هؤلاء القنال من أجل هذه الغاية، لكنهم لم يستطيعوا إيصال الأمور إلى أية نتيجة، لأن الملك الفرنسي تغيب شخصياً عن عمد، بسبب غياب الملك الآخر.

تكريس بندكت أوف غريفسند أسقفاً على لنكولن

في يوم الأحد الذي جاء بعد عيد جميع القديسين، جرى تكريس أسقف لنكولن في كمبردج، وقام بعد ذلك مباشرة بعبور القنال، حسبما ذكرنا أعلاه، وذلك لصالح الملك، وبذلك غادر كنيسة لنكولن وتخلى عنها، مع أنه عمل أسقفاً لها، ولم يزرها لوقت طويل من الزمن بعد ذلك.

كيف طالبت جوانا زوجة وليم دي بلنسية ببائنتها

في حوالي الوقت نفسه، عندما كان الملك مايزال في لندن، قدمت إليه جوانا زوجة وليم دي بلنسية، وطالبت بإلحاح وسرعة، بحضور هوغ بيغود، المسؤول الأعلى عن العدالة، والبارونات، بمنحها العدالة، وأنه ينبغي أن يسمح لها ببائنتها العائدة إليها، وبعد مداولات وافية حول القضية، جرى منحها جزء من الأراضي التي كانت عائدة إليها قبل زواجها من وليم المتقدم ذكره، أي أن ماجرى منحه لها كان يساوي بالقيمة خمسائة مارك، وكان ذلك جزء من ميراثها، مع أن الأراضي التي تقدم ذكرها قدرت قيمتها بمبلغ يزيد على ألف مارك، وذلك أنهم خافوا من أنهم لو سمحوا بأكثر من ذلك، سوف ترسل الشطر الأكبر منه إلى زوجها، الذي كان عدواً معلناً للمملكة، ولم يرغبوا بأخذ كل شيء منها، خشية أن تتعرض امرأة بريئة للعقوبة بسبب ذنب إنسان آخر.

كيف جرى تتويج مانفرد ملكاً على أبوليا

وفي هذا الوقت نفسه أيضاً، بدأ البلاط الروماني يعاني من سوء السمعة، ووضح هذا في اقدام أساقفة أبوليا ونبلاؤها، على انتخاب مانفرد ابن الامبراطور فردريك، وتتويجه ملكاً عليهم، على الرغم من عدم موافقة البابا، وكان مانفرد مثله مثل أسرته كلها، نظر إليه نظرة تحدي من قبل البابا والبلاط الروماني كله، وفضلاً عن هذا تولى ملك أبوليا تعيين أساقفة ورؤساء أساقفة من دون أن يطلب موافقة البابا، وأحياناً جاء التعيين حتى ضد رغبته، وأظهر هؤلاء جميعاً بالاجماع، وعلى الرغم من تحريم البابا طاعة كبيرة للملك المذكور، وقدموا المزيد من التشريف والاحترام أكثر مما قدموه إلى البابا، ولم يقم النبلاء أيضاً بأي ذكر لادموند، ابن ملك انكلترا (الذي إليه أعطى البابا مملكة أبوليا وعينه عليها بوساطة خاتم سلمه إياه أسقف بولون) بل قدموا الولاء،

وأقسموا على الاخـلاص لمانفـرد هذا نفسـه، وأعطوه تملكاً كـامـلاً واستحواذاً لمدنهم ولقـلاعهم، ونتيجة لهذا اشتكى ملك انكلترا —وهو يمتلك سبباً منطقيـاً— إلى البابا، بأنه قام بـالتعاون مع الكرادلة، بشكل غير صحيح، وبحجج كلهـا دهاء ومكـر، فسحبـوا كثيراً من المال من مملكتـه، في سبيل الحصـول على مملكة أبوليـا، لكن ذلـك كله جـاء بلامحصلة وذهـب من دون فـائـدة، ومع هذا استقبـل هو —أي ملك انكلترا— بكل تشريـف رسل البـابا، الذين أرسلـوا إلى انكلترا، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الراهب جـون ديفا، والمعلم برنارد أوف سيينا، وأسقف بولون، ورئيس أساقفـة ميسينا، وعدد كبير آخر، الذين قـدموا نواباً من أجـل تسهيل أعمال ابنه ادمـونـد في قضيـة مملكة أبوليـا، وهو الذي سمح لهم باستخراج مبـالغ كبيرة من الطوائف الرهبانيـة، وعلاوة على ذلك، قام في الـوقت نفسه مواطنـو فلورنسا فدمـروا حتى الأرض إحـدى القلاع التي كـان الكاردينال أوكتـافيان قـد بناها، والتي كـانت هدفاً للريبة من قبلهم.

كيف جرى تعيين عم (خال) برانكليون شيخاً لروما

في يوم عيد القديسة سيشيليا Cecilia العذراء، الذي وقع يوم الجمعة، ذهب الملك إلى كنيسة القـديس ألبان، وبقي هناك الأيام الثلاثة المتـوالية، وفي يوم عيـد القديسـة كاترين، أمـر بحمل تمثال الشهيـدة في مسيرة مهيبـة حـول الـدير، حيث كـان رهبـان الدير قـد ارتدوا أفخـر الملابس، وسار هو ومعه حاشيتـه خلف المسيرة، بتقوى واحترام بتقديم هبات.

وعندما كان مقيماً هناك، وصل إليـه رسل أعلنوا له بأن وولتر كومين Comyn, الذي كـان أقوى ايرل في سكـوتلندا قد أذعن للمنيـة، فقد مات نتيجة السقوط من على فرسه، الذي كبا به فوق بعض العوائق على الطريق، وألقى به، وكسر رجليه، وجلبت إليه رسـالة أخرى أيضاً،

تعلن بأن جون فتز— غيوفري قد غادر طريق الجسد قرب غيلدفورد Guildford, وقبل أن يغادر الملك أمر بعمل قداس مهيب.

ووصلت إلى الملك أيضاً المزيد من المعلومات، أفادت بأن برانكليون المتقدم ذكره، الذي كان شيخ الرومان، قد أخذ من بيننا حسبما ذكرنا أعلاه، مما ألحق ضرراً كبيراً بمدينة روما، وأن عمه [خاله] جرى تعيينه عوضاً عنه.

عودة رئيس أساقفة يورك بعدما جرى تكريسه من قبل البابا

عندما غادر الملك كنيسة القديس ألبان، ذهب نحو إيلاي والقديس ادموند، وفي ذلك الوقت بالذات، وصل أيضاً رئيس أساقفة يورك إلى انكلترا من بلاد ماوراء الألب، وعند وصوله إلى لندن، أمر بحمل صليبه بشكل معلن أمامه خلال وسط المدينة، ثم إنه ذهب إلى الملك، حيث استقبل بالتشريف المناسب من قبله، وبعد ذلك انطلق نحو الشمال من انكلترا، وقد استقبل في رئاسة أسقفيته، بمثابة أب وراع للناس بفرح عظيم، وبعد ذلك بوقت قصير عيّن عميداً ليورك المعلم روجر أوف هولدرنس Holderness, الذي كان كاهناً في كنيسة القديس ألبان، وجاء ذلك بمثابة مكافأة على فضائله، ولأنه هو نفسه كان من أهالي منطقة القديس ألبان، وبمنحه لمنافعه درس بأن تكون المنح وفقاً للاستحقاق.

حرمان وإبعاد غي دي روشفورت

وفي هذه الآونة نفسها نال غي دي روشفورت Rochfort, الذي كان بواتياً من حيث الأصل، والذي كان الملك قد منحه منذ عامين مضيا قلعة كولشيستر Colchester بموجب صك مع المراتب الشرفية العائدة لها، نال غضب الملك والبارونات، وقد حكم عليه بالنفي مع المعاناة من مصادرة جميع ممتلكاته، وسبب ذلك هو أن

كثيراً من الشكاوي المكررة قـد عملت ضده، وأنه قـد ظلم كثيراً وآذى سكان المنطقة، خاصة الذين كانوا خاضعين له، ولكن حقيقة كونه بواتياً قد زادت من آثامه أكثر من أي من آثامه الأخرى.

الاتهام الذي عمل ضد وولتر أوف سكوتني الذي اختفى سراً

انسحب وولتر أوف سكوتني Scotenny, قهـرمـان ايرل غلوستر، وتغيب عن الايرل المذكور، وأخفى نفسه مع بعض أصدقـائه في بعض المناطق البعيـدة عن الأنظار، لأنـه اتهم أنه قـام بدناءة وبشكل خيـاني فـدس السم إلى مـولاه الايرل، وإلى أخيـه وليم، ومن تأثير هذا السم مـات وليم المذكـور، وتعـرضت حيـاة الايرل للخطر، وكسب الاتهام الذي أعلن ضـده المزيد من الوزن من حقيقـة أن وليم المتقـدم ذكره، عندمـا كان على وشك الموت، أعلن بأن وولتر سكـوتني المذكور كان مجرمـاً مداناً بذلك العمل الخيـاني، وكان هناك شيئاً واحداً مـؤكداً، هو أنه ما أن عمل تلك الافادة حتى مـات فجأة، وحدث على كل حال بعد مضي بعض الوقت أن عـرض وولتر المذكور القيام بتبرئـة نفسه من الجريمة التي عزيت إليه، علنياً وبشكل صحيح.

سجن وليم دي بوسي

وتمّ في هذا الوقت نفسـه اعتقال وليم دي بوسي، قهـرمان وليم دي بلنسيـة، وأكثـر الناس شروراً، وألقى به في سجن مضيق عليـه في قلعـة لندن، بسبب دناءته وجرائمه الظالمة وآثامه.

سفر جوانا زوجة وليم دي بلنسية

في أيام عيـد ميـلاد مـولانـا، عبرت زوجـة وليم دي بلنسيـة القنال، لتشارك زوجهـا في منفاه، وقـد حرضت على التصرف هكذا، إمـا لحبها له، ورغبة في أن تكون برفقته، أو غضباً منها لتوزيع أراضيها، حيث بدا

أنها تحولت إلى الفقر مع أنها تسلمت أربعمائة مارك(★).

الخلاف بين الباحثين في اكسفورد

وتفجر في هذه الآونة أيضاً خلاف جاد بين الباحثين في اكسفورد، الذين كانوا من مختلف البلدان، فقد كان بينهم أناس من سكوتلندا، ومن ويلز، وكذلك من جنوب انكلترا ومن شمالها، ووصل الخلاف إلى درجة (كان فيها مرعباً وحزيناً) أنهم عرضوا فيها أعلاماً متعادية، وقاتلت الفئات المختلفة بعضها بعضاً، وقتل أحدهم الآخر وجرحه بطرق متنوعة.

كيف رغب الويلزيون في إقامة سلام مع الملك

وفي العام نفسه أيضاً، لم يتقيد الويلزيون بانتصاراتهم المتوالية على خصومهم، وشرعوا بشكل حكيم يقدرون مستقبل الأحداث في عقولهم، وقاموا بالتشاور فيما بينهم وقالوا: «نحن نعلم بأن مملكة انكلترا في حالة اضطراب كبيرة، ولكن عندما يتأسس السلام، وهو عمل يحاول نبلاء البلاد تحقيقه، نحن لن نستطيع مقاومتهم، عندما ينقضون علينا وهم متحدين، ودعونا نقدر، فوق كل شيء، أن أخا للويلين، الابن الأكبر لمولانا غريفين، الذي مات في السجن في لندن، هو الآن موجود في السجن، وأنه إذا ماأطلق سراحه، سوف يثار للقيام بالانتقام، ولسوف يميل أخويه الآخرين: داود، وايدريك Edric نحو الشيء نفسه، ولسوف ننقسم، ونتعرض للدمار، وفي تلك الحالة اليائسة، إنه إذا ما هاجمنا الانكليز، سوف يطلبون من أيدينا حساباً عن دماء إخوانهم، ولسوف يقتلعوننا من على وجه الأرض، ولسوف يسحقوننا من دون عودة، مثل قطعة من الفخار»، وعلى هذا قاموا

(★) ذكر قبل قليل أن المبلغ كان خمسمائة.

بموافقة عامة فعرضوا على الملك أربعة آلاف مارك، وثلاثمائة إلى ادوارد، ومائتين إلى الملكة، على شرط أن يتم العفو عن جميع أسباب الخلاف، وأعمال العدوان، والصراع، من على الجانبين بصورة كاملة، وأنه ينبغي أن يسمح لهم بالتمتع بسلامهم المعتاد، وهدوئهم، وحريتهم، ولدى سماع الملك بهذه المقترحات اعتمد على النصائح الشريرة، فرد غاضباً حيث قال: «ماالذي يعنيه هذا إن رجلاً صالحاً واحداً هو أكثر قيمة من المبالغ التي عرضوها من أجل السلام المطلوب»، وهكذا بقي الطلب الذي عمله الويلزيون من أجل السلام من دون جواب، وقاموا هم —على كل حال— بالانتظار بهدوء وسلام، وهم يعلنون دوماً أنهم، حسبما كانت عادتهم دوماً —سوف يدافعون عن أنفسهم، وسوف يقاومون هجمات أعدائهم، ويدعمون قضيتهم، كرجال، إلى أقصى ماامتلكوه من قدرة.

عرض عام للأحداث خلال العام كلّه

كان هذا العام، خلاله كّله، لايشبه جميع الأعوام الماضية، فقد جلب المرض والموت، وعواصف ثقيلة من الريح والمطر، ومع أن لطف المناخ في الصيف وعد بموسم وافر من القمح، مع اعطاء وفرة بالفواكه، مع ذلك إن استمرار سقوط الأمطار الغزيرة أتلف القمح، والفواكه، وجميع الأنواع الاضافية، وفي بعض أجزاء انكلترا، حدث أنه مع قدوم عيد ميلاد ربنا، وحسبما ذكرنا أعلاه، أن الاهراءات بقيت فارغة، والقمح كان جاهزاً للحصاد، لكنه قد أتلف كلياً، وصحيح أن الحبوب المزروعة نمت وكسبت طولاً، فإن السنابل والسوق قد اهترأت مع بعضها، ولذلك مات الناس من الحاجة إلى القمح، وبناء عليه ماتت القطعان بسبب الحاجة إلى الأعلاف، ومع أن انكلترا كانت قد نزفت وصارت فارغة من المال بسبب حجج متنوعة، أجبر الناس بسبب ضغط الجوع على دفع ستة عشر شلناً، ثمناً لمكيال القمح، والقمح مايزال غضاً ونامياً

لم ينضج، ونتيجة لهذا تلاشى الفقير وهلك من الجوع، ومات، وابتعد الناس الذين كانوا يموتون وتخفوا في مناطق مختلفة، ليتخلوا عن آخر أنفاسهم التعيسة، ومن هؤلاء كانت هناك أعداداً كبيرة جداً، إلى حد أن الذين كانوا يحفرون القبور قد صرعهم الانهاك، وكانوا يلقون بعدة جثث في قبر واحد، أما بالنسبة للناس من الطبقة الوسطى، فإنهم عندما شاهدوا أنه لم يعد لديهم أطعمة، باعوا مواشيهم، وأنقصوا تعداد العاملين لديهم، وتركوا أراضيهم من دون زراعة، حيث أن جميع الآمال بالنهوض من هذه الهاوية، وهي الآمال التي كانت بالعادة تواسيهم، قد خمدت وزالت تماماً، ولولا أن القمح جلب من القارة، لهلكت انكلترا، من دن شك، بذاتها.

رؤيا إحدى النساء المقدسات

ظهرت في هذه الآونة رؤيا واضحة تماماً ومرعبة إلى ناسكة مقدسة في دير القديس ألبان، وقد تبرهنت هذه الرؤيا، حسبما تحدث رئيس شمامسة المكان، وذكر حقيقة، أن هذه لم تكن مناماً، بل نوعاً من أنواع الهواتف، و تهديداً مخيفاً من السماء، فقد رأت الناسكة المذكورة، رجلاً متقدماً بالسن، ومحترماً بمظهره، حيث أعطته لحيته مظهراً صارماً، وكان واقفاً في قاعته، حيث بدا وهو ينسحب من ذلك المكان مغضباً، ليصعد إلى برج،ومن هناك التفت فألقى نظرة صارمة نحو البلدة، وأخذ يزمجر بصوت مهدد قائلاً: «الويل، الويل، للسكان فوق الأرض»، وقد ردد ذلك عدة مرات ثم عدة مرات.

كيف رغب رتشارد ملك ألمانيا بزيارة إنكلترا

عام ألف ومائتين وتسعة وخمسين لتجسيد الرب، وهو العام الثاني والأربعين من حكم الملك هنري الثالث ، وكان الملك المذكور في لندن أيام عيد الميلاد، حيث كان النبلاء مشغولين بالتداول بعمق، حول

كيف، وهم ملتزمين بقـرارهـم السليم، يمكنهم التعامل مـع الرغبة التي عبر عنهـا رتشـارد ملك ألمانيا، الذي تشـوق بشـدة —حسبما أخبروا— للقـدوم إلى انكلترا، ليزور أقـربائـه وأصدقـائـه وبلاد موطنه، وليتفقـد ممتلكاته، لأنهم ارتابـوا بأنه بقـدومـه سـوف ينفس عن غضبـه، وعن سخطه على البارونات، وسـوف يتهمهم بأنهم الآن ينكلون بأخيه الملك هنري، ويظهرون كراهيتهم له، مثلما فعلـوا من قبل إلى أبيه الملك جون، وكما فعلوا مـؤخـراً بالحكم الذي أصـدروه على إخـوتـه لأمـه بالنفي، وكأنهم كـانوا مجرمين قـد اقترفـوا أعظم الجرائم، في حين أنهم كـانوا في الوقت نفسـه أبرياء، وعـلاوة على ذلـك خـافـوا بأنه سـوف يعمل من إخوته هـؤلاء أنفسهم أعداء عامين للمملكـة، وهو إما سوف يعيـدهم معه خلسة، أو أنه سوف يتـدبر في مستقبل الأيام قيام مصالحة، وسوف يحرضهم بصـورة خيانيـة على العـودة إلى انكلترا، حتى يدوسون عليهـا تحت أقدامهم، مما سيؤدي إلى دمار أعظم للسكان، وسوف يسبب نشوء غلطة جـديدة أسوأ من الغلطة الأولى، ومثل هذا خـافوا من أنه سـوف يعيق قـراراتهم السليمة ويقف ضـدها، وهي القرارات التي استهـدفت إحــداث ترتيبـات جــديدة لشـؤون المملكـة، وأنه بعـدمـا يعيقهم في خططهم، سـوف يعيد تأسيس النظام القـديم للأشياء، وسـوف ينفيهم، أي البـارونات واحـداً بعـد الآخـر، وسيقـوم أخيراً بتجـريدهم من ممتلكاتهم.

كيف تمت إدانة اليهود بالخيانة وكيف نجوا من العقاب بالتعميد

ومع اقتراب الوقت من عيـد ميـلاد ربنا بالجسـد، تمت إعـادة ولادة واحد من مخلوقاته بالروح، فقد قـام الياس اليهودي اللندي، الذي كان لقبـه الأسقف، وقد كـان خائفـاً من أنه في خطر الادانة لاقترافـه بعض الجرائم، قـام بالفـرار إلى جـرن المعمـودية من أجل السـلامـة والحفظ، وهكذا جـرى تطهيره بوسـاطة الإجـراءات الصحيحة للتعميـد، وكـان

ذلك بصحبة اثنين آخرين، وبذلك تم انتزاعه من بين صفوف الشيطان، وحفظ من العقـوبة المستحقة لاقترافـه من قبل جـريمة دنيئة جـداً، لأن تقريراً قد أفـاد بأن ذلك السم السائل، الذي جلب الخطر والموت لكثير من نبـلاء انكلترا، قد عمـل في بيته، وقيل بأنه قـام عن طواعيـة فسمح بالتنفيذ والممارسة، لكنه كـان في ذلك الوقت شيطاناً، وهو الآن قد تبدل إلى مسيحي، وقد تغيرت أعماله وفقاً لأحواله.

كيف جرى بدهاء إرسال مبلغ كبير من المال إلى الخارج من خلال مكر زوجة وليم دي بلنسية

وانتشرت الآن أيضاً شائعـة في جميع أرجاء المملكة، بأن إخوة الملك، الذيـن سـاءت سمعتهـم، كما ذكـرنا من قبل، تمكنـوا في سبيل إلحاق خسارة كبيرة وضرراً عظيماً بالمملكة، من نيل ثروة عظيمة بوساطة مبلغ كبير من المال، وجـاء ذلك بفضل براعـة امـرأة، وربما بوسـاطة تعليمات مكتـوبة من البـواتيين إلى جوانـا زوجة وليم دي بلنسيـة، التي غـادرت انكلترا مع مبلغ كبير من المال، وقـد حـرضها على ذلك حبهـا لزوجهـا ورغبتها باللحاق به، ووفقاً لما جاء بالتقرير، قامت جوانا المتقدمة الذكر، ببراعة نسائيـة فاشترت كمية كبيرة من الصوف، أمـرت بوضـعها بشكل أمين ومحكم في أكياس، وخبأت وقتها بين الصوف مبلغاً كبيراً من المال، ثم إنها وضعت الأكيـاس داخل بعض العربات المتينة، وكأن الذي فيهـا صـوف خـالص فقط، وأرسلت بهم إلى بـواتو في أول فـرصـة مناسبـة، وبناء عليه، إنه مع أن الكثيرين قد ذكروا من قبل أن الأموال العائدة إلى وليم المتقـدم ذكـره، قد تمت مصـادرتها في كل مكان كـانت مـودعـة به ومخزونة، لقـد تبين من هذا الإجـراء أنه لايمكن الوثـوق بمثل هذه التقارير، ولاالاعتماد على مصداقيتها.

وفاة فيليب لوفل

أثناء القيام باحتفالات عيد الميلاد، ومن أجل أن لاتعبر مباهج هذا العالم غير ممزوجة بالموت، مات فيليب لوفل الذي كان المستشار الخاص بالملك، وخازنه قبل ذلك، وحدثت وفاته في يوم عيد القديس توماس في كنيسة هامستيبل Hamestable, وكان سبب موته الأسى، كما ذكرنا من قبل، ومرارة الروح، لأنه لم يتمكن من المصالحة شخصياً مع الملك، الذي كان قد خدمه من قبل، فقد طلب الملك منه مبلغاً كبيراً جداً من المال، من أجل الجرائم التي اقترفت من قبله، وفقاً لتقرير رجال غاباته، وعندما أخبر بوفاة فيليب، أمر بمصادرة جميع الممتلكات والمقتنيات العائدة له، وذلك حتى تمّ ارضاء طلباته.

زواج فيليب ابن الملك الفرنسي

وفي حوالي الوقت نفسه، من العام التالي، تزوج فيليب ابن الملك الفرنسي، من ابنة ملك أراغون.

تطويب رتشارد أسقف شيكستر

وفي هذه الآونة، على الفور مع بداية العام المقبل، أدخل البابا أوربان اسم رتشارد، أسقف أوف شيكستر، في قائمة أسماء القديسين.

انتخاب هنري أوف وينغهام أسقفاً لوينكستر

وفي الوقت نفسه أيضاً، وجد رهبان وينكستر، أن الملك لن يقبل أي واحد انتخبوه أسقفاً، مالم يكن صديقاً خاصاً به، خاصة بعد طرد أخيه ايثليمار، ولذلك انتخبوا هنري أوف وينغهام Wengham, مستشار الملك، ليكون أسقفهم وراعياً لنفوسهم، وقام هو على كل حال، بالنظر إلى انتخابه على أنه مسألة غير مؤكدة، ومن الممكن أن تثير مشكلة الشرعية، ولذلك لم يوافق على الانتخاب له شخصياً، ومع أنه كان

لايشك بالحصول على حظوة الملك، فقد أعلن أنه غير كفء لشغل مثل هذا المنصب الرفيع، ولأن يتحمل المسؤولية عن النفوس، يضاف إلى هذا أنه لم يكن متميزاً بشكل صحيح في دراسة اللاهوت، وفي الكتابات اللاهوتية الأخرى، وبعد لأي أعطى نوعاً من الموافقة، وقد قبل عن طواعية من قبل الملك، ولكن وفقاً للشرط التالي، وهو أنه إذا ما تمكن إيثليمار —أخو الملك— الذي كان الأسقف المنتخب من قبل، تمكن من الحصول على نعمة التكريس من البابا، له حق الأسبقية قبل جميع الآخرين بأن يجري تنصيبه في كنيسة وينكستر المذكورة، وأن لايجري تعيين هنري المذكور مكانه، فقد استبقى الملك لأخيه حق الاحتفاظ بالمنصب.

كيف جرى إرسال مندوبين للقاء رتشارد ملك ألمانيا

بعدما عقد البارونات مؤتمراً عاماً، فيه جرت مناقشات كثيرة تعلقت بقدوم رتشارد ملك ألمانيا إلى انكلترا، لذلك أرسلوا مندوبين خاصين لاستقباله، وتشكل هذا الوفد من: أسقف ووركستر، ورئيس رهبان دير القديس ادموند، وبطرس أوف سافوي، وجون مانسيل، وكانوا كافين بأنفسهم لمعالجة قضية زيارته المفاجئة وغير المتوقعة لانكلترا، وكذلك ماتعلق باقتراح طول الإقامة هناك، وأمام تساؤل كثيرين، كان الايرل سيمون مايزال مقيماً في القارة، ولذلك كان اجتماع البارونات غير مكتمل إلى حد كبير، وكانوا يخافون من بعض المؤامرات الخفية، وكان بين الأشياء الأخرى التي خافوا منها، هي أن الملك وإن تظاهر بنظرة هادئة مع رباطة جأش، سوف يتعاطف مع إخوته المنفيين، وسوف يتشكى إلى أخيه المتقدم ذكره، ملك ألمانيا، بأن الانكليز بعدما لاحقوا والده الملك جون حتى الموت بكراهيتهم القاتلة، إنهم الآن بالطريقة نفسها يطاردون أبناءه وأحفاده، كأن مشاعر الغضب والكراهية قد انتقلت إليهم بالوراثة، والأذى الذي اقترف بحق ملك انكلترا، ينبغي رفضه بالدرجة نفسها من

قبل ملك ألمانيـا، ولذلك اقترح نبـلاء انكلترا، أن يطلبـوا من ملك ألمانيـا أداء يمين، قبل أن ينزل في انكلترا، بأنه سـوف لن يلحق الأذى بمملكة انكلترا، بأي شكل من الأشكال، كما أنه لن يعيق الترتيب العام للأعمال، لكن ماهي الفائـدة التي ستحصل من ذلك؟ لأنه ربما سيقول فيما بعد أنه أرغم على أداء اليمين ضد إرادته، غير أنه لم يكن معروفاً بالنسبة إلى عامة الناس فيما إذا كـان هذا سيعبر هكذا، فأنا لايمكنني أن أغـامـر في تأكيـد هذه القضية في هذا الكتـاب، ولقد أفيد بشكل عـام بأنه قد أقسم، حسبما جرى الترتيب أعلاه، وأعطى رسالة معتمدة توافقت مع الذي طلب منه.

كيف انطلق الملك وسافر لاستقبال أخيه رتشارد

وبادر الملك في الوقت نفســه مسرعـاً نحـو شـاطىء البحـر، وكـان بصحبتـه كتلة كبيرة جـداً من النبـلاء، الذين كـانوا —من باب الحذر والاحتيـاط— مسلحين بشكل جيـد، ويمتطون الخيـول، لأنه أفيـد بأن رتشـارد المذكور قـد اقترح وعـزم على جلب واحد أو أكثـر من إخـوته معه، وهم الذين طردوهم بموافقة عامة، وأن هدفه من وراء ذلك إلغاء القرار حول تلك القضية، وذلك حتى يتمكن من إعادتهم إلى أوضاعهم الماضية، الأمـر الذي سوف يتحمله البارونات بكراهيـة، وأمر الملك بأن يعلن في لندن بـوســاطة المنادي، بـوجــوب تنظيف المدينة مـن الوحل والقاذورات، ومن جميـع الأخشاب المعيقة، ومن كـل شيء يؤذي عيون المشـاهدين له. فهـذا ينبغي ازالتــه،وأن تزين المدينة بالأعـلام المعلقـة، وبالأقمشة المعلقة، وبجميع أنواع الزينة الجديدة ومظاهر الاحتفال.

جواب رتشارد ملك ألمانيا للمندوبين الذين قدموا من عند جماعة إنكلترا

وعلى الرسل الخاصين، الذيـن أرسلوا هكذا من قبل جماعــة انكلترا، قـام ملك ألمانيا الذي كـان ينتظر على الطرف الآخر من القنال، ويتـولى

جمع جيش قوي وكبير العدد، بالرد بنظرة حادة، وبلهجة مهددة، مقسماً ببلعوم الرب: «إنني لن أؤدي اليمين الذي طلبتموه، ولن أثبت موعداً لإقامتي في انكلترا، بناء على طلبكم»، ثم إنه أضاف قائلاً: «لايوجد من يعادلني في انكلترا، لأنني ابن الملك الأخير، وأخاً للملك الحالي، وكذلك أنا ايرل كورنوول، ولذلك لو أن نبلاء انكلترا قد رغبوا في إصلاح أوضاع المملكة، كان المتوجب عليهم في المقام الأول أن يرسلوا خلفي، وأن لايقوموا بطيش ووقاحة بمحاولة معالجة هذه القضية الصعبة من دون حضوري وموافقتي»، وقد رغب واحد من المندوبين أن يقوم برد ما على هذا الكلام، لكنه منع من قبل رفاقه، وكان رده الذي نوى التفوه به كما يلي: «نحن غالباً ماتولينا تعيينك لأن تكون قائداً، في سبيل تحقيق إصلاح أحوال المملكة، ولكنك أثرت وحرضت بالشره، ولذلك سعيت دوماً للايقاع بنا بوساطة بدعك الماهرة، وكان ذلك يحدث في الوقت الذي كنا لانتوقع فيه أية إجراءات من هذا النوع، ولقد كنا نقوم بدراسة شاملة لتحسين أوضاع الملك وكذلك أحوال المملكة، ونتيجة لذلك تراجع الملك عن القرارات الصحيحة، وآذى كل واحد تمكن من إيذائه بعد ذلك».

ولتجنب إثارة أي خلاف من هذا التقريع، عاد المندوبون بأقصى سرعة تمكنوا منها، وهم راضين تماماً عن الأوضاع الحالية، لمشاعر ملك ألمانيا، لأن عدداً كبيراً من الناس، كانوا مجهزين بطرق متنوعة، كانوا بانتظاره، وعندما جرى الإعلان عن نتيجة المهمة إلى النبلاء الانكليز على هذا الجانب من القنال، أمروا بجمع السفن والغلايين من الموانىء الخمسة، وكذلك من الموانىء الأخرى، وأن يكونوا قد أخذوا الاحتياطات قبل قدومهم إلى الساحل، بتجهيز أنفسهم بالسلاح والعتاد، وبذلك باتوا مستعدين لمواجهة العدو، وكانوا يشعرون برغبةعارمة بمقاتلته، وقد تشجعوا أيضاً على القيام بهذا بحقيقة أنه

عندما جاء لويس ابن ملك فرنسا، قبل بعض الوقت الذي مضى، لغزو انكلترا، قام عـدد صغير من السفن التي كانت عائـدة إلى الانكليز، على عكس جميع التـوقعـات، بمهـاجمة وتدمير أسطول فـرنسي قـوي وكبير العـدد، كما أنهم جمعـوا جيشاً كبيراً من الخيـالة والرجـالة على السـاحل الانكليزي، من أجل أنـه إذا ما أحرز العـدو تقدمـاً في الصراع البحري (الذي حول نتيجتـه كانوا غير خائفين) يمكنهم أن يمنحـوهم استقبالاً جـريئاً وثابتـاً على حـد السيـف، عند السـاحل، ووصـل علم هذه الإجـراءات إلى رتشـارد، ملـك ألمانيـا، بـوسـاطة الجواسيـس، ولذلك استجاب إلى نصيحـة الأصدقـاء العامين، فهـدأ مشاعـر غضبه، وأعلن بوسـاطة عمل مكتـوب مـوافقتـه على اعطاء اليمين الذي طلب منه إلى البارونات، وذلك استجابة لغيرتهم على مصالح المملكة وتقدمها.

عودة رتشارد ملك ألمانيا إلى انكلترا

ثم أقلع رتشـارد ملك ألمانيا، وبرفقتـه ملكته، نحـو انكلترا، ونزل في دوفر، في يوم عيد القديس يوليان، ودخل إلى انكلترا مع حاشية صغيرة وخاصـة، مؤلفة من كـونتين ألمان، كان معهما ثلاثة فرسـان فقط، وكان مع الملك في ركابه ثمانية فرسان، وكـان مرافقاً لملكته وابنه ادموند، ومع أنهم نزلوا في دوفر، فإنه لم يسمح لهم بدخـول حصن دوفر، ومثل ذلك لم يسمح لملك انكلترا بدخـول الحصن، لأن نبلاء انكلترا كـانوا خائفين من السماح إلى أي واحد لم يـؤد اليمين، بالدخول إلى القلعة التـي كانت الحاجز الرئيسي لانكلترا، وذهب الملك على كل حال إلى استقباله، وقت رسوه، واستقبله بـأعظم سرور، ثم أنهما أقامـا وليمة مع رئيس أسـاقفة كانتربري، واحتفلا بلقائهما بسرور وفرح.

كيف أقسم رتشارد ملك إنكلترا على مساعدة نبلاء إنكلترا

وفي اليـــوم التـــالي ذهب نبـلاء انكلترا إلى داخل بيت مقـــر الهيئة

الكهنوتية في كانتربري، ورافقـوا باحترام ملكي انكلترا وألمانيا، ثم أمروا بنص الانجيل فوضع على منبر هناك، ثم وقف رتشارد ايرل غلوستر في وسطهم، ونادى بصوت مرتفع، ولكن بـاحترام ايرل كورنوول بالقدوم إليه، ولم يخاطبه كملك لألمانيا، بل باسم «رتشارد ايرل كورنوول»، فقام تلبيـة منه، فـاقترب منه باحترام، وتفـوه بصـوت مـرتفع ومتميـز بأداء القسم الذي فرض عليه، وهوالذي كان نصه كما يلي:

قسم رتشارد ملك ألمانيا

«اسمعوا أنتم جميعاً، بأنني هنا أقسم على الانجيل المقدس، وبأنني أنا رتشارد، ايرل كورنوول سوف انضم إليكم باخلاص ويقظة في إصلاح مملكة انكلترا، التي اضطربت أمـورهـا حتى الآن كثيراً جـداً بالنصـائح الشريرة، ولسوف أساعـدكم بشكل فعال في طرد أعداء المملكة ومثيري الاضطراب فيهـا، وهذا اليمين سوف ألتـزم به من دون احبـاط، وذلك تحت طائلة فقداني لجميع الأراضي التي أمتلكها في انكلترا»، وعند ذلك قـال جميع الحضـــور: «في هذا كفـاية، لقــد ربط نفسـه بمافيــه الكفـاية وبإخلاص معنا»، لكن ايرل غلوستر المتقـدم ذكره، أجاب قائـلاً: «لقد تأذينا مراراً في حـالات مماثلة، ذلك أن الذي جرى مرة حرمـانه كنسياً، يخاف دوماً من الماء الذي يغلي، أنا لست متأكداً بأي حال من الأحوال، سـوى بأن الذي عملنـاه كـان قليـلاً، لكن لعل الرب القــدير يمنع أن يكون الحال هكذا».

كيف قام نبلاء ألمانيا بالمغادرة لدى وصول ملكهم إلى لندن

في يوم عيــد طهـارة القــديسـة مــريم، وصل الملكان، والملكتـــان، وبصحبتهما عدد كبير جداً من نبـلاء انكلترا إلى مدينة لندن، التي كانت تماشياً مع الأوامر التي تقدم ذكرها أعلاه قد جرى تنظيفها بشكل موائم من القـــاذورات، وتزينت بشكـل ثري من أجـل وصــول مثل هـذين

الأميرين العظيمين، ولقــد استقبــلا لدى وصــولهما بعــدد كبير من المواطنين، يهتفون بعبارات الترحيب، وكانت المدينة بالفعل مليئة بالناس إلى حـد أن أرصفة الشـوارع كانـت مغطاة تماماً بالحشـود التي تجمعت، وبما أن إخوة رتشارد لأمـه لم يكونوا برفقته، حسبما كان متـوقعاً ومهدداً (كانوا قـد بقيوا في القارة) لقـد عبروا عن سرورهم بحرارة أعظم، غير أنهم دهشــوا كثيراً، وتســاءلوا لماذا أعطـاه الألمان مثل هـذه الحرية العظيمة،وسمحـوا له بالذهاب إلى انكلترا برفقة زوجتـه وابنه، مع أنهم كـانوا أعزاء كثيراً عليهم، وكيف أنهم لم يحتفظوا حتى بواحـد منهم على الأقل كنوع من أنواع الرهائن، وكيف أيضـاً وهو أمير الألمان وسيدهـم، قد ترك الشعب الألماني وراءه، ليأتي عن طواعيه، ليكون وسط الانكليز، ولكن خلال وقت قصير بدأت سمعته تتلاشى، والخشية من سلطته بين الانكليز، كانت موجودة قليـلاً أو غير موجودة، ونتيجة لهذا فإن النبلاء الألمان، الذين بقيوا حتى الآن في خـدمة ملكهم في انكلترا، قدروا أنه لم يحتل مكانة عـاليـة في انكلترا، ولم يعـامل بالاحترام المستحق للمـرتبـة الملكيـة، ولذلك غـادروا وهـم غـاضبين، وبادروا مسرعين بالعـودة إلى الوطن قائلين بأنفسهم: «إذا كان أبناء وطنـه لايحترمونه، كيف يتوقع أنه يمكننا أن نعــامله بتشريف؟ إن الذي قمنـا بانتخـابـه هو بالحري المال، أكثر من الرجل الذي يعمل المال، فهو مال مجموع، وليس بالرجل الذي يجمع المال، إنما إنه إذا مـاأعطـانا جميع المال الذي تركـه، فإننـا لن نزعج أنفسنا أكثر بوجـوده الشخصي»، فقد كـان هدفهـم، حسبما فعلوا إلى حد بعيد هو أن يسحبوا منه كل الذي بقي من ماله.

البارلمان الذي عقد في لندن

في ثمانية عيد الطهارة، اجتمع نبـلاء انكلترا في لندن، حسبما كانوا قد رتبوا من قبل، أما بالنسبة لايـرل ليستر، الذي كان طول غيابه وامتداده مصدراً للأسف لجميع أفراد شعب انكلترا، الذين لم يعرفوا الذي حدث

له في القارة، فقد جاء إلى المؤتمر الحالي، وكان المستشار السري لملك فرنسا، عميد بورجي Bourges أيضاً حاضراً في البارلمان، وجرت في هذا البارلمان مناقشات كثيرة تعلقت بالقضايا الخلافية بين ملكي فرنسا وانكلترا، والجهود التي بذلت لتحسين القضية نفسها في القارة، وكانت نتيجة المناقشات، أنه خلال مدة قصيرة، يعني أن تقول في يوم عيد القديس فالنتاين أن سلاماً قد عقد وتثبت بينهما في لندن، على أساس الشروط التالية: وهي إن على كل فئة منهما، الالتزام من دون خلاف بجميع ماجرى ترتيبه من قبل وتقرر بين رسلهم الخاصين المهيبين، وذلك حسبما سنذكره فيما بعد بالتفصيل، في مكانه المناسب.

اعتقال وسجن وولتر سكوتني ووليم بوسي

وفي بداية آذار من هذا العام جرى اعتقال وولتر سكوتني المستشار الرئيسي الخاص لايرل غلوستر وقهرمانه، وحدث اعتقاله في لندن، بتهمة دس السم للايرل المذكور، وإلى أخيه وليم، والذي من تأثيره نجا الايرل بصعوبة بحياته، في حين مات وليم من الشيء نفسه وقد وضع قيد الاعتقال لدى كفلاء، لكنه حمل الآن إلى برج لندن، ووضع في سجن مضيق عليه هناك، وجرى أيضاً اعتقال وليم بوسي Bussey قهرمان وليم دي بلنسية، أخو الملك لأمه، ومستشاره الخاص، ونحن نحتاج إلى تقديم رواية خاصة، وشرح كامل لجرائمه، وبعدما أبقي لبعض الوقت في سجن كفلائه، جلب الآن للمحاكمة ومثل أمام القضاة، وبما أنه لم يستطع أن يقدم بشكل مقنع أجوبة على التهم التي عملت ضده (لأنه كان متورطاً في كثير من الجرائم) أراد أن يفك أربطة قلنسوته الضيقة، ليظهر بشكل عام أنه كان يمتلك بقعة محلوقة من شعر رأسه تدلل على أنه كان رجل دين، فلم يسمح له بفعل ذلك، ولكن بأمر من القضاة حمل بوحشية وبعنف وأبعد ليوضع في أسوأ مكان من السجن، وكان الموظفون الذين تولوا ابعاده وأمسكوه ليس من قلنسوته

الضيقة المربوطة، بل من بلعـومه، وعندما كـانوا يجرونه إلى السجن قال سـاخراً: «إذا أنا لم أقـدم لكم العـدل، فمن الذي يقدم لكم العـدل»؟، وكـانت هـذه هي الكلمات التي اعتـاد وليم المذكـور على استخـدامها وقولها إلى الفرقاء الذين غالباً ماظهروا أمامه، للتشكي من الأضرار التي عانوا منها، وطلبوا تقـديم العدالة من قبله، وكان في كثير من المناسبات يقول أيضـاً: «إن إرادة مولاي الملك هي متوافقـة تماماً مع إرادة معلمي وليم دي بلنسيـة، وليست على عكسهـا»، وهكذا لم يتنازل بـإبداء الاحترام للملك أو إلى أي واحـد من النبلاء، كما لم يقـدم العدل إلى أي واحـد من الناس، مـؤكـداً أن معلمـه قـد حصل على امتيـاز من الملك، بعدم صـدور أية مذكرة قضـائية ضـده، ولذلك هو غير مجبر على تقديم أية إجـابة إلى أية فئة متأذيـة، مهما تكن الجريمـة ومهما كـان نوعهـا، باستثناء مايرغب بالإجابة عليه، وعندمـا كان وليم المذكور هذا، محمولاً إلى السجن، شتمه جميع الناس وأهانوه، لتجبره الذي لايحتمل، ولطغيانه الذي لم يعرف الهوادة، ولأعمال سلبه ونهبه وظلمه، ومع أن الذي اقترفه كـان كثيراً جداً حتى نأتي على ذكـره كله، أعتقـد أنه من المفيد أن نذكـر نموذجاً واحداً في هذا الكتاب، حتى يمكن تخيل الباقي.

الأفاعيل المقيتة لوليم بوسي

كان في أحد الأيام شـاباً يعبر الطريق في ترمبنغتون Trumpington, عندما أخذ كلب يعوي عليـه، وعندما رغب في إيقاف هذا العواء، رمى الشاب مـن دون انتباه حجراً على الكلـب، وانحرفت الحجـر إلى إحدى الجهات، وقتلت دجاجة عائـدة إلى إحدى النساء الفقيرات، التي صدف أن خـرجت من بيتهـا فشـاهدت الواقعـة، فـرفعت صـوتها بالشكاية، فجمعت حولها عدداً من الجيران، وأعلن الشاب بتواضع، وأرفق إعلانه باليمين، بأن الواقعـة كانت مجرد حادثـة عرضية، وعـرض أن يدفع ثمن الدجـاجـة، لابل ضعف الثمن كتعـويض للـذنب الذي وقع، لكن المرأة

الشريرة رفضت كل العروض، وأصرت على الحصول على انتقام أكثر ربحاً، وكان هناك خادم سليط من خدم وليم دي بلنسية، فتظاهربالشجاعة صدوراً عن علو رتبة معلمه، فاعتقل الشاب البريء، ووضعه في سجن مضيق عليه، فمات خلال عدة أيام من العذاب الذي لايحتمل، وجمع كاهن المنطقة الجيران مع بعضهم وأصبح متأكداً من براءة الشاب، فدفن جثته في المقبرة، وعمل له طقوس الدفن، بقدر ماتمكن من جودة، وذلك بعدما ألقيت الجثة لمدة يومين أو ثلاثة على كومة للقاذورات، فهناك كانت قد رميت، حتى أصبحت متفسخة، وبعد ثلاثة أيام صدف أن كان وليم بوسي عابراً، فسمع بالذي عمل، فأمر بالجثة التي كانت قد اهترأت خلال أربعة أيام، بأن تسحب من القبر، وأن تعلق على المشنقة، وجميع هذه الأعمال الوحشية، وأعمال أخرى مماثلة، اقترفت من دون أية محاكمة، لكن ليس من دون تسجيل الانتقام من الرب، وتقدمت زوجة الميت بشكوى حول هذا العمل الوحشي، وهي الآن تتابع شكواها، ويقوم الآن أعظم القضاة عدلاً بمجازاة هذا الأعظم ظلماً من أجل أعماله، بالحكم عليه بالبقاء أبدياً في جهنم.

عودة وليم هورتون الذي أرسل إلى سكوتلندا من قبل ملك انكلترا

وفي حوالي الأول من آذار في هذا العام، عاد وليم هورتون Horton, الذي كان راهباً وحاجباً لكنيسة القديس ألبان، من الأجزاء النائية من سكوتلندا، حيث كان قد بقي مدة طويلة، أي منذ أيام عيد القديسة كاترين في هذا العام نفسه، فلقد قام برحلة متعبة بناء على أمر من الملك، وذلك صدوراً عن اقتراح لمستشاريه، وذلك بعد الحصول على اذن رئيس الرهبان، لأنه قد عهد إليه من قبل الملك، والملكة، ونبلاء انكلترا، ببعض القضايا الصعبة والمسائل الخاصة، التي أمر بالإعلان عنها إلى ملك، وملكة، ونبلاء سكوتلندا، ولدى وصوله إلى هناك وجد الملك والملكة مع

نبلاء تلك البلاد مجتمعين في بارلمان، بناء على رغبته، وعند ذلك شرح سبب رحلته، وقدم رسائل اعتماده، وبعد ذلك تقدم بالتماس حار باسم الملك والملكة وبارونات انكلترا، إلى ملك وملكة سكوتلندا للذهاب إلى انكلترا من دون تلكؤ، من أجل سماع ومناقشة بعض القضايا التي تتطلب الاستماع إليها بعناية، والتداول حولها بشكل سري، ومع أن المجتمعين قدموا كثيراً من الاعتراضات، وألقوا بكثير من المعيقات على الطريق، وبعد كثير من المناقشات، مارس وليم الضغط الملح لطلبه، فأقنعهم بالموافقة على الذي طلبه ورغب به، ولذلك أعطوا وليم رسائلهم المعتمدة والمختومة بختم الملك، وبأختام جميع نبلاء سكوتلندا، وقد وجهوا هذه الرسائل إلى الملك وإلى جماعة انكلترا كلها، وذكروا في هذه الرسائل بأنهم وافقوا عن طواعية بالعمل وفقاً لرغبتهم شرط أن يعطيهم ملك ونبلاء انكلترا ضمانة حول المسألة المتعلقة بالوثيقة، وأن تكون مكتوبة باخلاص حسبما كانوا موعودين من قبل، وعلاوة على ذلك أرسلوا رسائل إلى ملك وملكة ونبلاء انكلترا، أثنوا فيها على اخلاص وليم المذكور ونشاطه الذي لايعرف التعب في العمل في سبيل المهمة التي عهدت إليه، وإثر مغادرته على الفور أرسلوا وفداً مهيباً وخاصاً إلى انكلترا، مؤلفاً من ايرل بوخان Buchan, والمعلم وليم المستشار، ولورد آلان حاجب القصر، للإعداد للمسألة المتقدمة الذكر بكمال أكبر مع ملك انكلترا ومجلسه الاستشاري، ولدى وصول هؤلاء الأشخاص، والاجتماع والتحادث مع وليم المتقدم ذكره، الذي كان قد سبقهم إلى انكلترا، لكنهم عندما غادروا عائدين إلى الوطن لم يتركوا أية معلومات معلنة تتعلق بترتيبات القضية مع الاهتمام بين الملك وجماعة المملكة.

وفاة توماس الذي كان من قبل كونت فلاندرز

وبات في هذه الآونة أيضاً توماس الذي كان كونت فلاندرز من قبل، والذي كان قد استخرج من الملك والملكة صاحبي العقل الساذج

آلاف مؤلفة من الماركات، وكل هذه الأموال قد تبددت مثل حبوب زرعت على شاطىء البحر، وذلك مثلما حدث لكثير من الأموال الأخرى، التي وزعت بين الأجانب وجرى الاستيلاء عليها من قبلهم من أجل ايذاء المملكة وخسارتها، وكان قد قام من دون أي سبب بإلحاق أذى كبيراً بكنيسة القديس ألبان، وزاد من الخلاف بينها وبين الملك، ويقال بأن السم قد دس له في القارة، فهذا ماورد في أحد التقارير، وغادر هذه الحياة لينال الجزاء على أفاعيله،

كيف جرى إرسال وفد إلى بارلمان ملك فرنسا

وفي حوالي الأول من نيسان، وبناء على أمر من ملك انكلترا، ونصيحة باروناته، أقلع ايرلا: كلير وليستر، وجون مانسيل، وبطرس أوف سافوي، وروبرت ويلران، إلى القارة، من أجل أن يكونوا حاضرين في البارلمان الذي كان سيعقد في فرنسا، من قبل ملك تلك البلاد، وللترتيب لعدد من القضايا الصعبة المتعلقة بمملكتي فرنسا، وانكلترا، وأخذوا معهم صكاً من ملك انكلترا، تعلق بالتنازل عن نورماندي، وكذلك رسائل اعتماد، تخولهم التوصل إلى اتفاقات مع ملك فرنسا ومجلسه، حول المسائل الخلافية بين الملكين ومملكتيهما، وفي سبيل أن تكون الاتفاقيات التي عقدت من قبل، كما ذكرنا أعلاه بين الرسل البارعين والمعينين خصيصاً، ثابتة، وغير مخروقة، ولكن نظراً لتشتت الوفد المذكور، لم ينشر أي شيء حول الذي أنجز في هذه القضية، ولذلك لايمكن ذكر أية إفادة معتمدة حولها في هذا الكتاب.

كيف استولى الرهبان الدومينيكان على دير دنستيبل

وفي ذلك الوقت نفسه أيضاً، كان هناك بيت واقع في المنطقة التابعة والمجاورة لدير دنستيبل Dunstable, قد أعطي إلى الرهبان الدومينيكان، فقامت مجموعة من تلك الطائفة بتشوق، ولكن بصورة

سرية، فشقت طريقها بالقوة إلى داخل الدير، مما ألحق ضرراً كبيراً برئيس رهبان ورهبان دنستيبل، وقد تشجعوا على القيام بهذا بالمثل الذي ضربه الرهبان الفرنسيسكان، الذين حصلوا على مكان للإقامة في دير القديس ادموند، ضد ارادة ذلك الدير، مع إلحاق ضرر كبير به وبرهبانه، وقد عمروا هناك مباني كبيرة النفقات، حتى أن كل من نظر إليهم أصيب بالدهشة تجاه الانفاق المفاجيء والكبير لمثل تلك المبالغ الكبيرة من المال، من قبل هؤلاء الرهبان الفقراء، والأشخاص الذين احترفوا الفقر التطوعي، وكان بعدما تمكن الرهبان الذين تقدم ذكرهم من الحصول على مدخل إلى المكان المذكور فجأة وبالقوة، شيدوا مذبحاً، ومن دون انتظار الحصول على اذن من أي واحد، أقاموا القداسات هناك، وكانوا في الحقيقة قد تشجعوا بالتجهيزات التي كانوا قد تسلموها، وبالامتيازات التي رغبوا بها، وبالحماية التي قدمت إليهم من قبل الكاردينال هوغ، الذي كان راهباً من طائفتهم، له وزن كبير وأشادوا يوماً بعد آخر أبنية، وسعوا إلى زيادة ممتلكاتهم، مما ألحق الضرر الكبير بدير دنستيبل، وذلك عن طريق جمع التبرعات من الأماكن المجاورة، وهي الأماكن التي توجب أن يتسلم منها رئيس الرهبان والرهبان مواردهم، وزاد الرهبان الدومينيكان من أبنيتهم كما وسعوا ممتلكاتهم، إلى حد أن امتيازات رئيس الرهبان والرهبان قد زالت، لأن النفقات التي كانوا يتلقونها من المباني قد أعطيت الآن إلى الرهبان الدومينيكان، الذين فقدوهم، وهؤلاء الرهبان الذين قدموا حديثاً، تمكنوا بأعمال تبشيرهم المستعجلة، من الاغتصاب الكامل للمنح التي كانت بالعادة تقدم إليهم.

موت كونتسة بولون

في الأسبوع الأول من الصوم الكبير لهذا العام، ماتت كونتسة بولون، التي من خلال طغيانها أزهقت أرواح أعداد كبيرةمن بني البشر، وهم الذين قتلوا قبل عدة سنوات مضت، وقد مضت الآن لتجني ثمار أعمالها.

كيف جرى تعيين شيخين في روما حيث شرعا بالأعمال العدوانية ضد الشيخ الذي جرى تعيينه مؤخراً

في هذا العام، وفي أعقاب تدمير دفاعات مدينة روما، اجتمع المواطنون وهم في حالة هياج وغضب، وعينوا شيخين جديدين، تمكنا من جمع قوة كبيرة، تشكلت من الطبقات الوسطى لروما، ومن ثم شرعا بالأعمال العدوانية ضد الشيخ الذي جرى تعيينه مؤخراً، أي عم (خال) برانكليون، وحاصروه في قلعة المدينة، حيث قرروا اعتقاله، وتمزيقه إلى أشلاء، وقد وثق هو واستند على يمين الولاء الذي أعطي له، واعتمد على الرهائن، الذين احتفظ بهم في بولونا مدينته الأصيلة، ودافع عن نفسه بنشاط، ليبرهن أنه لم يبتعد عن الروح النبيلة لابن أخيه (أخته) وسلفه، ولذلك أنهكت روما إلى حد كبير، والتهمت نفسها داخلياً.

الخلافات التي تفجرت في ثلاث جامعات

وأثناء هذا الصوم الكبير نفسه، تفجر خلاف جاد في اكسفورد وكمبردج، نتيجة لاطلاق سراح شخص كان قد أدين بالقتل، وجاء اطلاق سراحه بالقوة من قبل الكهنة، الذين حطموا أبواب سجنه، وأخرجوه منه، ووضعوه في الكنيسة من أجل الحماية، كما أن جامعة باريس قد اضطربت كثيراً من قبل الرهبان الفرنسيسكان والدومينيكان، وفي الحقيقة نشأت طوائف كثيرة جداً، حيث حلت طائفة محل الأخرى، ولم يمتلك الناس الإمكانيات لدعمهم بصدقاتهم.

الخلاف بين إيرلي غلوستر وليستر

وفي هذه الآونة، وعندما كان الناس مشغولين كثيراً، أثناء انهماك البارلمان في عمل قوانين نافعة وأوامر ومراسيم، جرى تبادل بعض الكلمات الغاضبة بين ايرلي غلوستر وليستر، ولأن الايرل الأخير غضب من الأول، ومن تقلباته في مواقفه وتأييده لخططهم المقترحة، ولذلك

تفـوه بالخطاب: «أنا لا يهمنـي أن أعيش، أو أن تكون لي عـلاقـات مع أناس تافهين إلى هذه الدرجـة ومخادعين، لأننا جميعـاً اتحدنا في الوعـد، وأقسمنا على تنفيذ الخطة التي كنا نناقشهـا، وبالنسبة لك يا مولاي ايرل غلوستر، إنه بقدر علو مرتبتك فـوقنا جميعاً، مثل ذلك أنت ملزم بوضع هذه القوانين الصحيحـة موضع التنفيذ»، ومـا أن أنهى خطابه هذا حتى غـادر انكلترا، وقـام ايرل هيرفـورد ونبـلاء آخـرون من نظرائهما، لدى سماعهم لهذا الخطـاب، بالإيماء إلى ايرل غلوستر، بـأن ايرل ليستر قـــد سافر بسببه، وأنه يتـوجب استدعاءه وتهدءته بأسرع وقت ممكن، وذلك بدلاً مـن إثارتـه إلى هذه الـدرجـــة مـن الأذى، وليكن هـذا في سبيل الوقـوف إلى جـانب زملائـه، وأيضـاً إنه يتـوجب على ايرل غلوستر أن يقـوم مخلصاً بتنفيـذ أيمانه بالموافقـة على قـوانينهم وقدراتهم، وأن يتـولى عمل اصلاح في ممتلكاته بالتوافـق معهم ومع الذي صنعوه، وإلا سوف يعـاقبـونه لتقلباتـه، وقد أخـاف هذا الايرل المذكـور، فأرسل قهـرمـانه هيروين Horion, ليجول في جميع ممتلكاته مع أوامر بأن يتأكد من أن العدل يجري تطبيقـه وفقاً للقوانين، وأن كـل شيء ينبغي ترتيبه من دون تأخير، وفقاً لشروط وعـده الأخير، وبذلك هدأت عـاصفة الغضب إلى حـد كبير، ومع أن إيرل ليستر كـان مـا يزال في القـارة، إنه نتيجـة لهذه الاصلاحات، توفرت آمال أكبر، ومشاعر أكثر وثوقاً بعودته.

العوائق في طريق إقامة سلام بين ملكي فرنسا وانكلترا

تلقت ترتيبـات السلام بين ملكي فـرنسا وانكلترا، التي تقدم ذكـرها أعـلاه، والتي عهـد بإدارتها إلى عـدد من الرسل الخاصين، ذوي النفـوذ الكبير، انتكاسة غير متوقعة، وذلك في الوقت الذي ساد اعتقاد أنهم قد وصلوا إلى نقطة القناعـة والرضى في الاتفاقـات، لأن كونتيسـة ليستر لم تكن لترضى بأي حال من الأحوال بـالتنازل عن حصتها في نورماندي، التي كـان ملك انكلترا سيتنازل عنهـا إلى ملك فـرنسـا، وفقـاً لشروط

الاتفاق، ونتيجة لهذا كان ايرل غلوستر قد قذف بكلام مهين نحو ايرل ليستر، الذي سدد له عدوانه الكلامي، بكلام مثله كان حاداً وقاسياً، ووصلت القضية إلى قرابة سفك الدماء، لكنهما ضبطا من قبل أصدقائهما المشتركين، في سبيل أن لا يجد الفرنسيون سبباً للسرور من تلك الواقعة، وهكذا عاد المندوبون من دون إنجاز هدفهم، وذلك وسط سخرية الفرنسيين.

معركة بين الداوية والاسبتارية

وحدث في حوالي الوقت نفسه في عكا أيضاً، أن تخاصم الداوية ورهبان القديس لعازر، والقديس توماس، من جانب، والاسبتارية وشيعتهم في ذلك الجوار، بالاضافة إلى بعض الآخرين، الذين تألفوا من الجنويين والبيازنة من الجانب الآخر، وحدث الخصام فيما بينهم في الأرض المقدسة، وبرهن الذين عدوا بالعادة أنفسهم المدافعين الشرعيين عن الكنيسة، أنهم الآن أكثر المدمرين للسلام تعطشاً لسفك الدماء، وتدميراً لبعضهم بعضاً، وللكنيسة المذكورة، وثار الاسبتارية كلهم من دون استثناء ضد الداوية، وجاء ذلك نتيجة لبعض الأحقاد المميتة فيما بينهم، وبعدما فقدوا عدداً كبيراً من كتلتهم، دمروهم تماماً، وفي الحقيقة بالكاد لم ينج ولا رجل واحد من الداوية، في حين بقي عدد كبير جداً من الاسبتارية على قيد الحياة، وفي الواقع، لم يذكر قط أن مثل هذه المذبحة وقعت بين المسيحيين، خاصة بين الرهبان، ونتيجة لهذه الكارثة، عقد جميع الذين بقيوا من الداوية في الأرض المقدسة اجتماعاً في حالة الطوارىء هذه، ووفقاً لأحد التقارير، أرسلوا رسالة مستعجلة كثيراً إلى جميع رهبان طائفتهم، الذين كانوا ساكنين في ديرة تابعة للطائفة نفسها في جميع البلدان، بأن يضعوا من هو لازم للعناية بكل دير من الديرة، وأن يضعوا جانباً جميع الأعذار للتأخير، وليقدموا بكل سرعة إلى الأرض المقدسة، ليسدوا إلى حد ما الفراغ في ديرتهم في عكا، بسبب

دمـار وهلاك عدد كبير جـداً من اخـوانهم هناك، وأيضاً من أجل أخـذ انتقام مخيف من الاسبتـارية بقوة السـلاح، ولذلك انتشر، نتيجة لذلك، شعـور عظيم بالخوف في جميع أنحاء العـالم، وأنه مالم يقم الرب القـدير بتهدئـة غضبهم، فإن استقرار العالم المسيحي سوف يتعـرض إلى الدمار، إلى حد كبير، من خلال حقدهم الذي هو بلاحدود.

كيف حصل البابا بصورة سرية على المنصب الامبراطوري للإيرل رتشارد عندما كان مقيماً في إنكلترا

وفي الوقت نفسه، عندما كان ملك ألمانيا مقيماً بسلام في انكلترا، أعدّ له طريق سهل للحصـول على المرتبـة الامبراطورية، وصنع هذا من قبل البـابا نفسه، بشكل تآمـري خفي، وببراعة عميقـة، حتى لايظهر نفسـه عـدواً معلناً لملك اسبـانيـا، وبقي على كل حـال، ملك ألمانيـا هادئـاً في انكلترا، في سبيل أن يجمع المزيد من الأمـوال، وذلك حتى يحتـاط ضـد أوقات الحاجة في المستقبل.

وفي الوقت نفسه أوقف نبـلاء انكلترا بحكمة أنفسهم على أن يضعوا موضع التنفيذ القرارات التي كانـوا قد توصلوا إليها، واهتموا قليلاً، أو بالحري لم يهتمـوا مطلقـاً أبقي الملـك المذكـور مقيماً أم غـادر، وبالاجماع صرفوا كل اهتمامهم لتدمير الأعراف الشريرة، وأفاعيل الظلم والفساد.

وباء حاد ووفاة فولك أسقف لندن

وفي العام نفسه، عندمـا كانت الشمس تدخل إلى برج السرطان، وقع وباء مميت وغير متوقع على بني البشر، ودون أن نذكر شيئاً عن الأعداد الكبيرة من الناس الذيـن مـاتوا في مختلـف المناطق، نجـد أنه في باريس وحـدها، أكثـر من ألـف من بني البشر أودعـوا في القبر، ولحق الفسـاد أيضـاً: الزيـت، والخمـرة، والقمح، وبات الحال وكأن مـائتي سيف للموت جـردت ولم توفر أحداً، فضربت أحيـاناً واحداً، وأحيـاناً أخرى

آخـر، وطردت من الدنيا الغني والفقير، ومثل هذا وعلى هذه الصـورة، مات فولك أسقف لندن، أثناء ذلك الوباء المميت، وكان ذلك الأسقف من أصل نبيل، ومن أسرة سامية، ولو أنه قبل قليل من الوقت مضى لم يتقلب في إعطاء تأييـده للترتيبات العـامـة للمملكة، لبات يعـدّ مرسـاة الاستقـرار، وترس الدفـاع عن المملكـة كلهـا، ودفن أخيراً بمهـابة مستحقـة، في يوم عيـد القـديس أوربان، في كنيسـة القـديس بولص في لندن، بحكم أنه كان الأب والراعي لتلك الكنيسة.

إدانة وولتر سكوتني

وعـرض في الأسبـوع نفسـه وولتر سكـوتني، الذي كـان من قبل قهرمان ايرل غلوستر، والذي كان قد اتهم بدس السم، واعتقل، ووضع في سجن مضيق عليـه في ثلاث كونتيـات، خاصـة في كونتيـة وينكستر، عـرض تبرئـة نفسـه من التهمـة، ولكن الـذي كـان محزناً أن ترويه وأن تسمعـه، هـو أن الواقعـة نفسهـا التي منحتـه الثقـة الكبيرة في اطلاق سراحه، كانت السبب في اصـدار الحكم عليه بالإدانة، لأن الذين طلب منهم تقديم بينـة صحيحة في المحكمة عن الذي عـرفوه حـول القضية، أجـابوا: «بما أننا لم نعـرف قط أو سمعنـا، بأن وليم دي بلنسيـة المتقـدم ذكـره، أو أي واحـد مـن إخـوته، كـان مـدانـاً بأي شكل من الأشكال لوولتر المذكـور، وإن الذي نعرفـه بشكل صحيح ومتأكـدين منه هو أن وولتر المذكـور قـد تسلم مـؤخـراً كميـة كبيرة جـداً من المال، من وليم المتقدم ذكره، وبناء عليه، نحن أكثر ميلاً نحو الاعتقاد بأن هذه الأموال قـد دفعت إليـه من أجل تـدبير دس السم إلى مـولاه الايرل، وإلى وليم دي كلير أخيه، وإلى كثيرين آخرين، كما ورد الذكر أعلاه، لإرضاء رغبة الانتقام لدى الفئات المنفيـة، وليس سداداً لأي دين جرى التعاقـد عليه من قبل فيما بينهم، ونحن متأكـدين أكثر من صحة هذا الـرأي، بوساطة حقيقة أن وليم دي كلير، عندمـا وجد أنه قـد سمم، وأنه قد اقترب من

الموت، قـال بصورة علنيـة: «ليعلم جميعكم أن وولتر سكوتني هو الذي عهـد بي إلى فكي الموت»، وبناء على هذا، تبين للقضـاة أنه كـان مجرمـاً بعمل الخيانة هذا، وبذلك تمّ جره إلى وينكستر ليعلق على المشنقة.

★★★ ★★★ ★★★ ★★★

ملاحظة

ينبغي أن يكون معلومـاً، أن هذا العمـل قـد كتب إلى هذا المكان من قبل الراهـب المبجل متى باريـس، ومع أن خط اليـد قـد يتنوع، فإن الأسلوب نفسه بالتصنيف أمر ملاحظ، ولـذلك فإن جميع ماتقدم معزو إليه، إنما الذي كتب هاهنا فيها بعد وأضيف هو معزو لراهب آخر، أقدم على محاولة —مع أنه غير جـدير— متـابعـة عمل سلفـه العظيم، وذلك على الرغم من أنه لم يكن أهلاً لفـك أربطة حذائـه، ولم يقم حتى بذكـر اسمه في هذا الكتاب.

ذيل تاريخ متى باريس

[ذكر مؤلف «شهـود الحقيقة» هذا الذيل، ونسبة إلى راهب من الدير نفسـه، وعـزاه باليـوس Balaeus (ص ٣٢٦، ٣٧٦، ٣٧٧) إلى وليم ريشنغـر Rishanger, الذي كـان راهبـاً في دير القـديس ألبان].



الترتيبات بين ملكي إنكلترا وفرنسا من أجل إعادة ممتلكات ملك إنكلترا وأراضيه في القارة مقابل دفع مبلغ من المال

كـان هذا العام نفسـه، الذي هو العام الثـالث والأربعين لحكم الملك هنري (الذي كان هو الثـالث منذ الاستيلاء) فيـه قد عبر هذا الملك إلى فرنسـا، وطلب من الملك الفرنسي إعـادة الأراضي التي أخذت ظلماً من أبيه جون، وذلك حين استولى عليها فيليب جـد ملك فرنسا المذكور مع أبيه لويس، والتي ماتزال بشكل غير عـادل محتفظ بها، وقدم الفرنسيون كثيراً من الحجج ضـد ملك انكلترا، وكان من بينهـا حجة خاصـة، هي أن هبـة نورمـاندي لم تكن في الزمن القـديم عن طواعيـة، بل اغتصبت بالقـوة من الملك الفـرنسي بوسـاطة دوق رولو Rollo وبما أن الملك لم يمتلك لاالشجـاعة لاسترداد أراضيـه المفقودة، ولامـايكفي من مال لجمع جيـش، وفوق ذلك كله أنه رأى أن رعيتـه على وشك الثورة ضـده، قبل الشروط التـاليـة للسـلام، حيـث أنه أرغم إلى حـد مـا على القبـول بذلك، وقضت هذه الشروط ببقـاء دوقيـة نورماندي وكـونتيـة أنجو بحوذة الملك الفرنسي بسـلام، ومقابل ذلك كان عليه أن يدفع إلى ملك انكلترا ثلاثمائـة ألف باونـد صغير من نقـود تور، وبالاضـافـة إلى ذلك وعد بإعادة بعض الأراضي في غسكوني، وكانت تنتج سنوياً مورداً مقـداره عشرين ألف باوند، وبمـوجب هذه الاتفـاقية أيضـاً تخلى ملك

انكلترا كلياً وبدون تحفظ عن ادعاءاته ومطالباته بجميع الأراضي التي كانت آنذاك بين يدي الملك الفرنسي، وأن يقوم منذ ذلك الوقت فصاعداً باختصار ألقابه في رسائله، وأن لايشير إلى نفسه لاباسم دوق نورماندي، ولاكونت أنجو.

حرمان مانفرد كنسياً

وقام في هذا الوقت نفسه مانفرد بن فردريك، بتتويج نفسه ملكاً على صقلية، وفعل ذلك بناء على تسلم تقرير زائف أفاد بموت ابن أخيه كونرادين Conradin, وبناء على هذا حرمه البابا الاسكندر كنسياً على أنه محتل للمملكة لصالح المسلمين، وحرمه بموجب قرار قضائي من جميع ألقابه ومناصبه.

التحكم الظالم للأجانب بإنكلترا

في هذه الآونة ظلمت انكلترا بطرق متعددة من خلال خبل وفسولة الملك، وجاء ذلك بوساطة تحكم البواتيين والرومان، وبشكل خاص ايثيلمار، الأسقف المنتخب لوينكستر، ووليم دي بلنسية، أخوي الملك لأمه، وبطرس أوف سافوي عم الملكة، التي عامل رهبان المملكة وكذلك العلمانيين بعدم احترام ووحشية، وكان أي واحد قد عانى من أذى، وذهب إلى قهرمان وليم المذكور، ليطلب العدالة، كان يتلقى مثل الجواب التالي: «إذا ماألحقت بك أنا الأذى من سيقدم لك العدالة؟ إن رغبات الملك متماشية مع رغبات معلمي، وليست معارضة لها»، وهكذا لم يظهر هو الاحترام لالملك أو إلى أي واحد من النبلاء، وفي هذه الأيام أيضاً ساد الرومان مع نائبهم البابوي في انكلترا، وألحقوا أضراراً جسيمة بالعلمانيين وكذلك باللاهوتيين بالمسائل المتعلقة بنذور الكنيسة، حيث جهزوا أصدقائهم بالمنافع الشاغرة حسب رغباتهم، ونصبوا أنفسهم في مواجهة الأساقفة، ورؤساء الرهبانيات، ورجال الدين

الآخـرين، وطوقـوهـم بقـرارات الحرمـان الكنسي، ونتيجـة لهذا سخط النبـلاء من أعمال التجبر هـذه، فحـركـوا أنفسهم —مـع أن ذلك جـاء متأخـراً— لتقديم العلاج، وأرغمـوا الأجانب على الفـرار من المملكة، حسبما سيظهر في الصفحات التاليـة، وهم في الحقيقة لم يطردوهم جميعاً، بل اهتموا بشكل خاص بطرد البواتيين.

وفاة البابا الاسكندر وخلافته من قبل البابا أوربان الرابع

في عام النعمة ١٢٦٠، الذي كـان العام الرابع والأربعين لحكم الملك هنري الثـالث منذ الاستيـلاء، كـان الملك في لندن أيام عيـد الميـلاد مع حشـد من الأجانب، ومـات البابا الاسكندر في هذا العـام، وقد خلفـه أوربان الرابع، الذي كـان من قبل بطريرك القدس، وبعـد تتويجه، تمكن بمساعـدة الصليبيين من هزيمة جيش للرومـان، كان مانفـرد قد أدخله بالقوة إلى ميراث القديس بطرس، وأعطـى مملكة صقلية إلى شارل أخي ملك فـرنسا، على شرط أن يقـوم بطرد مـانفـرد من المملكة، ومنذ ذلك الحين بدأ ملوك صقلية يحملون رنوك ملك فرنسا.

موت يهودي في كنيف من خلال أوهامه

وفي هذا الوقت نفسـه حـدث في توكبري Tewkesbury أن سقط يهودي في كنيف، وصـدوراً عن احترامه للسبت، وهواليـوم الذي وقع فيـه الحادث، لم يسمح لنفسـه بالاخراج، حتى اليـوم التـالي، الذي كان يوم أحد، ونتيجة لذلك مات، لأنه اختنق من الروائح القذرة.

ونشب في هذا العام خلاف بين الملك وبين نبلاء المملكة، نتيجة لعدم مراعـاة الملك للشروط التي عملت في البارلمان الذي عقـد في اكسفورد، وفوق هذا كله قيام الملك بصورة غير حكيمة بالرفع من شأن الأجانب، واسرافـه في إغنائهم، وهم الذين لم يكونوا نافعين ولامخلصين للمملكة، ونتيجـة لهذا تحالف النبلاء مع بعضهم بعضـاً، وأمروا وليم دي بلنسيـة

وأتبـاعه بمغـادرة انكلترا، وبعدم العـودة مطلقاً، وذلك حسبما سنذكـر بالتفصيل الكامل فيما بعد.

كيف جرى تحليل الملك من يمينه بوساطة البابا

ندم الملك، الذي كـان مع ابنه الأكبر ادوارد والبـارونات، قد أقسمـوا بعـزم وبدون تردد ونكـوص على مـراعـاة القـرارات التي اتخذت في اكسفـورد، لإقسـامهم ذلك اليمين، وخشي الملك من نيله تهمـة الحنث باليمين، إذا لم يقم بالالتزام بهم ومراعاتهم، ولذلك بعث بشكل سري إلى البابا يرجوه أن يحلله من يمينه، وقد حصل على هذا المعروف بسهولة.

كيف قوبل رجال العدالة بالصد في هيرفورد

في هذا الوقت جرى إرسال رجال العدالة الجوالين العاملين في خدمة ملك انكلترا إلى هيرفورد Hereford للقيام بواجبات وظيفتهم، لكن لم يسمح لهم بـدخـول المدينة، حيـث ادعى أعيـان الناس في تلك المنطقة من البـلاد، أن قدومهم معاكس للقوانين التي عملت مـؤخراً في اكسفورد، وهكذا عادوا دون انجاز لمهمتهم.

مقتل الفلورنسيين

وحوالي الوقت نفسه تعرض الفلورنسيون، الذين تحالفوا مع بعضهم لتدمير مدينة سيينـا، للهزيمة على أيدي جنود مانفـرد، وكونت جوردان Jordan, الذي آثر قضيـة مـانفـرد، وجـرى الاستيـلاء على مـدينتهم، ودمـرت جـزئيـاً، وهـم أنفسهم أرغمـوا على الخضـوع لحكم مانفرد والسيينيين.

الحرب في هنغاريا

ووقعت حوالي الوقت نفسه معركة جادة جرى القتال فيها بين ملكي هنغـاريا وبوهيميا بسبب بعض الأراضي، وتعـرض الهنغار إلى الهزيمـة،

فهربوا، فسقطت أعداد منهم للسيف، لكن أعداداً أكبر بكثير غرقت في نهر كانوا مرغمين على عبوره أثناء فرارهم، ثم دخل ملك بوهيميا إلى مملكة هنغاريا، وبناء عليه أعاد ملك تلك البلاد المناطق التي كان قد اغتصبها، وبوساطة حلف زواجي تأسست الصداقة وتثبتت بين الملكين من أجل المستقبل.

طرد البواتيين من إنكلترا

ودخل في الوقت نفسه سيمون دي مونتفورت —ايرل ليستر، ورتشارد كلير— ايرل غلوستر، ونيقولا فتز— جون، وجون فتز— غيوفري، وعدد كبير من النبلاء، في حلف مع بعضهم، واجتمعوا في اكسفورد، وهم مجهزين كما ينبغي بالخيول والأسلحة، وقرروا تماماً، وعزموا في نفوسهم إما أن يموتوا من أجل سلام البلاد، أو أن يتمكنوا من نفي المفسدين للسلام، ومثيري الاضطراب من البلاد، وجاء إلى هناك أيضاً مع بعضهم إلى المكان الذي تقدم ذكره أعلاه ايثيلمار، الأسقف المنتخب لوينكستر، ووليم دي بلنسية، وبواتيون وأجانب آخرون، وكان يحيط بهم حشد من الأتباع والأشياع، ورغب النبلاء في دعوة هؤلاء الأخيرين لمواجهة العدالة من أجل أعمالهم الشريرة، وأن يلتحقوا بهم وينضموا إليهم في أداء اليمين على تطبيق القرارات والمبادىء، التي عملت من أجل منفعة المملكة، ولكن بما أن الأجانب وجدوا أنفسهم غير أكفاء بالشجاعة، وكانوا خائفين من الخضوع للعدالة والقضاء، هربوا أثناء الليل إلى قلعة وينشلسي Winchelsea، وهناك على كل حال تم اقناعهم من قبل البارونات —الذين أرغموهم على التخلي عن القلعة— على مغادرة المملكة فوراً.

دعوى الاتهام التي عملت ضد البواتيين أمام البابا

وخاف النبلاء —على كل حال— من أن يقوم الأسقف المنتخب لوينكستر، بالذهاب إلى روما، وأن يتمكن بوساطة المال من دفع قضيته

هناك، حيث سيكون أكثر قدرة على إلحاق الأذى، ولذلك أرسلوا أربعة فرسان متمكنين من الفصاحة وأقوياء، إلى البلاط الروماني، وأمروا هؤلاء الفرسان بتقديم رسالة إلى البابا والكرادلة، مختومة بأختامهم، وهي حاوية على عرض للجرائم التي اقترفت من قبل الأسقف المنتخب المتقدم ذكره مع إخوته، وإفادة عن أعمال القتل، والسلب والنهب وعن مختلف أنواع الآثام الأخرى والمظالم، التي سحقوا بها شعب البلاد وآذوه.

كيف جرى تحرير إنكلترا لبعض الوقت من الاستخراجات الرومانية

وعلاوة على ذلك أمر النبلاء الرهبان الضامنين لكنائس الرومان، بعدم عدّ أنفسهم مسؤولين عن الضمان أمام الرومان، بل أن يقدموا حساباً عن أعمال الضمان المذكورة وعن مواردهم إلى حماتهم، أي إلى البارونات، في يوم ومكان جرى تحديدهما مسبقاً من قبلهم، وأخبروهم أيضاً أنهم إذا تصرفوا بشكل معاكس، فإن مقتنياتهم سوف يعهد بها إلى النار، وهم أنفسهم سوف يحصلون على المخاطر التي كانت تهدد الرومان، وأعطوا الأوامر نفسها إلى الأساقفة، وحظروا عليهم أن يقوم أياً منهم بالتدخل في قضية الرومان أو مواردهم، تحت طائلة العقوبة، حسبما تقدم الذكر أعلاه، وبترتيبات البارونات هذه، بقيت انكلترا غير مضطربة بالاستخراجات لمدة ثلاثة أعوام تقريباً، أي حتى أذعن سيمون دي مونت فورت، الذي تقدم ذكره أعلاه للموت، وحين مات تتوج بالشهادة، كما هو معتقد بشكل عام.

كيف حبس الملك نفسه في برج لندن

في عام النعمة ١٢٦١، الذي كان العام الخامس والأربعين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، كان الملك أثناء عيد الميلاد في برج

في لندن مع الملكة، وقد اقتيد إلى هناك بوساطة بعض النصائح الشريرة، لبعض الأشخاص، للتهرب من تنفيذ الاتفاق الذي كان قد عقده مع النبلاء، وفكر الآن باظهار مشاعره الغاضبة بشكل علني، ولهذا السبب حبس نفسه في برج لندن، وكسر مغاليق الأماكن الحاوية للمال، الذي جرى خزنه منذ زمن طويل، ووزع الأموال وبددها، واستأجر أيضاً عدداً من العمال لترميم وتحصين البرج المذكور، في الأماكن الأكثر صلاحية للدفاع، وعلاوة على ذلك، أمر بالأبواب التي حول مدينة لندن، بأن يجري تحصينها بعوارض وحواجز، ثم إنه جمع سكان المدينة ممن كان في الثانية عشرة من عمره فصاعداً، وجعلهم يقسمون على الاخلاص له، و كان هناك منادي ينادي في الوقت نفسه أن كل من يريد أن يقاتل من أجل الملك، عليه القدوم على الفور، وهو الذي سيتكفل بنفقاته، وعند سماع البارونات بهذا، تدفقوا كلهم من جميع الجهات مع وحدات كبيرة من الجنود، وعسكروا خارج المدينة، لأنه لم يسمح لهم بشكل مطلق بدخول المدينة للإقامة بها.

إرسال مندوبين من عند البارونات إلى الملك

وتم في هذه الآونة الحصول على رسالة تحليل، فيها جرى تحليل الملك وابنه ادوارد من الأيمان التي كانا قد أدياها، حسبما تقدم الذكر أعلاه، لكن ادوارد رفض ذلك، أو الإفادة من هذا التحليل، في حين أصر الملك على عناده، وعندما سمع النبلاء بأن الملك جرى تحليله على هذه الصورة، أرسلوا رسلاً إليه، ورجوه بتواضع أن يحافظ على اليمين الذي أخذه بشكل عام معهم، وأن لايخرقه، وبينوا أنه إذا كان هناك أي شيء ليس مرضياً بالنسبة له ومكروهاً، عليه أن يبينه لهم حتى يقوموا بإصلاحه، ولم يقبل الملك بأي شكل من الأشكال بطلبهم ولم يستجب له، بل رد عليهم بخشونة وتهديد، بأنهم نأوا عن اتفاقهم، وأنه لن يذعن لرغباتهم، بل المتوجب من الآن فصاعداً، على كل واحد منهم أن

يتجهز من أجل الدفاع عن ذاته، وبعد لأي تم أخيراً الوصول إلى تسوية بوساطة بعض الأشخاص، وتم الاتفاق على انتخاب فريقين، الفريق الأول لصالح الملك، والفريق الثاني لصالح البارونات، وأن يقوم هذان الفريقان بانتخاب فريق ثالث، ومن ثم يقوم الفرقاء الثلاثة بسماع الشكاوى من على الجانبين، وأن يقوموا بترتيب سلام ثابت القواعد بينهما، لكن تمّ الاتفاق على تأجيل القضية حتى وصول ادوارد، الذي كان آنذاك في القارة.

التحالف ضد المستشارين الأشرار

وكان ادوارد، الذي سمع بهذه الوقائع في منطقة نائية، وعندما سمع بها، عاد على الفور إلى الوطن، في سبيل أن لايجري تأخير إقامة السلام بسبب غيابه، وقد جلب معه وليم دي بلنسية الذي كان قد طرد مؤخراً من المملكة، وفي الحقيقة لم يكن الآن بإمكانه الحصول على اذن بالدخول إلى المملكة حتى يقوم بتأدية يمين بإطاعة القرارات والشروط العائدة للبارونات في جميع النقاط، وعليه إذا كان ضرورياً الاجابة على جميع الشكاوي التي قد تثار ضده، وعندما أخبر ادوارد، بعد وصوله، بالخطط الطائشة للملك، غضب كثيراً، ولم يقدم نفسه لأبيه، بل انضم إلى فريق البارونات تماشياً مع قسمه، وعقدت بعد ذلك اتفاقية فيما بينهم مشفوعة باليمين، بأن يبحثوا عن المستشارين الأشرار العائدين للملك مع محرضيهم، وأن يبقوهم بعيدين عن الملك، وذلك بقدر ما يمتلكون من قوة، وعندما أصبح الملك على دراية بهذا،حمل نفسه فوراً مع مستشاريه إلى برج لندن، وبقي ابنه ادوارد في الخارج مع البارونات.

طرد الإمبراطور بلدوين من القسطنطينية

وجرى في هذا العام طرد بلدوين امبراطور الاغريق مع الفرنسيين واللاتين، وذلك من قبل الاغريق بمساعدة الجنويين والبنادقة، وبعدما

استرد الاغريق امبراطوريتهم على هـذه الصورة، عينوا امبراطوراً عليهم واحـداً من بينهم أنفسهم اسمـه باليـولوغـوس Palaeologus, وهرب بلدوين، وبقي منفياً في فرنسا.

مختصر أخبار العام

كـان هـذا العـام كله عـام خـوف لانكلترا، واضطـراب للملك وللبـارونات، ومعطياً للسرور إلى الاغـريق، وبغيضاً إلى اللاتين، وكـان خصباً إلى حد ما في إنتاج الفواكه، ولطيف المناخ.

كيف غادر ملك إنكلترا برج لندن

في عـام النعمـة ١٢٦٢، الذي كان العـام السـادس والأربعين لحكم الملك هنـري، كـان الملـك المذكـور في برج لندن بصحبـة ملكتـه ومستشـاريه، الذيـن لم يكونوا لانافعين له ولامخلصين، والـذين كـانوا يخافـون من أن تجري محاولات للعنف ضـدهـم، لذلك أخـذوا الاحتيـاطات بالبقـاء وراء الأسـوار في داخل البرج، وأمكن أخيراً، بوساطة الملكة، التوصل إلى عمل سلام مع بعض النبلاء، وإن كان ذلك مع بعض الصعـوبة، وجـرى تبـادل قبل السـلام، وبناء على هذا أظهـر الملك نفسه بثقـة أعظم خارج البرج، وترك جون مـانسيل مسؤولاً عنه، ثم بادر مسرعـاً إلى دوفر، ودخل إلى القلعة هنـاك، من دون اذن وأيضاً من دون اعتراض، ثم اكتشف الملك للمرة الأولى بأنه كان مفروضاً على الزيف والخديعـة، وذلك عندما شاهـد بأن القلعة كانت محروسـة بعناية من قبل البـارونات، وهي جـاهزة تمامـاً ومهيأة لدخـوله، وعهـد الملك بالمسؤولية عن تلك القلعة إلى إ. E(?) ويلران، ثم بادر بالذهاب مسرعاً إلى قلعة روكستر، ومن هناك إلى بعض الحصون الأخرى، حيث وجد فيهم جميعاً مدخلاً حراً ومخرجاً حسب رغبته.

كيف انحسب الملك علناً من يمينه اعتماداً منه على التحليل البابوي

تصور الملك الآن نفسه في أمان، لذلك قرر أن ينسحب بشكل علني من يمينه الذي أداه، بحكم أنه حصل على التحليل منه من البابا، ولهذا قام بجرأة بجولة على المدن والقلاع، لأنه رغب في امتلاك سلطة كاملة عليهم وعلى المملكة كلها، وقد تشجع كثيراً على القيام بها بحقيقة أن نبلاءه قد وعدوه مؤخراً بمساعدته بقوة قوية، ولدى وصوله إلى وينكستر عزل من وظيفتيهما كل من المسؤول عن العدالة وقاضي القضاة اللذين جرى تعيينهما مؤخراً من قبل البارونات، وعين بدلاً عنهما اثنين وافقا هواه ورغبته، وعندما سمع البارونات بهذا، بادروا مسرعين، وهم مسلحين ومعهم قوة كبيرة إلى وينكستر، لكن جون مانسيل الذي توقع هذا، ذهب سراً إلى الملك وحذره من الخطر، وأرغمه على العودة بكل سرعة إلى برج لندن.

وكان هذا العام كله خصباً في انتاج القمح والفواكه، وكان مشحوناً بالغش والخداع بالنسبة للانكليز.

كيف خضع ملك إنكلترا والنبلاء إلى تحكيم ملك فرنسا

في عام النعمة ١٢٦٣، الذي كان العام السابع والأربعين لحكم الملك هنري الثالث، الحامل لهذا الاسم منذ الاستيلاء، أمضى الملك عيد الميلاد في برج لندن مع ملكته ومستشاريه، وفي هذه الآونة بذلت مساعي من قبل أساقفة انكلترا وكذلك أساقفة فرنسا لإعادة تأسيس السلام بين ملك انكلترا والبارونات، وكانت النتيجة أن أخضع الملك والنبلاء أنفسهم إلى تحكيم ملك فرنسا، وذلك بالنسبة للمقررات المتقدم ذكرها واتخذت في اكسفورد، وكذلك بالنسبة إلى أعمال الأذى والسلب التي اقترفت فيما بينهم.

كيف أصدر ملك فرنسا قراره ضد بارونات إنكلترا

في اليوم التالي ليوم عيد القديس فينسنت Vincent, اجتمع عدد كبير جداً من الناس في اميان Amiens, وذلك عندما قام لويس ملك فرنسا، بحضور الأساقفة، والكونتات مع آخرين من نبلاء فرنسا، بإصدار قراره بشكل مهيب لصالح ملك انكلترا ضد البارونات، حيث قضى «بالإلغاء إلغاءً نهائياً: المقررات، والقوانين، والالزامات التي تقررت في اكسفورد، باستثناء القرار المتعلق بالصك القديم العائد إلى الملك جون ملك انكلترا، الذي جرى منحه إلى المجتمع على اتساعه»، ولم يقصد بمثل هذا القرار إلغائه بأي شكل من الأشكال، وتولى هذا الاستثناء تثبيت ايرل أوف ليستر وآخرين، الذين امتلكوا سرعة خاطر بالادراك، فوقفوا ثابتين إلى جانب مقاصدهم بدعم المقررات التي عملت في اكسفورد، والتي شكل ذلك الصك الأساس لها.

وفي هذا الوقت أيضاً، قام للويلين عدو الملك، وأمير ويلز، بإحداث مذبحة مع أعمال سلب في أراضي ادوارد ابن الملك هنري.

عودة الملك مع مرافقيه من البارلمان الفرنسي

في هذا الوقت عاد إلى الوطن الذين كانوا حاضرين بارلمان الملك الفرنسي، وكان بين هؤلاء هنري ملك انكلترا، وملكته إليانور، وبونيفيس رئيس أساقفة كانتربري، وبطرس أسقف هيرفورد، وجون مانسيل، الذين تابعوا من دون توقف التآمر لإحداث كل مايمكنهم من أذى ضد البارونات، وحدثت منذ ذلك الحين بالفعل غلطة جديدة أسوأ من الغلطة الماضية، ذلك أن عدداً من النبلاء حنثوا بأيمانهم، وانسحبوا من ولائهم الممنوح إلى ايرل ليستر، الذي كان يناضل من أجل العدالة، وقام هنري ابن ملك ألمانيا، بعدما تسلم لقب Tikhel الذي منح إليه من قبل ادوارد ابن الملك، بالذهاب إلى مقدم تحالف

البـارونات وقال له: «مـولاي الايرل أنا لايمكنني الاستمرار بعـد الآن بالقتال ضـد أبي، ملك ألمانيا، وضـد عمي ملك انكلترا، وضد أقـربائي الآخـرين، وبناء عليـه بمـوافقتك واذنك، أنـا أترككم، لكنني لن أحمل السلاح ضـدكم، وعلى هذا رد عليـه المقـدم قـائـلاً وهو غير مكتئب: «مـولاي هنري، أنا لسـت حـزيناً على سـلاحك، بل حـزين من عـدم الاستقـــرار الـذي أراه فيك، وعلى هذا اذهـب، مع أسلحتـك، لأنني لاأخــاف منهم بأي شكل من الأشكـال»، وفي الوقت نفســه،انسحب أيضـــاً روجــر دي كلففـــورد Clifford, وروجـــــــــر ليبيرن Leyburne, وجـــون دي فـــوكس Vaux, وايمــــــــون لى استرانج Aimon L'Stranges, وكثير آخـــرون، أعمتهم الهدايا، لذلـك تخلوا عن التحـالف الذي أقسمـوا عليـه بشكل عـام للبارونات.

كيف شرع روجر مورتيمير بالأعمال العدوانية ضد البارونات

ثار في هذه الآونة روجـر مورتيمير Mortimer, —وكان من شيعـة الملك— ضد ايرل ليستر، ونهب أراضيـه ومزارعـه، وكان مقـدم حزب البارونات قد شكل تحالفاً وصداقة مع للويلين أمير ويلز، فأرسل جيشـاً قـوياً إلى تلك المنطقـة قـام بغزو أراضي روجـر المذكـور، ودمـر ممتلكاته وأحرقها، وحـاصر في الوقت نفسه ادوارد، واستولى عل قلعتي هي Haye وهنتنغـدون Huntingdon, اللتــان كـانتــا بحـوذة همفــري دي بوهن Bohun, كما أنه استــولى على قلعــــة بريكنوك Brecknock, وسلمهم جميعـاً إلى روجـــر المذكـــور ليكونوا تحت وصـــايتـه، وقـــام في حـوالي الوقت نفســه روبرت فيرار Ferrers, ايرل دربي Derby, الذي لم يقف لاإلى جـــانب الملك ولا إلى جـانب البارونات، والذي يمكنك القـول أنه لم يدخل في عـداد البـارونات، قـام بإلحاق كثير مـن الأذى، لأنه قـاد قـوة عسكرية

كبيرة، فأستـولى بها على ووركستر، ودخل المدينة، ودمـر مقـراً يهودياً هناك،ونهب رجـال الديـن والعلمانيين سـواء، وذلك حيثما التقى بهم، ودمر الحدائق الملكية، واقترف كثيراً من الآثـام الأخرى، التي من أجلها اعتقل فيما بعـد، وجلب إلى المحـاكمـة، وأودع في السجن في لندن، وفي حوالي الوقت نفسه استولى ادوارد ابن الملك على قلعة غلوستر ومدينتها بالخدعـة، وصدوراً عن كـراهيتـه للبارونات أرغمهـم على تقديم فـدية للمكان بدفع ألف باوند.

إجراءات البارونات

في عام النعمة ١٢٦٤، الذي كان العام الثامن والأربعين لحكم الملك هنري، الذي هو الثـالث بهذا الاسم منذ الاستيلاء، كـان الملك المذكور في لندن أيام عيد الميلاد بصحبته ملكته، ورتشارد ملك ألمانيا وعدد كبير من الآخـرين، وفي حوالي الوقت نفسـه، نهب سيمـون دي مونتفـورت قائـد البارونات، ممتلكات المتحيـزين للملك، وخاصـة الأجانب منهم، الذين كانـوا متحالفين بالدم مع الملكة، وأدخلوا إلى انكلترا بوسـاطتها، واعتقل بعض شيعـة البـارونـات، بطرس أسقف أوف هيرفـورد، الذي كـان بيرغندي الأصل، وحدث اعتقـاله في كنيسته الكاتدرائيـة، وحملوه إلى قلعـة أوردلي (؟) Ordely, وذلك بعـدمـا عملوا اقتسـام متسـاوي للمال فيما بينهم أنفسهم، وبعـد هذا زحف جيش تحت إمـرة سيمـون دي مـونتفورت إلى غلوستر، وحـاصر القلعـة لمدة أربعـة أيام، واعتقل —لكن من دون متـاعب كبيرة— حـاكمهـا، متى دي بيسيلي Besille, وكان أجنبياً، ولكن جريئاً وفارساً شجاعاً، وقد حمل إلى مكان اعتقـال الأسقف نفسه، ثم زحف مع قـواته إلى ووركستر وبورغ Burgh أوشروبري، التي دخلوها واستـولوا عليها مع مصـاعب قليلة، ثم زحف الايرل مـع جيش البـارونات إلى الأجـزاء الشرقيـة من انكلترا، ودخل إلى جـزيرة إيلاي بقـوات ضخمة، وجعـل المنطقة كلهـا

خاضعة له، وكان الملك والملكة أثناء هذا الوقت كله مقيمان في لندن، وحوالي هذا الوقت هرب كاتبهما الخاص ومستشارهما، جون مانسيل، الذي كان أغنى رجل في العالم، هرب تبعاً لأحد التقارير بشكل سري من برج لندن، خوفاً منه من انتقام البارونات، وفي هذه الآونة أيضاً، جرى اعتقال هنري ابن ملك ألمانيا من قبل وكلاء الملك، لأنه وقف إلى جانب الايرل والبارونات وآثر قضيتهم، ووصل في الوقت نفسه ادوارد ابن الملك من القارة، وعسكر في قلعة ويندسور Windsor مع بعض الجنود الأجانب، الذين جلبهم معه قبل وقت قصير مضى.

توقف الانهيار المفاجىء للسلام

وخاف الملك من أن يشدد الضغط عليه في برج لندن من قبل جيش البارونات، لذلك أقام سلاماً مؤقتاً معهم، بوساطة بعض الأشخاص الجبناء، ووعد بالالتزام بالمقررات التي اتخذت في اكسفورد، لكن الملكة وقد أثيرت بمكرها النسائي، بذلت كل الذي كان بإمكانها لمنعه من فعل ذلك، ونتيجة لهذا السلوك، عندما رغبت في إحدى المناسبات بالذهاب إلى ويندسور عن طريق التيمز، وركبت في مركب من أجل هذه الغاية، تجمع حشد من الرعاع من الفئات الدنيا للمدينة على جسر توجب عليها المرور من تحته، واستقبلوها لدى اقترابها بإهانات مزيجةوباللعنات، وبرمي الوحل والحجارة في المركب، وأرغموها على العودة إلى البرج.

وجرى ابرام شكل من أشكال السلام بين الملك وبين الايرل والبارونات، وفق الشروط التالية، وهي: إنه «ينبغي في المقام الأول، اطلاق سراح هنري ابن ملك ألمانيا من الاعتقال، وأن جميع قلاع الملك في جميع أرجاء انكلترا ينبغي تسليمها إلى البارونات والعهدة بها إليهم، وأن القرارات التي اتخذت في اكسفورد ينبغي الالتزام بها من دون احباط، وأن جميع الأجانب، ينبغي عليهم خلال وقت محدد الخروج من

انكلترا، باستثناء الـذين سـوف يسمح لهم بالبقـاء في المملكة بناءعلى موافقـة عامة من البـارونات، على شرط اعطاء وعد بالسلوك المخلص، وأنه من ذلك الوقت فصـاعداً، على السكان المحليين، المخلصين وذوي الأخلاق الحميـدة، والذين يرعون مصـالح المملكة ويتطلعون إلى ذلك، تسلم المناصب، وترتيب، أعمال المملكة تحت توجيه الملك.

تحصين قلعة ويندسور

بعـد وقت قصير من ابـرام هذه المعـاهدة، ومن دون التقيـد بالاتفاقيات، والوعود، والأيمان التي عملت، وضع بعض فرسان حزب الملك كميـات كبيرة مـن السـلاح والمؤن في قلعـة ويندسـور، وفي هذا الوقت نفسـه، ذهب ادوارد ابن الملـك إلى قلعـة بريستـول، حيث نشب خصـام بين فـرسـانه وبين شعب المدينة، الذين قـامـوا بعمل تحضيرات لحصـار القلعـة، وقـام ادوارد وهو مـذعـور، فبعث إلى وولتر أسقف ووركستر، الذي كان منحـازاً إلى البارونات، وذلك من أجل أن يذهب تحت حماية ذلك الأسقف إلى بلاط أبيه، ووعد بأن يقنع أبيه ومستشاريه بتبني إجـراءات السـلام، وبنـاء عليـه انطلق مـع الأسقف، لكن لدى وصوله إلى قلعـة ويندسور، دخل إليهـا، مما أزعج الأسقف كثيراً، الذي ارتاب به.

كيف أعطيت قلعة ويندسور إلى الإيرل سيمون

كان الايرل سيمـون قد وصل لتـوه لإلقاء الحصـار على تلك القلعة، وقـد تلاقى قـرب بلدة كنغستـون Kingston مع ادوارد، الذي عرض عليـه الدخول في مفاوضات لإقـامة ترتيبات للسـلام معه، لكن الايرل —بناء على نصيحـة وولتر الأسقـف المتقـدم الذكـر— رفض الإصغاء إلى اقتراح ادوارد، ولدى رغبتـه بالعودة إلى القلعـة، احتفظ به سجيناً، ونتيجة لهذا، جرى تسليم قلعة ويندسور إلى الايرل، مع السماح

بإعطاء الحرية إلى الحامية بالمغادرة مع جميع مقتنياتها إلى المكان الذي سوف يختاره أفرادها، وأعطي الأمان إلى الأجانب، وإلى الذين رغبوا بالعودة إلى القارة، وفي هذه الآونة تحالف للويلين، أمير ويلز بذاته مع ايرل سيمون، وقام خلال هذا الوقت بنهب كونتية شيستر والتخوم، وهدم قلعتي دايسارت Dysart وغنّوك Gannock, وكانتا عائدتين إلى ادوارد، وسواهما بالأرض.

وجرى بعد ذلك بوقت قصير عقد بارلمان في لندن، وفي هذا الاجتماع تحول كثيرون ممن كانوا واقفين إلى جانب قضية الايرل، إلى جانب الملك، وكان المقدم بينهم هنري الألماني ابن ملك ألمانيا من زوجته الماضية، وبدأت قوة الملك تسترد الثبات إلى بعض الحدود، ثم ذهب الملك إلى دوفر، وحاول الاستيلاء على تلك القلعة وانتزاعها من بين يدي الايرل، لكنه أخفق في مقاصده، فقام بالمغادرة ثانية.

كيف أعطى البابا أوربان مملكة صقلية إلى الكونت شارل

جرى انتخاب الكونت شارل شيخاً دائماً لمدينة روما، وأعطاه البابا أوربان مملكة صقلية، وأن تبقى بين أيدي ذريته حتى الوريث الرابع، على أساس التفاهم بأن ينتزعها من مانفرد.

وفي هذه الآونة ذهب الملك هنري إلى اكسفورد ليقدم صلواته وليزور ضريح القديس فريدوز Fredeswith, الأمر الذي لم يتجرأ على عمله ملك لانكلترا قط قبله، وبذلك أظهر أنه لايخاف من الآراء الواهمة للذين رأوا أنه غير شرعي للملوك الانكليز دخول تلك المدينة، لأن العذراء سوف تزورهم بانتقامها، والتحق به ابنه ادوارد في ذلك المكان، واقترح أن يقوما بقواتها المتحدة بطرد البارونات وابعادهم بقوة السلاح، وشرع بطرد رجال اللاهوت من اكسفورد، لكن حدث في الوقت نفسه، أن قام مواطنو لندن باعتقال رجال

العدالة التابعين للملك، وبارونات بيت المال، وألقوا بهم في السجن، وكان مع الملك في هذا الوقت الأمراء المشهورين التالين مع الشخصيات المهمة التالية: رتشارد ملك ألمانيا وعديله، وابنه ادوارد، ووليم دي بلنسية أخيه لأمه، والفارس المتميز جون كومين Comyn السكوتلندي مع حشد من السكوتلنديين، وجون بالأويل —لورد غالووي Galloway, وروبرت بروس Bruce —لورد أنانديل Annandale, وروجر كلففورد Clifford, وفيليب مارميون Marmion, وجون دي فوكس Vaux, وروجر ليبيرن Leyburne, وهنري بيرسي Percy, وفيليب باسيت، وروجر مورتيمير Mortimer, وانطلق مصحوباً بهؤلاء ومتبوعاً بجيشه يريد نورثأمبتون، وألقى الحصار على ذلك المكان، وتمكن في يوم الأحد في أسبوع الآلام من احداث ثلمة، ودخل إلى البلدة، وهنا أسر خمسة عشر فارساً من ذوي الأعلام هم: سيمون الأصغر، ووليم فيرير Ferrers, وبطرس دي مونتفورت، وبلدوين ويك Wake, وآدم نيومارکت Newmarket, وروجر بيرتراند Bertrand, وسيمون فتز— سيمون، الذي كان أول من رفع الراية ضد الملك، وبيرنير Berengere دي ووترفيل Waterville, وهوغ غبيون Gebion, وتوماس مونسيل Mauncel, وروجر بوتيفيلين Boteveleyn, ونيقولا ويك Wake, وروبرت نيونغتون Newington, وفيليب درايبي Drieby, وغريمبولد بونيمونت Grimbald Paunsemont وقد أرسل بهم جميعاً إلى مختلف الحصون، حتى يجري حفظهم في سجون مضيقة، وبالاضافة إلى هؤلاء وقع بالأسر أيضاً حوالي الأربعين فارساً من مرتبة أدنى مع عدد من حملة الترسة.

زحوف الملك والبارونات

وزحف الملك من ذلك المكان نحو نوتنغهام، حيث نهب عزب البارونات، واجتاحها من جميع الجهات، وعاملها بالنار والسيف، وازداد عدد أتباعه بشكل كبير، وعند سماع الايرل سيمون بهذه الإجراءات، ذهب إلى لندن، وأعد آلاتاً للحرب، في سبيل استخدامهم، لأنه عزم على حصار مدينة روكستر، التي كانت آنذاك بحوذة جون وارني، ومدافع عليها من قبله، وعندما كان سيمون وجيشه قد استوليا على الباب الأول للمدينة وعلى الجسر، سمع أخباراً جلبت إليه ولمن معه بأن الملك كان زاحفاً على لندن، وبناء عليه رفعوا الحصار، وزحفوا مسرعين للقائه، وقام الملك على كل حال بالابتعاد عن لندن، واستولى على قلعة كنغستون Kingston التي كانت عائدة إلى ايرل غلوستر، وزحف على روكستر، وهزم الذين تركوا فيها لحفظ البلدة والدفاع عنها، وذلك بعدما قتل عدداً كبيراً منهم، ثم استولى بعد ذلك على قلعة تونبردج Tunbridge, وقد وجد فيها كونتسة غلوستر، فسمح لها بالمغادرة وهي حرة، وبعدما ترك كتلة كافية من الجنود لحماية القلعة المسماة أخيراً، زحف إلى وينشيلسي Winchelsea, حيث سمح لشعب الموانىء بعمل سلامهم معه، ومن ثم تابع تقدمه حتى وصل إلى لويس Lewes, وجرت ضيافته في ذلك المكان في رئاسة الرهبانية، في حين عسكر ابنه ادوارد في القلعة، وعندما كان هناك كتب إليه البارونات الرسالة التالية:

رسالة البارونات إلى ملك إنكلترا

«إلى عظمة جلالة مولاهم هنري، الذي بفضل نعمة الرب الملك اللامع لانكلترا، وسيد ايرلاندا، ودوق أكوتين، من باروناته والآخرين من رعاياه المخلصين الذين يرغبون بالالتزام بيمين الاخلاص للرب وله، تحيات، مع جميع الخضوع الصحيح، والتشريف والاحترام.

إنه واضح تمام الوضـــوح، من عـــدة براهين، أن هنـاك بعض الأشخـاص الذين حول ذاتك، قـد كـدسوا الكذب فـوق الكذب، فيما يتعلق بنا وبجـلالتك، ويحاولون إلحاق كل أذى هـو بإمكانهم، ليس بنا فقط، ولكن بك أيضاً وبالمملكة كلها، ويمكن لجلالتك أن تكون متأكداً أن رغبتنا هي حفظ صحتك وسـلامة شخصـك بكل ماأوتينا من قـوة، وذلك مع الاخـلاص المستحق لـك، وأن غـايتنا هي أن نطرد —بقـدر مـالدينا مـن قـدرة— ليس فقط أعـداءنا، بل أيضـاً أعـداءك، وأعـداء مملكتك كلهـا فهل يرضي جـلالتك أن لاتصدق إفـاداتهم، وبالنسبـة لنا فإنك ســوف تجدنا رعـايا مخلصين لك، وقـد قـام ايرل أوف ليستر، وغيلبرت دي كلير بوضع أختامنا على هذه الـرسالة، بنا ءعلى طلب من البقيـة، وذلك من أجلهم ومن أجلنا. صدر، إلخ، إلخ»، وعـامل الملك هذه الرسالة باستخفاف، وتشوق من قلبه كله من أجل معركة، ولذلك رد عليهم برسالة التحدي التالية:

جواب الملك على الرسالة المذكورة أعلاه

«من هنري، الـذي هو بنعمـة الرب، ملك انكلترا، سيـد ايرلاندا، ودوق أكــوتين إلى سيمــون دي مــونتفــورت وغيلبرت دي كلير ومشايعيهما:

إنه لمن الواضح تماماً، من خلال إجراءات الحرب، وإثارة الاضطراب في مملكتنا من قبلكم، وكذلك أعمال الاحـراق والجرائم الكبيرة الأخرى التي اقترفت من قبلكم، أنكم لاتراعـون نحـونا الاخـلاص الحقيق بنا، وأنكم غير مهتمين بسلامة شخصنا، لأنكم آذيتم النبلاء كثيراً، والرعايا المخلصين لنا، والذين وقفـوا بثبـات إلى جـانب اخـلاصهم لنا، وحسبما أخبرتمونا في رسالتكـم، أن هدفكم العمل بقدر مـاهو متوفـر بقدرتكم، إننا نعـد الآن أن الإضرار بهم إضراراً لحق بنا، وأن أعداءهم هم أعـداء لنا، وكما قلنا من قبـل هم رعـايا مخلصين لنا، في الالتـزام بـاخـلاصهم

نحونـا، وقد ساعـدونا باخلاص ضـدكم في انعدام الاخـلاص لديكم، ونحن لسنا مهتمين لاباخـلاصكم ولابحبكم، ونحن نرفض أعـداءهم، شهـدت بنفسي في لويس، في هذا اليـوم الثـاني عشر من أيار، في السنة الثامنة والأربعين لحكمنا».

وكتب ملـك ألمانيـا، وادوارد ابن الملك إلى الايـرل المذكـور وإلى المتعـاونين معـه باسمهما، وبأسماء الآخـرين المؤيدين لقضيـة الملك وفق الصيغة التالية:

رسالة رتشارد ملك ألمانيا إلى البارونات

«من رتشارد الذي هو بنعمـة الرب، الملك الأغسطس للرومان، ومن ادوارد الابن الأكبر لملك انكلترا اللامع، ومن جميع البـارونات الآخـرين والفـرسـان المتمسكين بثبات بولائهـم نحو ملك انكلترا المتقـدم ذكـره، باخـلاص صـافي، ومع جميع ممتلكاتهم، إلى سيمـون دي مـونتفـورت، وغيلبرت دي كلير، وإلى جميع المتعاونين معهما في غدرهما:

علمنا من رسـائلكم التي قـدمناها إلى مـولانا الملك اللامع لانكلترا، أننا مـرفـوضين من قبلكم، مع أن عمل هذا الـرفض لم يكن ضرورياً، ولكن هذا بات واضحـاً إلينا بوسـاطة أعمالكم العـدوانيـة، وقد جـرى تنفيذه باحراق ممتلكاتنا، ونهب أراضينا واجتياحها، وبناء عليه نحن نود أن تعلموا جميعاً أننا نرفضكم جميعـاً وواحداً واحداً، وننظر إليكم أعداء معلنين، ونخبركم أننا سـوف نستخدم من الآن فصـاعداً جميع جهـودنا لإلحاق الأذى بكم، في كل ممتلكاتكم وأشخاصكم، وذلك حيثما وجدنا سبيـلاً لفعـل ذلك، وفيما يتعلق بالذي أكـدتموه بشكـل زائف، وهو أننا غير مخلصين للملك، وأننا لانقدم له النصيحة الصالحة، إن الذي قلتموه ليس صحيحاً بأي شكـل من الأشكال، وإذا مارغبت يامـولانا سيمون دي مـونتفـورت، أو أنت ياغيلبرت دي كلير، بتقـديم هذه الإفـادة في

محكمة مولانا الملك، نحن على استعداد لأن نمنحكم أماناً حتى تقدموا إلى المحكمة المذكورة، وذلك حيث سنكون نحن جاهزين أيضاً للبرهنة على براءتنا، وعلى زيف كل منكما، وأنكما خائنين جبانين، وذلك بوساطة واحد سيكون مساوياً لكما في الأصل والمكانة، ونحن جميعاً داخلين ومشمولين تحت ختمي: صاحب الجلالة ملك الرومان، ومولانا ادوارد. صدر كما ورد أعلاه».

الرفض الثاني لطلب البارونات من أجل السلام

وأرسل البارونات ثانية، هنري أسقف لندن، ووليم كانتيلوب Cantelupe أسقف ووركستر، إلى الملك بمثابة وسطاء، لإقامة السلام، وعرضوا دفع ثلاثين ألف باوند مقابل الأضرار التي عملت في جميع أرجاء المملكة من قبلهم، شريطة الحفاظ على كل الاحترام للقرارات التي عملت في اكسفورد، لكن ملك ألمانيا رفض الاصغاء للسلام بأي شكل من الأشكال، لأنه كان في حالة سخط كبير لأن البارونات قد ثاروا ضده، ونهبوا ممتلكاته، وقد صرح ضد السلام، ومنع في الوقت الحاضر الترتيبات، ولذلك عاد الرسولان ليعلنا بأن الفئة المضادة باتت مستعدة تماماً للحرب، وأن هذا كان قراراً نهائياً، ولذلك أمضى الايرل سيمون تلك الليلة كلها من دون نوم، وأمضى الوقت كله في الصلاة، وتأدية الواجبات المقدسة، وحث أصحابه وأتباعه على القيام بالاعتراف، وأعطى وليم كانتيلوب —أسقف ووركستر تحليلاً إليهم جميعاً، وأوجب عليهم، في سبيل الخلاص من ذنوبهم ونيل ذلك، القتال بنشاط ورجولة في ذلك اليوم من أجل العدالة، ووعد بالدخول إلى ملكوت السموات إلى جميع الذين سوف يموتون في سبيل مثل تلك القضية، وعندما بات جيش البارونات متأكداً بأن المعركة باتت وشيكة، غادر قبل الفجر قرية فلشنغ Fleching, حيث أمضى جزءاً كبيراً منهم الليل هناك، والتي

كـانت على بعد حـوالي ستة أميـال عن لويس، وقبل أن يبـدأوا بالحملة منح الايرل سيمون شرف الفروسية لغيلبرت كلير.

استراتيجية سيمون دي مونتفورت

وعندمـا وصلوا إلى مكان بالكاد كـان على مسـافـة ميلين من بلدة لويس، صعد سيمون مع رفاقه على مكان مرتفع، ووضع عربته فوقه في وسط الأثقـال وخيـول التحميل، وعـرض هناك رايتـه وربطهـا بشكل محكم إلى العربة، وأحاطها بعـدد كبير من جنوده، واستحوذ هو وجيشه على الأرض من على جهتـي هذا المكان، وانتظـر نتيجـة الأحـداث، وسجن في عربة أخرى أربعـة مواطنين من لندن كانوا قد تآمـروا لخيانته قبل وقت قصير، عندما كـان يمضي الليل في ساوثورك Southwark, وفعل هذا من باب الاحتياط، ثم قام بشكل حكيم بترتيب قواته، وأمر جنوده بربط صلبـان بيضـاء على صـدورهم وعلى ظهـورهم، وذلك ليظهـروا أنهم يقـاتلون من أجل العـدل، وفي الصباح البـاكـر من ذلك اليـوم فاجـىء جيش البارونات أتبـاع الملك الذين ذهبـوا يبحثـون عن الطعام، وقتل عدداً كبيراً منهم.

المعركة بين بارونات إنكلترا والملك

وتم اخبار الملك باقتراب البـارونات، فقام بالتحرك فـوراً مع جيشه، وذهب نحـو الأمام لمواجهتهم مع أعـلامه وهي منشـورة، وسار أمـامه الشعـار الملكي، المحمـول على تنين،وذلك بمثابـة إعلان بنفسـه رسـالة الموت، وكـان جيشـه مقسماً إلى ثلاث كتـل، وكـانت الكتلة الأولى تحت قيـادة ابنه الأكبر ادوارد، مصحـوباً بـوليم دي بلنسيـة، وايرل بامبروك، وجـون دي وارني —ايرل سري Surrey وسسكس Sussex, وكـانت الكتلة الثانيـة تحت قيـادة ملك ألمانيا وابنه هنري، في حين قـاد الملك هنري نفسه الكتلة الثـالثة، وكـان جيش البارونات مقسماً إلى أربع

فرق، حيث كانت الفرقة الأولى تحت قيادة هنري دي مونتفورت وايرل أوف هارتفورد، وكانت الفرقة الثانية تحت قيادة غيلبرت كلير، وجون فتز- جون، ووليم دي مونشينيل Monchesnil, وتألفت الفرقة الثالثة من اللندنيين، الذين كانوا تحت قيادة نيقولا سيغريف، وقاد الايرل سيمون وتوماس بيلفيدون Pelvedon الفرقة الرابعة، وانقض ادوارد وفرقته على العدو بشدة كبيرة أرغمته على التراجع، حتى قيل بأن عدد الفرسان الذين غرقوا قد بلغ الستين، وفي الحال أرغم اللنديون على الفرار، وقام ادوارد الذي كان متعطشاً لدمائهم، بسبب الاهانة التي وجهوها مؤخراً إلى أمه، بمطاردتهم لمسافة أربعة أميال، وأحدث مذبحة مرعبة بينهم، ولكن بغيابه أضعف كثيراً قوات الملك، وفي الوقت نفسه شاهد بعض قادة جيش الملك علم الايرل على الرابية، فظنوا أن الايرل نفسه كان هناك، فبادروا فجأة مسرعين إلى هناك وقتلوا المواطنين اللندنيين الذين كانوا محبوسين في العربة، وذلك دون أن يعرفوا أنهم كانوا من أصدقاء قضيتهم، ولم يكن خلال هذا الوقت كله الايرل وغيلبرت كلير من دون نشاط، بل صرعوا وقتلوا كل من تصدى لهم، ووجهوا جهودهم كلها بكثافة لأسر الملك وهو حي، وقد سقط عدد كبير من أعوان الملك أمامهم، وأما جون ايرل وارني، ووليم دي بلنسية، وغي لوزغنان وجميع إخوة الملك لأمه، وهوغ بيغود، وحوالي الثلاثمائة فارس مسلحين، فأداروا ظهورهم، وهربوا أمام الحملات الحادة للبارونات، ووقع بالأسر رتشارد ملك ألمانيا، وروبرت بروس، وجون كومين، الذين كانوا قد جلبوا عدداً من السكوتلنديين معهم، أما الملك هنري فبعدما قتل فرسه تحته فقد سلم نفسه إلى سيمون دي مونتفورت، وإثر ذلك بوقت قصير وضع في الدير تحت الحراسة، وقتل عدد كبير من البارونات السكوتلنديين على أرض المعركة في ذلك اليوم، والجنود الرجالة الذين قدموا معهم، فقد تعرضوا للقتل بأعداد كبيرة، وعلاوة على ذلك وقع

بالأسر همفري دي بوهون Bohun, —ايرل هيرفورد، وجون فتــــز— ألان —ايرل آروندل، ووليم باردولف Bardolf, وروبرت تيتشل Tatesull, وروجر سومري Somerey, وهنري بيرسي، وفيليب باسيت، ومن جانب الملك قتل رجلا العدالة: وليم ويلتون Wilton, وفولك فتـز— وارن، حيث سقط الأول في المعركة، وغرق الثاني في النهر، ومن جانب البارونات سقط هناك رالف هورنغاند Horinganade, وكان بارونـاً، ووليم بلند Blund, وكان حامل راية الايرل، ولقد قيل بأن الخسائر من على الجانبين وضعت مع بعضها، فوصلت إلى خمسة آلاف رجل.

كيف رغب البارونات بالتوصل إلى شروط سلام مع الملك

ولدى عودة ادوارد مع رفاقه بالسلاح من قتل اللندنيين، دون أن يعرف الذي حدث لأبيه، تجول حول البلدة ووصل إلى قلعة لويس، غير أنه لم يجد والده هناك، فدخل إلى الدير، حيث التقى به، وعلم بالذي حدث، وقام البارونات بالوقت نفسه بهجوم على القلعة، لكن الحامية قامت بدفاع فعال، فانسحبوا، وعندما سمع ادوارد بشجاعة الحامية ورجولتها تشجع كثيراً، وأعاد حشد قواته، ورغب في أن يجرب حظه في معركة ثانية، وعندما سمع البارونات بالذي عزم عليه، أرسلوا أشخاصاً للتوسط للسلام، ووعدوا بالتوصل إلى بعض الترتيبات المحددة حول هذا الموضوع في اليوم التالي، وتم التوصل في اليوم التالي بوساطة الرهبان الدومينيكان والفرنسيسكان، أن يتم في اليوم السادس المقبل تسليم ادوارد وهنري نفسيهما إلى الايرل سيمـون، بدلاً عن والديهما، ملكي انكلترا وألمانيا، على أمل الحصول على السلام والاستقرار، على شرط أن يجري حوار صحيح حول أي من القرارات والمبادىء ينبغي الالتزام بها لصالح المملكة، وأيها ينبغي إلغاءه، وأن جميع الخسائر من على الجانبين ينبغي التخلي عنها من دون أي تعويض،

وفي يوم السبت التالي أعطى الملك الاذن إلى جميع الذين وقفوا إلى جانب قضيته بالعودة إلى أوطانهم، وكتب بناء على رغبة الايرل سيمون إلى الذين كانوا في حصن تونبردج Tunbridge يأمرهم بالعودة إلى أوطانهم، وأن لايؤذوا البارونات، وقد سمعوا على كل حال بأن اللندنيين الذين هربوا من المعركة قد التجأوا إلى كرويدون Croydon, ولذلك لم يتقيدوا بهذا الأمر، فسلحوا أنفسهم، وانقضوا على ذلك المكان، وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وحملوا كميات من الأسلاب، وذهبوا من ذلك المكان إلى بريستول حيث بقيوا في حالة دفاع حتى اطلاق سراح ادوارد، أما بالنسبة لادوارد، فقد جرى إرساله إلى قلعة وولنغفورد من أجل السلامة.

مآسي وفواجع إنكلترا

كان هذا العام كله مع خمسة أشهر وأسبوعين من العام المتقدم، قد عبروا وسط رعب الحرب، ومحاولة كل واحد وسعيه للدفاع عن قلعته، ونهب كل واحد المنطقة المجاورة، ودمر الحقول، وسلب المواشي لتزويد قلعته بالمؤن من أجل المدافعين عنها، ولم يوفروا لاالكنائس ولاالمقابر، وعلاوة على ذلك تعرضت بيوت أفقر العمال الزراعيين للتفتيش وللنهب، ولحق النهب حتى القش الذي استخدم لحشايا النوم، ومع أن الايرل أعطى أوامر، أنه تحت طائلة الاعدام، أن مامن أحد ينبغي أن يتجرأ على الدخول إلى كنيسة مقدسة أو مقبرة، من أجل النهب، أو التعامل بعنف مع الرهبان أو مع خدمهم، مع ذلك لم يحصل على شيء من هذا الإجراء الحكيم، لأنه لم يتمكن لاالأساقفة، ولارؤساء الديرة، أو أي من رجال الدين بالعبور من بلدة إلى بلدة دون التعرض للسلب على أيدي قطاع الطرق بالليل.

وصف للسمات العامة للعام

وكان هذا العام، خلاله كله منتجاً بصورة لابأس بها للفواكه، ولطيفاً في المناخ، وصحياً، ولكنه في جميع الأحوال عبر مع الخسارة لانكلترا، بسبب الحرب العامة، واعتقال الملكين، والسلب المؤسف للمقتنيات بشكل علني وسري.

إجراءات سيمون دي مونتفورت

في عام النعمة ١٢٦٥، الذي كان العام التاسع والأربعين لحكم الملك هنري، الثالث بهذا الاسم منذ الاستيلاء، كان الملك مسجوناً في حبس الايرل سيمون، مع رتشارد ملك ألمانيا، وادوارد الابن الأكبر للملك، وبعض النبلاء الآخرين، وخلال كل من العام الماضي والعام الحالي أخذ الايرل سيمون ملك انكلترا وابنه ادوارد —الذي نقله من قلعة وولنغفورد— إلى حيثما ذهب حتى تمكن من الاستيلاء على جميع القلاع الأكثر حصانة في المملكة، ولكنه من ذلك الحين أبدى نفسه وهو أقل ميلاً للتعامل مع قضية السلام، وفقاً للشروط التي تقدم إعدادها، لأن الملك والمملكة كلها باتت تحت سلطته، وأخيراً وضع ملك الرومان في برج لندن، ووضع ادوارد وهنري، ابني الملكين، قيد الاعتقال في قلعة دوفر، وأخذ ملك انكلترا معه دوماً حيثما ذهب، هذا وكانا حيثما ذهبا وإلى أي مكان وصل، كان يستقبل دوماً بالتشريف، وذلك كملك، وأبدى الايرل نحوه كل نوع من أنواع الاحترام.

إجراءات أهل التخوم مع ويلز

قام في الوقت نفسه، عدد كبير من الفرسان الشجعان والمتميزين كان من بينهم روجر مورتيمير Mortimer, وجيمس أندلي Andeley, وروجر ليبورن Leybourne, وروجر دي كليففورد Clifford, وإيمون لى استرانج، وهوغ دي توربيفيل

Turbeville, وعدد آخـر، فأعلنوا عن سخطهم على هذه المعاملة للملك ولأولاده، وثاروا ضد ايرل ليستر بموافقـة عامة، ولكي يضبط وقاحتهم اتخذ الايرل سيمون للويلين —أمير ويلز حليفاً له، ودخل إلى قلعـة هيرفـورد، وأخـذ معـه سجينه ادوارد من دوفـر، ثم إنه استرد الاستيـلاء على قلعـة هي Haye, التي كـانت عـائـــدة إلى ايرل هيرفـورد، واستولى على قلعـة لودلو Ludlow, وبعـدما اجتـــاح أراضي روجـر مـورتيمير، زحف نحـو مـونتغمـري Montgomery, وفي ذلك المكان عقـد سـلام بين الايرل سيمون، والنبـلاء الذين تقـدم ذكـرهم، حيث قـدم النبـلاء رهائنهـم، وبعـد هذا، زحف الايرل نحـو المناطق الجنوبية من انكلترا، بقصـد مواجهة فـرقة من الجنود، روي بأنها كانت قادمة لمساعدة الملك.

كيف جرى إرسال نائب بابوي تولى حرمان البارونات كنسياً

في هذا الوقت نفسه تأثر البابا أوربان من الحالة المضطربة في انكلترا، فأرسل كاردينـال أسقف سابينو Sabino, بمثابة مندوب بابوي إلى تلك البلاد، لكن أسطول الموانىء الخمسة كان محتلاً وحارساً لجميع المنافـذ إلى انكلترا بوسـاطة البحـر، ولذلك بعث وراء بعض الأسـاقفـة للقـدوم إليـــه، فقـد أرسل إليهم أولاً للقـــدوم إلى اميـان Amiens, وبعد ذلك إلى بولون، وعهد إليهم بالاعلان ومن ثم تنفيذ قرار الحرمان الكنسي، والحرمـان مـن شراكـة المؤمنين، الصـادر بمـــوجب السلطات البـابوية ضد مـدينة لندن، والموانىء الخمسـة، وأيضاً ضـد جميع مثيري الاضطراب وتعكير سـلام ملك انكلترا، ومع هـذا استخف الأسـاقفـة بالقضيـة وراوغـوا حـولها، ومـا من شيء مؤكـد كـان معـروفـاً، مع أن مواقف عدة وآراء متنوعة جرى التعبير عنها، بطرق مختلفة، حول سبب سلوكهم وتصرفهم.

الخلاف بين الإيرل سيمون وغيلبرت دي كلير

وفي هذا العام، عندما كان ادوارد ابن الملك مايزال في السجن في قلعة هيرفورد، نشب خلاف بين سيمون ايرل ليستر وغيلبرت دي كلير، وكان سبب ذلك هو كما يلي: لم يكن ايرل أوف ليستر قانعاً بالاحتفاظ بملك انكلترا في سجنه، بل استولى على قلاع الملك ووضعها تحت سلطته، ورتب شؤون المملكة كلها حسب ارادته، والذي كان السبب الرئيسي للخلاف، هو أنه ادعى لنفسه وحصر بها وحدها إجراءات المملكة ومنافعها، ومبالغ فداء الأسرى وجميع الموارد المتوجبة الأخرى، وهذا كله كان من المفترض اقتسامه بالتساوي بينهما، وبدا أيضاً أنه نظر نظرة استخفاف إلى أولاده، الذين أصبحوا متجبرين، وكانوا الآن وراء الإعلان عن مبارزة سوف تعقد في دنستيبل ضد ايرل غلوستر، وقد جاء إليها اللندنيون وعدد كبير من الفرسان، والرجال المقاتلين، وعندما سمع والدهم بهذا، وبخهم على وقاحتهم، وفرض عليهم الاقلاع عن إجراءاتهم، وهددهم أنهم إذا لم يطيعوا أوامره، فسوف يضعهم في مكان لن ينتفعوا فيه من رؤية الشمس أو القمر.

وعندما سمع ايرل غلوستر بهذا المنع، غضب فوق حدود المعقول، ووجد الذين عملوا الاستعدادات من أجل المبارزة المذكورة صعوبة في تحمل أن يروا أنفسهم وقد حيل بينهم وبين مقاصدهم، وكان المصدر الأعظم للغضب هو النفقات الكبيرة التي تحملوها في هذا المجال، وقد نفسوا عن حنقهم ضد الايرل، وقالوا إنه أمر مضحك ومزعج أن يقوم أجنبي بامتلاك الوقاحةعلى امساك سيادة المملكةكلها بين يديه، وكان مما زاد غضب غيلبرت أنه عندما سأل سيمون المذكور ورجاه أن يسلمه ملك ألمانيا وبعض الأسرى الآخرين الذي جرى اعتقالهم من قبله (غيلبرت) ومن قبل أتباعه، رد سيمون رداً موجزاً بالرفض أن يفعل ذلك، ولهذا السبب تحولت الصداقة السالفة بينهما إلى كراهية، وتفجر

الخلاف وتصاعد إلى درجة أن غيلبرت لم يعد يقيم تقديراً لالقسمه، ولالإخلاصه للقضية، ولم يعد هناك شيء يمكن أن يهدئه، وعلاوة على ذلك دافع غيلبرت عن جميع النبلاء الفرسان للتخوم (الذين تقدم ذكرهم أعلاه) الذين أمر الايرل سيمون بموجب مرسوم أعلنه، بوجوب طردهم من المملكة، وقام غيلبرت بمراسلتهم، واستمالهم إلى جانبه بالتحالف معهم، وازداد تحالفهم بانضمام جون دي وارني—ايرل سري وسسكس، ووليم دي بلنسية —ايرل بمبروك Pembroke, الذي وهو على طريقه إلى المقاطعات الغربية من ويلز، نزل في بمبروك.

وعند ذلك أخذ الايرل سيمون الملك معه، وانطلق نحو هيرفورد، فجمع فرقة كبيرة من الجنود، مع نية اخضاع الفرسان الذين تقدم ذكرهم بقوة السلاح، وجرت في الوقت نفسه مساعي من قبل بعض الأساقفة، لإعادة ايرلي ليستر وغلوستر إلى سالف حالة الصداقة والوحدة بينهما، لكن ذلك كان بلا محصلة.

وفي هذا الوقت عندما كانت الأمور على هذا الوضع، حصل ادوارد ابن الملك الذي كان موضوعاً في السجن في قلعة هيرفورد، على اذن من حراسه، ليقوم بتمارين في الحقل خارج المدينة، وليفرج عن نفسه ويسليها بتجريب سرعة خيولهم، وفي إحدى المناسبات، بعدما قام بتجربة عدد من الخيول، وبعد اتعابه لهم، اختار أخيراً واحداً جيداً، حيث امتطاه، وحثه على الاسراع بمهمازيه، وقال وداعاً لحراسه، وعبر نهر وير Wear, وكان مرافقاً باثنين من الفرسان، وبأربعة من الأتباع، الذين كانوا على دراية بنواياه، ووجه طريقه إلى قلعة ويغمور Wigmore, وطارده حراسه، لكنهم حين شاهدوا رايتي روجر مورتيمر، وروجر دي كليففورد، اللذان كانا قادمين لمساعدة ادوارد في فراره، لم يعد بإمكانهم المطاردة وعادوا إلى هيرفورد، ووقعت هذه الوقائع عشية عيد التثليث، وجرى الاعداد لها بالتشاور مع، وبمساعدة الفرسان الذين تقدم ذكرهم.

إجراءات سيمون وإدوارد

وهكذا وقد تخلص ادوارد من سجنه، قام بحشد جيش كبير، لأن أعداداً كبيرة تدفقت على الالتحاق به، ودخلت كونتيات: هيرفورد، وووركستر، وسالوب Salop وشيستر بتحالف معه، وتدفق سكان البلدات، والقرى، والمدن، والقلاع للانضواء تحت رايته والانضمام إليه، فقام على الفور بحصار مدينة غلوستر، التي كان الايرل قد استولى عليها مؤخراً، وترك حامية فيها، فرت الآن إلى القلعة، ولكن بعد حصار لمدة خمسة عشر يوماً سلموا القلعة إليه أيضاً، ولتقديمهم يمينهم أنهم لن يحملوا السلاح ضد ادوارد في المستقبل، سمح لهم بالمغادرة وهم أحرار، وهاجم ايرل ليستر في الوقت نفسه قلعة مونماوث Monmouth, التي كان ايرل غلوستر قد استولى مؤخراً عليها وحصنها، وبعدما أرغم الحامية على الاستسلام، هدم القلعة وسواها بالأرض، ثم إنه دخل إلى غلامورغانشاير Glamorganshire, في أراضي ايرل غلوستر المذكور، وبما أنه التقى بأمير ويلز مع مساعدة، تمكن المقدمان من اجتياح المنطقة كلها بالنار وبالسيف، وسمع ادوارد في الوقت نفسه أن كثيراً من شيعةالايرل سيمون، قد تدفقوا مع بعضهم إلى قلعة كنيلوورث Kenilworth ولذلك ضم قواته إلى قوات ايرل غلوستر، وانطلق زاحفاً من ووركستر في المساء، فوصل إلى ذلك المكان بزحف قوي، وانقض على المكان فجأة، فأسر ايرل اكسفورد، وحوالي الثلاثة عشر فارساً من ذوي الرايات، قبل أن يتمكنوا من الدخول إلى القلعة، التي كان سيمون ابن الايرل سيمون قد أغلقها على نفسه وتحصن بها، أما سيمون ايرل أوف ليستر، الذي احتفظ دوماً بالملك برفقته، فقد عاد من جنوب ويلز، ووصل يوم عيد القديس بطرس في الأغلال إلى كمبسي Kempsey, وهي مزرعة كانت عائدة إلى أسقف ووركستر، وأقام هناك في اليوم التالي، وعاد ادوارد

وقتهـا من كنيلوورث إلى ووركستر، التي كانـت تبعد ثلاثة أميـال فقط عن العزبة المتقدم ذكرها، ولـدى سماع سيمون بوصوله إلى هناك، ابتعد مع الملك عند بـداية الليل، وعسكر في بلدة ايفهـام، حيـث انتظر قـدره غير السعيد، لأنه في اليـوم التالي، وهو اليوم الذي عثر فيـه على القديس اسطفــان، تحرك ادوارد من ووركستر، وعبر النهــر قــرب بلدة كلين Claines, وقطع إمكانيـة اتصال الايرل بابنه الذي كــان في قلعة كنيلوورث، ومنع أية فـرصة، أوإمكانية اللقـاء بين الأب وابنه، وزحف في اليـوم التالي حتى بات قـريباً من بلدة ايفهـام، هو من الجانب الأول، وايرل غلوستر وروجـر مـورتيمير قد قـدمـا كل لوحـده من الاتجاهين الآخرين، وهكذا بات ايرل ليستر مطوقـاً من جميع الجهات، وبات تحت ضرورة التسليم عن طواعية، أو انشاب القتال معهم.

وفي الخامس من آب، الذي وقع في اليوم الثـالث من الأسبوع، التقى الجيشـان في سهل واسع خـارج البلدة، حيث أعقب ذلك صراع جـاد، واستمـر ذلك حتى بدأ أتباع الايرل بـالتراجع، ووقع ثقل القتال عليـه، وقـد قتل على أرض المعــركـة، وعند مقتله هبت عـاصفــة من الرعـد والبرق، وانتشر الظلام على مســاحــة واسعــة، وقـــد أصيب الجميع بالدهشـة، وسقـط هناك إلى جـانب الايرل في تلك المعـركـة اثني عشر فـارساً من حملـة الأعلام، وهم: هنري ابنه، وبطـرس دي مونتفـورت، وهوغ ديسبنسر Despenser رجل العدالة لانكلترا، ووليم دي مـــانـديفيل، ورالف بـاسيت، وولتر دي كـــــرسبغني Crespigny, ووليم يـورك، وروبرت تريغـــور Tregor, وتومــــــاس هوستلي Hostelee, وجــون بيــوشــامب Beauchamp, وغي بالأويل، وروجـر دي رولي Roulee, وعـدد كبير آخـر من ذوي المراتب الأدنى، وكذلك من الأتباع، والرجالة، وكانت الخسارة الكبرى بين الويلزيين، وهكذا انتهت جهـود ذلـك الرجل النبيل ايرل سيمـون،

الذي لم يقدم ممتلكاته فقط، ولكن شخصه أيضاً للدفاع عن الفقير ضد الظلم، وللحفاظ على العدل وعلى امتيازات، المملكة، وكان متميزاً بعلمه، وبمواطنته وصرفه انتباهه لتأدية الواجبات الدينية، فذلك كان يشكل سروراً له، وكان معتدلاً ومقتصداً، وكان من عاداته ممارسة السهر في الليل، مفضلاً ذلك على النوم، وكان جريئاً في الكلام، وله مظهر حاد، وقد وضع ثقة كبيرة في صلوات الرهبان، وقدم دوماً احتراماً عظيماً للاهوتيين، وسعى للالتزام بنصائح القديس روبرت الذي كنيته غروستيت Grosstete —أسقف لنكولن، وعهد إليه لتربيتهم، عندما كانوا صغاراً جداً، وعلى نصيحة ذلك الأسقف اعتمد أثناء ترتيبه للمسائل الصعبة، ولدى محاولته القيام بمخاطرات مشكوك بها وصعبة، وفي انهاء ماكان قد بدأ به، ولاسيما القضايا التي أمل أن يزيد بها من فضائله، ويروى بأن ذلك الأسقف نفسه قد فرض عليه أن يتبنى هذه القضية من أجل الحصول على عفو من ذنوبه، وفعلاً التزم بها وقاتل حتى الموت، معلناً أن سلام كنيسة انكلترا، لايمكن تأسيسه بثبات إلاّ بوساطة السيف، ومؤكداً له بصورة ايجابية، أن كل من سيموت من أجله سوف يتوج بالشهادة، وذكر بعض الأشخاص، علاوة على ذلك، أن الأسقف وضع في إحدى المناسبات يده على رأس الابن الأكبر للايرل وقال له: «ياولدي العزيز، أنت مع أبيك ستموتان في يوم واحد، وبنوع واحد من الموت، لكن ذلك سوف يكون في سبيل العدل والصدق»، ومضت التقارير إلى القول أن سيمون، تميز بعد وفاته، بعمل عدد من المعجزات، وهي معجزات لم يتم الاعلان عنها واشهارها، خوفاً من الملك.

كيف أعطى إدوارد الأوامر بدفن الموتى

وبعدما حصل ادوارد على هذا النصر المبكي، أعطى أوامره إلى رهبان ذلك المكان بدفن أجساد الموتى، ولاسيما الذين كانوا من المراتب العليا،

وأن يكـون ذلك بشكـل لائق، وحضر شخصيـــــاً جنازة هنـري دي مونتفورت، الذي كان والده الملك قد أمسكه عند جرن المعمودية عندما جرى تعميـده، والذي نشأ معه وتربـى، وقد أحبه، لأنه رافقـه منذ أيام الطفولة.

وقال بعضهم أنه قبل المعركة المذكـورة، خرج سيمون إلى خارج بلدة ايفشام، وشـاهد بأية حكمة وبراعة جـرت تعبئة صفوف أعدائـه، فقال لمرافقيـه: «بحق ذراع القـديس جيمس (هكذا كـان قسمه المعتـاد) إنهم يقتربون بحكمـة، ولقد تعلمـوا هذه الطريقـة مني، وليس من أنفسهم، لذلك دعونا نوصي بنفوسنـا إلى الرب، لأن أجسادنا سوف تكون لهم»، كما أنه حث هوغ دسبنسر و رالف باسيت مع آخرين على الفـرار وانقاذ أنفسهم من أجل أوقـات أفضل، لكنهم قـالوا بأنهم لايودون العيش إذا مامـات هو، وبعد مقتله قطـع أعداؤه رأسه، وقـدميه، ويديه، مضـادين ومخالفين بذلك جميع قـوانين نظام الفـروسيـة، وقـدم رأسـه إلى زوجـة روجر مورتيمير التي كانت مقيمة في قلعة ووركستر.

وأصيب الملك في هذه المعـركة بجراحـة من ضربة رمح قـذف نحوه من دون قصـد، فصـار في خطر فقدانه حيـاته، وبهذا النصر أعـاد الملك تأسيس سلطتــه الملكيـة، وبناء على نصيحـة ابنه المنتصر دعـــا إلى عقـد بارلمان في وينكستر، في عيــد ميــلاد العـذراء المجيــدة، وقــام في هذا البـارلمان— بعـد التشـاور، بتجـريـد لندن، بسبب أعمال عصيـانها، من حـرياتها القـديمة وامتيـازاتها، وأمـر بمقدمي العـاملين ضـد السلطات الملكيـة بالالقاء بالسجن، انتظاراً لرضـاه، وفي يوم عيد القـديس ادوارد جرد جميع الـذين وقفوا إلى جانـب الايرل سيمون ضد مـولاهم الملك، من أمـلاكهم ومـواريثهم، ومــالبث بعـد ذلك أن أعطى أراضيهم، إلى الذين وقفـوا مخلصين إلى جانب الملك، معـوضـاً كل واحد منهم وفقـاً لاستحقـاقـاته، ولذلك قـامت الفئـات المحـرومـة بالتجمع مع بعضهـا

بعضاً، وانخرطت في أعمال النهب والسلب في جميع الاتجاهات، وكان على رأس الذين حرموا: سيمون، وغي، ولدي الايرل سيمون دي مونتفورت، وسمح لزوجة الايرل بالمغادرة وهي تمتلك حريتها، مع جميع مقتنياتها، وتبسلمت أماناً من ادوارد، وبناء عليه عادت إلى بلادها الأصيلة، ولم تعد.

الوقائع في بلدة القديس ألبان

وفي هذا الوقت كانت بلدة القديس ألبان، مدافع عنها بقوة، والأبواب أمينة ومحكمة الاغلاق بالحواجز والأقفال، من كل من الداخل والخارج، بسبب الخوف الذي أوحت به الحرب، وجرى منع الدخول إليها إلى جميع المسافرين، خاصة إلى الفرسان، ثم إن غريغوري ستوك Stock عمدة هارتفورد، استاء من شجاعة شعب بلدة القديس ألبان، وتبجح متفاخراً بأنه سوف يدخل إلى البلدة مع ثلاثة شبان فقط، دون المبالاة بالأقفال والحواجز، وأنه سوف يعتقل ويحمل معه إلى هارتفورد أربعة من أعلى فئات المواطنين، وفي سبيل تنفيذ هدفه دخل إلى البلدة، وأخذ يسعى في جميع الاتجاهات مثل إنسان فقد عقله، وكان يلقي بنظره هنا وهناك، وكأنه كان على وشك تنفيذ خطة عظيمة، وأخيراً قال لواحد من الشباب الذين كانوا بصحبته: «كيف حركة الريح؟»، وبناء عليه سمع جزار كلماته، فظن أنه يريد إحراق البلدة، فقال: «سوف أعلمك كيف تتحرك الريح»، وقام على الفور بتوجيه ضربة له على وجهه بقوة جعلته يسقط على الأرض، ثم إنه جرى اعتقاله مع الشباب الذين كانوا معه، ووضعوا بالأغلال، وفي الصباح تم قطع رؤوسهم من قبل الجزارين، ووضعت رؤوسهم على أربعة أعمدة عالية، نصبت في الزوايا الأربعة للبلدة، وعندما سمع الملك بهذه الإجراءات، وضع غرامة على المدينة مقدارها مائة مارك، حيث جرى دفعها على الفور.

مذنب غير اعتيادي

وظهرفي هذا العام مذنب مـدهش، لم يشاهد مثله من قبل، وقد ظهر في الشرق مع اشعاع كبير، واتخذ طريقه نحـو الغرب نحو وسط السماء، مضيئاً جميع أجزاء السماء التي عبر بها في طريقـه، ومع أنه مما لاشك فيه أنه بشر بوقوع كثير من الوقائع في مختلف أنحاء العالم، هناك شيء واحد مؤكـد، هو أنه عندما ظهر للمـرة الأولى، وقع البابا أوربان مـريضاً وفي الليلة نفسها التي مات فيها، اختفى فيهـا هذا المذنب، وذلك بعدما بقي لمدة ثلاثة أشهر، ومات ذلك الحبر في باريس، وقد دفن هناك.

البابا كليمنت السادس

وقد خلفه البـابا كليمنت السادس، الذي كان من مواليـد بروفانس، وكـان متـزوجـاً من قبل، له زوجـة وأولاد، وكـان محامياً مشهـوراً ومستشـاراً للملك فرنسـا، وقام بعـد وفاة زوجتـه، بسبب حياته الجيـدة، وتميـزه العلمي في المقـام الأول، فصـار أسقفـاً لمنطقـة بوي Puy, وبعـد ذلك رئيساً لأسـاقفة نربون، وجـرت ترقيته بعـد وقت قصير إلى مرتبـة كاردينال، وصار أسقف أوف سابينو، وجـرى إرساله إلى انكلترا نائباً عن البابا أوربان، لإعادة تأسيـس السلام هناك، وجرى انتخابه بابا أثناء غيابه.

وازدهر في هـذه الآونة في باريس: تـومـاس أكـوينا Aquinas وبونافينتشرا Bonaventura وباتا عـالمين مشهـورين، وكـان الأول بينهما من طائفـة الدومينيكان، أمـا الثـاني فكان من طـائفـة الفرنسيسكان.

مقتل خمسين من قطاع الطرق على أيدي الفلاحين

وفي هذه الآونة شـق خمسـون رجـلاً جـريئاً، مسلحين بالسيـوف والقسي، طريقهم إلى داخل دير الـراهبـات في القـديس جـايل دي بوي

Bois, قرب بلدة القديس ألبان، وبعدما نهبوا مقتنيات النساء الفقيرات المقيمات هناك، واقتراف جرائم كبيرة أخرى، غادروا وهم محملين بالأسلاب، وعندما كانوا متحركين باتجاه دنستيبل، لحقهم رجل وهو يصرخ وينفخ بالبوق، ولدى سماع الصوت اجتمع جميع سكان الجوار واحتشدوا، وأخبروا بأن «هؤلاء الأشخاص قد سلبوا دير راهبات دي بوي، واقترفوا كثيراً من الجرائم هناك»، ومدهش أن تروي بأن جميع اللصوص قد أصيبوا على الفور، وأصبحوا وكأنهم غير قادرين على الكلام، كما أنهم أصبحوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، ولم يتوفر واحد منهم كان باستطاعته رفع يده لتجريد سيفه، أو أن يفوّق قوسه، فإلى هذا الحد كان الانتقام اللاهوتي قد أثير ضدهم، ونتيجة لذلك صرعوا، وجميعهم تم قتلهم على أيدي الفلاحين، ومات بعض الذين هربوا باخفاء أنفسهم في التخوم من الجوع.

كيف جرى تتويج شارل أخو ملك فرنسا ملكاً على صقلية

وفي هذا العام نفسه، جرى ارسال أوتوبون Ottobon الكاردينال الشماس الحامل للقب القديس أدريان Adrian إلى انكلترا، من قبل البابا كليمنت بمثابة نائب بابوي، وسافر شارل أخو ملك فرنسا إلى روما، حيث جرى تتويجه ملكاً على صقلية من قبل البابا كليمنت، ووصل عدد كبير من الفرنسيين الذين حملوا الصليب ضد مانفرد إلى روما، تحت قيادة غي أسقف أوكسيري Auxerre, وروبرت ابن كونت فلاندرز، وبوكارد Boucard كونت فيندوم Vendome, لتقديم المساعدة إلى شارل.

مقتل الويلزيين

في هذا العام، وفي يوم الأحد قبل معركة ايفهام نزل حشد من الويلزيين تحت قيادة وليم بيركلي Berkeley وكان فارساً نبيلاً،

مع أنه كان مشهوراً بأفاعيله الشريرة، وقد نزل على اليابسة في ماينهد Minehead, قرب قلعة دنستير، وذلك بهدف نهب سمرستشاير Somersetshire وتمت مواجهتهم من قبل آدم غوردون Gordon, الذي قتل عدداً كبيراً منهم، وأرغم البقية منهم على الفرار معاً مع مقدمهم، وقد غرق عدد كبير منهم أثناء فرارهم.

كيف عمل الملك استعداداته لمهاجمة سيمون الأصغر

وفي حوالي يوم عيد القديسة لوسيا، حشد الملك جيشاً في نورثأمبتون، بهدف مهاجمة سيمون دي مونتفورت الأصغر، والنبلاء الآخرين الذين انضموا إليه، الذين كانوا متخفين في جزيرة أوكسهولمي Axholme, ووقتها اضطرب الرهبان الذين عليهم تأدية خدمة عسكرية كثيراً، وظلموا، ولسوف نحتاج إلى وقت طويل حتى نودع في هذا الكتاب رواية عن اضطرابات كل منهم، لذلك سوف نقول كلمات قليلة حول المصاعب التي عانت منها كنيستنا، كنيسة القديس ألبان، فقد أرسل رئيس رهبان دير القديس ألبان فرسانه إلى المكان المتقدم ذكره أعلاه، تحت إمرة كل من رئيس الشمامسة والحاجب للمكان نفسه، حيث توجب عليهم تقديم نفسيهما ومن معهما إلى الملك، وبعدما مكثوا هناك، مع عشرين فرساً لمدة ستة أسابيع مقابل نفقات كبيرة، فرض الملك أربعين ماركاً، واستخرجها مقابل كل فارس، ولم يستخرج هذا من كنيستنا لوحدها، بل من الجماعات الديرية الأخرى، التي توجب عليها تقديم خدمات فروسية إليه، والذين كانوا على استعداد لرهن أنفسهم من أجل فرسانهم.

مختصر أحداث العام

كان هذا العام، خلاله كله مثمراً وخصباً، ولكنه تميز بأعمال السلب والنهب والاغتصاب التي اقترفها قطاع الطرق، وقد اتسم بالدمار

بالنسبة لانكلترا، بسبب مقتل نبلائها والرعايا المخلصين الآخرين، وغير نافع للسكوتلنديين، بسبب خسارة ومقتل أبناء بلادهم في انكلترا، وكان عام أسى للويلزيين الذين شاهدوا أبناء بلدهم يذبحون مثل الماشية.

اخضاع سيمون الأصغر للتحكيم

في العام ١٢٦٦، الذي كان العام الخمسين لحكم الملك هنري الثالث منذ الاستيلاء، أمضى الملك المذكور عيدَ الميلاد في لندن، بصحبة زوجته، وملك ألمانيا وأوتوبون— النائب البابوي، وكان برفقته جيش مخيف، وجرى من خلال وساطة عدد من الشخصيات المرموقة، الذين سعوا إلى إعادة السلام بين سيمون الأصغر وبين الملك، إلى أن خضع سيمون للتحكيم من قبل النائب البابوي، وملك ألمانيا —خاله، وفيليب باسيت، على شرط استثناء زوجته، وعدم حرمانه من عضو من أعضائه، والسجن المؤبد، وبناء على هذا، قام، بعد تسلمه رهائن، بتقديم نفسه إلى الملك في نورثأمبتون، ولدى وصوله رافقه ملك ألمانيا إلى حضرة الملك، وهنا أعاد الشكر إلى سيمون لانقاذه حياته، حيث أفاد أنه كان سيقتل في كينلوورث، عندما قتل والده، لولا أنه جرى انقاذه من قبل سيمون الأصغر، وكان ساخطاً كثيراً على حامية القلعة من أجل وفاة سيدهم، وبناء على هذا تم قبول سيمون لدى الملك والرضا عنه ومنحه قبلة السلام، وكان من الممكن له الحصول على الحظوة الكاملة للملك، لولا حقد وحسد ايرل غلوستر وبعض الآخرين الذين ألقوا المعيقات في الطريق.

وجرى على كل حال الترتيب بأن يسلم سيمون قلعة كنيلوورث إلى الملك، وأن عليه أن يغادر المملكة حتى يبتسم السلام ثانية على انكلترا، وأنه سوف يتسلم خمسمائة مارك سنوياً من خزانة الملك، ورفض —على كل حال— الناس الذين كانوا في القلعة هذه الشروط، وأعلنوا أنهم لن

يسلمـوا القلعة لاإلى الملك، أو إلى سيمـون نفسـه، الذي ذهب إلى هناك تحت الأمـان، لأنهم قـالوا بأنهم لم يتسلمـوا المسـؤولية عن القلعـة من سيمـون، بل من الكـونتسـة، التي جـرى طردها مـؤخـراً من المملكة، وقـرروا عـدم التباحث حـول تسليم القلعـة إلى أي كـائن حي باستثناء الكونتسة نفسهـا، أو بحضورها، ولذلك ذهب الملك مع جيشـه لحصار القلعة، لكن الحاميـة دافعت عنها ضـد حملاته لمدة نصف عام، أي حتى الوقت الذي نقصت فيـه المؤن لديهم، فـوقتهـا استسلمت إلى الملك على شرط أن يحتفظ المدافعـون بحيـاتهم وأعضـائهم سـالمين معـافيين، وأنه يمكنهم أن يحملوا معهم مـن حـاجيـاتهم مّـاهو ضروري لهم، وكـان مـدهشاً أن منحهم الملك هـذا كله، مع أنهم نهبوا المنطقـة، وتجرأوا على الاحتفـاظ بقلعة قـائمة في وسـط المملكة، وضد المملكة، وضـد الملك، وكانوا أيضاً قبل وقت قصير قد اعتقلوا رسـولاً للملك، وبعدما قطعوا يده، أعـادوه إلى الملك مع السخـرية، لاظهار التحـدي الذي عـومل به الملك من قبل الأشخاص الذين جرى تجريدهم من أملاكهم.

كيف استولت الفئات المحرومة من أملاكها على جزيرة إيلاي

وفي الوقت نفسه، عندما كان الملـك مع جيشه كله مثابراً على حصار قلعة كنيلوورث، عـرف الساخطون المحرومـون من أملاكهم أن المناطق الأخـرى من انكلترا، كـانت مجردة مـن الحماية العسكرية لذلك نهبـوا المنطقـة واستـولوا على الأسـلاب، ودخلوا أخيراً عشيـة عيـد القـديس لورانس إلى جـزيرة إيلاي، حيـث أقـامـوا معسكراتهم، ونهبـوا المنطقـة المجـاورة يومـاً تلو الآخر، ووضعـوا مخزوناً من المؤن جلبـوه معهم، في تلك الجزيرة، وذهب أسقـف إيلاي ليعلن عن مأسـاته إلى الملك، لكنه استقبل بالتقريع، وعزا كثيرون الكارثة إلى ضعفه وعدم قدرته، وتداعى عوام المناطق إلى وضع حواجـز، لمنع غاراتهم من الجزيرة، لكن هؤلاء لم يظهروا الخوف من هذه الاستعدادات، وأرغموا هذا القطيع من الرعاع

على الفـرار، وطردوهم بعيـداً حتى بلـدة نورويك، وأرسلوا بعضـاً من رجالهم للاستيلاء على الأسلاب والمؤن، وتمكن هؤلاء من شق طريقهم بالقـوة إلى البلدة، وحملوا معهم كميـات كبيرة جـداً من الأسـلاب، ودخلوا إلى كمبردج وفق الطريقة نفسهـا، فاعتقلوا اليهـود والأشخاص الأغنيـاء الآخـرين، والذين وقع اختيـارهـم عليهم، وحملوهم معهم إلى الجزيرة، من أجل أن يفرضوا عليهم سعراً لفديتهم.

أسر وقتل أفراد شعب لين الذين قاموا بهجوم على الغزاة المتمردين

وفي هذه الآونة، ذهب شعب لين Lynn إلى الملك، ووعـدوه أنه إذا ماسيقـوم ثانيـة بمنحهـم امتيـازاتهم، فإنهم سـوف يجلبـون إليـه المستولين على الجزيرة، إمـا أحياء أو أمـواتاً (لأن الملك كان قـد حرمهم من امتيـازاتهم مثلما فعل ببلدات أخرى ومـدن شاركت بالعمل ضـده)، وبعـدمـا حصلوا على الذي طلبـوه، جمعـوا عـدداً كبيراً من الناس من الفئات الدنيا، وزحفوا مع بعض المراكب المشحونة برماة النشاب، وحملة القسي مع رجـال مسلحين بمختلف الطرق، لاعتقـال المستـولين على الجزيرة، وعلم المتمردون مسبقاً بوصـولهم، ونصبوا أعلامهم فوق أرض جـافة، حتى يتمكن القـادمون عبر النهـر من مشاهدة مكان وجـودهم، وعندمـا شاهد شعب لين عسـاكرهم وأعـلامهم هناك، شجعوا رجـالهم على النزول إلى اليابسةبكل سرعة، وعند ذلك اقتلع المتمردون أعلامهم، وتظاهروا بالفـرار، وكأنهم لم يتجـرأوا على مقـاومـة مثل تلـك القـوة الكبيرة، ولم يكن مواطنو لين مدركين لخطتهم، فنزلوا على اليابسة في كل اتجاه، وفي فوضى، وبناء عليـه عاد المتمردون وطوقـوا المواطنين وقواتهم من العـوام، وقتلوهم كيفما شاءوا، وأسروا بعـض الذين حاولوا العـودة إلى مـراكبهم، وقتلوا الآخـرين، وهلكت أعـداد كبيرة في النهـر، وعـدد صغير منهم هو الذي عاد إلى لين، حيث جرى استقبالهم بسخرية.

الخلاف بين إيرل غلوستر وبين روجر مورتيمير

وجرى في هذه الآونة اختيار النائب البابوي، وايرل غلوستر واثني عشر آخرين، لوضع شروط للسلام، وقد بذلوا غاية جهودهم لترتيب القضايا، بأن بإمكان المتمردين المحرومين من أملاكهم استرداد أراضيهم وممتلكاتهم، بدفع تعويض عن الجرائم التي اقترفوها، وعارض بشدة روجر مورتيمير مع الكونتات الآخرين الذين تسلموا أراضي المحرومين بمثابة هبة من الملك، ووقفوا ضد هذه الترتيبات، وقالوا بأنه سيكون ظلماً بأن يتسلم هؤلاء الآن بمثل هذه السهولة الأراضي التي تسلموها من الملك، وأن يفقدوا هذه الأراضي، التي نالوها بمثابة جائزة مقابل جهودهم واخلاصهم، والتي فقدها المتمردون بصورة عادلة، ولهذا قيل من قبل بعضهم، بأن روجر المذكور، قد تآمر مع بعض الآخرين، الذين كانوا مثله، أثيروا بالشره، من أجل تدبر موت ايرل غلوستر، وبناء عليه سحب ايرل غلوستر نفسه من جميع الاتصالات معهم، بقدر ما أمكنه من سرعة.

وكان هذا العام جميعه عام خصب الانتاج بالفواكه والحبوب، لكن المحاصيل غدت غير مفيدة للسكان بسبب النهابين الذين نهبوا وسلبوا القمح المخزون، واجتاحوا البلاد حسبما أرادوا.

رفض إيرل غلوستر حضور احتفال الملك بعيد القديس إدوارد

في عام النعمة ١٢٦٧، الذي كان العام الحادي والخمسين لحكم الملك هنري الثالث منذ الاستيلاء، أمضى الملك عيد الميلاد في اكسفورد برفقة الملكة والنائب البابوي مع نبلائه، وقد بذلت جهود كبيرة في سبيل المصالحة بين ايرل غلوستر وروجر مورتيمير، لكن من دون أية نتيجة مفيدة، ومن اكسفورد ذهب الملك إلى لندن للاحتفال بعيد الملك القديس ادوارد، وذلك كما كانت عادته سنوياً، ولإضفاء المهابة على الاحتفال وأن يترافق مع البهجة الجديرة به، وجه الدعوة إلى عدد كبير

من أساقفة المملكة ونبلائها، للمشاركة بوليمة قدمت بالمناسبة، وأجلس النائب البابوي في المقعد الملكي، ووضع أمامه كل طبق فيه لون جديد أولاً، وإلى هذا الاحتفال وجهت الدعوة إلى ايرل غلوستر، لكنه رفض الحضور، لأنه توجس من وجود بعض النوايا الشريرة ضده في البلاط، وأرسل أخيراً —كما قيل— رسلاً إلى الملك، ينذره فيها، ليقوم بطرد الأجانب من مجلسه الاستشاري وأن يأمر بالالتزام بجميع المقررات التي عملت في اكسفورد، في جميع أرجاء المملكة، وأن ينفذ التي عملها له —أي ايرل غلوستر— في ايفهام، مضيفاً أنه إذا لم يفعل ذلك، لايحتاج للتعجب من أي عمل سوف يقدم عليه —ايرل غلوستر— ويعتقد أنه مفيداً له، وفي هذا الوقت كانت قلعة دوفر قد أعطيت إلى ادوارد وسلمت إليه، فقام على الفور بنقل غي دي مونتفورت إلى ذلك المكان، ليحبس هناك.

الحرمان الكنسي للأساقفة وللآخرين الذين عاضدوا الإيرل سيمون

دعا النائب البابوي إلى مجمع في نورثأمبتون، وهناك أصدر عقوبة الحرمان الكنسي ضد جميع الأساقفة ورجال الدين الذين قدموا المساعدة، وأظهروا التأييد للايرل سيمون ضد الملك، وذكر بين هؤلاء بالاسم جون أسقف وينكستر، وولتر أسقف ووركستر، وهنري أسقف لندن، وأسطفان أسقف شيكستر، ومن هؤلاء مات إثر ذلك بشكل تعيس أسقف ووركستر، وكان ذلك في الخامس من شباط، وقد خلفه نيقولا أوف إيلاي، مستشار الملك، في حين ذهب الأساقفة الثلاثة الذين تقدم ذكرهم إلى روما، وانتظروا الحصول على التحليل من البابا، وأدخل بشكل علني بقرار الحرمان نفسه جميع الآخرين الذين وقفوا ضد الملك، وأعلن عن السلطات التي منحت إلى الملك بفرض العشور على كنيسة انكلترا لمدة السبعة أعوام المقبلة.

إجراءات أولاد سيمون دي مونتفورت
بعد حرمانهم من مواريثهم

وفي هذه الآونة تخلى المتولي لسجن غي دي مونتفـورت في قلعة دوفر عن واجبـه بالرشـوة، وسمح لسجينـه بالنجـاة، وعبر القنال بـرفقتـه، وذهب غي على الفـور إلى توسكانيـا، والتحق بالكـونت رالف، ونظراً لحصولـه على الشهرة في خدمتـه، تزوج من ابنتـه ووريثته، وكـان أخوه الأكبر سيمون قد نجا من السجن بطريقة مماثلة، قبل ذلك بوقت قصير، وهرب إلى غـاليـا، وعيّـن الملـك في تلك الآونة رجـلاً رئيسـاً، في كل مـدينة، ليلتحق بالعمـدة في ضبط للعنـف الذي جـرى اقترافـه من قبل قطاع الطرق، الـذين باتوا كثيرين جـداً، ووضع أيضـاً روبرت فيرّار Ferrers ايرل أوف ديربي في السجـن في قلعـة تشيسترفيلد، من قبل فرسان الملك، أما رفاقه الذين احتشدوا مع بعضهم من أجل النهب والسلب، فقد كانوا قد هربوا وتفرقوا.

وفي حوالي الوقت نفسـه أيضاً، كان هناك فارس اسمـه آدم غوردون Gordon يعيش قـرب وينكستر، وقـد جـرد من أمـلاكـه مع الآخرين الذين أيدوا الايرل سيمون، وقد رفض القبول بشروط السلام التي عرضت مـن قبل الملك، وانسحب مع أتباعه إلى جـزء من الطريق الذي يقود مـن ويلتون Wilton إلى قلعة فـارنهام Farnham, التي كانت واقعة في وادي متعرج بمرتفعات ضخمة مغطاة بالأشجار، وبذلك كان مكاناً جيـداً للانسحاب لقطاع الطرق، وقـد شغل نفسه في سلب ونهب المنطقـة المجاورة، خـاصـة أراضي الذين وقفوا إلى جـانب قضية الملك، ورغـب ادوارد في تجريب قوة وشجاعـة هذا الرجل الذي وصلت شهرته إلى مسامعه، فزحف مع كتلـة قوية من العساكر، وعندما كان يستعد للمعـركة، أعطى ادوارد أوامر إلى أتباعـه بعدم التدخل لمنع مبارزة فـردية بينهما، وبناء عليه التقى الرجلان، وتابعـا تبادل الضربات

المتوالية أحدهما ضد الآخر بجهود متساوية، وتحاربا لبعض الوقت، من دون أن يتزحزح أياً منهما أمام الآخر، وشعر ادوارد بالسرور تجاه اقدام الفارس وشجاعته في القتال، فنصحه بالاستسلام إليه شخصياً، ووعده بالمحافظة على حياته، وبمبلغ كبير، وعلى هذا وافق الفارس، وألقى أسلحته، واستسلم لادوارد، فبعث به لإمضاء تلك الليلة في غيلدفورد، مع توصية جيدة به، من أجل تقديمه إلى أمه الملكة، وبعد ذلك أعيد إليه ميراثه من قبل ادوارد، الذي أصبح صديقه، ووجده دائماً خادماً مخلصاً.

التشريع لصالح الفئات التي جردت من مواريثها

والتقى في هذا العام نفسه، بعض الأشخاص المختارين، في مدينة كوفنتري، وأصدروا مرسوماً وافقوا عليه بالاجماع، قضى أن بإمكان الفئات المحرومة استرداد مواريثها بدفع غرامات مالية، أي استعادتهم لها من الذين استحوذوا عليها بمثابة أعطية من الملك، على شرط أن المبلغ الذي سيدفع لفديتهم ينبغي أن لايتجاوز دخل مواريثهم المصادرة لمدة سبعة أعوام، وينبغي أن لايكون أقل من دخلهم لعام واحد، وينبغي أن تكون الضريبة المفروضة بين هذين التقديرين، وذلك وفقاً لدرجة ذنب الفئة، ولم يشمل هذا أولاد الايرل سيمون، وكذلك روبرت ايرل أوف دربي، ولم ينتفعوا من هذا الفداء (لأن حرمانهم قد عدّ أبدياً)، وأما الذين كانوا غير قادرين على دفع المبلغ الذي فرض عليهم، وفقاً للطريقة التي ورد ذكرها أعلاه، فإنهم يتركون أراضيهم بحوذة متملكيهم الحاليين، إلى أن يمكن جمع المطلوب من دخلهم وانتاجهم.

ووصل في هذا العام حشد من المسلمين إلى اسبانيا بوساطة البحر، وألحقوا كثيراً من الأضرار بالمسيحيين، ولقد قهروا فيما بعد، لكن ذلك لم يكن من دون سفك كثير من الدماء.

وفي هذا العام نفسه أيضاً، خاض شارل ملك صقلية معركة ضد مانفرد أمام بينيفنتو Benevento, ونال هناك نصراً مجيداً، حيث هزم عدوه وقتله.

وفاة غودفري رئيس أساقفة يورك ووصول وولتر إلى رئاسة الأساقفة

أنهى في هذا العام غودفري رئيس أساقفة يورك حياته، وانتقل وولتر أسقف أوف باث إلى كرسيه، وقد خلفه في أسقفيته وليم بوتون رئيس شمامسة ويلز.

البارلمان الذي عقد في بري

وفي هذه الآونة أصدر الملك دعوة إلى الايرلات، والبارونات، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الرهبانيات، وإلى كل جماعة تدين بخدمة عسكرية، للاجتماع في بلدة القديس ادموند، مجهزين بشكل جيد بالخيول والأسلحة، من أجل الشروع بالأعمال الهجومية، ضد الذين استولوا على قلعة إيلاي، خرقاً منهم لسلام الملك، وأطاع الجميع هذا الأمر، باستثناء ايرل غلوستر، الذي كان قد جمع جيشاً كبيراً على حدود ويلز لمهاجمة أعدائه، وأهمل الحضور، ولذلك جرى إرسال جون دي وارني ووليم دي بلنسية لاستدعائه لحضور هذا البارلمان، لكنهما لم يحصلا على شيء منه، باستثناء رسائله المعتمدة والمختومة بختمه، معلناً أنه سوف لن يحمل السلاح قط ضد الملك، أو ضد ابنه ادوارد، إلاّ في حالة الدفاع عن النفس، وأعلن أنه سوف يستخدم غاية جهوده لاخضاع روجر موتيمير وأعدائه الآخرين، والدوس عليهم بقدميه، وقد قيل إنه اخترع بدهاء هذه الحجة، لأنه خاف من أن يتهم بالخيانة، وعلى هذا كان الذين دعيوا إلى هذا البارلمان قد اجتمعوا باستثناء المتمردين، وأوضح الملك والنائب البابوي مطالبهما بالبنود التالية:

أولاً: إن على جميع الأساقفة ونوابهم في الكنائس منحهما العشور لمدة ثلاث سنوات بعد السنة التالية، وكذلك بالنسبة للسنة الأخيرة التي مضت، حتى يصبح المبلغ مساوياً لما دفعه البارونات من أجل حراسة شاطىء البحر ضد الأجانب.

جواب: وعلى هذا أجابوا بأن الحرب قد تفجرت ضد شره ظالم، وأنها مازالت مستمرة، وأن من الضروري المرور بصمت بمثل هذه النصائح الشريرة والمطالبة بمثل هذا المطلب، وأنه ينبغي عمل الترتيبات من أجل تأسيس السلام في المملكة، وتوجيه انتباه بارلمانه نحو تأمين مصالح الكنيسة والمملكة، وليس من أجل استخراج المال، خاصة وأن الأرض تضررت بالحرب، وأنها سوف تحتاج إلى بعض الوقت إلى استرداد عافيتها، إذا ماسمح لها بذلك.

ثانياً: وطالبا أيضاً بوجوب أن تفرض الضرائب على الكنائس من قبل رجال علمانيين بضرائب عادلة وصحيحة، وفق نسبة ثمن جميع الممتلكات العائدة إليهم.

جواب: وعلى هذا كان الجواب، أنه أمر غير منطقي، بل عمل معاكس للعدل تماماً، أن يقوم علمانيون بالتدخل في جمع العشور، وأنهم سوف لن يوافقوا على هذا مطلقاً، أو على أية ضرائب، بل أن تكون الأمور حسبما كانت قديماً.

ثالثاً: بند، على الأساقفة، ورؤساء الرهبان، إلخ، أن يدفعوا عشوراً كاملة عن بارونياتهم وعن اقطاعياتهم المدنية، وفقاً للضرائب الصحيحة والعادلة.

جواب: وعلى هذا كان الجواب، بأنهم قد أفقروا بأعمال السلب والنهب، وأنهم تبعوا الملك في حملاته، وأنهم أنفقوا مبالغ كبيرة جداً، إلى حد أنهم أصبحوا مملقين، وأن أراضيهم متروكة حتى من دون زراعة بسبب الحرب.

رابعاً: لقـد طالبـا بأن يدفع رجـال الدين بشكل عـام إلى الملك، من أجل إعـادة تأسيس سمعتـه وكـرامتــه مبلغ ثلاثين ألف مـارك، وذلك بسبب أن العشـور التي تقدم ذكـرها، قد طالب بها النائب البـابوي من أجل استخدامات البـلاط الروماني، لمواجهة الديون التي جـرى التعاقد عليهـا، في صقليـة، وأبوليـا وكالبيريا (قلـورية)، باسم ادوارد ابن الملك الموجود حالياً.

جــواب: وكـــان الجواب على هذا، بأنهم لن يعطـوا شيئاً، لأن جميع الضرائب والاستخـراجات من هذا النوع، التي جـرى فرضهـا من قبل بالقوة، من قبل الملك، لم يتم تحويلها لمنفعة الملك أو المملكة.

خامساً: ولقد طالبا أيضـاً بأن على جميع رجال الدين الذي في أيديهم بارونيات أو اقطاعيات مدنيـة، أن يحملوا وأن يزحفوا بأشخاصهـم ضد أعـــداء الملك، أو أن يجهــزوا خـدمـــة إلى الملك في حملاته تتنـاسب مع الأراضي أو مع الاقطاعيات.

جواب: وعلى هذا جاء الجواب، بأنه ليس من واجبهم القتال بسيف الفـولاذ، بل بالسيـف الروحي، يعني أن تقـول بالدمــوع، وبالصلوات المخلصـة، وأنه بحكم منافعهم، عليهم الحفاظ على السـلام، وليس على الحرب، وأن بارونياتهم قد تأسست عن طريق الصدقات الخالصة، وبناء عليه هم مـدانون بتأدية خدمـة عسكرية ثابتة، وهم لن يبـدأوا مع نظام جديد.

سادساً: لقد طالبـا ثانية بأن على رجال الدين بشكل عـام سداد دين مقـداره تسعة آلاف مـارك، وهو المبلغ الذي كـان قد استـدانه لورانس أسقف روكستر، ووليم أسقف باث، ورتشارد رئيس رهبان ويستمنستر من تجار البـابا، في بلاط روما، عندمـا كانوا مشغـولين هناك، في ترتيب بعض أعمال الملك.

جواب: وكان الجواب على هذا، بأنهم لم يوافقوا قط على استدانة مثل هذا المبلغ الكبير، وأنهم لم يعـرفـوا أي شيء عنه، وأنهم على ذلك غير ملزمين بأي حال من الأحوال بدفع هذا الدين.

سابعـاً: وجـرى تقـديم طلب لصـالح البـابا، بأنه ينبغي على الفـور التبشير بحملة صليبيـة في جميع أرجاء المملكة، من أجل اخضـاع الناس الذين سـوف يحددهم البـلاط، أو من أجل تخليص الناس إلى الأبد من واجباتهم بالالتحاق بتلك الحملة الصليبية.

جواب: وعلى هذا كان الجواب، بأن شعب البـلاد قد تدمّـر إلى حد كبير بوسـاطـة الحرب، وإذا كـان هناك من سيحمـل الآن الصليب، فسـوف يكونون قلـة، أو لاأحـد، وسـوف لن يترك أحـد للـدفـاع عن البـلاد، ولذلك إنه لمن الواضح بأن النائب البـابوي يرغب في نفي أبناء البـلاد الطبيعيين، من أجل أن يتمكن الأجـانب بسهـولة من الاستيـلاء عليها.

ثامناً: لقـد قيل أيضـاً، بأن الأسـاقفـة كـانوا ملزمين شـاءوا أم أبوا، بالاستجـابة والموافقة على جميع المطالب التي عملت إليهم، على أسـاس قسمهم في كوفنتري Coventry, حيث كـانوا قد أقسمـوا بأنهم سوف يساعدون الملك بكل الوسائل التي بقدرتهم.

جواب: وعلى هذا أجابوا بأنهم عندما أدوا ذلك القسم قد فهموا بأنه أشار فقط إلى المساعدات الروحية، وتقديم النصائح الصحيحة.

حول الرسالة التي أرسلت من قبل النائب البابوي إلى المتمردين المحرومين الذين احتشدوا في جزيرة إيلاي

وفي هذه الآونة عندما كـان المتمردون المحرومـون متخفين في جزيرة إيلاي، جـرت مخاطبتهم من من قبل رسـل تم إرسـالهم من قبل النائب

البابوي، بأن يعودوا إلى إيمانهم، وإلى الوحـدة مع الكنيسة الأم المقدسة، وإلى طاعتهم إلى البـلاط الرومـاني، وأن يعملـوا سـلامـاً مع الملك على أســاس الشروط المكتـوبة، وبـذلك يمكنهم تسلم التحليل من القــرار الذي صـدر ضـدهم، وذلك وفقـاً لأنظمة الكنيسـة، وأن يتـوقفـوا عن اقتراف السلب والنهـب، والجرائم الأخـــرى، وأن عليهـم التخلي عن الذي فعلوه والتكفير عما اقترفوه بحق رجال الدين والكنيسة.

جـواب: وفي المقـام الأول أجـاب رجـال الفئـات المحـرومـة، بأنهم يتمسكون بثبـات بالإيمان نفسه، الذي تعلمـوه من الأساقفـة المقدسين: القديس روبرت، والقديس ادموند، والقديس رتشارد، ورجال كاثوليك آخرين، وأنهم يؤمنون بمبـادىء الإيمان ويحافظون عليها، وهي المبادىء الموجودة في العقيـدة، يعني أن تقول إنهم يؤمنون بالانجيل وبقـداسات الكنيسة، مثلما الكنيسة المسكونيـة تلتزم وتؤمن، وأنهم على استعداد لأن يعيشوا وأن يموتوا في سبيل هذا الإيمان.

ثانيا: قـالوا بأنهم يدينون بالطاعـة إلى الكنيسة الـرومانيـة بحكم أنها الرأس لجميع المسيحيــة، لكن ليس للشره وللطلبـات الالزاميــة للذين يتوجب أن يحكمـوها، وأضافـوا بأن أجدادهم، الذين هـم ورثتهم، قد حصلوا على تلك الأرض بالسيف، ولذلك بدا لهم أنهم حرمـوا بصورة غير عـادلة، وبما أن هذا عمل من قبل النائب البـابوي حثـوه على عمل إصلاح لهذا العمل الظالم.

جواب— ثـالثاً: لقد قـالوا بأن النائب البابـوي قد أرسل إلى انكلترا ليعمل سلماً، لكن عوضاً عن ذلك، هو بالحري حافظ على الحرب، لأنه علناً وقف إلى جانب الملك، وآثر قضيتـه، وطالما أنه فعل هذا هو حافظ على استمرار الحرب.

وثانية: لقد قالوا بأن شكل المعـاهدة التي تم الوصول إليها من قبل،

هو ملغى، بما أن البـــابا أعطـى أوامـر إلى الملـك وإلى النائب البـــابوي، بوجوب عـدم حرمان أي واحـد من ميراثه، وهما قد أصرا على نوع من الفدية، هو مســاو لحرمانهم من مواريثهم، ولذلك حثـوا النائب البابوي على تولي إصلاح هذه الخطيئة.

جواب— رابعاً: لقد قـالوا بأن يمينهم الأول، والكنيسـة كلها، وأن جميع أسـاقفـة المملكة، أصـدروا قـراراً بالحرمـان الكنسي ضـد كل من يخرقه، وأنه بالنسبة لهم هم مايـزالون مصرين على المقاصد نفسها، وأنهم على استعداد للمـوت في سبيل ذلك اليمين نفسه، ولذلك حثـوا النائب البابوي على إلغـاء الحكم الذي أصدره، وإلاّ فإنهم سـوف يترافعون إلى الكرسي الرســولي، وأيضـاً إلى المجمع العـام، أو إذا كـــان ضرورياً إلى القاضي الأعلى للجميع.

جواب —خـامساً: لقد قـالوا بما أنهم كانوا يقـاتلون في سبيل منفعة المملكة والكنيسة، إنهم ينبغي أن يعيشوا على تعويضات أعدائهم، الذين يحتفظون بأراضيهم ومتملكين لها، ولذلك طلبوا من النائب البابوي، أن يتدبر إعادة أراضيهم لهم، حتى لايكونوا تحت ضرورة الحاجة مضطرين إلى النهب.

جـــواب —ســادســاً: لقـد قـــالوا بأن كثيراً من المشـــايعين للملك ولادوارد، نشروا أنفسهم في كل مكان، وهم يقترفـون كثيراً من الجرائم ومن مختلف أنواع أعمال السطـو والنهب، ويفعلون ذلك وهم يقـــولون بأنهم ينتمـــون إلى الفئة التي حـــرمـت، من أجل الاســـاءة إليهم، وإلى قضيتهم هم أنفسهـم، وبناء عليـــه إنهم يحذرون النـائب البـــابـوي بأن لايصدق إفادات مثل هؤلاء الناس، لأنهم إذا ماوجدوا أي واحد بينهم مقترفاً لمثل هذه الجريمـة، فإنهم سوف ينزلون به حكـم العدالة من دون تأخير.

الاعتراضات الشديدة للمحرومين

واحتجت الفئات المحرومة بالوقت نفسه إلى النائب البابوي، بأنه طرد من المملكة من دون احترام، وبالفعل، المستشارين للمملكة كلها، وهم أساقفة: وينكستر، ولندن، وشيكستر، الذين هم رجال متفوقين بنصائحهم وبحكمتهم العظيمة، ونتيجة لذلك ضعف المجلس الاستشاري للمملكة إلى درجة كبيرة، وترنحت المملكة، لأن النائب البابوي ادعى لنفسه ممتلكات الأساقفة، وبسبب غيابهم، أحل الدمار بالمملكة، ولذلك أنذروا النائب البابوي بوجوب تصحيح خطيئته.

ومن جديد أخبروا النائب البابوي أن يتولى تحذير الملك لكي يتولى ابعاد مستشاريه من الأجانب الذين بوساطتهم استعبدت المملكة، كما أنهم طلبوا من النائب البابوي بوجوب إعادة أراضيهم إليهم من دون فدية، وأن المقررات التي عملت في اكسفورد، ينبغي مراعاتها والالتزام بها، وأن الرهائن يتوجب إرسالهم إليهم إلى الجزيرة، من أجل أن يضمنوا لهم بقاء السلام، منذ ذلك الوقت ولمدة خمسة أعوام، وذلك إلى أن يتمكنوا من رؤية كيف قام الملك بالالتزام بجميع وعوده.

ومرة أخرى بينوا للنائب البابوي وذكروه بأن رئاسات الرهبانيات وبقية ديرة الطوائف الرهبانية، قد بنيت من أموال أجدادهم، وهم الآن قد لحقهم الدمار، بوساطة استخراجات الملك وضرائبه، ومعه النائب البابوي، ولذلك لم يعد بإمكانهم تقديم الصدقات، ولااظهار الضيافات، وذلك وفقاً لأعرافهم المعتادة، ولذلك حذروا النائب البابوي، وطالبوه بوجوب إصلاح هذه الأخطاء.

ومجدداً أخبروا النائب البابوي، بأن كنائس مملكة انكلترا قد أعطيت إلى أجانب، هم أعداء للبلاد، وهم ينقلون إلى القارة ممتلكات الكنيسة، التي عليها يتوجب أن يعيش رجال الدين المحليين ويجري الانفاق

عليهم، ونتيجة لذلك باتوا عرضة للمخاطر ليس في الجسد فقط، بل وفي الروح أيضاً، لأنه لم يبق لديهم رعاة للأرواح، إلاّ بعض الكهنة المستأجرين، الذين من الممكن اكترائهم مقابل مبلغ صغير، ولذلك أنذروا النائب البابوي بوجوب إصلاح هذا الأمر.

ومن جديد أخبروا النائب البابوي، بأن العشور المطلوبة من رجال الدين، ينبغي عدم دفعها، لأن المملكة جرى تدميرها من قبل أتباع الملك، بوساطة الحرب العامة، ولأن الأرض تركت بوضع غير مزروعة فيه، وما من ثمار انتجت منها، ونتيجة لهذا الناس يموتون من الجوع.

وغضب الملك والنائب البابوي من هذه الردود وسخطوا، ولذلك قاموا في السنة التالية بحصار الجزيرة. وكان هذا العام على العموم عام قحط، من دون ثمار، وغير مفيد لانكلترا من جوانب كثيرة.

كيف حاصر الملك جزيرة إيلاي

في عام النعمة ١٢٦٨، الذي كان العام الثاني والخمسين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، حشد الملك المذكور جيشه وبادر مسرعاً ليتولى حصار جزيرة إيلاي، وليمنع الدخول والخروج على المتمردين، وتولى ادوارد ابن الملك عمل جسور من حواجز وعوارض خشبية، ووضعهم في أماكن مناسبة (حسبما جرى توجيهه من قبل سكان المنطقة)، ودخل إلى الجزيرة مع جنوده، وعلى الفور استسلم له بعض المتمردين، في حين تشتت الباقون في القتال.

وأثناء وقوع هذه الأحداث، كان ايرل غلوستر يتآمر ضد الملك، وكان قد أعدّ جيشاً في ويلز، لصالح الأشخاص المحرومين، وزحف نحو لندن، والتقى به جون ايملي Eymley مع قوة كبيرة من أتباعه، لذلك دخل إلى المدينة بناء على موافقة سكانها، وأرسل الايرل على الفور رسلاً إلى النائب البابوي، الذي كان مقيماً آنذاك في برج لندن،

آمراً إياه بتسليم البرج إليه من دون تأخير، وفي سبيل أن يؤمن سرعة الاذعان إلى هذا الاستدعاء، أمر كل إنسان بعدم بيع المؤن إليه مادام باقياً في البرج، ثم تظاهر النائب البابوي أنه لم يهتم بالمسألة، وترك البرج، وذهب إلى كنيسة القديس بولص للتبشير بالحملة الصليبية، وبعد عدة أيام تمّ وضع نهاية لهذا الاضطراب، وتصالح الايرل مع الملك، من خلال وساطة رتشارد ملك الرومان، والفارس المشهور فيليب باسيت، وتعهد الايرل بعدم إثارة أي اضطراب في المستقبل، تحت طائلة تغريمه بعشرة آلاف مارك.

كيف توصل للويلين للمصالحة مع ملك إنكلترا

وفي حوالي أيام عيد القديس ميكائيل — رئيس الملائكة، وصل الملك هنري إلى شروبري مع جيش كبير، عازماً على الزحف داخل ويلز، لشن الحرب ضد للويلين، أمير تلك البلاد، الذي ساند قضية الايرل سيمون، في اقدامه على العصيان ضد الملك، وأرسل للويلين على كل حال رسلاً إلى الملك، وعرض عليه مبلغ اثنين وثلاثين ألف باوند استيرليني من أجل الحصول على السلام، ومن ثم أمكن بوساطة النائب البابوي، إعادة الأراضي الأربعمائة التي كان الملك قد أخذها من الأمير، إليه.

وفاة جون غيرفاس أسقف وينكستر

مات في هذا العام جون غيرفاس Gervase, أسقف وينكستر، ودفن في فيتربو Viterbo.

اجتياح أرمينيا والاستيلاء على أنطاكية

اجتاح سلطان مصر في هذا العام أرمينيا، واستولى على أنطاكية، وهي واحدة من أشهر مدن الدنيا، وانتزعها من الصليبيين، بعدما قتل الرجال والنساء، وحوّل المكان إلى صحراء.

كيف حمل ولدا ملك انكلترا الصليب

في عام النعمة ١٢٦٩، الذي كان العام الثالث والخمسين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، كان الملك في لندن مع ملكته، والنائب البابوي أوتوبون، وعقد النائب البابوي أوتوبون مجمعاً في لندن، فيه نشر كثيراً من المبادىء والمقررات، لاصلاح كنيسة انكلترا، وقام بعد هذا مباشرة، بمنح الصليب، إلى ولدي الملك: ادوارد، وادموند في نورثأمبتون، ومنحه كذلك لايرل غلوستر، ومثل ذلك لعدد كبير من نبلاء انكلترا، وبعد ما فرغ من تنظيم الأمور على هذه الصورة، عاد إلى روما مع كميات كبيرة من الأموال.

الإعلان عن السلام في جميع أرجاء إنكلترا

وفي هذه الآونة، قام الملك هنري، في سبيل تدمير أعداء السلام في جميع أرجاء المملكة، بتدبر الاعلان في كل كونتية ضد الذين يعارضون تأسيس السلام، ورسم أنه إذا ماقام أي واحد، بشكل غير عادل باغتصاب مقتنيات إنسان آخر، سواء أكانت أغناماً، أم ثيراناً، أو أي شيء آخر مهما كان، ينبغي أن ينال عقوبة الاعدام.

اعتقال وإعدام واحد من لصوص الأغنام

وفي هذه الآونة، تجرأ واحد من سكان دنستيبل، كان قد اعتاد على أعمال قطع الطرق، تجرأ في ساعة غير سعيدة بالنسبة له، وذلك على الرغم من مرسوم الملك، فاستولى على اثني عشر ثوراً، كانت عائدة إلى سكان بلدة كالني Calne, وكان يأمل بأن يواجه الافلات من العقوبة على جريمته ووقاحته، وقام أصحاب المواشي بمطاردة اللص بعيداً حتى ردبورن Redbourne, حيث اعتقلوه، وأعادوه معهم إلى مدينة سينت ألبان، ورفعوا دعوى ضده أمام نائب الملك في تلك الاقطاعية، وقام هذا النائب بقراءة رسالة الملك بحضور الرجل المجرم،

مع حشـد من الناس كانوا قـد تجمهروا، ثم إنه أعلن، بمـوجب أحكام المرسوم الملكي، حكم الاعدام عليه، وجرى اعدامه في المكان نفسه.

كيف بعث ملك فرنسا إلى إدوار ابن ملك إنكلترا للالتحاق به في حجه

أرسل في هذا العام، القديس لويس، ملك فـرنسا، رسلاً خاصين إلى ادوارد، ابن ملك انكلترا، يرجوه أن يجتمع به على الفور، وقد استجاب ادوارد على الفور، وبادر مسرعـاً إلى عبور القنال لمقـابلة الملك الفرنسي، واستقبله الملك الفرنسي بمـلامح مشرقة، وبعـدما عانقـه بقوة، شرح له السبب لدعـوته كما يلي: فقد قـال إن الحقيقة هي أنه يرغب بالعـودة إلى الأرض المقـدسـة، وأن يكون ادوارد بصحبتــه في خضـد عنف البرابرة الكفار، وعلى هـذا الاقتراح أجاب ادوارد قائـلاً: «إنك تعلم أن الموارد الأساسيـة لانكلترا قد استهلكت كلهـا تقريبـاً، بسبب الحرب بين الملك وبين النبلاء، وإن امكاناتي المتوفرة قليلة جـداً للقيام بمثل هذا الأمر مع شخصيـة مهمة مثلكم»، وعلى هذا رد عليـه ملك فـرنسـا قائـلاً: «إنني سـوف أقرضك ثلاثين ألف مـارك من الأموال الجيـدة والقانونيـة، وفي الحقيقة إنني سوف أعطيك هذا المبلـغ، إذا ما وافقت فقط على رغباتي»، وفي الحقيقـة كـان ادوارد رجـلاً عـالي المكانة، يمتلك شجـاعـة عظيمـة وجرأة، وكان قوياً إلى أبعد الحدود، وكان ملـك فرنسا يعد نفسه سعيداً إذا مـا تمكـن من الحصـول على مثل هذا الـرفيق، وهكذا لم يكن اداورد أدنى رغبـة مـن ملك فـرنسـا في القيـام بهذا العمـل، ولذلك وافق على رغباته، ورهن لديه غسكـوني، بناء على تسلمه المال الضروري من أجل رحلتـه إلى الأرض المقـدسة، ثم إنه عـاد إلى انكلترا للحصـول على اذن والده الملك، الذي لشفقتــه أخـذ يبكي، لكنه وافق على رغبــاته، وعن طواعيـة تولى مبــاركتـه، وأعطاه اذناً بأن يختـار القــدر الذي يريده من الاتباع لاتباعه في حجه، وأن يقوموا بالاستعداد لرحلتهم، ولقد كان في

هذه المناسبة، أنه تسلم الصليب من النائب البـابوي، حسبما تقدم الذكر أعلاه.

نقل القديس ادوارد

وجرى في هذا العـام، بناء على مبادرة من الملك هنري الثـالث، ملك انكلترا، نقل جسد القـديس ادوارد، الملك والمعترف، بشكل مهيب، إلى مـزار من الذهب، كـان الملك هنـري قـد أعـده له، وفي حـوالي الوقت نفسـه قتل جـون دي وارني— ايرل سري، بيـديه،في قـاعـة ويستمنستر ألان دي لى زوخ Zouck رجل العدالة لدى الملك، نتيجة لتبادل بعض الكلام الذي عبر بينهما.

كيف تطلع كونرادين إلى تملك صقلية

وفي هذه الآونة، تطلع كونرادين حفيـد الامبراطور فردريك السالف الذكـر، من جهة ابنه كـونراد، إلى تملك صقلية، بحكم أن عمـه مانفـرد كـان قد مـات، وأخـذ طريقه إلى رومـا، بمسـاعدة الألمان، وحشـد من اللومبـارديين والتوسكانيين، الذين التحقـوا به، واستقبل في تلك المدينة بجميع المهـابة التي يستحقها الامبراطور، وعنـدما كـان هناك التحق به شيخ المدينة، وهنري أخو ملك قشتالة، وعدد كبير من الرومان، ودخل إلى أبوليا مع قوة كبيرة ضـد الملك شارل، وبعد معركة التحـامية حادة، انهزم جيش كـونرادين، وهو نفسه أخـذ أسيراً، فجرى إعدامـه بناء على أمـر الملك شـارل، مع عـدد من النبـلاء من أسرته، وهرب هنري أخـو ملك قشتـالة من المعـركـة إلى قلعـة كـازينو Cassino, لكنه استسلم فيها بعد إلى شارل، وألقي به في السجن.

وفاة البابا كليمنت

ومـات في هذا الوقت نفسه البـابا كليمنت في فيتربو، ودفن هناك في كنيسة عائـدة إلى الرهبان الدومينيكان وكان هذا البابـا، مكرساً للسهر،

والصيام، والصلاة، وللأعمال الصالحة الأخرى، ولذلك بات من المعتقد أن الرب قام مكافأة له على فضائله، فوضع نهاية لكثير من الاضطرابات التي كانت تعاني منها الكنيسة، وعلاوة على ذلك، مع أن الكثيرين عدّوا قضية الملك شارل، عملاً يائساً، وكذلك بسبب الأعداد الكبيرة لجيوش كونرادين،وكذلك بسبب أن مملكة صقلية عدت في حالة عصيان تقريباً، مع هذا تنبأ البابا المذكور بنتيجة الأخبار، وأخبر بها سلفاً في قداس، وقام هذا البابا نفسه أيضاً بتطويب القديسة ادويغا Edwiga دوقة بولاندا، التي كانت أرملة تتمتع بقداسة مدهشة، وجرى التطويب في كنيسة الرهبان الدومينيكان في فيتربو.

وبعد وفاة البابا كليمنت بقي الكرسي البابوي شاغراً لمدة ثلاثة أعوام، وشهرين، وعشرة أيام.

البارلمان الذي عقد في مارلبورغ

في ثمانية عيد القديس مارتين، في هذا العام، عقد الملك بارلماناً في مارلبورغ Marlborough, فيه جرى بناء على موافقة الايرلات والبارونات، نشر بعض القوانين، التي عرفت باسم قوانين مارلبورغ، وجرى ترشيح نيقولا أوف ايلاي— أسقف أوفووركستر، ونقله إلى أسقفية وينكستر.

ملخص أحداث العام

كان هذا العام كله خصباً، في كل من القمح والفواكه، وإلى حد بعيد لصالح الانكليز، ومقبولاً لديهم، على أساس إعادة تأسيس السلام، وظل هناك —على كل حال— شاغل واحد، أقلق الفرنسيين والانكليز، تعلق بالاستعدادات من أجل الحملة إلى الأرض المقدسة، وكان العام بالنسبة للصقليين، والألمان، واللومبارد، والرومان، عام أسى، بسبب الحرب التي بدأت بشكل غير عادل، وجرى تنفيذها بآراء فاسدة.

مغادرة لويس — ملك فرنسا إلى الأرض المقدسة

في عام النعمة ١٢٧٠، الذي كـان العام الرابع والخمسين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، أمضى الملك المذكور عيد الميلاد في ايلتهام Eltham مع ملكته، وأعيان رجال المملكة.

وفي هذا العـام قـام القـديس لويس، دون أن يعبأ بالمتـاعب، وبروح صامدة لم تتأثر بالخسائر والنفقات التي تحملها فيها وراء البحر، في الأيام الماضيـة، بالانطلاق ثانيـة في حملـة من أجل استرداد الأرض المقـدسـة، بصحبـة ولديه، وملـك نافـار، وعـدد كبير من أسـاقفـة الكنائس، والبارونات، ومن أجل أن يكـون استرداد الأرض المقدسة أكثـر سهولة بالنسبـة إليهم، رأوا أن يقـومـوا أولاً باخضـاع مملكة تونس إلى الحكم الصليبي، لأنها واقعـة على حـوالي منتصف الطريـق لرحلتهم، ولأنها كـانت تشكل معيقاً كبيراً على طريق المسـافـرين، ولذلك نزلوا في مملكة تونس، واستولوا بسهولة على ميناء وبلدة قرطاج، التي كانت قد تحولت الآن إلى بلدة صغيرة، وكانت تونس جـزيرة صغيرة، لكن كانت مصدراً للازعاج للمسافرين، وهي أيضاً تعرف بالاسم نفسه أي تونس.

زواج إدموند من ابنة وليم ألبيمارلي

وفي الشـامن من نيسـان في هذا العـام، تزوج ادمـونـد ابن الملك من ايفيلينـا Evelina ابنـة وليـم ألبيمارلي Albemarle ايـرل أوف هولدرنس Holderness, التي كـانت الـوريثـة لممتلكات كل من أبيهـا وأمها، واستحق بهذا الـزواج أن ينال لقب كونت ديفـون Devon, والسيادة على جزيرة وايت Wight, لكن هذه السيدة مع كل ما كان لديها، ماتت قبل وفاة والديها.

ومـات في هذا العـام وولتر دي لي ويلي Wyle -أسقف سـالسبري، وخلفـه روبـرت ويكهـا مبتـون Wickhampton, الذي كان آنذاك شماس الكنيسة نفسها.

وخلال العـام الحالي، كان ادوارد وادموند، ابنـا الملك هنري مع عدد كبير من الفـرسان المجـربين في المملكة، مشغـولين في إعداد الأسلحـة، والأعتـدة، والسفن، والأشياء الأخـرى الضرورية، من أجل حملتهم إلى الأرض المقـدسـة، واستولى السـلام على المملكة، من خـلال الخوف من الملك، وليس من خلال المحبة له.

مختصر أخبار العام

كـان هذا العـام على العموم خصبـاً في انتـاج كل من القمح والثمار، وكـان مما جعـل المسيحيين يشعـرون بالسرور، والبهجـة جهـود الملك والنبلاء في تكريس أنفسهم من أجل تحرير الأرض المقدسة.

مغادرة إدوارد نحو الأرض المقدسة

في عـام النعمـة ١٢٧١، الذي كـان العـام الخامس والخمسين لحكم الملك هنري، الثـالث منذ الاستيلاء، احتفل الملك بعيـد الميلاد في لندن، مع الملكة، وابنيه، وكثير من النبلاء.

وفي شهـر أيار من هذا العام، أقلـع ادوارد ابن الملك، للقيام بحجـه، مصطحباً معه زوجته اليانور، وكذلك ادموند ابن ختنه وأربعة ايرلات، والعدد نفسـه من البارونات، مع كثير من النبـلاء الآخرين، وفي عكون (أو التي تعـرف بشكـل عـام باسم عكا) في الأرض المقـدسـة، ولدت اليـانـور هذه نفسهـا ابنة، أطلق عليهـا فيها بعـد اسم جـون العكاوية Joan Of Acre, والتي تزوجت مع مـرور الأيام من غيلبرت ايرل غلوستر، وكان ادوارد قـد وصل إلى فرنسـا مع أسطوله، وقد علم هناك بأن الملك الفرنسي قد توجه نحو الأرض المقدسة، ولذلك لحق به بحراً، وبعد رحلة لمدة عشرة أيام وصل سالماً إلى تونس، وهناك نزل مع جميع أصحـابه وأتبـاعـه، والتقى بملك فرنسـا وبنبـلائـه حيث استقبله بسرور، وسمح له بقبلة السلام.

وفاة لويس-الملك الفرنسي

وفي شهر آب، كان المرض الذي انتشر في منطقة الساحل، قد أحدث اضطراباً عظيماً في أوساط الجيش الصليبي في تونس، وكان أول من مات بين قادة الجيش هناك جون كونت نيفار Nevers —ابن ملك فرنسا، وكاردينال ألبانو— نائب الكرسي الرسولي، وقد حدث موته بعد ذلك بوقت قصير، وفي اليوم الذي جاء بعد عيد القديس بارثيلميو الرسول، عبر القديس لويس، الملك المسيحي التقي لفرنسا، من المملكة الفانية إلى مملكة سرمدية، وقد أخبر ملك نافار أسقف توسكوليوم Tusculum في رسالة، كيف ختم ذلك الملك حياته وهو يشعر بالسعادة، لأنه أثناء مرضه لم يتوقف عن الثناء على اسم الرب، وكان غالباً ما يردد الصلاة التالية: «اجعلنا أيها الرب، وأنا أرجوك أن نزدري رفاه هذا العالم، وأن نخاف من أي من معيقاته»، كما أنه صلى من أجل الناس الذين جلبهم معه كما يلي: «أيها الرب كن المقدس والحامي لشعبك والوصي عليه»، وعندما اقترب من نهايته، قال وهو ينظر نحو السماء: «إنني سوف أدخل بيتك أيها الرب، ولسوف أعبدك في هيكلك المقدس، وسوف أمجد اسمك، أيها الرب»، ومع الانتهاء من هذه الكلمات نام في الرب.

وقد خلفه في مملكته ابنه فيليب، وعندما كان الجيش في حالة من اليأس، نتيجة لوفاة الملك، وصل شارل ملك صقيلة، وذلك بعدما كان قد أرسل خلفه من قبل الملك قبل وفاته، ومع أن المسلمين كانوا بشكل واضح أكثر عدداً من الصليبيين، لم يتجرأوا على مهاجمة الصليبيين والاشتباك معهم في معركة مكشوفة، لكنهم سببوا لهم الكثير من المضايقات، وأزعجوهم بأعمالهم وتصرفاتهم، وقد كان من بين خططهم الخطة التالية: بما أن المنطقة كانت منطقة رملية، وكثيرة الغبار في موسم

الجفاف، مركز المسلمون عدة آلاف من شعبهم فوق أماكن مرتفعة في جوار الصليبيين، وعندما كانت الريح تهب باتجاه الصليبيين، حركوا الرمال والغبار،مما سبب ضيقاً شديداً للصليبيين، ولكن أخيراً تساقطت الأمطار، وتوقف الغبار، واستعد الصليبيون لحركات حربية جديدة، واستعدوا لمهاجمة تونس بالبر والبحر، ولدى مشاهدة المسلمين هذا عقدوا معاهدة معهم، ووافقوا على اطلاق سراح جميع الأسرى الصليبيين الذي كانوا في بلادهم، وسمحوا كذلك بالتبشير بعقيدة المسيح من دون اعتراض من قبل الرهبان الدومينيكان والفرنسيسكان، ومن قبل جميع الرهبان الآخرين، في الديرة التي تأسست على شرف المسيح في مدن تلك المملكة، وكذلك إن كل من يرغب بالتعميد، يجب أن يسمح له بفعل ذلك بكل حرية، وجرى دفع نفقات الملكين، واعترف ملك تونس بأنه تابع يدفع الجزية لملك صقلية، وجرى الإعداد لهدنة تدوم عدة سنوات، واستعد ملك صقلية للمغادرة مع جيشه، لكن الانتقام الرباني لحق به، فعندما كان يسعى للعودة، غمر البحر جيشه كله تقريباً، وكذلك أغرق الأموال التي أخذها من تونس، وجميع مقتنياته المتحركة.

مقتل هنري ابن ملك الرومان في الهيكل في فيتربو

وطلب في الوقت نفسه هنري الألماني، ابن رتشارد ملك الرومان الاذن من ابن عمه ادوارد حتى يعود إلى الوطن، لأنه قال بأنه تعب من رحلة حجه الطويلة، وقد رغب في مشاهدة انكلترا، بلاد السلام، وأبيه، قبل أن يموت، لكنه أحبط في آماله، لأنه بعدما حصل على الاذن بالعودة، عبر بتوسكانيا على طريقه، وعندما كان حاضراً لقداس في كنيسة القديس لورانس في فيتربو، جرى قتله هناك من قبل غي ابن سيمون دي مونتفورت، انتقاماً لموت والده.

مغادرة ادوارد وتوجهه إلى عكا

وعندما سمع ادوارد بالانتقام الرهيب، الذي أوقعه الرب على شارل —ملك صقلية، وأخي الملك لويس، ملك فرنسا المتوفى أخيراً، وبعدما قدر بأن هذه الكارثة لم تحدث من دون سبب، ضرب على صدره وأقسم بدم الرب، الذي كان قسمه المعتاد، وقال: «ومع أن جميع رفاقي بالسلاح وأبناء بلدي قد يتخلون عني، فإنني مع فوين Fowin, سائس مهري (لأن ذلك كان اسمه) سوف ندخل إلى عكا، وسوف أحافظ على عهدي ويميني، حتى وإن كانت روحي ستفارق جسدي لإقدامي على هذا العمل»، وسمعه جميع الانكليز الذين كانوا معه، وسمعوا هذا الإعلان، ولذلك وعدوه بأنهم سوف يذهبون معه، وعند ذلك أقلع على الفور باتجاه عكا، وعند وصوله إلى هناك، وجد تلك المدينة مطوقة من قبل المسلمين، منذ أربعة أيام مضت، وبوصوله خابت آمال سلطان مصر وتوقعاته، ومع أنه كان قد بدأ بحصار المدينة، عاد إلى بلاده مع جيشه.

وفاة رتشارد ملك الرومان

في اليوم الثاني من نيسان في هذا العام، غادر رتشارد، ملك الرومان، وأخو ملك انكلترا طريق الجسد كله في قلعة بيركهامبستد، وقد دفن قلبه في كنيسة الرهبان الفرنسيسكان في اكسفورد، ودفن جسده في كنيسة طائفة الرهبان السسترشيان في هيل Hailes التي كانت قد بنيت على حسابه الشخصي.

مختصر أحداث العام

وكان هذا العام عام خصب في الفواكه والقمح، وعام سلام، وكان أيضاً عام سرور وبهجة للمسلمين، بسبب وفاة ملك فرنسا، وعام حزن أيضاً للصقليين بسبب موت ملكهم، لكنه كان عام لامبالاة بالنسبة

للانكليز، الذين لم يعانوا من أي من هذه الحوادث.

ومات بونيفيس رئيس أساقفة كانتربري، وجرى انتخاب رئيس الرهبان ليكون خليفته.

كيف تعرضت حياة إدوارد ابن ملك إنكلترا للخطر في عكا

في عام النعمة ١٢٧٢، الذي هو العام السادس والخمسين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، كان الملك المذكور في لندن، أيام عيد الميلاد بصحبة ملكته، وفي هذا العام عندما كان ادوارد الابن الأكبر للملك مقيماً في عكا، كان هناك أمير ليافا (أي أن مرتبته تساوي مرتبة إيرل بيننا)، وكان مسلماً من حيث الأصل، وقد أحبه وتوجهت عواطفه نحوه، بسبب شهرته بالشجاعة، ولذلك بعث إليه مراراً برسائل وبرسل الإطراء له بوساطة واحد من الحشيشية اسمه عبد العظيم Anzazin, وكان هذا الرجل قد تعلم في أماكن تحت الأرض منذ طفولته، وهناك تعلم كيف يقوم بهجوم مفاجيء على أي أمير من خصوم طائفته، وزرع في نفسه وأفهم أنه وإن تعرض للقتل أثناء محاولته، فإنه لعمله هذا، سوف يتلقى حياة جديدة، وسط المباهج في الجنة، وفي إحدى مناسبات قدومه إلى ادوارد، كما اعتاد بالغالب أن يفعل، مع رسائل، تظاهر بأنه يود أن يبوح ببعض الأسرار له، وعند ذلك جرى اخراج كل واحد من الغرفة، وعندما كان ادوارد مائلاً أمام النافذة، وموجها انتباهه نحو الخارج، سحب الحشيشي فجأة مدية مسممة، وجرحه مرتين في ذراعه، ومرة ثالثة تحت ابطه، وتمكن ادوارد على الفور من إلقاء الحشيشي على الأرض بقدمه، وانتزع السكين من يديه، وقتل الجاني بها، وفي انتزاعه للسكين، جرح نفسه جرحاً بليغاً في اليد، وبما أن السم انتشر في الجراح، لقد عالجوه بصعوبة بالغة، وباستخدام عدة أنواع من وسائل العلاج.

وقال بعضهم أنه عندما وجد ادوارد نفسه قد جرح فجأة، ولم يكن بيده شيء يدافع عن نفسه به، أمسك المنصب الثلاثي الحامل لمنضدته، وضرب به المجرم على رأسه، ثم إنه دعا خدمه، وبعدما شرح لهم

تفاصيل ماأصابه، أمر بجسد المجرم بأن يعلق على أسوار المدينة، وذلك إلى جانب كلب حي، من أجل أن مشاهدة ذلك المنظر قد تبعث الخوف في قلوب الآخرين، وعندما سمع الأمير بأن ادوارد قد جرح من قبل رسوله حزن كثيراً، وأعلن بأن الجريمة قد اقترفت من دون رضاه أو معرفته، وفي الحقيقة، هو فكر —كما قال بعضهم— ونوى أن يتخلى عن طائفته الاسلامية، وأن يتلقى نعمة العماد المسيحي من خلال ادوارد، وعندما سمع الصليبيون بأن ادوارد قد جرح بهذه الطريقة، خططوا لمهاجمة المسلمين انتقاماً لهذه الجريمة، لكن ادوارد منع ذلك وحظر فعله تماماً قائلاً: «باسم الرب، إنني أمنعكم من إلحاق الأذى بجيش المسلمين بأية طريقة من الطرق، كما أمنعكم من اقتراف أي عمل عنف ضدهم، لأن الكثيرين من شعبنا يذهبون إلى الحج إلى ضريح ربنا، وإذا ماتعرض المسلمون إلى أدنى أذى على أيدينا، فإن أبناء بلادنا سوف يهلكون على أيدي المسلمين»، وأعطى هذا الرأي القناعة إلى الجميع، ولم يكتف الصليبيون بالثناء على حكمة ادوارد، بل فعل المسلمون ذلك أيضاً، لابل حتى السلطان نفسه أثنى كثيراً على حكمته.

مختصر أخبار العام

كان هذا العام كله خصباً في انتاج كل من القمح والفواكه، وساده السلام، وكان لطيفاً بالأنواء وبالنسبة للانكليز، وهم في ظل ملكهم القديم، لم يكن العام لامحزناً ولامفرحاً، أما بالنسبة للفرنسيين في ظل ملكهم الجديد، فقد كان عام متعة وسرور، أما بالنسبة للرومان فكان عام اضطراب، بسبب أن كرسي القديس بطرس بقي شاغراً.

انتخاب ثيوبولد أوف بلاسنزا للكرسي البابوي باسم غريغوري العاشر

في عام النعمة ١٢٧٣، الذي كان العام السابع والخمسين لحكم الملك هنري، الثالث منذ الاستيلاء، جرى انتخاب ثيوبولد أوف بلاسنزا

الذي كـان قــد   Placenza, رئيس شمامسـة ليبج Liege.
ذهب إلى عكا مع ادوارد، مدفـوعاً بروح التقوى، جـرى انتخابه بابا مع لقب غـريغوري العـاشر، وقد تسلم مـرسوم انتخـابه وهو في عكا، من أيدي بعض الرهبـان الدومينيكان والفرنسيسكان، الذي جـرى إرسالهم خصيصـاً لهذا الغرض، فبـادر على الفـور مسرعاً إلى فيتربو، حيث كـان الكرادلة بانتظاره، فتولى رسم خمسـة كرادلة أساقفـة، الأمر الذي أطري كثيراً، لأنه اختـار أشخـاصاً قـادرين ومستقيمين، كما أنه ألغى انتخـاب رئيس أسـاقفـة كـانتربري، وأعـاد المنصب الحبري في تلك الكنيسـة إلى روبرت كيلووردباي Kilwardby,   الذي كان في هذا العـام نفسه قـد استقـال من منصب الرئيس الاقليمي لـرهبـانه، وهو المنصب الذي شغله لمدة أحد عشر عـاماً، والذي إليه أعيد انتخـابه، وكان رجل الدين هذا منتمياً إلى طائفة الدومينيكان، وكان الأكثـر تميزاً، ليس فقط بقداسة حيـاته الدينية، بل أيضـاً بعلومـه ومعارفـه، وقبل أن يدخل إلى طائفتـه الحالية، كان نائباً في كلية الآداب في باريس، وبراعته في الآداب وخاصة فيما يتعلق بالنحـو والمنطق شهـدت له به الكتابات العمـلاقـة، وبعدمـا دخل إلى الطائفـة، كرس نفسـه لدراسة الكتابـات المقدسة، والكتـابات الأصيلة للآباء المقـدسين، ولقـد قسـم كل كتب أوغسطين تقـريبـاً، مع أعمال كثيرة جـداً لآخـرين مـن العلماء اللاهوتيين، إلى فصـول صغيرة، وعلق على آراء كـل منهـا بتعليقـــات مختصرة، وهنـاك انتشــــار واسع لرسـائله: **حـول الوقـت، وحـول العـالم، وحـــول أصل العلوم**، وهذه الرسالة الأخيرة كتاب غـريب ونافع، وأعطاه البابا إذناً بأن يتلقى منفعة التكريس من أي أسقف كـاثوليكي يراه موائماً، للاختيـار لهذا الغرض، وقد ركـز على وليم، أسقف باث، الذي كان متميـزاً بين بقية الأسـاقفة بشهرة قـداسته، ومن قبله جـرى تكريسه في كـانتربري في الأحد الأول من الصيام الكبير، بحضور أحد عشر نائب أسقف.

إحراق كنيسة نورويك من قبل المواطنين

واستمرت في هذا العام دسائس الشيطان، فقد نشب خلاف وتفجر بين عامة الناس في ذلك المكان، وقد تطور إلى غضب عارم، إلى حد أنهم ألقوا النار وأحرقوا جميع الكنيسة الفخمة لتلك المدينة مع مكاتبها، باستثناء بيعة القديس وولتر، قرب المصح، وهم لم يكونوا قانعين بهذه الجريمة بل نهبوا بأيديهم المدنسة الأوعية، والكتب، والمجوهرات التي لم تلمسها النيران، مع الكأس الذهبي الذي كان معلقاً عند المذبح الكبير، وهو الذي كان موضوعاً فيه جسد ربنا، وغضب الملك هنري كثيراً من اقتراف هذه الجريمة، وعلق مندهشاً قائلاً: «بحق العاطفة المستحقة لربنا، أنا سوف أذهب وأنظر في هذه الفعلة الشريرة وأتفحصها شخصياً، وسوف أجعلهم يسددون، كل حسب جريمته»، وبناء عليه أرسل قبله فارساً اسمه ترايفت Tryvet, كان قد جعله مسؤول العدالة للتاج.

وبناء عليه وتنفيذاً للأوامر المستعجلة للملك، وتقديراً لفظاعة الجريمة، صدر الحكم بإدانة عدد كبير من الناس من نورويك، وقضي عليهم بالسحل وهم مربوطين إلى ذيول الخيول إلى المشانق، فهناك جرى شنقهم، وما أن تمكن الملك، حتى انطلق إلى نورويك، آخذاً معه أسقف روكستر، وغيلبيرت ايرل أوف غلوستر، وقد أحاطت به حاشية كبيرة، وعندما وصل إلى هناك، وشاهد الكنيسة وقد تدمرت كلياً بوساطة النيران، لم يتمكن حتى بصعوبة من منع نفسه من البكاء، وحرم أسقف روكستر كنسياً جميع الأطراف والمحرضين على اقتراف هذه الجريمة الرهيبة، وقضى الملك على الفور على جماعة المدينة بدفع ثلاثة آلاف مارك من الفضة، وقرر دفع هذا المبلغ خلال مدة محددة، من أجل إعادة بناء الكنيسة المذكورة، وقضي على سكان المدينة أيضاً بتعويض الكأس الذهبي الذي سرق، بكأس آخر أيضاً من الذهب، وزنه عشرة

باوندات، وقيمته مائة باوند من الفضة، وكان وليم برونهام Brun-ham في ذلك الوقت هو رئيس الكنيسة، وبعدما فرغ الملك من انزال العقوبات على الناس الآثمين من أهل نورويك، قرر العودة إلى لندن، ولكن عندما كان على طريقه إلى هناك، حدث أن توقف عند دير القديس ادموند، وهناك أصيب بمرض خطير، لم يتركه حتى نهاية حياته.

وفاة الملك هنري الثالث

وعندما كان متمدداً هناك أثناء مرضه، قدم عدد من الايرلات والبارونات العائدين للمملكة، وكذلك بعض الأساقفة، قدموا إلى هناك حتى يكونوا حاضرين لحظاته الأخيرة، واعترف الملك بذنوبه بتواضع، وهو يضرب على صدره بأسى، وقد تخلى عن النوابا السيئة تجاه الجميع، ووعد بتقويم طريقة حياتهم ثم جرى تحليله من قبل أحد الأساقفة، ثم تلقى بعد ذلك بتقوى جسد المسيح، وبعدما جرى مسحه بالدهن المقدس للكنيسة إلى الحد الأقصى، قدم صلوات إلى الرب، بمثابة شكر على نعمه، ثم أمر بدفع ديونه، وأن يجري توزيع بقية مقتنياته من دون تمييز بين الفقراء، وبعدما أدى واجباته هذه كلها بشكل صحيح، سلم روحه إلى الرب، وجرى دفن جسده بتشريف في ويستمنستر، وقد حكم لمدة ستة وخمسين عاماً وذلك بالاضافة إلى المدة التي انقضت مابين عيد القديسين سمعان وجود، وعيد القديس ادموند الحبر، وكانت هذه المدة عشرين يوماً، وكان قد تزوج من سيدة نبيلة اسمها اليانور، كانت ابنة كونت سافوي، ورزق منها بولدين هما: ادوارد الذي أصبح ملكاً من بعده، وادموند الذي كان ايرل ليستر ولانكستر، وابنتين هما: بيترايس، التي تزوجت من كونت بريتاني، ومرغريت التي صارت زوجة لملك سكوتلندا، وكان الملك هنري هذا قد بدأ بإعادة بناء كنيسة ويستمنستر، غير أنه لم يكملها، وبالحكم عليه كملك، هو قد عدّ رجلاً تعوزه

الحكمة في الأعمال الدنيوية، وعلى هذا كان أكثر تميزاً بتقواه واخلاصه نحو الرب، لأنه كان من عادته الاصغاء يومياً إلى ثلاثة قداسات مع الموسيقى، وكان يرغب بالاستماع إلى المزيد، ولقد ساعد بصورة مواظبة على إقامة القداسات الخاصة، وعندما كان الكاهن يرفع جسد ربنا، كان بالعادة يمسك بيد الكاهن ويقبلها.

كلام ذكي لملك إنكلترا

وفي إحدى المناسبات عندما القديس لويس، ملك فرنسا يتحادث معه حول القضية التالية، حيث قال بأن «الانتباه ينبغي أن يصرف دوماً ويكرس للإصغاء للقداسات، وأن علينا الاستماع إلى القداسات غالباً وبقدر ما هو ممكن»، وعلى هذا الكلام أجاب ملك انكلترا بذكاء وتهذيب: «إنه بالحري غالباً مايرغب برؤية الصديق أكثر من الاصغاء للحديث عنه، مع أن عليه الاستماع إلى الحديث الحسن حوله».

حول المظهر الخارجي للملك المذكور

كان الملك هنري متوسط القامة، كثيف البنية، وكان جفن إحدى عينيه معلقاً نحوالأسفل، إلى حد أنه غطى الجانب الداكن من بؤبؤ العين، وقد امتلك قوة كبيرة، وكان منعدم التقدير في أعماله، ولكن بما أن أعماله وصلت إلى نتائج سعيدة وكانت محظوظة، اعتقد كثيرون أنه كان هو المقصود من قبل المتنبىء ميرلين Merlin, عندما تحدث عن الوشق، عندما يخرق كل شيء بعينه.



كتاب Additaments

[تم العثور تحت هذا العنوان على عدد من الوثائق الأصيلة جرى تصنيفها من قبل متى باريس، ونشرت منفردة بمثابة ذيل أضيف إلى تاريخه، وتمت هنا ترجمة أهم المواد التي هي موائمة لاكمال الكتاب بقضايا ذات أهمية من الدرجة الثانية، وجرى ادراج كل منها حسب السنة التي انتمت إلى وقائعها].

أجوبة المعلم لورانس من دير القديس ألبان لصالح إيرل كنت— هيوبرت دي بورغ، الذي أثار ضده مولانا الملك قضايا صعبة

[انظر أحداث عام ١٢٣٩]

وبناء عليه جرى تعيين يوم لهيوبرت دي بورغ— ايرل كنت، وكان ذلك في ثمانية عيد القديس يوحنا المعمدان، في العام الثالث والعشرين لحكم الملك، حتى يقدم إلى مولانا الملك التعويضات التي يتوجب عليه عملها له، لأنه لم يقدم له صداق زواج رتشارد دي كلير، في اليوم الذي جرى تحديده له من قبل مولانا الملك نفسه، وذلك وفقاً لاتفاق كان قد عقد بينهما، أو وفقاً لرأي نظرائه، وقد طلب منه مولانا الاصلاح وتقديم التعويضات، وهو لم يفعل أي شيء، وكانت هذه التهم التي أثيرت ضده من قبل مولانا الملك ولصالحه، وذلك حتى يتمكن المتقدم ذكره من الإجابة عليها.

وعلى هذا أجاب الايرل المذكور، أنه لم يحدد له يوم ليفعل هذا، كما أنه قال أيضاً، بأنه سوف يقنع مولانا الملك في يوم محدد ومعقول، أو أنه سوف يلتزم برأي نظرائه،وطلب أن يريه مولانا الملك كتابة المسائل التي يتوجب عليه الإجابة عنها.

وعلى هذا أجاب الايرل، أنه مامن يوم من الأيام جرى تعيينه من قبل مولانا الملك، إلا وكان هو —أي الايرل— حاضراً، ولم يطلب

التسبب بأي تأخير، بل كان دوماً مـوافقاً على اليوم، وذلك حسب رغبة مولانا الملك، وبناء عليه، لقد بدا بـالنسبة إليه أن جميع الأيام التي جرى تعيينها له بعـدما كـان في كنتتون [Kingston or Kennington?] Kenintone ينبغي أن تعدّ يوماً واحـداً فقط، وأنه كان دوماً على استعداد للالتـزام برأي نظرائه، في كونه قـد تدخل في قضية الزواج، أو جـرى تخويله من قبل أي واحـد ليفعل ذلك له، وذلـك منذ أن أقسم يميناً في غلوستر بأنـه لن يتـدخل قط في الـزواج، كما أنه لم يعلم آنذاك، وهو لم يعلم الآن أي شيء حـول الزواج، سـوى من خـلال بعض الافادات البسيطة لزوجتـه الكونتسة، التي قالت بأن الزواج قـد عقد في كنيسـة سينت ادمـوند، عنـدمـا كـان الايرل في ميرتون Merton, وإذا لم يكن في هذا كفايـة هو سوف يقول المزيد،وهو جـاهز لأن يفعل في هذه المسألة ماسيقرره نظراؤه.

وكانت المادة الأولى بين المواد المتقدمة الذكـر هي أن مولانا الملك قد طلب منه جميع نفقـات الأربعة عشر عـاماً التي جـاءت بعد وفـاة أبيه، مولانا الملـك جون، والتي تسلم خـلالها الوصاية والمسـؤولية، من دون تكليف أبيـه مـولانا الملك جـون، ومن دون مـوافقـة مـولانـا غـولو Gualo, الذي كـان آنذاك النائب البـابوي، وهو الذي كـان بناء على الموافقة العـامة وقبول المملكة كلها، كـان الأول والمستشار الرئيسي لجميع مملكة انكلترا، وذلك بعد وفاة المارشال.

وعلى هذا أجـاب بأن هنـاك بعض الأشخـاص قـد أوكلت إليهم الإجابة حـول نفقات المملكة، وهم الخازن والحجـاب، حيث أنه جرى بعـد وفـاة يوستـاس دي فـالكونبردج Eustace de Fal-conbridge أسقف لندن، أن طلب من الخازن تقـديم حسـاب حـول ذلك، وهذا مـا كـان قـد فعله وفقـاً لما هو مطلوب، وبعـد ذلك طلب تقـديم حسـاب من أسقف كـارلآيل حـول جميع نفقـات المملكة

حسبما يطلب عادة من المتسلم الرئيسي، وقد عقد الأسقف جلسة من أجل تقديم الحساب المطلوب، وطلب فيما بعد حساب من بطرس دي أوريفال Orival, وعلى هذا إن مثل ذلك الحساب ينبغي عدم طلبه من رجل العدالة، لأنه لم يكن المتسلم لنفقات المملكة، وبناء عليه، يبدو أن الذي لم يتسلم شيئاً، ليس ملزماً بالاجابة على أي شيء، وعلاوة على ذلك قال بأن مولانا الملك قد سلم إليه المسؤولية عن العدالة في رنيميد Runnymede, بحضور مولانا اسطفان رئيس أساقفة كانتربري، وايرل وارني، وايرل فيرار، ونبلاء آخرين، وأنه بقي رجل عدالة طوال أيام الملك جون، لكن حدث أن قلعة دوفر تركت أيام قدوم الملك جون مهجورة، وهو نفسه دخل إليها، وذلك في وقت كان فيه قلة على استعداد للدخول، مالم يدخل هو إليها، وأنه خلال وقت الحرب كله لم يتمكن من مغادرة القلعة، أو ممارسة وظيفة العدالة.

لكن عندما مات مولانا الملك جون، في أيام الحرب، عمل المارشال حاكماً على الملك والمملكة، بناء على نصيحة غولو، الذي كان آنذاك النائب البابوي، وموافقة النبلاء أيضاً، الذين كانوا مع مولانا الملك، ثم إنه بعد عمل السلام مرة ثانية، بقي المارشال المذكور حاكماً على الملك والمملكة، وبقي هيوبرت المذكور المسؤول عن العدالة، من دون أي تذمر، وبعد وفاة المارشال، بقي هو بالعدالة بناء على نصيحة مولانا غولو الذي كان النائب البابوي آنذاك، واسطفان رئيس أساقفة كانتربري، وأساقفة ونبلاء المملكة، وجاء بقاؤه من دون أية معارضة، وقد كتب إليه مولانا البابا دوماً كرجل عدالة، وهكذا نظر إليه دوماً من قبل كنيسة المملكة، وعدّ رجل عدالة حسبما جرى تعيينه من قبل مولانا الملك جون، وعلى هذا بات من الواضح أنه لم يتسلم وظيفة العدالة من دون تكليف من مولانا الملك جون، وموافقة اللورد غولو، وإذا لم يكن هذا كافياً، هو سوف يقول أكثر، وهو على استعداد لأن يفعل كل مايراه

النظراء صحيحاً، وأيضـاً إنه إذا كان ملزماً بالإجـابة، هو لديه صك من مـولانا الملك، يحلله فيـه من هذه التهم، وهو صك قـام بتقـديمه، وقـد عمل في العام الخامس عشر من حكم الملك هنري.

وطلب الملك أيضاً منه جواباً حول جبـاية الجزء من خمسة عشر جزئاً كله، الذي توجب أن يحرس وأن يودع بناء على الـرأي العام لمستشـاري المملكة، وذلك وفق طريقة أن لايؤخذ منه شيئاً حتى يصل مولانا الملك إلى السن القـانوني، باستثناء أن يكون ذلك تحت اشراف ستـة أسـاقفـة، وستـة ايرلات، جـرى تعيينهـم خصيصـاً لهذا الغـرض، وأن لايكون لغـرض آخر سـوى غرض الدفـاع عن المملكة، ووصل المبلغ آنذاك إلى تسعة وثمانين ألف مارك من الفضة.

وعلى هذا أجاب بأن السيدين أسقفي سالسبري وباث قد تسلما ذلك المبلغ بناء على موافقة عامة من مجلس مستشاري المملكة، وقدما حسابهما حوله، وقد تسلم اقرارهما بموجب رسـالة عائدة إلى مولانا الملك، وبناء عليـه يبـدو أنه ليس من الحق أن تتم دعـوته للإجـابة على تلك المسألة، بعدما تسلم آخرون إقراراً به، وذلك كما هو ظاهر من سجلات الخازن، وبوسـاطـة الرسـالة المعتمـدة الصـادرة عن مـولانـا الملك، والتي هي موجودة في الخزانة، وبالنسبة إليه هو لم يتسلم شيئاً منه، ولذلك هو غير ملزم بتقديم حسـاب حول ذلك، وإذا لم يكن في هذا كفـاية، هو سوف يقول أكثـر، وجاهز لأن، إلخ، إلخ، وكـان لديه أيضاً صك مـن مولانا الملك، إلخ، إلخ.

وطلب الملك منه أيضـاً أن يجيب حـول أرض بـويكتـو Poictou, التي مـات الملك جـون وهو متملك لها، والتي مـولانا، الذي هو الآن الملك، متملك لها، وذلك عنـدمـا تسلم الايـرل المذكـور الوصـاية على المملكة، والمقصـــود بذلك لى راؤل La Rachelle, ونيروت Niort, وسينت جـون دي أنجلي Angely, وأن يجيب على

التهمة في أنه عندما كان عليه أن يرسل خزانة ومالاً من أجل انقاذ هذه الأراضي، أرسل براميل مملوءة بالحجارة والرمال، وأنه نتيجة لذلك عندما شاهد نبلاء وبارونات مولانا الملك والبرجاسية هذا العجز، وهذه الاساءة تحولوا بولائهم وبخدمتهم لمولانا الملك، وانصرفوا نحو أعداء مولانا الملك، ونتيجة لذلك فقد مولانا الملك بواتو.

وعلى هذا أجاب أنه لم يرسل قط مثل هذه البراميل من هذا النوع، وأنه مصر على هذا وسيبقى كذلك وفقاً للطريقة التي يراها نظراؤه مناسبة، وأنه بناء على رأي نبلاء انكلترا، جرى ارسال مائة فارس للدفاع عن لى راؤل، لابل أكثر من ذلك، مع عدد كبير من الأتباع والمرافقين، الذين كانوا هناك مع الملك حتى تخلى برجاسية ورجال تلك البلاد عن ولائهم لمولانا الملك، وبناء عليه إنه ليس من خلال إهماله ضاعت لى راؤل، وليس بسبب إهمال الفرسان الذين كانوا هناك، بل كان ذلك ضد موافقتهم، لأن شعب البلدة هم الذين تخلوا عن تلك الأرض وأعطوها إلى ملك الفرنسيين، وهذا واضح كثيراً، من أنه عندما كان مولانا الملك في البلدة، أبعدهم سكان البلدة عن التشاور معهم، وأقاموا سلماً من دون الفرسان، على شرط أن يقوم الفرسان بالمغادرة سالمين بأجسادهم ومعهم خيولهم.

وضاعت لى راؤل نتيجة سوء إدارة فولك Faulkes الذي ثار مع رجاله ضد مولانا الملك في الوقت الذي كانت فيه لى راؤل محاصرة، وكان فولك هذا نفسه أيضاً، قد تمكن بوساطة أخيه وليم من اعتقال هنري أوف بريبروك Braybrook, قاضي الملك، عندما كان في إيرى eyre, ونظراً لهذا الاعتقال والأضرار الأخرى التي اقترفها فولك المذكور، كان من الضروري بالنسبة للملك ولنبلاء البلاد القيام بحصار قلعة بدفورد، وذلك بناء على نصيحة رؤساء أساقفة، وأساقفة، ونبلاء البلاد، وقام الأساقفة هناك بانزال عقوبة الحرمان

الكنسي بحق فولك، وعلى هذا بات واضحاً أن ذلك نتيجة لسوء سلوكه، وإلاّ لما قام الأساقفة بحرمانه كنسياً، ولو أن فولك نجا من دون عقاب، وكذلك لو أن القلعة لم يتم الاستيلاء عليها، لاضطربت أحوال المملكة أكثر مما كانت عليه، وإذا لم يكن هذا كافياً، إلخ، إلخ، فهو جاهز بناء عليه، إلخ، إلخ.

وكذلك كان عليه الاجابة على التهمة التالية، وهي بينما كان الملك مايزال دون السن القانوني، وقد توجب انجاد بلاد بواتو، وكان على الجيش الانطلاق إلى بواتو، جعله الايرل المذكور يقوم بحصار قلعة بدفورد، حيث أنفق مولانا الملك مع نبلاء انكلترا كثيراً من المال قبل أن يتم الاستيلاء عليها، وبعدما تم الاستيلاء عليها، أمر بتهديمها، ثم تنازل عنها إلى وليم بوشامب، الذي منه كان مولانا الملك جون قد انتزع تلك القلعة في الحرب، وهي القلعة التي استولى عليها الملك جون، عندما مات.

وعلى هذا أجاب بأن حصار القلعة لم يتم القيام به من خلاله وحده، لكن بناء على اجماع آراء المملكة، وبسبب سوء سلوك فولك ورجاله، الذي تسبب باعتقال هنري بريبروك قاضي مولانا الملك من قبل أخيه وليم دي بريتني Breante, وبناء عليه كان مولانا الملك قد أرسل رسائله لفولك المذكور ليس مرة واحدة بل للمرة الثانية، ليسلمه قاضيه، وقد رفض أخوه عمل أي شيء في القضية، ولم يستجب، كما أن الملك أرسل رسائله إلى وليم دي بريتني، الذي أجاب بأنه لم يسلم هنري المذكور، من دون موافقة أخيه فولك، وأن أخاه كان من قبل قد ثبت الذي عمله، وبناء عليه عقد مولانا الملك اجتماعاً مع نبلائه، وقدم حتى بدفورد، وأرسل إلى الذين كانوا في القلعة: بطرس ابن هيريبين Herebin, وآلان باسيت، ليطلبا منهم اطلاق سراح هنري أوف بريبروك— قاضيه، الذي كان معتقلاً لديهم، وأن يقدموا ويدفعوا

تعويضاً عن سوء تصرفهم باعتقالهم قاضي مولانا الملك، وقد أجابوا بأنهم لن يفعلوا شيئاً استجابة لمولانا الملك، وأنهم سوف يحتفظون بهنري المذكور، وإذا استطاعوا سوف يعتقلون المزيد، ولذلك جرى بناء على رأي نبلاء انكلترا حصار القلعة، والاستيلاء عليها وتدميرها، وبعد ذلك أعطي موقع القلعة إلى وليم دى بوشامب بناء على رأي نبلاء انكلترا، ولهذا السبب ورد ذكرها في صيغة السلام الذي أبرم بين مولانا الملك، ومولاه لويس والبارونات، حيث جاء أنه تقرر أن يبقى بيد كل واحد ما كان بين يديه في بداية الحرب، وبناء عليه قام النائب البابوي السيد غولو، ورئيس الأساقفة والأساقفة بايقاع عقوبة الحرمان الكنسي بكل من سوف يخرق صيغة السلام تلك، وبسبب أن وليم نفسه كان دوماً يطالب بالقلعة المذكورة ويدعي أنها حقه، وذلك في معارضة لفولك المذكور، ولم يستطع أخذها حتى جرى الاستيلاء عليها من قبل مولانا الملك، فلقد قام مولانا الملك نفسه، بناء على نصيحة نبلائه، وبناء على صيغة السلام الذي أقيم، وبسبب الخوف من القرار الذي صدر، فتخلى إليه عن موقع القلعة المتقدم ذكرها، وأن يتملكها وفق الصيغة نفسها التي تملكها أجداده، وهذا واضح في مدونات مولانا الملك، وأيضاً أن وليم المذكور أعطى من نفسه إلى مولانا الملك، بأن بإمكانه أن يتملك تلك الاقطاعية، مثلما هو واضح ومدون في سجلات مولانا الملك، وإذا لم يكن في هذا كفاية، هو سوف يقول المزيد، وبناء عليه، إلخ، إلخ.

وأيضاً كان عليه الاجابة على التهمة التالية، في أنه أرسل رسلاً إلى روما، وحصل على وجوب أن يكون مولانا الملك قد صار في السن القانونية، مع أنه لم يكن قد وصل إلى السن القانونية، وكأن ذلك فيه منفعة لمولانا الملك، ثم إنه بفضل الإعلان أنه صار في السن القانونية، تسبب في أن يمنحه بموجب صك الأراضي التي كانت عائدة إلى هنري

أوف اسكس، وأراضي أخـرى، ومناصب، وامتيـازات، استـولى عليهـا وتملكها حسب مشيئتـه، بعد وفاة الملك جـون، وهي كانت متملكة من قبل الملك جـون المتـوفى نفسـه، وتسبب أيضـاً في أن يعطى، وأن تتثبت أعطيـات إلى رهبـان، وأشخـاص لاهوتيين، وآخـرين، أراضي كثيرة، وامتيـازات، وأشيـاء أخـرى، مما أنقص كثيراً وآذى مقـام مـولانا الملك وتاجه.

وعلى هذا أجـاب، بأنه لم يرسل رسلاً إلى رومـا، بل أسقف وينكستر أرسل إلى رومـا وليم من كنيسـة القـديس ألبـان حول القضيـة نفسهـا، وكان ذلك لإلحاق الأذى بهيـوبرت المذكور، وليس لصـالحه، وذلك من دون أن يتخلى هو مع الآخـــرين عن وصـــايتهم، كما فعل أيضـــاً في نورثأمبتون، ولقـد تقرر فيما بعد بناء على الرأي العام، لرئيس الأسـاقفة والأساقفـة، بأنه ينبغي أن يمتلك مولانا الملك ختماً، وأن رسـائله ينبغي أن تصدر، حتى يتمكن من تأسيس خوف أعظم لنفسه في المملكة، وأن يمتلك سلطة أعظم، وتمّ بعـد ذلك الحصـول على تحلة من أجل عمـره من البـابا هونوريـوس، بناء على اقتراح رئيس الأسـاقفـة، والأسـاقفـة، والايرلات والبـارونات، لأنهم اقترحـوا إلى البـابا بأن حكمتـه، وحسن تدبيره، قـدمت تعـويضـاً لسنه، وذلك كما هو مـوجود في امتيـاز البـابا الموجـه إلى الايـرلات والبـارونات، والذي يبـدأ هكذا: Ad boec etinfra —مع أن ولدنا المشهور والعزيز في المسيح مايزال يعدّ في سنوات صغـره، مع ذلك إنه كما سمعنا، وسررنا لما سمعناه، بأنه أظهـر عقلاً رجولياً، وعمل تقدماً بالعمـر والحكمة، ولذلك فإن ماكان محتاجاً إليه في عقد من الزمـان، يبدو أنه قد عمل من قبله بفضل حسن تدبيره، ولذلـك ينبغي أن لايمنع من مبـــاشرة الحكـم، وأن يدير بشكل نـافع شؤون المملكة، وبناء عليـه إننا نأمر بمـوجب كتاباتنا الرسـولية، أن يتم بالتـوافق مع أخينـا المحترم أسقف وينكستر، والسـادة النبـلاء التـالين:

قـاضي انكلترا ووليم بريوير [القيـام برعـاية القضـايا المتقـدم ذكـرها]، ونحن نأمرهم بموجب كتـاباتنا هذه في أن يتخلوا له بشكل حر ومسالم عن إدارة مملكته».

كما أنه كتب أيضـاً إلى إيـرل شيستر كما يلي: «نحن نأمـر ونفـرض عليكم بمـوجب هذه الكتابات الـرسوليـة، بأن تتخلى له الآن عن ادارة مملكته، وأن تسلم إليه من دون أيـة مصاعب الأراضي والقلاع التي بين يديك تحت عنوان الوصاية، وأن تجعل الآخرين يفعلون الشي نفسه».

وكتب بصيغـة الكلمات نفسهـا إلى أسقف وينكستر، كما أنه كتب إلى المستشار وفق الصيغة التـالية: «نحن نأمركم بموجب كتـاباتنا الرسولية، إنه بحكم أن بين يديك ختم الملك المذكور،وأنت تمتلك الوصـاية عليه، يتوجب عليك من الآن فصـاعداً، أن تستخـدمه وفقاً لرغبـاته الصالحة، وأن تقـوم، بناء عليـه، بإطاعتـه واتبـاعـه فقط، وأن لاتتسبب بختم أية رسالة من الآن فصاعداً بالختم الملكي ضد ارادته».

وفيما يتعلق بأرض هنري أوف اسكس، لقـد قـال إنه عندمـا صـار مولانا الملك في السن القانونية وبعـدما أطاعه المستشار، بناء على تدخل مولانا البـابا، قد أعطاه تلك الأرض عـن طواعية منه ورغبـة، بموجب براءة لصالحه، وأعاد إليه أيضـاً الأرض بمثابة حق له، وعمل بعد ذلك سلماً معه، وإذا لم يكن في هذا كفاية، إلخ، إلخ، هو جاهز، إلخ، إلخ.

وطلب منه أيضاً الاجابة على مايلي، هو أنه عندما أرسل مولانا وليم ملك سكوتلندا إلى مـولانا الملك جـون ابنتيـه، اللتين كـانت كبراهن ستتـزوج من مـولانا الملك، أو من الايرل رتشـارد، إذا مـاحـدث شيء لمولانا الملك، وهذا الزواج هو الـذي من أجله تخلى وليم الملك المذكـور إلى الملك جـون عن ادعـائـه وجميـع حقـوقـه حـول أراضي كمبرلاند Cumberland، ووستمـورلانـد Westmoreland،

ونورثأمبرلاند Northumberland, وأعطاه بالاضافة إلى ذلك خمسة عشر ألف مارك فضة، وقد تزوج من تلك السيدة، وذلك قبل أن يصبح مولانا الملك في سن يمكنه أن يقرر فيه، عما إذا كان يرغب أن تكون زوجته أم لا، وهكذا عندما صار مولانا في السن القانوني، بات من الضروري بالنسبة إليه، أن يعطي ملك سكوتلندا الموجود الآن مائتي هايد Hides من الأرض حتى يتخلى عن دعواه بالأراضي المتقدمة الذكر، وذلك بسبب أن الاتفاق الأول لم تتم مراعاته، وحدث هذا على الرغم من أنه لم يتقيد أنه كان من قبل مقترناً من كونتسة غلوستر التي كانت قد اقترنت لبعض الوقت مضى بمولانا الملك جون، عندما كان مايزال بمرتبة ايرل، وهي التي أعطاه إياها الملك جون للوصاية عليها، وهي التي باع زواجها لبعض الوقت إلى غيوفري دي مانديفيل Mandeville, بعشرين ألف مارك، وهاتين السيدتين كلتاهما مرتبطة بالأخرى ببعض القرابة إلى درجة ما.

وعلى هذا أجاب بأنه لم يعلم مطلقاً بالاتفاق بين الملكين، أي لم يعلم شيئاً حول الزواج الذي سوف يعقد مع إما مولانا الملك، أو مع الايرل رتشارد، بل كان عليها الزواج من مولانا الملك بناء على نصيحة نبلائه، وإنها تزوجت بناء على مشورتهم، وهذا واضح من رسائل السيد باندولف Pandulf, الذي كان آنذاك هو النائب البابوي، وأيضاً رسائل رئيس أساقفة كانتربري، والأساقفة، والايرلات، والبارونات، ثم إنه لم يكن من الممكن إعاقة ذلك الاتفاق لو أنه عمل قط، لأنها عندما تزوجت، كان الملك في سن، يمكنه فيه أن يعقد الزواج معها أو مع واحدة أخرى، إذا ما اختار، وفيما يتعلق بوجود قرابة عصب بين كونتسة غلوستر وابنة ملك سكوتلندا هو لم يعلم عنه شيئاً، وحول مايتعلق بالمائتي هايد من الأرض التي منحت إلى ملك سكوتلندا، مامن شيء قد عمل من خلال ايرل كنت، وبشأن كونتسة غلوستر، قال بأنها

لم تكن تحت وصاية هيوبرت، بل كانت سيدة نفسها، وكانت حرة في أن تزوج نفسهـا من أي واحـد ترغب به وذلك بعـد وفـاة غيـوفـري دي مانديفيل، وذلك منذ أن باع مولانا الملك جون من قبل زواج الكونتسة إلى غيوفري المتقدم ذكره، وإذا لم يكن في هـذا كفاية، سوف يقول أكثر، وهو أيضاً جاهز، إلخ.

وطلب منه أيضاً الإجابة على مايلي، وهو أنه عندمـا أمر مولانا البابا، بوجـوب أن يكون هناك طلاق بينه وبين زوجتـه الكونتسة التي كـانت آنذاك لديه، بسبب القرابة المتقدم ذكرها، جعل رجلاً اسمه لويثيل Le-wytheil يقـوم بجـز واتلاف جميع قمـح الرومـان، ونتيجـة لهذه الفعلة صدر قرار بالحرمان الكنسي بشكل عـام ضد الذين اقترفوا الاثم والذين حرضوهم، وقد فعل هذا عندمـا كان قاضياً، ولقد اقترف ذلك من قبل واحــد توجب عليـه الحفـاظ على الســلام، وبهذه الطريقـة إن السلام، المتعلق بهذه الأشياء قـد اضطرب ومازال مضطرباً حتى الوقت الحالي.

وعلى هذا أجاب بأنه لم يعلم شيئاً حول ذلك، لأن ذلك لم يعمل من خلاله، وهذا واضح تماماً، لأن مولانا البابا أمر بعمل تفتيش حول هذا، من قبل أسقف وينكستر، ورئيـس رهبـان دير القـديس ادمــوند، وقـد جـرى تحويل نتيجة التفتيش إلى البـابا، وكان واضحـاً من ذلك التفتيش تمام الوضوح أنه لم يكن مخطئاً، ولو أنه كـان كذلك لتولى البابا معـاقبته، الأمر الذي لم يفعله، وإذا لم يكـن في هذا كفاية، إلخ، وهو أيضـاً جاهز للاستجابة لما يراه نظراؤه أنه أمر صحيح.

وطلب منه الإجــابة على مــايلي، هو أنه عمل نفســه سجيناً لمولانا الملك، وتم الاتفاق بينهما بأنه سوف يعد خارجاً على القانون، إذا مانجا من ذلك الحبس من دون اذن من مولانا الملك، ومع ذلك نجا من ذلك الحبس، وعندمـا أصبح خارجـاً على القـانون من خلال ذلك الاتفـاق،

وبناء على مبادرة الذين نجا بوساطتهم من الحبس، وفيما بعد استقبله مولانا الملك برضاه، ومع ذلك لم يحصل على مذكرة من مولانا الملك تعفيه من الخروج المذكور على القانون، وفيما بعد عندما جرى استقباله في حظوة مولانا الملك بطريقة لايمكن فيها اضعاف المنح التي كان مولانا الملك قد أعطاه إياها من قبل، في الأراضي التي كانت بين يديه من خلال تلك الإتفاقية، وعلى الرغم من ذلك قام معاكساً لتلك الاتفاقية، فقاضى جون دي غري، وماستي Masty, وبيزلي Besily, وأنكويتيل مالور Malure Anquetil, وروبرت باسلوي Passelewe, وآلان أوري Urry, مع عدد من الآخرين، وربح الدعوى ضدهم، وبناء عليه عمل مولانا الملك مبادلة مع بعضهم ببعض اقطاعياته، مما ألحق به خسارة كبيرة،وبناء عليه، بدا لمولانا الملك أنه غير ملزم بالتمسك بأية اتفاقية مع الايرل المتقدم الذكر، لأنه رأى أن الايرل لم يلتزم بأي اتفاق معه.

وعلى هذا أجاب، بأنه لم يعقد مثل هذه الاتفاقية، وقال بأنه عندما كان تحت مسؤولية الايرلات الأربعة لانكلترا، الذين استلم منهم تعهدات أنه لن يكون في خطر التعرض لأذى جسدي، مع ذلك، حدث بعد هذا أن الحراس الذين توجب عليهم حمايته من الأذى قد سحبوا، وهو لم يعرف من قبل من، ولذلك شعر بالخوف على سلامته، وخاصة بعدما قام أسقف وينكستر، الذي كان مستشار مولانا الملك، بتهديده، كما تعلم انكلترا كلها، وكانت قلعة ديفي Deviezes بعهدة بطرس دي أوريفال d'orival. وبناء عليه، إنه عندما شاهد أن حرسه، الذين يتوجب عليهم الدفاع عنه، وفقاً للاتفاقية، عندما كان قيد الاعتقال، قد تخلوا عنه وذهبوا، ليس عجباً أنه هرب إلى الكنيسة، وهو لم يكن ليفعل ذلك، وما كان له ليقدم على هذا، لو أن الاتفاقيات حفظت بشكل سليم نحوه.

وفيما يتعلق باصطلاح الخروج على القانون الذي أطلق عليه، قال بأنه لم يعمل مثل هذه الاتفـاقيـات لأنه لايمكـن لرجل صـالح ومخلص أن يصبح خارجـاً على القانون بمـوجب اتفاقيـة، لأن الخروج على القانون عقـوبة لمقترفي الآثـام، وليست لواحـد تصرف بشكل جيـد، وهي تتبع الأعمال الشريرة المقترفة مـن قبل واحد لم يلتزم بالصـلاح، وهو لم يكن قط واحـداً من هـذا النوع، لأنه طلب دومـاً وعـرض الالتـزام بقـرار نظرائه، وهو عندما عاد فيما بعد إلى سلام مولانا الملك، جرى العفو عن جميع الذي تقـدم، وأنه قضي عليـه وتم الإعـلان أنه ليس خـارجـاً على القانون، في جميع كونتيات انكلترا، وذلك بوسـاطة رسائل مولانا الملك، وأن ذلك القرار قد اتخذ في غلوستر، وتفوه اللورد وليم رادلغي Rad- leghe [?Raleigh] بالحكم بحضـور رئيس الأسـاقفـة، والأساقفة، والايرلات، والبارونات.

وجـواباً منه للتهمة من أنـه لم يحصل على مذكـرة، تلغي الخروج على القـانون، أجاب بـأنه فعل ذلك، حتى لايعتقد أنـه اعترف بعدالة تهمـة الخروج على القـانون، وقـال بأنـه لم يترافع للتقـاضي إلى أي واحـد على عكس ماجـاء بالاتفاقية، لأنه لم يعمل اتفاقيـة مع مولانا الملك، باستثناء ماتعلـق بتولي العدالـة في انكلترا، وكانت قلعة دوفـر بحوذته بمـوجب صك لمدى الحياة، وهذا واضح بعدما استرد من الذين قاضاهم، وذلك بإرادة مـولانا الملك، وفي بلاطه، بمـوجب الحكم الصادر عن محكمتـه، وبناء عليـه ينبغـي أن لايلام بهذا الشأن، وإذا لم يكن هـذا، إلخ، إلخ، وهو أيضاً جاهز، إلخ، إلخ.

وطلب منه أيضـاً الاجـابة على مـايلي: من أنه استخـدم كلمات دنيئة ومـلامـة ضـد مـولانا الملك، بحضـور اللورد رالـف فتـز— نيقـولا، وغيـوفـري دي غـرانكوم Grancombe, والراهب غ. G وآخـرين، ومـازال لدى مـولانا الملك أشيـاء كثيرة لتقـديمهـا ضـده،

ولقـولها، وهي مـايزال يحتفظ بها في عقله، وهو سـوف يقـدمهـا ضـده عندما يرغب، وعندما يأتي الوقت المناسب.

وعلى هذا أجاب، إنه سوف يتمسك بإصرار بالذي قـاله ضد مولاه، وضـد جميع الآخرين الذين سـوف يقولون هذا،وبأي شيء سـوف يراه نظراؤه صحيحاً، وكـذلك بأن جميع التهم المتقـدمة قد تـم التخلي عنها، وأنها ألغيت بالنسبـة له قانونيـاً، عندما عمل ثانيـة سلماً مع الملك، وبناء عليـه لقد رأى أنـه لايمكن محاكمته على أي من التهـم المتقدمـة، وإذا لم يكن في أي من أجـوبته ماليس كـافياً أومقنعـاً، فالايرل جـاهز إلى قول المزيد، وبدا أيضـاً بـالنسبـة إليـه أنه لايجوز توقيفـــه، كما أنه ليس عليـه الاجابة مـالم تتم إعادته إلى تملك جميع مقتنياته التي جرد منهـا، مشاهداً أن مامن واحـد أوقف للاجابة أمـام أية محكمة سواء أكـانت علمانية أو لاهوتية، وهو في حال التجريد من ممتلكاته.

وجـرى تعيين يوم لهيوبرت نفسـه للمثـول أمام مـولانا الملك لسماع حكمه، وكان ذلك في اليوم التالي لعيد إعدام يوحنا المعمدان.

- ٢ -

الذين أدينوا باقتراف جرائم في الحدائق والمطارد وإنزال العقوبة بهم

[انظر أحداث عام ١٢٤٦]

إذا ما هرب المجرم وقتل، هو لن ينال العدالة ولاالمقاضاة، ولكن إذا ما قـام ايرل، أو بارون، أو فـارس بالشكوى إلى مـولانا الملك، حـول دواب أمسكت في حـديقته، بناء عليـه ينبغي إجـراء تحقيق حول ذلك بمـوجب مذكـرة صادرة عن مولانا الملك، وبناء عليه إن الرجل الذي سـوف يشار إليه من خلال التحقيق، ومن ثم جـرت ادانته، فلسوف يلقى به في سجن مولانا الملك لمدة عام واحد ويوم واحـد، وبعد ذلك سوف يجري تخليصه مقابـل سعر يساوي قيمـة أرضه لمدة ثلاثة أعـوام، وفق طريقة أنـه سوف

يبقى في عمله، وعند ذلك سوف يحصل مولانا الملك على ثلثي مال الخلاص، وسيحصل الرجل الذي اقترفت الجريمة ضده على الثلث، وبعد ذلك الخلاص عليه أن يؤمن اثني عشر كفيلاً، يتولون كفالته، بأنه لن يحدث أضراراً في المستقبل في الحدائق، أو المطارد، أو الغابات، أو في أي شيء مضاد لسلام مولانا الملك، وإذا حدث وألحق أضراراً في أي من الأماكن التي تقدم ذكرها، فإن الكفلاء سوف يقدمون جواباً عن جسده، وعن ذنبه، هذا وإذا ماجرى فجأة اعتقال أي واحد في أية حديقة، أو مطردة، وذلك من دون أية مذكرة تحقيق صادرة عن مولانا الملك، فلسوف يبقى في سجن مولانا الملك، حسبما قيل من قبل، وسوف يحصل بعد ذلك على الخلاص وفق الطريقة التي تقدم ذكرها، ولسوف يحصل مولانا الملك على نصف مبلغ ذلك الخلاص، والفئة المتضررة على النصف الآخر، وعليه بعد ذلك أن يؤمن اثني عشر كفيلاً وفق الطريقة التي تقدم ذكرها... [هناك وثائق كثيرة أخرى آثرتُ عدم ترجمتها لبعدها عن موضوع الحروب الصليبية، واكتفيتُ بالنموذجين المتقدمين].

- ٨ -

رسالة من كونت أراس تتعلق بالاستيلاء على دمياط

[انظر أحداث عام ١٢٤٩]

إلى الأم الأكثر عظمة ومحبة، بلانشي، التي هي بنعمة الرب، الملكة اللامعة لفرنسا، يبعث إليها ابنها العزيز، تمنيات الصحة، مع المحبة الولدية، مع الاستعداد لإرضائها:

بما أننا نعلم أنك سوف تفرحين كثيراً بأخبار تقدمنا وتقدم أصحابنا، وستسعدين للنجاحات الكبيرة التي حصل عليها الشعب الصليبي، وذلك عندما تحصلين على أخبار صحيحة حول هذا الموضوع، لذلك نحن نرغب بأن تعلم سيادتكم بأن مولانا العزيز وأخانا الملك، والملكة، وأخته،

ونحن نتمتع بالصحة في الجسد، وذلك بفضل نعمة الرب، كما أننا متشوقين وآملين بأن يكون الحال نفسه بالنسبة لك شخصياً، ومايزال أخانا العزيز كونت أوف أنجو يشعر بقشعريرة حماه الربعية، لكن ألطف مما هو معتاد، ونود أن تعلم محبتك بأن مولانا العزيز وأخانا والبارونات والحجاج، الذين أمضوا الشتاء في قبرص، قد أقلعوا بمراكبهم في يوم عيد الصعود، في المساء إلى ميناء لينوك Linoc, من أجل أن يتمكنوا من الزحف ضد أعداء الإيمان المسيحي، وأقلعوا من ذلك الميناء، وجاء ذلك بعد متاعب جمة في البحر، وفي مواجهة رياح معاكسة، وصلوا أخيراً بتوجيه من الرب في يوم الجمعة بعد عيد التثليث، وكان ذلك في حوالي منتصف النهار، وألقوا المراسي، وعقدوا اجتماعاً في ذلك اليوم نفسه في سفينة مولانا الملك، للتشاور حول الذي عليهم عمله بعد ذلك، وقد شاهدوا أمامهم دمياط، والميناء محصن بعدد كبير من الترك من كل من الخيالة والرجالة، ومصب النهر، الواقع بالقرب محمي بحشد من الغلايين المسلحة.

ولقد تقرر في هذا الاجتماع ورسم بأنه ينبغي في الصباح المقبل أن يقوم الجميع بالنزول إلى اليابسة مع مولانا الملك، وفق أفضل الطرق الممكنة، ونحن نود أن تعلم سيادتكم، أنه في صباح السبت، وحسبما كان قد تقرر، غادر الجيش الصليبي سفنه الكبيرة، ونزل برجولة وتجهز في الغلايين والقوارب الصغيرة، واعتمد على رحمة الرب، وعلى عون الصليب المنتصر، الذي حمله مولانا النائب البابوي فوق راية قرب مولانا الملك، مستمداً السرور والطمأنينة من الرب، وبذلك اقترب من اليابسة، على الرغم من العدو، الذي قام بحملات عديدة علينا، بكل من اطلاق النشاب، وباستخدام الوسائل الأخرى، لكن عندما لم يعد بإمكان القوارب الوصول إلى اليابسة، بسبب أن البحر كان منخفضاً جداً، غادر الجيش الصليبي قواربه، وباسم الرب قفز إلى الماء، ووصل أفراده إلى اليابسة مع

أسلحتهم على الأقدام، مع أن حشداً كبيراً من الترك دافع عن الشاطىء ضد الصليبيين، ولكن بفضل ربنا يسوع المسيح، وصل الشعب الصليبي إلى الشاطىء سالماً مسروراً بعد مقتل عدد كبير من الخيالة والرجالة الترك، كان من بينهم —كما قيل— أصحاب مراتب عالية.

وبعدما انسحب المسلمون إلى داخل المدينة، التي كانت قوية جداً، وكذلك حصينة لوجود النهر المعترض الذي أحاط بأسوارها القوية وبأبراجها، قام ربنا القدير الذي منح إلى الجميع الوفرة من دون ملامة، فأعطى إلى شعبه المدينة من دون تعب، وكان ذلك في حوالي الساعة التاسعة من اليوم التالي، الذي كان ثمانية الثالوث المقدس، لقد أعطى المدينة إلى الشعب الصليبي، ذلك أن المسلمين غير المؤمنين فروا وتركوها، وقد عمل هذا بموجب أعطية من ربنا وحده، وبموجب رحمته الجبارة.

وليكن معلوماً من قبلك أيضاً بأن هؤلاء المسلمين أنفسهم قد تركوا تلك المدينة مجهزة بكميات وافرة من المؤن واللحوم، وآلات الحرب، وأشياء أخرى نافعة، حيث بقي جزء كبير منها في المخازن من أجل المدينة المذكورة، ومن ذلك الجزء تزود الجيش وباع كثيراً، لكن مولانا الملك مع جيشه عمل إقامة طويلة هناك، وتدبر جلب أشيائه من مراكبه، ونحن نعتقد بأن الجيش لن يغادر من هناك حتى تتناقص مياه النهر، لأنه كما أخبرونا كان آنذاك على وشك غمر الأرض، لأن الصليبيين في تلك المناطق كانوا يعانون من كثير من الخسائر.

وعندما كانت كونتسة أنجو في قبرص، ولدت طفلاً جميلاً جداً، وجيد التكوين، وقد تركته هناك بعهدة ممرضة. صدر في معسكر جاماس Jamas, [دمياط؟] في عام ١٢٤٩م، في شهر حزيران عشية عيد القديس يوحنا المعمدان».

وكانت هذه أهم رسالة أرسلت إلى ملكة فرنسا، كلمة، كلمة.

المزيد من المعلومات حول الاستيلاء على دمياط

«إلى أخيه العزيز لأمه، وإلى صديقه العزيز المعلم بينت Bennet أوف تشارترز— تلميذ في باريس، من غي— الفارس في حاشية فيزكونت أوف ميلون Melun, صحة، وتمنيات أن يكون مسروراً:

بما أننا نعلم أنك قلق حول أوضاع الأرض المقدسة، وأوضاع مولانا ملك فرنسا، ليس فقط من أجل الازدهار العالمي للكنيسة، بل من أجل قرابتنا وصداقتنا في خدمة المسيح تحت قيادة مولانا ملك فرنسا، رأينا أن علينا أن نعطيك معلومات تتعلق ببعض الأخبار التي جرى تداولها بين عوام الناس.

عندما غادرنا قبرص، بعدما عقدنا مجلساً حربياً، وأبحرنا باتجاه الشرق، ناوين أن نهاجم الاسكندرية، حدث خلال الأيام التالية أننا حملنا من قبل عاصفة غير متوقعة، كلفتنا كثيراً في البحر، فقد تفرق الكثير من سفننا، وابتعدت احداهن عن الأخرى، وفي ذلك الوقت كان سلطان مصر، مع أمراء المسلمين الآخرين، قد علموا من خلال كشافتهم بأننا قد نوينا مهاجمة الاسكندرية، وبناء عليه، كانوا قد حشدوا حشداً كبيراً من الرجال المسلحين من سكان القاهرة، والفسطاط، ودمياط، والاسكندرية، وأقاموا ينتظرون وصولنا، حتى يهاجموننا بالسيف بعد متاعب زحفنا، وعلى هذا حدث في إحدى الليالي، أننا بعدما حملنا من قبل ريح قاسية فوق شريط طويل من البحر، هدأت الريح في الصباح، وظهر الهدوء الذي انتظرناه طويلاً، فتجمعت سفننا المتفرقة ثانية، وأرسلنا إلى الأعلى متسلق ماهر، عرف جميع السواحل على هذا الجانب من البحر، وكانت هناك تساؤلات وألغاز كثيرة، فطلبنا من دليلنا المخلص أن يتسلق إلى رأس السارية، وأن يخبرنا عما إذا كان قد شاهد أرضاً، وأن يبين لنا في أي مكان من العالم نحن كنا آنذاك،

وبعدما تفحص هذا الرجل بعناية قصوى جميع الأماكن المجاورة وأعاد التمعن والفحص صرخ مندهشاً بصوت مرتفع: «ساعدنا يارب، ساعدنا يارب، الرب وحده يمكنه أن يفعل ذلك،ويتصرف هكذا، نحن هنا الآن أمام دمياط»، واقتربنا الآن بما فيه الكفاية لنرى الأرض، وتحدث المراقبون من على ظهر السفن الأخرى بأنهم شاهدوا الشيء نفسه،وشرعت السفن تقترب إحداهن من الأخرى، وعندما استوعب مولانا الملك صورة هذا الأمر، بدأ بروح عالية في حثهم وتشجيعهم جميعاً، حيث انتصب قائماً في وسطهم وهو يقول لهم: «أصدقائي، وجنودي المخلصين، سوف يكون من غير الممكن قهرنا، فقط إذا لم نفترق بحبنا أحدنا عن الآخر، إنه ليس من دون إرادة ربانية أننا حملنا إلى هنا عبر البحر بمثل هذه السرعة، دعونا ننزل على هذه الأرض، مهما تكن، وأن نحتلها بقوة، أنا لست ملك فرنسا، وأنا لست الكنيسة المقدسة، أنتم الملك، وأنتم الكنيسة المقدسة، أنا فقط رجل واحد، حياته سوف تنقضي عندما يريد الرب، مثل حياة أي رجل آخر، وبالنسبة لنا كل محصلة هي سليمة، فإذا ماهزمنا، فلسوف نطير بمثابة شهداء، وإذا ماحصلنا على النصر، فمجد الرب هو الذي سيجري التبشير به، ومجد جميع فرنسا، لابل إن مجد المسيحية كلها سوف يتضاعف، وإنه من الحماقة الاعتقاد بأن الرب الذي يجهز كل شيء ويوجده، قد نهض بي عبثاً، فهو سوف يرعى قضيتنا، فنحن سوف نكون منتصرون في سبيل اسم المسيح، وهو سوف ينتصر فينا، معطياً، ليس لنا، بل لاسمه، المجد، والتشريف، والمباركة».

وفي الوقت نفسه كانت سفننا قد تجمعت مع بعضها، واقتربت من الساحل، وبذلك أصبح بإمكان سكان دمياط، والذين عاشوا قرب الساحل، تأمل أسطولنا وتقديره، فهو تألف من ألف وخمسمائة سفينة، إلى جانب السفن التي كانت قد تفرقت، وكان عددها مائة وخمسين،

وفي الحقيقة، إنه كما نعتقد، لم يكن هناك في أيامنا أسطول من السفن قد جمعت مع بعضها، بضخامته، ولذلك دهش شعب دمياط، وأصيبوا بالهلع، وخافوا خوفاً شديداً، فأرسلوا أربعة من أفضل غلايينهم، مع أمهر قراصنتهم للتقصي ولمعرفة من نحن، وماهي نوايانا.

وعندما رأيناهم قد اقتربوا بما فيه الكفاية لتمييز مراكبنا، ترددوا، وتوقفوا عن التحرك بسرعة كما كانوا من قبل، وكأنهم حصلوا على المعلومات المرغوبة، ورغبوا بالابتعاد سالمين، لكن غلايينا قامت بالوقت نفسه، مع المراكب السريعة بمطاردتهم، وأحاطت بهم، وبذلك أرغموا، وهم غير راضين على الاقتراب من مراكبنا، هذا وشاهد رجالنا ثبات وعزم مولانا الملك وعدم تقلب قراره وتصميمه، لذلك أعدوا أنفسهم، بناء على أوامره من أجل معركة بحرية، وكانت أوامره القيام باعتقال هؤلاء، والبعض الآخر إذا ماقدموا، وبعد ذلك احتلال الشاطىء بجرأة، وذلك في المنطقة التي سيجري النزول عليها، ولذلك أطلقنا ضدهم مقذوفات نارية، وحجارة من مجانيقنا البحرية، التي كانت معدة لرمي خمسة حجارة أو ستة مع بعضهم من مسافة عظيمة، وقذفنا قوارير صغيرة مليئة بالكلس، صنعت ليرمى بها من القوس، أو رمينا بعصي صغيرة مثل النشاب، ضد الأعداء، وبناء عليه خرقت قذائفنا أجساد قراصنتهم وعتادهم، في حين تولت الحجارة سحقهم، وأعماهم الكلس الخارج من القوارير المكسرة، وبناء عليه جرى على الفور تدمير ثلاثة من غلايينهم، وجرى انقاذ بعض القراصنة من الغرق، واتخذوا أسرى، وتمكن الغليون الرابع من النجاة، لكن ليس من دون تلقي بعض الأضرار، ووضعنا الرجال الذين اعتقلناهم تحت عذاب مميت، فاعترفوا بالحقيقة، وهي إن دمياط كانت قد تركت فارغة من سكانها، وأننا كنا متوقعين في الاسكندرية،

أما القراصنة الذين هربوا (بعضهم قد أصيب بجراحة حادة) والذين أرغم غليونهم على الفرار، فقد نقلوا معهم رسالة مع البكاء والعويل، إلى شعب دمياط، الذين كانوا بانتظارهم على الشاطىء، على شكل حشد كبير، وقالوا بأن البحر مغطى بأسطولنا الذي وصل للتو، ذلك أن ملك الفرنسين كان يقترب بالسلاح، مع عدد هائل من النبلاء، الذين منهم —كما قالوا— عشرة آلاف شرعوا بشكل مكشوف بالقتال ضد المسلمين، وأمطروهم بالنيران، والحجارة، مثل الغيوم، وقالوا: «لكن بما أنهم ضعفاء من الارهاق ومن متاعب رحلتهم، فإذا كنتم تحبون حياتكم وبيوتكم، هاجموهم متكاتفين مع بعضكم واقتلوهم، أو على الأقل صدوهم بالقوة، حتى يمكن استدعاء رجالنا، ونحن لوحدنا نجونا بصعوبة لاخباركم بهذه الأشياء، ولانذاركم بأن عليكم الدفاع عن أنفسكم، ونحن نعرف أعلام نبلائهم، انظروا إنهم ينقضون بغضب علينا، مستعدين، ويحث أحدهم الآخر، للقتال سواء على الأرض أو على البحر»، ونتيجة لهذا الكلام نزل الخوف وعدم الثقة بالمسلمين، وكان رجالنا قد أخبروا بالحقيقة، ولذلك ارتفعت آمالهم الجيدة، وقفزوا على شكل حشود من سفنهم إلى القوارب، وكان أحدهم يتنافس مع الآخر، لأن البحر كان ضحلاً جداً قرب الشاطىء، ولهذا لم تستطع القوارب ولاالزوارق الوصول إلى اليابسة، ولذلك غطس كثير منهم في الماء، حتى الحقوين، وذلك في طاعة منهم للأوامر الدقيقة والحثيثة لمولانا الملك، وعلى الفور كانت هناك معركة هي الأكثر دموية، وتواصل تلاحق رجالنا ببعضهم دون ترك فراغ، فتحطمت شجاعة المسلمين، وقتل واحد من الرجال من جانبنا فقط، لكن غرق اثنان أو ثلاثة، الذين لشدة حماستهم وتشوقهم للقتال ألقوا بأنفسهم بسرعة في المياه، وبذلك تسببوا بالموت لأنفسهم، وليس عن طريق الآخرين.

وبناء عليه تخاذل المسلمون، وأخذوا يتراجعون، وهربوا بشكل مهين، وارتدوا إلى مدينتهم، وكان عدد كبير منهم قد قتلوا، وأعداد أكبر منهم قد جرحوا وتشوهوا، وكان رجالنا يريدون مطاردتهم، وكان بإمكانهم فعل ذلك عن قرب، لكنهم منعوا من قبل قادتهم، خشية من خديعة قذرة، وأثناء القتال تمكن بعض العبيد والأسرى من تحطيم أغلالهم، وخرجوا من السجن ونجوا، لأنه حتى السجانين كانوا قد خرجوا للقتال ضدنا، ولم يبق أحد في المدينة إلاّ النساء، والأطفال والمرضى، وقابلنا هؤلاء العبيد بتشوق وسرور، وحيوا ملكنا وجيشه، وهتفوا يقولون: «مبارك هو الذي جاء باسم الرب»، وعملت هذه الأشياء بطالع سعيد، وبداية خيرة، في يوم الجمعة أي يوم آلام الرب (الجمعة السعيدة)، وبعد ذلك وصل مولانا الملك إلى اليابسة بأمان وانتصار، وذلك مع بقية الجيش الصليبي، وهكذا استرحنا حتى اليوم التالي، واستولينا في يوم السبت التالي بقوة وببراعة على ماكان قد بقي من الأرض والساحل دون استيلاء، وفعلنا ذلك بناء على توجيه ومعلومات العبيد، الذين عرفوا أيضاً الممرات السرية، واكتشف المسلمون في تلك الليلة نفسها بأن بعض العبيد والأسرى قد نجوا، لذلك حطموا رؤوس الذين بقيوا وبذلك جعلوا منهم شهداء ممجدين للمسيح، وألحقوا بأنفسهم بذلك الدمار كمسلمين، وقام المسلمون في ظلام الليلة التالية، وفي صباح يوم الأحد، بتقدير عدد مهاجميهم، وشجاعتهم، ومثابرتهم، فقرروا الافراغ غير المتوقع للمدينة، لأنهم كانوا بحاجة إلى قادة، وإلى رجال متفوقين، وإلى أشخاص يتولون تشجيعهم ويقومون أيضاً بتقويتهم، كما كانوا بحاجة إلى من يدعمهم ويسلحهم ويقاتل معهم، ولذلك أخذوا زوجاتهم وأولادهم، وكل ماستطاعوا حمله معهم، وهربوا بأسلحة خفيفة من خلال بوابات صغيرة، كانوا قد أعدوها ببراعة منذ زمن طويل مضى، وذلك على الطرف الآخر من المدينة، ونجوا فجأة، بعضهم عبر

اليـابســة، وبعضهم الآخـر عبر النهـر، وتركـوا المدينة مليئة بجميع الأشيـاء، وفي يوم الأحد، في السـاعـة التاسعـة صبـاحاً، قـدم أسيران خارجان من المدينة، وكانا قد نجيا صدفة من أيدي الأعداء، وأخبرانا بالذي حـدث، وألقى الملك جانبـاً بناء عليـه، كل خوف من الخيـانة، ودخل إلى المدينة قبل الساعة الثالثة بعد الظهر، من دون إراقة للدماء، أو قعقعـة للسـلاح، ومن دون أن يعترضه أحـد، وعـلاوة على ذلك، مـامن واحد من الـذين دخلوا معه قـد جـرح، باستثناء هوغ لى برون Brun, ايرل التخـوم، الذي مانظـن أنه سوف ينجـو من الموت، بسبب كميــة الدم التي تدفقت مـن جـروحــه، لأنه كــان غير مهتم بحياته، نتيجة للوم الذي تحمله، وكان قد ألقى بطيش بنفسه في وسط الأعداء، ذلك أنه كان موضـوعاً في الصف الأول للمقاتلين، بناء على طلبه، بمثابة كونه شخصاً مشكوكاً به، وهذا الأمر كان قد أخبر به.

ويتوجـب أن لانغفل ذكر، أن المسلمين عندمـا قرروا الفـرار، رموا ضـدنا النفـوط بكميات كبيرة، وبقـوة، الأمـر الذي كـان خطراً كثيراً علينا ومدمراً بالنسبة لنا، لأنه كـانت هناك رياحاً قوية تهب من المدينة نحــونا، ولكــن فجأة توقفت الريـح وتغير اتجاههــا، وحملت النيران معيدة إياها إلى المدينة، فأحرقت عدداً من رجـالهم ودفاعاتهم، وكانت ستحرق أكثر، لولا أن العبيد، مع أن عـدد الذين كانوا قد بقيوا منهم كـان قليلاً، قـد تمكنوا على الفور من مـواجهتها، وأخمدوها بوسـائل، كـانوا هم على دراية بها، وبوســاطة صلواتهم للرب، الذي استجـاب لطلبهم، حتى لانقوم بامتـلاك المدينة وهي قد أحـرقت تماماً، وفي يوم الرب، وحسبما سلف بنا القــول، دخل مــولانا الملك المدينة في نصر عظيم، وذهـب إلى الصـلاة في معبد المسلمين أنفسهم، وعـزا إلى الرب جميع نجاحاته، بشكل لائق،وكان ذلك قبل تناول الطعام، وكان جميع المؤمنين يقطرون عرقاً، وتتدفق منهم الدموع لشدة فرحهم، وكان على

رأسهم النائب البابوي، حيث غنوا ترتيلة الملائكة، أي:" Te Laudamus Deum وأقيم بعد ذلك مباشرة قداس العذراء المباركة، واحتفل به فوق البقعة نفسها، التي اعتاد الصليبيون منذ وقت طويل مضى أن يقيموا القداسات فوقها، و أن يقرعوا الأجراس، الأمر الذي عملوه الآن تكفيراً عما مضى، ورشوا الماء المقدس، وعلى هذه البقعة، ومنذ أربعة أيام مضت، حسبما أكد الأسرى بصوت مرتفع، جرى تمجيد محمد (صلى الله عليه وسلم) بوساطة أضاحي غير طاهرة، وبصرخات عالية من الأعلى، وبزعق الأبواق، وقد وجدنا في المدينة كميات وافرة لاحدود لها من الطعام، والسلاح، والآلات، والملابس الثمينة، والأواني والأوعية والأدوات المنزلية، والذهب، والفضة، وأشياء أخرى جيدة.

وعملنا بالاضافة إلى هذا على جلب الأطعمة التي كنا نمتلك كميات كبيرة منها، من السفن، وفعلنا هذا على الفور، وجلبنا أيضاً جميع الأشياء العزيزة، والضرورية لنا، وبناء عليه، مع مباركة الصلاح اللاهوتي، ازداد الجيش الصليبي يومياً، مثل بحيرة كانت تتلقى الروافد من الأنهار الفائضة، وجاءت الزيادة من الجانب الأول، من ممتلكات اللورد فيلهاردين، ومن الجانب الثاني على شكل قوة رديفة من عساكر الداوية والاسبتارية، وذلك بالاضافة إلى حجاج جدد قد وصلوا، وبذلك تقوينا بفضل نعمة الرب إلى حد كبير، هذا وبقي رجال الداوية والاسبتارية لوقت طويل غير قادرين على تصديق مثل هذا النصر المجيد والعظيم، وفي الحقيقة إن الذي وقع كان مدهشاً جداً حتى يمكن تصديقه.

وفيما يتعلق —بناء عليه— بالأشياء التي وقعت بشكل اعجازي، خاصة انقلاب الرياح، وإلقائها عائدة النار الحامية على رؤوسهم، إن هذه معجزة قديمة من معجزات المسيح، لأنها حدثت من قبل مراراً

في أنطاكيــة، وقـد تحول بعضهم إلى الإيمان بمــولانا يســوع المسيح، وانضمـوا من ذلك الوقت باخـلاص إلينـا وتمسكوا بذلك، ولكن في ظل دروس الوقـائع الماضيـة، سـوف نسير بحــذر، وتنبه في أعمالنا بالنسبة للمستقبل، لأنه كـان معنا أشخاصـاً مؤمنين من الشرق، نحن ليس لدينا شك في اخلاصهم، وهؤلاء قد عرفوا بالتجربة جميع بلدان الشرق، مع مخاطرها، وهـم بحكم اخـلاص تقـواهم، قـد تسلمــوا طقوس التعميد.

وأثناء كتـابة هذه الأشياء، عقـد نبـلاؤنا اجتماعاً، وتناقشـوا بيقظة، وتداولوا حـول هل سيهاجمون الاسكندرية أم الفسطاط والقـاهرة، في اليـوم التـالي، ولكن بقينا جـاهلين للنتيجــة التي سيتـوصلون إليهـا، وسوف نجعلكم تعلمـون، إذا بقينا أحياء، بالذي سيحـدث، وعندما سمع سلطان مصر بأعمالنا، اقترح علينا الاشتباك في معركة عامة، وأن يكون ذلك غداة عيد القديس يوحنا المعمدان، في مكان يجري الاتفاق عليه فيما بينهم، وقد اقترح المسلمون أن نجرب ذلك بشكل عام، مرة واحـد ة وإلى الأبد، لمعرفـة سعـد الحرب، بين شعب الشرق، وشعب الغــرب، يعني أن تقـول بين ذوي الإيمان الصحيـح وبينهم أنفسهم، والطرف الـذي سينال حـظ النصر، ســـوف يكـون الطرف المنتصر، وسوف يخضع الطرف الآخر بكل تذلل ويقبل بهزيمته.

وعلى هذا أجـاب مـولانا الملك: «إنني لن أتحدى أعـداء المسيح في ذلك اليــوم، كما أنني لن أحـدد شروطـي للسـلام، لكن منذ الغــد، وطوال أيام حيـاتي، من هذا اليـوم إلى الأبد، إنني سأظل أتحداه، حتى يمتلك الشفقـة على روحـه، ويتحـول إلى الرب، الـذي يرغب بإنقـاذ جميع الناس، والذي فتح صدر رحمته إلى جميع الذين يتحولون إليه».

وجميع هذه الأشيـاء التي ذكرتها لكم في رسالتي هـذه، قد حصلت عليها مـن خلال قريبي غـويسكارد الذي لايستهدف شيئـاً، سوى أن

يتمكن على حسابنا، من ارتقاء كرسي الاحتراف، وأن يمتلك مكان إقامة مناسب، على الأقل لمدة عامين.

ونحن لم نسمع شيئاً مؤكداً، أو يستحق أن نخبركم به حول التتار، كما أننا لانأمل أن نجد الاخلاص و الصدق عند الخؤون، ولاالإنسانية عند اللاإنساني، ولاالاحسان عند الشحيح، مالم يعمل الرب، الذي ليس لديه شيئاً مستحيلاً، بعض الأشياء الجديدة، فلقد نظف الرب الأرض المقدسة من الخوارزمية الأشرار، واقتلعهم وأزالهم من تحت السماء، ودمرهم دماراً كاملاً، وعندما سنسمع أي شيء مؤكد، أو جدير بالتدوين حول التتار المتقدم ذكرهم أو حول آخرين سوف نخبركم به، برسالة شفوية، أو برسالة مكتوبة، بوساطة روجر دي مونتيفاجي Montefagi, الذي سوف يذهب بالربيع إلى فرنسا، إلى ممتلكات مولانا الفيزكونت، ليحصل لنا المال.

رسالة من مقدم الداوية حول الموضوع نفسه

«من الراهب وليم دي سوناك Sonnac الذي هو بفضل نعمة الرب مقدم جند الداوية الفقراء، إلى أخيه المحبوب في المسيح روبرت سانفورد Sanford, ناظر الطائفة في انكلترا، صحة في الرب:

نحن نرغب في أن نعلن إليكم في الرسالة الحالية هذه، عن أخبار سعيدة ومفرحة، وليكن بناء عليه معلوماً لديكم، أنه في يوم الجمعة بعد التثليث، وصل لويس، الملك اللامع للفرنسيين، بفضل الرب إلى اليابسة مع جيشه عند ميناء دمياط، وفي يوم السبت التالي، تمكن لويس هذا نفسه، مع جنوده من احتلال أرض وسواحل البحر، وقد قتل كثير من المسلمين، وشخص واحد فقط من الصليبيين، وفي الساعة التاسعة من يوم الأحد، استولى جيش الملك على مدينة دمياط، وهزم هزيمة ساحقة

جيش المسلمين، وبناء عليه تمّ الاستيلاء على دمياط، ليس بفضلنا، وليس بالقوة والسلاح وذراع اليد، بل من خلال القدرة اللاهوتية، والنعمة الربانية.

وليكن أيضاً معلوماً من قبلكم —علاوة على ذلك— أن مولانا الملك، عازم بفضل الرب على توجيه خطاه نحو الاسكندرية، أو نحو الفسطاط، لينقذ إخواننا ويحررهم مع آخرين محبوسين في الأسر، وليعيد البلاد كلها إلى الوصاية المسيحية، بعون الرب».

إلى غي دي بورسي (من قريب للمعلم جون الراهب في بونتني)

«إن مولانا ملك فرنسا ليس قلقاً على شيء، وقد استولى الآن على دمياط، إلاّ حول أنه ليس لديه قوات كافية لحماية وسكنى المناطق التي نالها، والتي سوف ينالها، فقد جلب الملك نفسه معه محاريث، ومساحي، وعربات، وأدوات الزراعة الأخرى، وعندما سمع سلطان مصر بهذا أرسل رسالة إلى الملك قال فيها: لماذا جلبت إلى هنا أدوات الفلاحة هذه، ألفلاحة الأرض بها؟ إنني سأوفر لك مايكفي من القمح، طوال ماأنت مقيم هنا، وقد قال هذا سخرية، وكأنه قصد أن يقول: إنك شاب غض وناعم، ولن تستطيع الإقامة طويلاً في الشرق، من دون أن تموت من الانهاك، وعلى هذا رد مولانا الملك: لقد أقسمت وتعهدت على القدوم إلى هنا، وحددت من قبل موعداً لتنفيذ ذلك وعمله، وفق أفضل مالدي من قدرة، هذا وإنني لم أتعهد ولم أقسم على المغادرة من هنا ثانية، كما أنني لم أحدد أي موعد لمغادرتي، ولذلك جلبت معي أدوات الفلاحة هذه، وقد حافظ قادة السفن على البقاء قرب سفينة مولانا الملك، وكان هناك في أسطوله مائة وعشرين سفينة كبيرة، مما يعرف باسم درومون Dromons, إلى جانب الغلايين والمراكب الأصغر، وقد قفز الملك برشاقة من سفينته، ووقع على وجهه، يصلي إلى الرب باخلاص عظيم، ليوجه طريقه وجميع أعماله.

- ٩ -

رسالة من ملك التتار ترجمت حرفياً عن الكلدانية (السريانية) إلى الرومانية (الفرنسية)

[انظر أحداث عام ١٢٥٠]

«بقوة الرب الأعلى، من أقطاي Achatay, الرسول من ملك بلاد حام، إلى ملك عدة مقاطعات، النبيل المقاتل، سيف العالم، ناصر المسيحية، وحامي اللاهوتية، وابن الشريعة الانجيلية، وملك فرنسا:

زاد الرب عظمته، وحفظ مملكته سنين كثيرة، ونفذ رغباته في الشريعة، ووجهه في العالم الآني، والعالم الآتي، بصدق التوجيه اللاهوتي لجميع الناس، ولجميع الأنبياء والرسل، وليكن ذلك.

مائة ألف سلام ومباركة، وأنا أدعو له بأن يتسلم هذه الأشياء وأن يكونوا موافقين له، وعلى هذا الأساس، لعل الرب يعطي في أن أرى هذا الملك النبيل، الذي وصل، ولعل الخالق العظيم يسمح باجتماعنا بإحسان، وأن يمنح بكرمه في أن يحدث ونتمكن من الاتحاد في شخص واحد.

والآن، بعد هذا السلام، ليكن معلوماً من قبله، أن قصدنا في هذه الرسالة ليس أكثر من منفعة المسيحية، وتقوية يد الملك المسيحي، بتأييد الرب، وأنا أطلب من ربنا، بأن يعطي النصر إلى هؤلاء المسيحيين، وأن يجعلهم المنتصرين على خصومهم، الذين يرفضون الصليب، وبعد ذلك من جهة الملك السامي وباسمه، رفع الرب من شأنه، ليعلم ذلك بوجود كيوك Kyocay [خان]، لعل الرب يزيد من عظمته.

لقد قدمنا مع قوة وأوامر قضت بإعفاء جميع المسيحيين من العبودية، ومن الجزية، ومن الازعاج والمضايقة، ومن الأشياء المشابهة، وأن ينظر

إليهم بتشريف وتبجيل، وأن لايأخذ أحد منهم ممتلكاتهم، وأن يعاد بناء الكنائس المدمـرة مرة ثانيـة، وأن تعاد الألواح، وأن لايتجـرأ إنسان على منع هذه الأشيـاء، وأن يؤدوا صلواتهم بسـلام، وبقلب مطمئن في جميع أرجاء مملكتنا.

وعلى هذا لقد قدمنا في هذه اللحظة للعمل الصالح ولحفظ المسيحية، بناء على أوامـر من الرب العلي الأعلى، وعلى هذا الأسـاس أرسلنا هذه الأشيـاء بوساطة رسـولنا المخلص الشريف صفي الدين Saphadin, داود، ومـرقص، حتى يعلنـا إليكم هذه الأخبـار الطيبـة، وليخبراكم مشـافهة بالأشيـاء التي بيننا، أرجو أن يكون ملك الأرض مشرفـاً، وأن يزداد بالعظمـة، وبعد ذلك إنه ورد الأمر في شريعـة المسيح، أن لايكون هناك فرق بين اللاتين، وبين الاغريق، و الأرمن والنسـاطرة، واليعاقبة، وجميع الآخـرين، ومثل هذا نحـن نطلب من الملك الفـاخـر أن لايقـوم بالتمييز بينهم، بل أن تكون تقواه وشفقته شاملة لجميع المسيحيين، وأن تكون تقواه وشفقته دائمـة. صدر في نهاية شهر محرم Thercharram, وأن يكون ذلك صالحاً في ظل توجيه ربنا».

- ١١ -

تقرير حول أوضاع الأرض المقدسة وصل إلى إنكلترا يوم عيد القديس يوحنا لعام١٢٥٢

[انظر أحداث عام ١٢٥٢]

«إلى أخينا المحترم والمحبـوب كثيراً بالمسيـح، من وولتر أوف سينت مارتين، والراهب يوسف أوف كانسي Cancy, الخازن المتواضع للدير المقدس لـلاسبتارية في القدس، وعكا، صحـة، وأن يواجه نجـاحاً مضطرداً في رغباته:

ليكن معلوماً من قبل عـاطفتكم، إنه فيما يتعلق بالتقارير من الأرض المقدسـة، إن الملك اللامع لفرنسـا، المستقر خلال هذا العـام في قيسارية فلسطين، قد تدبر إحاطتهـا بخط من الأسوار والخنادق، وأن العمل قد اكتمل الآن.

وفي وقت كتـابة هذه الرسـالـة، تم للمـرة الثـانيـة ارسـال رسل من سلطان حلـب ومن الذين يتحكمـــون الآن بمصر، إلى مـــولانـا الملك المتقـدم ذكــره، مع تخويل للتفـاوض حـول الهدنة، ولتثبيـت، وكـذلك للتصـديق على الاتفاقيـات بين الأطراف، وأخيراً لم يقبل الملك المذكـور قبـول التهـادن مع سلطان حلب، لكن في أسبـوع الفصح الأخير الذي مضى، عقد هدنة لمدة خمسـة عشر عاماً مع المصريين، فـارضاً أداء يمين جسدي على الطرفين، وجاء الاتفاق على الشكل التالي:

لقـد وعـد المصريون بالنسبـة لبقيـة الأسرى الصليبيين —الذين ورد ذكـرهم في صيغـــة أخـرى للهـدنة، عندمـــا كـان الملك أسيراً لديهم— بإعادتهم، ووافقـوا على التخلي لمولانا الملك عن جميع الأراضي فيما وراء نهر الأردن، بصرف النظر عمن كـان شاغـلاً لها من المسلمين، باستثناء: غـزة، وجباليـا Gibelet, وجينين الكبيرة Grand- gerin, والداروم (دير البلح)، وهي الأمـاكن التي بقيت بأيدي المصريين، وفقـاً لبنود المعاهـدة، وعلاوة على ذلك تقرر، أنـه مالم يقم المصريون بمـركزة جيشهم في غـزة، قبل منتصف أيار، بعـد تـاريخ الرسـائل الحاليـة، وأن يكون خلال المدة نفسها، قد قاد الملك جيشه من قيسارية إلى جوار يافا، فإن المعاهدة المذكورة سوف تكون بلافعالية.

هذا وعندمـــا كـــان سلطان حلب —العـــدو المكشـــوف للمصريين المذكـورين— مقيماً في دمشق، أثناء عمل هذه العـروض، محتفظاً بجميع المنطقة التي احتلها، حتى مكان يعرف باسم كاسي Casey بين غـــزة والداروم، زحف ضـــد المصريين المذكـورين مـع اثني عشر ألف

مقـاتل، وهو متـوقع أن يكون هناك ثلاثة آلاف آخـرين، سـوف يأتون باليـوم التـالي للالتحـاق بـه، مع أن جميع قـوات المصريين المذكـورين لم تتجـاوز بالعـدد ستة آلاف أو سبعـة آلاف رجل مسلح، قسم منهم قـد نجحـوا بسحبهم إلى أجـزاء من مصر، للـدفـاع عن تلك الأرض ضـد البـدو، والقبائل الأخـرى المحلية، كما أن جيش الملك المذكـور ليس من القـوة بمكان يمكنه أن يمتلـك الفـرصـة لمسـاعـدة المصريين في حـالة الطوارىء، فـالذي متـوفر لـديه مابين دينيين وعلمانيين سبعمائـة فـارس فقط، وأربعمائة من فرسان الحرب التوركبلية، وقد حسبنا بين العدد هنا المائـة فـارس الذين يأمل الملك أن يضيفهم إلى رجـاله، وبناء عليـه، كنا نحن مع آخــرين كثر، شــاكين في أن المصريين المذكـورين سـوف لن يمتلكوا الامكانيـات للقــدوم، وبذلـك فإن الهدنة المذكـورة ليس لها فاعلية.

وعــلاوة على ذلك، نحـن نرغب أن لاتكونوا جــاهلين، بأن جميع المنطقة على هذا الجانب من البحـر مسكونة من قبل الصليبيين، باستثناء أرمينيـا، التـي هي في وضع صعب، بسبب الهدنة التي كـان ملك تلك المملكة قد عقدها مع سلطان قونية، وهي الآن في حالة أسوأ، لم تشاهد مثلها من قبل.

وبالنسبـة لبــلاد أنطاكيـة، قـد أصبحت الآن بسبـب عـدوان بعض المدنسين، الذين اسمهـم التركمان، والذين يقــومــون منذ مــدة طويلة باجتياحهـا، كلها مهـدمة مهجورة، ولذلك هنالـك خوف عظيم من أن مدينة أنطاكيـة نفسها، سوف يلحقها الدمار سريعـاً، من خلال الخوف، ونتيجـة لهروب سكانها، فلقـد زحـف حـوالي العشرة آلاف من الشعب الشرير المتقـدم ذكــره إلى مكان اسمـه قيصرية الكبرى، وهنـاك نصبـوا خيـامهم للاقامـة، ومايزال هنـاك المزيد قد تشجعـوا، وبذلك اجتاحـوا بلادنا وبلاد الآخــرين بعيـداً حتى طرابلس، وقـد أحـرقـوا كثيراً من

البيوت الريفية، وأخذوا معهم أربعة آلاف من مواشينا الكبيرة، وبعدما أحدثوا مذبحة كبيرة بين أعدائهم، حملوا معهم عدداً كبيراً من الأسرى، ذلك أنهم مضوا راجعين إلى قيصرية المتقدم ذكرها، وهنا سوف يبقون إلى أن يكملوا تدمير المنطقة كلها، مالم يعيننا الرب، ومن المعتقد أيضاً أنهم سوف يزحفون ضدنا لمساعدة سلطان حلب، لأنه بناء على تحريضه، وقعت كل الأفاعيل التي تقدم ذكرها وعملت.

صدر في الثاني من أيار، وقد نشرت هذه التقارير في يوم صعود مريم العذراء المباركة».

- ٢٣ -

رسالة من الأسقف الهنغاري إلى أسقف باريس حول التتار

[حوادث عام ١٢٥٧]

«إنني أكتب مجدداً إليكم حول التتار، وكيف أنهم وصلوا إلى قرب حدود هنغاريا، خلال زحف استغرق خمسة أيام، وذلك إلى قرب بعض المياه اسمها دينفير Deinphir [Theiss?]، التي لم يكونوا يستطيعون عبورها في الصيف، وبما أنهم كانوا راضين بالانتظار حتى الشتاء، أرسلوا أمامهم، بعض الجواسيس إلى روسيا، وجرى اعتقال اثنين منهم، وأرسلا إلى مولانا ملك هنغاريا، وهذين لدي في سجني، وقد تعلمت منهما بعض الأشياء الجديدة، ها أناذا مرسلها إليكم، وقد سألتهما عن موقع بلادهما، فأخبراني أنها موجودة خلف الجبال، وهي واقعة قرب نهر يدعونه ايغوغ Egog، وأنا أعتقد أنهم شعب يأجوج ومأجوج، وسألتهما عن عقيدتهما، وبكلمات بسيطة هم لايؤمنون بشيء، ثم شرعا يخبراني بأنهم خرجوا من بلادهم للاستيلاء على العالم، وهم يستخدمون الأحرف اليهودية، لأنهم لم يمتلكوا شيئاً من هذا خاصاً بهم من قبل، وسألتهما من الذي علمهم تلك الأحرف، فقالا: تولى ذلك

بعض الرجال الشاحبين، الذين يصومون كثيراً، ويرتدون ملابس طويلة، ولايؤذون أحداً، وبما أنهما أخبراني بوقائع كثيرة حول هؤلاء الرجال، وجدته يتوافق مع أوهام الفريسيين والصدوقيين، فاعتقدت أنهم صدوقيين وفريسيين، وسألتهما عما إذا كانوا يعملون أي تمييز بين اللحوم، فقالا: لا، لأنهم يأكلون الضفادع، والكلاب، والأفاعي، وكل شيء مشابه، وسألتهما كيف خرجوا إلى خارج الجبال التي سكنوا خلفها، فقالا بأنها رحلة عشرين يوماً لعبور هذه الجبال، في كل من الطول والعرض، ولديهم دوماً اثني عشر ألف رجل على ظهور الخيول لحراسة جيشهم، وأن خيولهم جيدة، لكنها حمقاء، وأن كثيراً من الخيول تتبعهم دون أن تقاد، وعلى هذا إذا ماركب رجل على ظهر حصان، يتبعه بالعادة عشرين أو ثلاثين حصاناً، ولديهم دروع من الجلد أقوى من دروع الحديد، ووفق الطريقة نفسها لديهم أغطية لستر خيولهم، وهم لايستطيعون القتال على الأقدام، لأنهم يمتلكون أرجلاً قصيرة وأجساداً طويلة، وهم نبالة أفضل من الهنغار ومن الكومان، ولديهم أطراف أقوى، والطريقة التي يغزون بها البلاد، هي أنهم يقتلون السكان، باستثناء الأطفال، الذين يتولى مولاهم جنكيزخان —ومعنى اسمه هذا ملك الملوك— دمغهم بختمه، بكيهم على الوجه، ولدى جنكيزخان اثنين وأربعين مستشاراً، إليهم عهد بختمه، ومامن واحد من الجيش كله يتجرأ على الصراخ بصوت مرتفع، ومامن واحد من الجيش كله يتجرأ على التساؤل: «إلى أين ذاهب مولانا»؟ أو «ماالذي ينوي أن يفعل»، وهم يشربون ألبان خيولهم، وهي في الغالب مسكرة، ونحن غير قادرين على سماع أي شيء جديد حولهم، يمكن الاعتماد عليه بشكل مؤكد، لأنهم يسيرون أمامهم بعض الناس الذين يدعون باسم مورداني Mordani, وهم يقتلون الجميع من دون تمييز، ومامن أحد منهم يتجرأ على لبس نعليه حتى يكون قد قتل صاحبهما، وأعتقد أنهم هم الذين قتلوا الرهبان الدومينيكان والفرنسيسكان، والرسل الآخرين، الذين كان ملك هنغاريا قد أرسلهم

للاستطلاع، وبلاشك هم قد أفسدوا ودمروا جيمع الأراضي التي وصلوا إليها، وذلك حتى النهر الذي تقدم ذكره».

رسالة أخرى

«إلى اللامع والممجد جون، الذي هو بنعمة الرب دوق برابانت وبولون، والذي هو رجل موهوب بصلاح مدهش، ومتوج بحكمة الخلاص، وإلى ن. N, الذي هو بفضل الرب لاندغريف أوف ثورنجيا وسكسوني، وكونت بالاتاين Palatine, صحة وسلامة من المخاطر لكما وللعقيدة المسيحية:

اسمعوا يوجد هنا جزر، جميع سكانها نصارى، ممن يؤمنون بصليب ربنا، يولولون في الرماد، وفي الثياب البالية، وهم في حالة صيام ودموع، وعويل، فلتسل دموعكم أنهاراً، لأن يوم الرب قد وصل، إنه الآن قد حل، وهو ذلك اليوم العظيم والحاد المرير، ولقد وقع تنكيل لم يسمع بمثله بصليب المسيح، وجاء من الشمال ومن البحر، وإنه بعقل مضطرب وبقلب مفجوع، وبمظهر دامع، وبأنين بالروح، والتنهد بين آونة وأخرى، إنني سعيت لإخباركم بالحكاية بقدر مااستطعت، عن كيف قامت شعوب لايمكن تعدادها، هي ممقوتة بالنسبة للناس الآخرين، وهي شريرة بلاحدود، باجتياح الأرض والدوس عليها بلامبالاة وازدراء، جاءوا من الشرق، ووصلوا حتى حدود مملكتنا، وذلك بعدما دمروا الأرض كلها، فلقد دمروا مدناً وقلاعاً، لابل دمروا حتى المدن الحواضر، ولم يوفروا لامسيحيين، ولامسلمين ولايهود، فقد قتلوا الجميع سواء من دون رحمة، باستثناء الأطفال فقط، الذين يختم جنكيزخان على جباههم بختمه، وهم لايأكلون الناس، بل يفترسونهم، ويأكلون الضفادع، والأفاعي، ويتكلمون بإيجاز، ولايميزون في أطعمتهم، ومثلما تهرب جميع الحيوانات من وجه الأسد، مثل هذا يفعل الناس المسيحيون، ويديرون ظهورهم للهروب من وجه هؤلاء الناس،

لأن الكومان، وهم شعب شجاع، لم يستطيعوا الصمود ضدهم في بلادهم، بل إن عشرين ألفاً من الكومان قد هربوا إلى عند المسيحيين، وعملوا حلفاً معهم، وهم على استعداد للقتال ضد كل شعب، إلاّ ضد الشعب المتقدم ذكره، ومالعجب من هذا؟ وهم أشخاص مرعبون، لهم منظر مخيف، الغضب ظاهر من أعينهم، وأيديهم قوية متينة، وأسنانهم دموية، وأفواههم جاهزة دائماً لأكل لحوم الناس، ولشرب الدماء البشرية، وأعدادهم كبيرة جداً إلى حد أن جيشهم يزحف بطول عشرين يوماً، وبعرض خمسة عشر يوماً، ولكي نجمل كل شي بكلمات قليلة، فإن التتار المتقدم ذكرهم قد دمروا تماماً روسيا كلها، وبولاندا حتى حدود مملكة بوهيميا، والشطر المتوسط من هنغاريا، ودخلوا فجأة إلى المدن، وشنقوا رؤساءهم في وسطهم، ولذلك نحن نعتقد أنهم سيف غضب الرب، بسبب ذنوب الشعب المسيحي، كما شهد على ذلك القديس ميثودياس Methodias, الذي دعا هؤلاء التتار باسم «الاسماعيلية والحمر الوحشية» إلخ.

لكننا نثق بفضل ورحمة القاضي الأعلى، ونتوجه بالرجاء بتواضع إلى الرجال المقدسين من الدومينيكان والفرنسيسكان للدعوة إلى حملة صليبية، وإلى الصلاة، وكبح الغرائز، والصوم، من قبل جميع شعوب المسيحية، ذلك أننا نقترح الإقامة في المملكة السماوية، وأن نرفع السلاح، ونمسك الترسة، لأنه من الأفضل لنا أن نموت في الحرب، على أن نشهد الشرور محيقة بشعبنا، وبقديسينا، وإذا ماتحطمت ترستنا تحت وطأة الحملة الأولى وضربات السيوف، وعندما تصبح بيوتنا عرضة للنيران وأراضينا قد نهبت واجتيحت، لابد للبيوت المجاورة، والمقاطعات المجاورة، أن تأخذ حذرها. وداعاً.

لقد سمعت من الراهب روبرت دي ثيل Theles بأن هؤلاء التتار قد دمروا بالفعل سبعة أديرة للرهبان».

رسالة ثالثة

«إلى جميع الأبناء الأعـزاء والمخلصين في المسيـح الذين من الممكن أن تصل إليهم هذه الرسالة، من الراهب جوردان، من طائفة الفرنسيسكان، نائب منطقـة بولاندا، ودير برنغ Pring(1-)، مع بقيـة الرهبــان صحة:

إنه من خـلال ذنوب النـاس، ازداد تلقي التعـاسـات في هذا العـام، والمآسي، التي عـرفت من قبل، وجـرى الاخبـار عنها، والتنبـؤ بها، قـد نزلت بنا، وكأنها قـادمة تطير بأجنحـة من عند الرب، فلقد جـرى طرد الرهبان الدومينيكان، ورهبـاننا، وجميع الآخرين من المؤمنين، من شعب التتار، الذي من بلاد التتر Tartarus، بعنف جــرى وصفه في بينات الكتابات المقدسة، لأن دولاً كثيرة غير معروفة قد جرى تدميرها، وروسيـا التي هي ليسـت دولة غير معـروفـة، قـد هلكـت مع دوقـاتها السبعة، وقامـوا أكثر من هذا، وياللعار، بغـزو أراضي الكنيسة، وبسرعة عبروا أعظم الأنهار وأكبرها، وأكثف الغابات، وقـدموا بصورة مـدهشة جداً، فاحتلوا الشطر الأكبر والأقـوى من هنغاريا، وهذا الأمر، وإن كنا —بسبب المسـافـة— لانستطيع أن نقـدم إليكـم عنه معلومـات كـاملة وصحيحة، مع ذلك سـوف نقدم إليكم رواية صادقـة عن الأشياء التي وقعت في مقاطعتنا.

إن بولاندا كلهـا تقـريبـاً، قـد دمـرت من قبل أفـراد هذه الشعـوب المتوحشة، الذين لايقيمون وزناً، لالعمر، أو جنس، بل يذبحون الجميع بحد السيف، ويدنسون الأماكن التي تقدست من قبل الرب، وهم الآن على حدود ألمانيـا وبوهيميا، جـاهزين لاقتراف جميع الأفاعيل الـوحشية نفسهـا، مـالم يمنعهم الرب عنا وعن بقيـة العـالم المسيحي، ولأن العـالم

١- غير مـؤكـد المقصـود هنا أهو براغ، أم بنسك Pinsk في ليتـوانيــــا؟.

المسيحي مثقل بالحروب الكثيفة والانشقاقات، يبدو أنه يقدم قليلا من الانتباه، أدنى مما ينبغي، ومما هو ضروري للصالح العام والسلام ومنفعته العامة، ونحن مضغوط علينا من قبل هذه المخاطر، إننا نسأل فقط تضرع صلواتكم، وحث جميع المؤمنين لفعل ذلك، باخلاص صحيح، وليكن معلوماً من قبلكم أن خمسة ديرة تابعة للرهبان الدومينيكان مع ديرين عائدين لرهباننا، قد جرى تدميرهم كلياً، ويغطي أعداؤنا بمعربديهم مساحة واسعة من الأرض في الشمال، هي أكبر من توسكانيا ولومبارديا، وفقط ثلاثة مواقع نجت، فموقع واحد أو بالحري اثنان قد نجوا، ومن الموقع الثالث، الذي قبل كان في بوهيميا، خرج الملك لمواجهتهم مع جيش كبير جداً، لكن النصر مع الرب.

صدر في بنسك في العام ١٢٤٢ لمولانا، وفي اليوم الرابع قبل حلول شهر نيسان».

رسالة رابعة

«إلى جميع أعضاء الجماعة الدينية والمخلصة للكنيسة المسكونية المقدسة، الذين سوف يشهدون أو يسمعون الرسالة الحالية، من ف. F, الذي هو بفضل نعمة الرب رئيس رهبان دير القديسة مريم، ومن جميع الرهبان في المكان نفسه، الذين هم من طائفة القديس بندكت، القاطنين في هنغاريا، مواساة الفارقليط، والصحة المستحقة بفضل القديس بندكت، والمجد إلى الأبد:

نحن نوصيكم بالإحسان إلى حملة هذه الرسائل، وهم من الرهبان البندكتيين، وجون، وكهنة ورهبان من ديرنا، أرسلنا بهم من دير القديسة مريم في روسيا للإقامة في ايرلاندا، لأننا أرغمنا على فعل ذلك، بالوصول غير المتوقع للتتار، الذين إليهم نقول مع الشعور بالعار قد

منح اسم اسماعيلين، ويالالأسف، إن كنيستنا الأم تئن وتنتحب من أجل أولادها، عبيد الرب، الذين تفرقوا في مختلف دول العالم، بسبب التتار، الذين وصلوا بأعداد كبيرة، ولقد غزونا عبر الحدود الشرقية، وقتلوا الشطر الأكبر من السكان في تلك الأماكن، ونهبوا أيضاً نهباً شاملاً ممتلكات كنيستنا، والموارد التي كان رهباننا يعيشون منها، ولقد قيل بأنه انقضى حتى الآن اثنان وأربعين عاماً منذ أن غادروا الجبال المحيطة ببلادهم، وقد جاءوا متقدمين —كما نعتقد— من هذه البلدان الملعونة، ونهبوا ودمروا مثل حيوانات متوحشة بلدان آسيا، وبوحشية قتلوا أربعة ملوك من ملوك تلك البلدان مع أمرائهم، وقتلوا في يوم واحد، أو بالحري بلحظة واحدة الملك الفارسي مع المتعلقين به، وخمسة وعشرين من دوقات روسيا الأقوياء، وهنري دوق بولاندا، صاحب الذكرى الطيبة، مع أربعين ألف رجل، كما أنهم أرغموا بيلا Bela الملك القوي لهنغاريا، وثلاثة رؤساء أساقفة، وأربعة نواب أساقفة، وخمسة وستين ألف رجل على الفرار، وفي الحرب نفسها، أيضاً جرحوا بجراحة مميتة كولومان Colomans أخي الملك المتقدم ذكره، ولذلك مات بعد وقت قصير، ثم إنهم انطلقوا نحو مناطق دوق النمسا النبيل، وستيريا Styria, وتخوم تريفسيا Trevisa, ومورافيا وبوهيميا، وعبروا في يوم عيد الميلاد بقوة كبيرة، فوق نهر الدانوب، الذي كان متجمداً، وجاء عبورهم إلى الجانب الآخر من النهر، حيث نهبوا ودمروا أراضي الأمراء الذين تقدم ذكرهم، ومحقوا بشكل وحشي كل شيء كان هناك، دون أن يوفروا جنساً، واقترفوا بصورة بشعة كل أنواع الجرائم، فقد ناموا مع نسائهم في الكنائس، ومن المحزن القول أنهم عملوا مرابط لخيولهم في الأماكن المقدسة الأخرى، وتعاظمت وقاحتهم من خلال غضب الرب، وبلغت من الشدة أن رجال الدين، أي رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الرهبانيات، والأمراء، وحشود هائلة لم نعرف أسماءها، قد هربت من أمام قادة

هؤلاء المتـوحشين غير المدجنين، وهـم لايتوقعـون شيئاً على أيديهم، غير الموت، وجرى قتل الرهبان، والراهبـات، والواعظين، وقد ماتوا شهداء في سبيل اسـم المسيح، ونحن نعتقــد بأنهم قبلوا للعيـش في سعــادة سرمـدية، وبناء عليـه نحن نتـوسل إلى محبتكم متـواضعين من أجل أن تفتحوا صدر الرحمة إلى الذين يفرون الآن إليكم للالتجاء.

صدر في فينا في عام النعمة ١٢٤٢، في اليوم السابع من كانون الثاني.

★★★ ★★★ ★★★

وانتشرت في هذه الأيام بسبب هذه الأخبـار من هذا النوع، الأبيـات التالية، المعلنة عن قدوم المسيح الدجال:

«عندما يكون ضعفي ستمائة عام وخمسين زيادة

قد مضوا منذ ولادة ابن المباركة مريم

وقتها سوف يأتي المسيح الدجال مليئاً بالشرور».

رسالة خامسة

«إلى جميع اخـوانها، من الراهـب رتشـارد مـن طائفـة الدومينيكان، وجون من طائفة الرهبان الفرنسيسكان، صحة:

لقـد سمعتم أخبـاراً متفـرقـة، مـن أشخـاص متنوعين حـول التتـار الملعـونين، لكن ليكـن معلومـاً لديكم، بأن الأشيــاء التي نكتبهـا الآن إليكم، هي الأكثر صحة، ولايمكن أن تكون زائفة:

إنهم أقوياء، ورجال حرب، وعددهم كبير، ومسلحين بما فيه الكفاية وبشكلٍ جيـد، وهـم قـد دمـروا بلداناً كثيرة، ومـن هذه البلدان، ليكن معلوماً لديكـم، بأن الشطر الأكبر من روسيا قد جـرى نهبه واجتيـاحه، وتعرضت مدينة كييف والقلعة التي كانت هناك إلى الدمار، وجرى قتل

عدد كبير، ولقد علمنا من الذين نجوا من تلك البلاد، وبشكل رئيسي في سكسونيا، بأنهم هاجموا تلك المدينة وأبراجها بإثنين وثلاثين منجنيقاً، ولقد خاضوا الحرب لمدة عشرين عاماً ضد الروس، غير أنهم قدموا في هذا العام قبل عيد الفصح إلى بولاندا، حيث ذبحوا أعداداً من الناس، وتملكوا بعض المدن الجيدة، وقد واجههم هنري دوق بولاندا مع جيشه، لكنه قتل، مع حوالي عشرة آلاف رجل من أتباعه، زحفوا من بولاندا، فوصلوا إلى حدود ألمانيا، حيث من هناك انعطفوا جانبياً إلى مورافيا، ودمروا ونهبوا جميع تلك البلاد الجيدة، وواجه بعض هؤلاء جيشاً كان قادماً ضدهم من خلال هنغاريا، فأوقعوا به ونالوا منه، وقاموا بعد ذلك باحتلال الشطر الأكبر من هنغاريا، حيث طردوا منها ملكها، إلخ».

الملاحق

الملحق الأول

أشعار حب وتمجيد للصليب والقدس والفرسان

من أشعـار وأغـاني الحروب الصليبية ذات التـواريخ المتنوعـة، والتي من الممكن أن ندعوها خـواطر ذاتية، حيث تقدم لنا حقيقـة تاريخية عن الحروب الصليبية، وعن واجب الفـرسان في تلك الآونة لإنقـاذ القدس بيت الرب:

أيها الفرسان أحاطكم الرب بحمايته.

عندما اشتكي إليكم من الأتراك والمرابطين.

الذين تصرفوا باستهانة واستخفاف إزاء مساسهم بمقدسات الرب،

كم هو كبيرٌ ألمنا لمساسهم بأول أماكن الرب وأقدسها.

★★★ ★★★ ★★★

من يذهب الآن ليلحق بالملك لويس

عليه أن لايخاف الجحيم، لأن روحه

ستسكن الجنة مع ملائكة الرب.

★★★ ★★★ ★★★

القدسُ أخذت كما تعلمون

والمسيحيون في حزن شديد

الكنائس سلبت ونهبت

والمقدسات انتهكت

أيها الفـرسان تحركـوا وتشجعوا، وضحـوا بأنفسكم من أجل الرب، الذي صُلب من أجلكم.

★★★ ★★★ ★★★

اقتدوا بالملك لويس

الذي يملك الجاه والمال والسلطة، ومع كل هذا ترك قصوره وأملاكه ومدنه وأطيانه ليذهب إلى القدس، حيث صلب

المسيح الرب من أجلنا، ليخلصها.

★★★ ★★★ ★★★

من يذهب الآن ليلحق بالملك لويس

عليه أن لايخاف الجحيم، لأن روحه

ستسكن الجنة مع ملائكة الرب.

★★★ ★★★ ★★★

سُلّم الربُ لليهود

ليحررنا من أسر الجحيم

أولئك الذين جرحوه خمسة جروح

ليتعذب ويتألم من أجلنا حتى الموت

يناديكم المسيح الآن ويتوجه إليكم للقضاء على الكنعانيين، وعلى الجماعات المتعطشة للدماء

ليأخذوا جزاء مااقترفته أيديهم.

★★★ ★★★ ★★★

من يذهب الآن ليلحق بالملك لويس

عليه أن لايخاف الجحيم، لأن روحه

ستسكن الجنة مع ملائكة الرب.

★★★ ★★★ ★★★

حدد المسيح الموعد واليوم في القدس

للآثمين، مع هؤلاء الذين يعرفون تماماً كيف سيقاتلون،

هؤلاء الذين أحبوا المسيح، وذهبوا من أجله

★★★ ★★★ ★★★

من يذهب الآن ليلحق بالملك لويس

عليه أن لايخاف الجحيم، لأن روحه

ستسكن الجنة مع ملائكة الرب.

★★★ ★★★ ★★★

هيا اذهبوا واغزوا مهد موسى وقبره

في سيناء، انتزعوه من أيدي المسلمين

وهكذا فلق موسى البحر الأحمر بضربة واحدة إلى قسمين

عندما كان شعبه يتبعه، وفرعون يلحق به،. فقضى البحر على فرعون وأتباعه.

★★★ ★★★ ★★★

آه وحدكم أيها العشاق تفهمون قصدي

سأجعلكم شاهداً لألمي ومعاناتي

بانتزاعي من بين ذراعي حبيبتي

عندما تضيع حبيبتي مني، ماذا يبقى لي إذاً

★★★ ★★★ ★★★

الحب، نعم، أستطيع أن أقول هذا

لو استطاع المرء أن يموت حقاً من الألم.

فلن أنظم بعد اليوم لاأشعاراً ولاأغنيات

★★★ ★★★ ★★★

عذب أنت أيها الرب المولى، ماذا جرى لي؟

هل يجب علي فعلاً أن أقول لها وداعاً؟

آه، نعم، لم يبق لي سوى أن أذهب بدونها إلى أرض بعيدة

فإذا رحلتُ فسيكون عذابي الذي ينتظرني أخفُ قليلاً من عذابي هنا من غير عزاء.

★★★ ★★★ ★★★

أيها الرب المولى، كيف ستكون حياتنا بعد فراقنا

كيف ستكون أفراحنا وأحاديثنا،

والعبارات التي كانت ترددها لي حبيبتي

تلك التي كانت لي سيدة ورفيقة وحبيبة

عندما تذكرني بحضورها العذب، وطيبتها وحنانها نحوي

كيف لقلبي أن يتحمل فراقها (القدس)

بالتأكيد، أنه لأمرٌ سيء صعب

ماأراد الرب أن يمنحني كل هذه المسرات دون مقابل،
كم كنت أخشى الموت تحت وطأة ديوني نحو الرب
الشفقة! الحب! هذا إذا أراد الرب أن يتفضل وأن يهبني إياها.

★★★ ★★★ ★★★

وهكذا سينكسر في قلبي حباً حقيقياً
لاأستطيع انتزاعه من نفسي أو التخلي عنه
حينذاك قد يجب علي أن أهجر سيدتي (القدس)

★★★ ★★★ ★★★

هؤلاء الوشاة الوضيعون سيسعدون ويبتهجون بتعذيبي، وبالألم الذي سيصيبني
لن أشفق عليهم أبداً ولن أتسامح معهم ولن يكون قلبي رحيماً معهم
لأنهم قد أضاعوا ثمرة حياتي وجهادي
هؤلاء الخونة قد سببوا لي الكثير من الألم.
فلن يكون الرب قد فرض علي إلاّ عبأً ليس بأثقل علي منه.

★★★ ★★★ ★★★

آه، ياسيدتي، سأذهب إليهم لأقاتلهم
أوصيك بالله خالقنا، حيثما أذهب
ولاأعرف إن كنت ستشهدين رجوعي يوماً ما
أو أنه من الممكن لي يوماً أن أراك ثانية،

ولكنني أرجو منك حيثما أذهب، أو حيث أبقى، أو أعود، أن تكوني مخلصة لعهدنا.

★★★ ★★★ ★★★

هل للرب أن يمنحني رأفته

تلك هي صلاة قلب أحبك بإخلاص

★★★ ★★★ ★★★

إنه ربيع أيار، أزهار البنفسج والبلابل تدفعني لأغني

وقلبي يجعل حبي لها (القدس) عذباً رقيقاً لاأجرؤ على مقاومته

آه! إن الرب منحني السعادة الفائقة

بأن يجعلني أضمها عارية بين ذراعي

تلك التي وهبتها قلبي وعقلي

ثم سأذهب إلى ماوراء البحار لأحارب مشاركاً بالحملة الصليبية

★★★ ★★★ ★★★

ظهرت لي منذ البداية غاية في العذوبة والرقة

حتى أنني لم أكن أفكر بعذابي ومعاناتي من أجلها

فلقد كان وجهها الرقيق وشفتاها غاية في الجمال

وكانت عيناها الزرقاوتان (المائلتان للاخضرار) الجميلتان والمليئتان بالضحك

والصفاء قد جعلتني أسيرها قبل حتى أن أجرؤ على الارتباط والتعلق بها.

فإذا مــــاأرادت أن تأسرني أو تحررني، وإذا مــــاأخفقــت أنا، أو إذا ماأعطتني وعوداً

سأفضلها على أية واحدة غيرها.

★★★ ★★★ ★★★

آه! لماذا تتأملها عيناي

هذه المرأة الرقيقة التي تستحق لقب الحبيبة

★★★ ★★★ ★★★

هي التي تضحك مني عندما أحبها بهذا القدر

لايوجد أي إنسان خانته تلك العذوبة، بهذا القدر

عندما أتعلق بها، فلاتمنحني إلاّ السعادة

★★★ ★★★ ★★★

الآن إنها لي وهي تقتلني دون مسوغ

لقد أحببتها حباً صادقاً من دون شك

ولاأرى في هذا باعثاً آخر

تنهدت آلاف التنهدات وتأوهت

ولم ترق لحالي ولو مرة واحدة

منعتني أن لاأحبها إلاّ بإخلاص

وتركتني بلا نوم أو راحة

فستكون هي انتصاري وثأري

فلن نلوم إلاّ الموت من أجل الحب

★★★ ★★★ ★★★

أفراح الحب ستتوج الآخرين

أراد الرب أن يضيء شعلتي أنا فقط

لا، ذلك هو مصيري، هذا مافعله أعداء الحب

مع ذلك هم يعرفون بأن هذا لن يفيدهم شيئاً

هؤلاء الذين يستولون على شيء لايمكن أن يُعطى

★★★ ★★★ ★★★

الذين ينشرون الحقد والكراهية

وتستمر الحروب دون أن يربحوا شيئاً (الأعداء)

وقد لاأستطيع التنهد بعد الآن من كثرة نطقي باللعنات لهؤلاء

★★★ ★★★ ★★★

سآخذ نصيبي في سبيل حبك ونصيبي هو الموت

ولكن في اللحظة التي قد أموت فيها

سينكشف كل شيء وسيظهر واضحاً

أن الرب لن يعفو عنهم مطلقاً (الأعداء)

★★★ ★★★ ★★★

آه! أيها الرب كم هو صعبٌ علي أن أترك

السيدة الأفضل التي كانت دائماً معينة وحبيبة

ولطالما كان ألمي كبير لفراقها،

فإن الرب الطيب سيمنحني رؤياها ثانية

★★★ ★★★ ★★★

مسكين أنا! ماذا أقول؟

لن أتركها أبداً

فإذا ذهب جسدي لخدمة الرب

فإن قلبي سيبقى صامداً بكامل قوته

من أجلها سأذهب متنهداً إلى سورية

لأنه لايجوز لأحد أن يتخلف

عن أداء واجبه نحو الخالق

ومن يتخلف عن هذا سيكون مصيره الخطر الشديد

فالذين يتخلفون عن هذا يعرفون جيداً أنهم أذلاء

★★★ ★★★ ★★★

فهذا هو برهان الشجاعة والبطولة

وهاهو عندما نغزو الفردوس، ونحقق الشرف والمجد والشهرة وحب حبيبته (القدس حبيبة الرب)

حوصر المسيح في أرضه المقدسة (القدس) لكننا سنرى كيف سينقذه هؤلاء

من سجنه المعتم وسيرفعون الصليب عالياً

وسيعرف الذين تقاعسوا عن إنقاذ القدس بأن العار سيغطي

وجوههم كلها

إلاّ الشيـوخ، أو القاصرين، أو المعلولين الذين لايستطيعـون الذهاب ليحاربوا

أمـا الأقـوياء والشبـاب والأغنيـاء فليس لهم عـذراً بالبقـاء هنا دون الدفاع عن القدس

★★★ ★★★ ★★★

أمـا رجـال الدين والفكر والكهنة الـذين لايتـوقفـون عن فعل الخير والعمل النبيل

فسيشـاركــون بهذا الحج المقـدس لتحـريـر القـدس بنبلهم وأعمالهم الطيبة.

وأيضاً النساء الطاهرات اللواتي بقين مخلصات للغائبين (أزواجهم)،

ماعدا اللواتي انغمسن في الفسق والخبث والفساد.

كل الناس الطيبين سيشاركون بهذه الحملة لتحرير القدس

أما الإنسان الذي لا يرضى أن يعيش بالحزن والأسى،

الذي قد يذهب سعيداً فرحاً لملاقاة الموت من أجل الرب،

فسيكون الموت بالنسبة إليه عذبٌ

فبالموت وحده نستطيع أن نسترد أغلى الممالك

لا بقاء لإنسان لم يمت في سبيلهـا، حيث الجميع سيتحولون إلى حياة ملؤها المجد.



أيها الرب استبسلنا في سبيلك لمدة طويلة دون جدوى.

لكن في هذا الموقف وفي هذه الحرب

سنرى من سيعرف كيف يبرهن عن شجاعته.

★★★ ★★★ ★★★

سنحاول إصلاح خطئنا وفعلنا المشين

الذي جعلنا نمتلىء خجلاً ونتطير غضباً

وذلك لأن الأماكن المقدسة ضاعت في عهدنا

حيث تعذب الرب من أجلنا وعانى من مرارة الموت

فإذا تسامحنا الآن مع أعدائنا الطاغين

ستمتلىء حياتنا خذيٌ وعار

★★★ ★★★ ★★★

القدس تتكلم:

سأغني من أجل أن تهدأ روحي

لأنني بحاجة للراحة في هذه المحنة

لأتفادى الموت أو الجنون

الآن أرى جيداً بأن أحداً لن يعود من هذه المنطقة المقفرة

لكن حيث يبقى حبيبي (المسيح)

يرتاح صدري، ويخف عذابي عندما أسمع كلاماً عنه

ربي! عندما يهتف الحجاج المحاربون: «إلى الأمام»

انقذوا ذاك الذي يرتعش قلبي من أجله:

إنهم لقساة هؤلاء المسلمون!

★★★ ★★★ ★★★

سأتحمل مصيبتي وتعاستي

حتى يمضي العام

إنه الحج الذي سيحرر القدس ويعيدها إلينا

★★★ ★★★ ★★★

وعلى الرغم من أن الأمر سيكون ضد رغباتي، لكنني لاأستطيع

أن أقبل بزوج غيره(المسيح)

وسيكون مجنوناً من يجرؤ على مناقشتي بالأمر

★★★ ★★★ ★★★ -

ربي! عندما يهتف الحجاج المحاربون:« إلى الأمام»

انقذوا ذلك الذي يرتعش قلبي من أجله:

إنهم لقساة هؤلاء المسلمون!

★★★ ★★★ ★★★

لماذا أنا حزينة إلى هذا الحد

فمن كان سبب عذابي، أصبح بعيداً عني

فكم أنا جميلة، وكم هو جميلٌ

أن يكون هناك الكثير من الضحك والسرور

ولكن لماذا افترقنا عن بعضنا أيها الرب؟

★★★ ★★★ ★★★

ربي! عندما يهتف الحجاج المحاربون:« إلى الأمام»

انقذوا ذلك الذي يرتعش قلبي من أجله:

إنهم لقساة، هؤلاء المسلمون!

ولكني بقيت مخلصة له

فعندما تهب على المنطقة نسماتٌ عذبة قادمة من بلادٍ عذبةٍ

ذهب إليها حبيبي— المسيح الرب.

أحس وكأن الرب يلامسني

من خلال معطفي الرمادي هذا.

★★★ ★★★ ★★★

ربي! عندما يهتف الحجاج المحاربون:« إلى الأمام»

انقذوا ذاك الذي يرتعش قلبي من أجله:

إنهم لقساة، هؤلاء المسلمون!

★★★ ★★★ ★★★

وكم أنا آسفة بأنني لم أرافقه عندما رحل(الرب)

فقميصه الذي كان يرتديه، قد أرسله لي لأضمه إلى جسدي ليلاً،

وعندما تتأجج نار الحب فيّ وتحرقني، أضعه إلى جانبي أثناء نومي

وأجعله قريباً من جسدي العاري، حتى أخفف من ألمي

★★★ ★★★ ★★★

ربي! عندما يهتف الحجاج المحاربون:« إلى الأمام»

انقذوا ذاك الذي يرتعش قلبي من أجله:

إنهم لقساة، هؤلاء المسلمون!

★★★ ★★★ ★★★

أيها السادة اعلموا، أن الذي لم ينو الـذهاب إلى هذه الأرض المقدسة حيث ابن الرب عرف الحياة والموت.

والذي لم يأخذ الصليب معه ليذهب إلى ماوراء البحار ليحارب،

سيصعب عليه دخول الفردوس

أما الذي يذكر الرب ويرأف لعذابه من أجلنا

يجب عليه أن يترك أرضه ومملكتـه ليثأر لموت مولانا، ويخلص أرضه ومملكته،

وجميع السيئين الذين لا يحبون الرب ولا الشرف ولا المجد

كل واحد منهم سيقول: ماذا سيجري لزوجتي إن ذهبت؟

ومهما كان الثمن لن أهجر أحبائي.

هؤلاء قد مسهم الجنون لأنهم تقاعسوا عن واجبهم

ففي الحقيقـة ليس لي حبيب غيره—الرب الذي قبل أن تسمـر يداه على الصليب من أجلنا.

انظروا الى الشجعان من الفرسان، فهؤلاء الذين أحبوا الرب وشرف العالم

هؤلاء هم العقلاء الذين أرادوا أن يذهبوا إليه(المسيح)

أما الجبناء وذوي النفوس الوضيعة فسيقبعون هنا كالعميان،

فبالتأكيد لم يرغبوا أن ينقذوا الرب ولو مرة واحدة في حياتهم

إنهم الذين أضاعوا مجد العالم بما فعلوه.

★★★ ★★★ ★★★

ترك المسيح نفسه يتعذب على الصليب وقال:

إن أنتم ساعدتموني على حمل الصليب

فستذهبون الى حيث الملائكة

هناك سترونني وترون أمي مريم

أما أنتم الذين لم تنقذوني، فستهبطون إلى أعماق الجحيم

★★★ ★★★ ★★★

ليتخيل كل واحد نفسه وكأنه يستطيع أن يعيش بسعادةٍ إلى الأبد

★★★ ★★★ ★★★

فـــالشيطان والخطيئة يسيطـران إلى هذا الحد دون تميــز أو جــرأة أو جبروت

أيها الرب العذب لا تتركهم يفكرون بهذه الطريقة

واجعلنا نفعل ما نستطيع

- ٨٦٧٠ -

وأن ندخل مملكته ونتأملك

★★★ ★★★ ★★★

أيتها السيدة العذبة والملكة المتوجة(مريم العذراء)

صلي من أجلنا أيتها العذراء السعيدة

فسنكون في مأمن من كل الشرور والآثام

★★★ ★★★ ★★★

الملحق الثاني
مختارات من تاريخ السلاف
تأليف الألماني
هيلمولد كاهن بوساو Helmold, Priest of Bosau
[١١١٨-١١٧٧م؟]

رسالة بطرس الراهب

هناك حــادثة تستحق الحكاية، وهي حــادثة ينبغي ذكــرها من قبل الأجيـال المقبلة، وقـد وقعت في الأيام الأخيرة لهنري الأكبر، فقـد كـان هناك واحد اسمه بطرس، هو من أصل اسباني، ومن حيث الاختصاص راهبـاً، فقـد دخل إلى داخل حـدود الامبراطـورية الرومـانيـة، و أطلق صــوته عــاليــاً، وقــام بالتبشير في المملكة كلهــا، حيـث حث الناس وحرضهم على الذهاب إلى القدس، لتحريـر المدينة المقدسة، التي كانت بأيدي البرابرة، وأخرج رسـالة وقدمها إلى الناس مـؤكداً بأنها نزلت من السماء، جاء فيها بأن الوقت قد حان بالنسبة للشعوب، وأن تلك المدينة ينبغي تحريرها، وهي المدينة التي ديس عليها من قبل الكفار.

وبعـد ذلك قـام الناس الأكثـر قـدرة في جميع البلدان، من أسـاقفـة، ودوقـات، وكـونتات، ورجـال فـرسـان، وكذلـك رجال من العـامـة، ورؤسـاء للرهبـان، ورهبـان، فـركبــوا الطريق إلى القـدس تحت قيـادة غودفـري، الأكثر شجـاعة، ومع الاعتماد على النعمـة الربانيـة استعادوا تملك نيقيـة، وأنطـاكيـة، وكثيراً من المدن، كـانت بـأيدي البرابرة، ومن هناك تابعـوا، فحـرروا المدينة المقـدسـة، من البرابرة، ومن ذلك الوقت أخـذت أمـاديح الرب يزداد انشـادهـا هناك، وقـد عبـد الرب من قبل شعوب الأرض، في المكان الذي وقفت عليه قدماه.

برنارد المبارك راعي دير كليرفو

وقعت في هذه الأيام وقائع كانت غريبة، وقد أدهشت العالم كله، ففي الوقت الذي كان فيه يوجينوس البابا الأكثر قداسة في السلطة، وكان كونراد الثالث على رأس الدولة، ازدهر هناك برنارد، راعي دير كليرفو، الذي صار اسمه مشهوراً جداً بوساطة التقارير التي تحدثت عن معجزاته، حتى أن حشوداً من الناس تدفقت عليه من كل مكان، وهي راغبة بمشاهدة العجائب التي كانت تعمل من خلاله، وجاء برنارد أيضاً إلى ألمانيا، وظهر في قداس لاهوتي في فرانكفورت، حيث صدف أن قدم كونراد الذي كان الملك آنذاك، في وضع احتفالي، مع حاشية كلها من الأمراء، وبما أن الرجل المقدس، كان قد عزم باخلاص شديد على شفاء المرضى باسم الرب، فقد وقف في الكنيسة بحضور الملك والأمراء الكبار، ونظراً لحشد الناس الكبير، لم يمكن لأي واحد أن يكون متأكداً من الذي كان يعانيه كل واحد، أو من الذي كان يتوقع أن يحصل على الفرج، وكان كونتنا أدولف هناك، راغباً بالحصول من المولى على العلم الصحيح بفضائل الإنسان، وجرى في الوقت نفسه تقديم طفل إلى برنارد أعمى وأعرج، وحول عجزه لم يكن هناك من شك، ووقتها شرع الكونت العالي الحكمة، يراقب بعناية ليرى عما إذا كان ربما لن يحصل من خلال هذا الطفل على برهان على قداسة الرجل، وكأن المولى أخبره بتقديم شفاء لأمراضه، أمر رجل الرب بجلب الطفل واحضاره أمامه، وكان هذا على عكس طريقته، لأنه بالنسبة للآخرين تولى فقط مباركتهم، وعندما بات الطفل حاضراً، أخذ برنارد الطفل بيديه، وجعل يحك بنعومة العينين، فأعاد لهما الرؤية، ثم أقام برنارد ركبتيه الملتويتين، وأمره أن يركض إلى الدرج، ليقدم برهاناً مرئياً أنه قد شفي في نظره وفي خطاه، وبدأ الرجل المقدس —بموجب أي أمر إلهي أنا لاعرف— يحرض الأمراء وحشود المؤمنين الآخرين على الانطلاق

نحـو القدس لقهـر الشعـوب البربرية للشرق، ولاخضـاعهم إلى الحكم الصليبي، قائـلاً بأن الوقت قد جـاء، وهو الوقت الذي ستأتي به الأمم مع بني اسرائيل لتنقذ.

وبعد الفراغ من كلمة الواعظ وبناء عليها، كرس حشد كبير جداً من الناس أنفسهم منذ تلك اللحظة لاتبـاع هذا الطريق، كـان بينهم وأولهم وأعظمهم حماسـة الملك كـونراد، والدوق فردريك أوف سـوابيـا، الذي صـار فيها بعـد ملكـاً، ودوق غيـولف Guelph, مع الأسـاقفـــــة والأمراء، وهكذا تشكل جيش من النبلاء، والعـامة، والرعاع، كان أكبر من أن يمكن تعداده، ومـاالذي ينبغي لي قوله عن جيـش الألمان، عندما انضم إليه لويس ملك البـارسيين، وجميع القوة المقـاتلة للفرنسيين، التي دعمت قضيته؟ فمثل هذا الجيش لم يعرف اجتماعه في أيامنا، أو سمع به منذ بداية الخليقة، فهو كـان بالفعل جيشاً عظيماً إلى أقصى الحدود، وقد حمل أفـراده علامـة الصليب على مـلابسهم وعلى أسلحتهم، ورأى على كل حـــال الذين خططـوا للحملة أن من المفيـــد تعيين الجزء الأول من الجيش للذهاب إلى بلدان الشرق، والجزء الثـــاني للذهاب إلى اسبـانيـا، وأن يذهب جزء ثالث إلى السلاف الذين يعيشون بجوارنا.

الملكان كونراد ولويس

انطلق الجيش الأول، الـذي كـــان هو الأكبر، عبر الطـريق البري مع كونراد ملك ألمانيـا، ولويس ملك فرنسا، وأعظم أمـراء المملكتين، وقد مضوا عبر مملكة هنغاريا حتى وصلوا إلى حـدود بيزنطة، فأرسلوا رسلاً إلى ملك الاغـريق، حتى يمنحهم عبـوراً وحقـوق سـوق، لأنهم كـانوا يرغبـون بالذهاب عبر أراضيـه، ومع أن هذا الملك كـان سيئاً، لايرغب بالتعاون، فقـد أصدر مرسـوماً لصالحهم إذا مـاقدموا مسـالمين، فأعادوا إليـه رســالة بأنهم لاينوون إحـداث اضطراب، لأنهم تطوعـوا للقيـام بحملة صليبيـــة لمدّ حـــدود الســلام، وبناء على رغبتهم —على هذا

الأســاس— منحهم ملك الاغـريـق حق عبـور أراضيــه، وأن يشتروا بشكل حـر مـاتعـرضـه الأسـواق للبيع، وأن يقيمـوا معسكراتهم حيثما رغبـوا، وشــوهد في هذه الأيام في الجيـش العــديد من نـذر الســوء والمصائب، وكان أعظم هذه الشـارات وأغربها، هو أنه حدث في إحدى الأمسيات أن غلف ضباب كثيف المعسكر، وعندما ارتفع هذا الضباب، كـانت الخيام كلهـا مغطاة مع كل شيء كـان موضـوعـاً بالعراء، وظهـر وكأنه يقطر دمـاً، وكأن الغيوم أمطـرت دماً، ولدى مشـاهدة الملك لهذا استخلص مع بقية الأمـراء بأنهم مدعوين لمواجهة محنة هي الأكثـر تعباً، وكذلك مخاطر الموت، ولم يخطئوا في الذي توصلوا إليه، فليس بعد ذلك بوقت طويل وصلوا إلى منطقة جبلية، فيها وجدوا وادياً جميلاً جداً، مع أرض مـرجيه ونهر جـاري، وهناك أقامـوا معسكرهم،وذلك على سفح الجبل، لكن حيــوانات الجر، مع ست عــربـات حملت مـؤن وعتــاد الفرسـان، وأيضاً عدداً كبيراً من المواشي المعـدة للذبح، أبقيت في وسط الوادي حتى تكون على مقربة من مجرى الماء والمرعى الموائم.

وعند حلول الظلام سمع قصـف الرعـد، مع أصـوات عـاصفـة من فـوق قمــة الجبل، ثم ياللهـول حــدث في منتصف الليل، لاأدري من خـلال مطر الغيوم أو بعض الوقـائع الأخرى، أن تضخم مجرى النهـر، وفاض وفي لحظة واحدة غسل كل شيء وجرفه إلى البحر، وشمل ذلك الرجال والدواب، وكل من كان في الأجزاء السفلى من الوادي، فكانت هذه أول كارثة عـانى منها فرسان هذه الحملة الصليبيـة، وقام الآخرون الذين بقيـوا أحياء بـاستئناف زحفهم الذي كانـوا قد شرعـوا به، وعند إكمال عبورهم لبـلاد الاغريق، وصلوا إلى مـدينة القسطنطينية، وبعــدما استراح الجيش هناك لبضعة أيام،وصلوا إلى شـاطىء البحر الذي يعرف باسم ذراع القديس جـورج (البوسفـور)، وكان ملك الاغريق قـد أعد سفناً من أجلهم للعبـور بالجيش ونقله، ووضع كتّـاباً توجب عليهم أن

يخبروه بعدد المقـاتلين، وعندما نظر إلى تقريرهم تنهـد بعمق وقال: «إلى أين أيها الرب تقـود هؤلاء الناس العـديدين بعيـداً عن أوطانهم؟ حقـاً إنهم يحتـاجون إلى ذراعك القـوي حتى يتمكنوا ثانيـة من رؤية أوطانهم الجميلة، أي بلادهم التي ولدوا فيها».

وعبر لويس ملك فرنسـا البحر، ووجه زحفـه باتجاه القدس، غير أنه فقد جيشـه كله في القتال مع البرابرة، ومـاالذي سوف أقـوله عن ملك ألمانيا والذين كانوا معه؟ فقـد اقتيدوا إلى داخل صحراء كبيرة جداً، من خلال خيانة نائب ملك الاغـريق، الذي توجب عليه قيادتهم إلى أراضي الفـرس، وقـد هلكـوا من الجوع والعطش، وهكذا تبـددوا من الجوع والعطش، إلى حـد أنهم قـدمـوا عن طـواعيـة رقـابهم إلى البرابرة الذين هاجموهم، أما الملك والرجال الأقـوى معه، الذين نجوا من الموت، فقد هربوا عـائدين إلى بيـزنطة، آه أيتها الأحكام الصـادرة عن العلي الأعلى، لقـد كانت الكارثة التي حلت بالجيش كبيرة جـداً، ولقد كـانت فاجعـة فاقت حدود التصور، ولهذا فإن الذين شـاركوا فيها يبكون بدموع حتى هذا اليوم نفسه.

اجتياح لشبونه

أمـا الجيـش الثـاني، وكـان قـوة بحـرية جمعت من كـولن Koln, ومن المدن الأخـرى القائمـة على طول الراين، إلى جـانب المدن القائمـة على ضفتي نهر ويزر Weser, فقد أبحر لمسافة بعيدة في المحيط، حتى وصل إلى بريطانيا، وبعد الإقـامة هناك لبضعة أيام (ليس من دون أن يزداد بوسـاطة مـلائكة بريطانيـا) انطلق نحـو اسبانيـا، ونزل أفـراد الجيش في البرتغال، عند مدينة قشتالة الفخمـة للتعبد عند مزار القديس جيمس (شنت ياقوب= القديس يعقوب)، وكان ملك قشتالة [ألفونسو الأول ١١٢٩-١١٨٥م] سعيداً لقـدوم الصليبيين، وسألهم إن كانـوا قد خرجـوا في سبيل القتال من أجل الرب أن يساعدوه ضـد لشبونة، التي

يقوم سكانها بمضايقة حدود الأراضي المسيحية، ووافقوا على طلبه، وذهبوا إلى لشبونة مع أسطول كبير، وجاء الملك معهم عبر الطريق البري مع جيش قوي، وتمت محاصرة المدينة من البحر والبر، وقضي وقت طويل في حصارها، وعندما استولوا أخيراً على المدينة، وهزموا البرابرة، طلب ملك قشتالة من الصليبيين اعطاءه المدينة الفارغة، وكان ذلك بعد اقتسام الأسلاب فيما بينهم، وهكذا تأسست هناك مستعمرة للمسيحيين ماتزال موجودة حتى هذا اليوم، ومن بين جميع الأعمال التي قام بها الجيش الصليبي، تبرهن أن هذا العمل وحده فقط كان ناجحاً.

الملحق الثالث
وصف القدس والأراضي المقدسة من قبل بعض الحجاج الغربيين
(١٠٩٩-١١٨٥م)

– ٨٦٨٠ –

- ١ -

دليل وصفي

[ترتيبات مدينة القدس— وصف الأماكن المقدسة]

(١٠٩٩-١١٠٣)

باسم ربنا يسوع المسيح.

على أي إنسان قد يرغب بالذهاب إلى القدس، المدينة المقدسة، أن يتابع السفر باتجاه الشرق، وهكذا سوف يصل— بمشيئة الرب— إلى مدينة القدس المقدسة وإلى الغرب منها يمكن أن يرى جبل البهجة (صموئيل)، وهو مشهد رائع، والمسافة هي ميل واحد من هذا الجبل إلى المدينة، وعندما يدخل الإنسان إلى المدينة، يجد حصناً، هو برج داود.

علاوة على ذلك إن هيكل الضريح المقدس مستدير الشكل، وهو فوق الضريح المقدس، الموجود في أعلى نقطة من الهيكل، وهو مستدير ومفتوح من الأعلى، وضريح ربنا يسوع المسيح موجود في وسط الهيكل، وفي الوقت الذي نجد فيه الشكل الخارجي مستديراً نشاهد أن الشكل الداخلي مستطيلاً، ولدى الدخول إليه، يدخل الناس من باب موجود في الشرق، والطريق إلى الجزء الداخلي هو عبر باب ثاني خاص به، ويخرج الناس من باب موجود في الجهة اليمنى، وإلى الشرق على بعد قليل مركز العالم، وليس بعيداً عن هناك، أي أن تقول في الشرق، يقع جبل أكرا (الجمجمة)، الذي عليه جرى صلب الرب، وتحت هذا الجبل موضع الجلجلة، والمسافة من هذا الجبل إلى الضريح المقدس، هي المسافة التي يستطيع إنسان أن يرمي إليها حجراً بحجم كف يده، وعلى يسار جبل أكرا يوجد السجن، وبعد السجن على اليسار، عمود إليه قد ربط، وجنوب الضريح المقدس كنيسة القديسة مريم للاتين، وإلى الشرق من جبل أكرا، يوجد المكان الذي اكتشفت فيه القديسة هيلانة صليب الرب.

وإلى الشرق من هناك يوجد الباب الجميل، الذي يقود إلى هيكل الرب، وهو هيكل مستدير، وله أبواب ثلاثة، ومحاط بساحة هي الأكثر جمالاً أن تراها، وفي وسط هذا الهيكل، «الهيكل الذي صنع من دون أيدي» يعني خيمة العهد، الموجود فيها ومحفوظ —كما هو معتقد— عصا هرون، ورأس زكريا بن براخيا، والمذبح الذي بناه يعقوب للرب، ولوحي العقيدة، وتابوت العهد، والمن الذي تغذى منه بنو اسرائيل في الصحراء، وعلاوة على ذلك، في الجزء العلوي من الهيكل معلق مصباح من الذهب.

وباتجاه الجنوب من هيكل الرب، يوجد هيكل سليمان، وذلك إلى الشرق من هيكل الرب، حيث خارج باب الساحة، هناك بركة الضأن، التي لها خمس قناطر، وبعد المغادرة من هناك من خلال باب المدينة من على الشرق، يصل الإنسان إلى وادي شعفاط، الحاوي للكنيسة وللقبر العائد لمريم الأكثر قداسة وإجلالاً، مع حديقة جثسيماني، وذلك حيث صلى الرب مع حوارييه، وكذلك جرت خيانته من قبل يهوذا الخائن، الذي كان واحداً من تلاميذه.

وإلى الشرق من هذا المكان يوجد جبل الزيتون، الذي من عليه صعد الرب إلى السموات، وحيث كتب أيضاً «أبانا» للحواريين، وعلى مسافة ميل واحد من جبل الزيتون، يوجد الضريح الذي أقام الرب منه لعازر، في اليوم الرابع بعد وفاته.

وأيضاً، على مسافة تزيد على ست مراحل من هناك، يوجد المكان الذي صام الرب فيه لمدة أربعين يوماً، وحيث أغوي من قبل الشيطان، لكن دون أن يستجيب له، ومن هذا الجبل هناك ستة أميال إلى نهر الأردن.

وإلى الجنوب من القدس، وعلى بعد أكثر من أربعة أميال، هناك بيت

لحم، مدينة داود، التي ولد فيها المسيح، وحيث يوجد البئر الذي نزل إليه النجم الذي قاد الحكماء لعبادة الطفل، وبجانب باب القدس الموجود في الجنوب، يوجد جبل صهيون، وذلك حيث غادرت القديسة مريم هذا العالم، وليس بعيداً عن هناك [حقل] حق الدم، أي حقل الدم، وعلى بعد قليل إلى الجنوب من هناك توجد بركة سلوان، وفي أسفل الجبل، قرب أسوار المدينة التي تعبر هذه المنطقة، هناك المكان الذي بكى فيه بطرس بعدما أنكر المسيح، وفي الشمال، خارج باب المدينة، هناك المكان الذي رجم فيه القديس أسطفان.

هذه هي صورة بناء الأماكن المقدسة في القدس، التي أنا شاهد عليها، لأنني رأيت هذه الأماكن، وقد كتبت هذه الرواية، مع أنها متواضعة.

- ٢ -

دليل أوتوبونيان Ottobonian

[إن وصف القدس الآن هو كما يلي]

[١٠٩٩-١١٠٣م]

مدخل القدس موجود على الجهة الغربية بعد برج داود، وفي الأسفل في المدينة، يوجد ضريح الرب، وخارجه هناك مركز العالم، ومن هناك نحو الشمال يوجد سجن الرب، وبعد السجن المكان الذي ربط فيه، وجلد، وتوج، وجرد من ثيابه، وحيث جرى تقسيم ثيابه، وجبل أكرا هو الذي تحته الجلجلة، حيث سقط دم الرب وتقاطر من خلال الصدع في الصخرة، وفيما وراء هذا الجبل يوجد المكان الذي عثرت فيه القديسة هيلانة على صليب الرب.

ودون ذلك إلى الجنوب، يوجد هيكل الرب، الذي له أربعة مداخل هي: من الشرق، ومن الغرب، ومن الشمال، ومن الجنوب، وهناك —كما قالوا— كان تابوت الرب، وهناك ألواح العهد، وسبعة مصابيح ذهبية، وعصا هرون، وغرفة، حيث ظهر رئيس الملائكة جبرائيل إلى النبي زكريا، وعلى مقربة من هناك، يوجد الباب الجميل الذي يقود إلى وادي شعفاط، وعلى الجانب الآخر من الهيكل نحو الجنوب، يوجد هيكل سليمان، حيث في الطرف الأول منه هناك مهد المسيح، وفراش أمه، وعلى الطرف الآخر من هيكل الرب هناك كنيسة حنة المباركة، أم مريم أم الرب، وبعد الكنيسة هناك بركة الضأن.

وخارج المدينة يوجد وادي شعفاط، وهناك توجد كنيسة، فيها دفنت القديسة مريم من قبل الرسل، وفي المكان نفسه، هناك موضع جثسيماني، حيث خان يهوذا يسوعا إلى اليهود، وهناك في الجوار المكان الذي صلى فيه ربنا، وبعد هذا هناك جبل الزيتون، من حيث صعد الرب إلى

السموات، وحيث أيضاً كتب «أبانا» وإذا ماتابعنا السير من هناك شرقاً، نجد بيت عنيا، حيث منح الرب الحياة إلى لعازر.

وجبل صهيون موجود على الجهة الجنوبية من المدينة، فهناك ماتت القديسة مريم، وهناك تعشى الرب مع حوارييه،وهناك حيث أعطى الرسل الروح القدس، في يوم عيد الحصاد، ومقابل هذا الجبل هناك [حقل] حق الدم، وعلى الجانب الآخر إلى الشرق هناك بحيرة سلوان.

وبيت لحم واقعة على مسافة مرحلتين نحو الجنوب من المدينة، فهناك ولد الرب، وهناك المزود، حيث جرى تمديد الرب بعدما ولد، وهناك أيضاً المائدة التي أكلت عليها مريم المباركة مع الملوك الثلاثة، الذين كانوا ينشدون الرب ويطلبونه، وهناك أيضاً حمامه وفراشه، وهناك أيضاً —كما قالوا— تمّ قتل مائة ألف وأربعة وأربعين ألفاً من الناس من قبل هيرود.

وعلى الطرف الشرقي من المدينة يوجد نهر الأردن، وهو على بعد عشر مراحل، وعلى ذلك الطريق مدينة أريحا، التي على مقربة منها الأربعين، حيث صام الرب لمدة أربعين يوماً.

-٣-

دليل
ربما من إعداد كاتب ألماني
(١١٠٢-١١٠٦)

وادي شعفاط:

يحتوي الجزء الأعلى من وادي شعفاط على المكان الذي كان فيه مزرعة جثيسماني، وذلك حيث ترك يسوع أثناء آلامه حوارييه، وصلى لأبيه.

وقرب هذا المكان، في أسفل وادي شعفاط، هناك ضريح مريم العذراء المباركة.

وعلى بعد رمية حجر من هذا المكان، الموضع في هذا الوادي نفسه، حيث رجم اليهود اسطفان.

وبعد مكان الاستشهاد هذا، سقط [جيمس] أخو الرب على أم رأسه، من فوق الجدار إلى الوادي، ومن ثم قتل بعصا القصار.

وهناك بعد هذا بركة سلوان، التي قربها عمل المسيح معجزات رائعة.

وهذه الأماكن، وأماكن أخرى أيضاً، موجودة في وادي شعفاط، ودعونا الآن نذهب صاعدين إلى جبل الزيتون، الذي في أسفله يوجد وادي شعفاط، وفي ذلك الجبل، ليس عند الذروة، بل على الجانب الأيمن، توجد قرية بيت فاجي، وهي التي كانت فيما مضى قرية كهنة، وهناك عندما كان الرب يسوع، وقد باتت آلامه قريبة، أرسل حوارييه إلى القرية لإحضار أتان وابنها.

وعلى قمة الجبل، يوجد مكان الحجرة المبجلة، والتي عليها علامات الرصف، فهناك كان للرب يسوع حديث جميل مع حوارييه، ومن ثم صعد إلى السماء، ويقول رجال حكماء من بين الأرثوذكس الذين يعيشون في القدس، بأن الأرض التي من حول هذه الحجرة جديرة بالتبجيل، وتستحق التقبيل من قبل الناس الذين هم مسيحيين، والسبب في هذا، أنها تبللت بدموع الحواريين، بسبب غياب جسد المسيح، ولأنهم وقفوا هناك، وهم ينظرون إلى السماء، وذلك عندما سمعوا صوتاً يقول «يارجال الجليل، لماذا أنتم واقفون»؟ وهكذا إلى آخره (أعمال: ١/ ١١).

وهذه الأماكن المقدسة وأكثر، موجودة على جبل الزيتون.

ومن هناك إن المسافة ليست أكثر من ميل واحد إلى بيت عنيا، وهي إلى الشرق، وهي قرية مريم ومرثا، و هناك مازال من الممكن رؤية قبر لعازر، الذي أقامه الرب من الموت، وهذا مطروق كثيراً من قبل جميع المؤمنين، ومن قبل اليهود أيضاً.

وأريدك أن تعرف أيضاً، أن لعازر هذا نفسه، قد نشأ نشأة رائعة، لذلك أمكن أن يكون أسقف جزيرة قبرص.

ودعونا نذهب عائدين إلى الجانب الغربي من وادي شعفاط، فعلى الجانب الغربي من الوادي هناك جبل صهيون، ومدينة القدس.

ولدى الذهاب صعوداً فوق الجبل، هناك المعبد، الذي يعرف باسم كنيسة بطرس في الدموع، لأن النساء المقدسات وهن قادمات من الضريح، حيث قيل بأنهن وجدنه يبكي بمرارة، وذلك في الوقت الذي أخبرن به، أن عليهن الذهاب، وأن يخبرن الحواريين، وبطرس بأن الرب قد قام.

واسم قمة الجبل، صهيون، وقد بنيت هناك كنيسة، تشريفاً للرب

ولأمه المقدسة، وهي التي قيل بأنها أول كنيسة مسيحية.

وهنا تعشى الرب مع حوارييه.

وهنا غسل أقدامهم.

وهنا كان المكان الذي التجأ إليه الحواريون خوفاً من اليهود.

وهنا نزلت الروح القدس على الحواريين على شكل نار.

وهنا صنفوا العقيدة.

وهنا ماتت مريم المباركةفي هذا العالم.

وكان هذا المكان الـذي أحبه الرب كثيراً، حتى قبل ميلاده، بـوساطة القدرة ومعجزات لاهـوتية، وبعد ميلاده بقدرة جسـده المقدس، ولدينا على هذا شهـادة حوارييـه، إذا ماأردنا أن نفهم ذلك حـرفياً، لأنه قـال: «أحب الرب أبواب صهيـون أكثـر من جميع خيم يعقـوب» [المزمـور ٨٧/ ٠٢]

ودعـونا الآن نـذهب إلى المدينة نفسهـا، فهناك يوجـد ضريح للذي صلب من أجلنا، حيث بني فوقه معبد، وهو على شـاكلة معبد القديسة مريم، الذي بني أيام الامبراطور شارلمان، وذلك مع فارق هو حقيقة أن معبـد القدس لـه برج واحد، وهذا البرج، هو الموجـود فـوق الضريح، وهو مفتوح من الأعلى.

ودعـونا الآن نتقـدم فنذهب من المعبـد إلى الشمال، فإلى الشرق هناك السجن الذي وضع فيـه الرب، وبعد باب السجن، نحـو الجنوب هناك المكان الذي أطلق فيـه سراح الرب وأخـرج من السجن، وجلس ينتظر مع رجال السجن حتى قدم بيلاطيوس مع اليهود،وجلس للمحاكمة.

وبعد هذا هناك الدرجـات، التي يصعد عليها الناس إلى المعبـد، وقد

كـان هناك فيما مضى بناء جميل، وذلك حيث تم العثور على خشبة الصليب، وبعد هذه الدرجات هناك حجرة حاملة صليب، لها المقاييس نفسها للصليب الذي حمل من قبل الرب، وهو الذي جعل اليهود سمعان القيرواني يحمله.

وبعد هذا الصليب، هناك بيعة صغيرة، حيث جرى اقتسام ثيابه، وحيث ضربوا قرعة على معطفه.

وبعد هذا المكان الذي عاش فيه آدم حتى وفاته، وإلى جانب هذا المكان موقع أكرا (الجمجمة) حيث جرى صلب الرب، وحيث ضحى فيما مضى ابراهيم باسحق، وعند سفح تلة أكرا يوجد مذبح، هو موجود في المكان نفسه الذي دفن فيه آدم.

وفي هذه المدينة باتجاه جبل الزيتون توجد كنيسة بركة الضأن، على مقربة من هيكل سليمان، وإلى الشمال هناك هيكل الرب.

- ٤ -

دليل في كتاب أعمال الفرنجة في الحملة على القدس (بعد عام ١١٠٩م)

الفصل ٣١:

إن الموقع الحالي للمدينة، ووضع الأسوار التي تحيط بها، يختلف كثيراً عما كانت عليه بالأصل في خطتها وأوضاعها في أيام يسوع المسيح، ومع ذلك هي ماتزال تحتوي على مذكرات بذلك العصر، مما يعطي مسوغاً لشهرتها، ومكانتها، وعظمتها، وسموها فوق المدن الأخرى في العالم.

وعلاوة على ذلك، إنها مثل كثير من المدن الأخرى، لها أربعة مداخل: على الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، ويعرف المدخل الموجود في جهة الشرق من قبل السكان باسم باب وادي شعفاط، لأنه المخرج إلى ذلك الوادي، الواقع بالقرب، واسم المدخل الواقع في جهة الغرب باب داود، وقد عرف بهذا الاسم لأنه يقوم تالياً لبرج داود، أما المدخل الشمالي، فهو باب القديس اسطفان، لأنه قد قيل بأن ذلك الشهيد، قد رجم خارج ذلك الباب، وقد تأسست هناك كنيسة في ذكراه، والمدخل الجنوبي، هو باب صهيون، لأن جبل صهيون واقع في ذلك الجانب، وهو شديد الانحدار، قد جعل الوصول من ذلك الجانب صعباً ومنهكاً.

وإلى هذا اليوم هناك باب خامس أيضاً، اسمه الباب الذهبي، وهوقائم بين البابين الشرقي والجنوبي، تحت هيكل الرب، ومنه دخل ملك السموات إلى هذه المدينة قبل آلامه، وهو جالس على ظهر أتان، وقد استقبل ببهجة من قبل أبناء العبرانيين، ولايفتح هذا الباب أبداً، إلاّ يوم أحد السعف، وإذا مادخل إنسان إلى المدينة من هذا الباب، فضريح الرب، موجود إلى اليسار.

وقـرأنا أنه في أيام آلام المسيح، كان الضريح مـوجوداً خـارج المدينة، وكـان منحـوتاً في الصخـر، وعلى مقـربة منه، وإلى الجانب قليـلاً، هناك صخـرة ناتئة، كانت قـد تصـدعت، لأننا نقرأ بأنها انشقت بسبب وفـاة المسيح، وتحت ذلك الجلجة، وهو مكان يستحق الاحترام بشكل عظيم، وهو جـدير بالتعبـد والتبجيل، فمنـذ الأيام الخاليـة وصلنا أثر مكتـوب تحدث أنه في ذلك المكان كـان ابراهيم على وشك تقـديم ابنه بمثـابة أضحية، لكنه قدم عوضاً عنه كبشاً، جاء بديلاً لحمل الرب وابنه، الذي تقـرر أن يضحى به فيما بعـد، في ذلك المكـان بالذات، وعلى بعـد قليل هناك البقعـة التي عـرفت باسم أكـرا (الجمجمـة) لدى الكاتب نفسـه، وهناك جـرى الكشف عن خشبة الرب —بعـدمـا بيّـن اليهـود أين هي موجـودة— من قبل هيلانة (حنة) المبـاركة، وكان ذلك في عـام ثلاثمائة وستـــة وثمانين بعـــد آلام المسيح (كـــذا)، وفي المكان نفســـه أسست الامبراطورة كنيسة، تميـزت بحجمها وبجمالها المعماري وزخرفتهـا، وقد دمرت فيما بعـد من قبل الأمم الغادرة، هذا وإن بقاياها الموجـودة تظهر أية آبدة مـدهشـة كانت فيما مضى، وتم حفظ قطعـة من الخشبـة الثمينة من قبل المسيحيين في هذه الأماكن، وهي تبجل وتعظم باحترام وحب.

الفصل ٣٢:

وبعـد هذا المكان حيث جرى اكتشـاف الصليب، وإلى الجنوب هناك كنيســة أم الرب، وتعرف باسم «اللاتينيـة»، لأنها كـانت دوماً في عهـدة اللاتين، فقد قيل بأن العـذراء، قد بكت هناك، ومزقت شعـرها، عندما رأت ابنهـا الوحيـد، قـد علق بالمسـامير على خشبـة الصليب، وبجـوار ذلك، يوجـد المكان الذي بكت فيه مـريم المجدليـة والنساء الأخـريات موت المخلص.

وإلى الشرق من هذا مباشرة،وداخل أسوار المدينة، هناك هيكل الرب المشهـور(الحرم القدسي)، الذي بني ببراعـة مدهشـة، ومع أن هذا ليس

البناء الأصيل الفخم لسليمان، وليس أيضـاً البناء الذي أعيـدت عمارته للمرة الثانيـة بعد عزرا، إنه متفوق على كل بناء آخـر في العالم، ومع هذا له أربعة مداخل وفق الطريقة نفسها مثل الهيكل الأول.

وفي هذا المكان كف الملاك يده، وهـو الملاك الذي كـان يقتل الناس، عندما كان داود يصلي ويقول:

«هاأنا أخطأت وأنا أذنبت» [صمـوئيل الثاني: ١٦-١٧]، والصخـرة التي فوقها وقف وكف يده وردها مـاتزال قائمة في وسط الهيكل، وهي حتى كما هي لم تجر تسويتها وتنعيمها فنياً.

وهذا المكان كـان يستخـدم في أيام سليمان بمثـابة الغطـاء الذهبي لتـابوت العهـد، الذي كـانت فيـه ألواح مـوسـى، وعصـا هرون التي أورقت، والمن، والأشياء الأخـرى التي عرفت بالأشياء المقدسـة لقدس الأقداس، وقـد كانوا مـوجودين هناك وبقيـوا كذلك حتى أيام صـدقيا ملك يهوذا، حسبما يمكن للمرء أن يقـرأ في سفر المكابيين، لكن قيل إنه فيما بعد قام ارميا بإخفاء التـابوت في العربية على مقربة من جبل سيناء، وهو موجود هناك حتى هذا اليوم، حيث أن الجبل يتصاعد منه الدخان وهو مغطى بالغيـوم، والذين يـرغبـون بالذهاب إلى هناك، يجرى ردهم ومن ثم إعادتهم بالظلام، وبشدة لن يتم العثـور عليه، حتى تجتمع عدة أمم مع بعضها بعضاً، وهذا أيضاً هناك من يؤمن بأنه سيحدث هكذا.

ويعد ذلك المكان (أي الهيكل) مقـدساً لعدة أسباب، فـالطفل يسوع جرى تقـديمه هناك، وقـد تم تسلمه من قبل الشيخ سمعـان، وفيما بعد تم العثور عليه هناك عندمـا كان في الثانية عشرة من عمـره، جالساً بين الأحبـار، ومن هناك طـرد صرافي النقـود، وقـال: «إنه سيكون بيتـاً للصـلاة»، وهذا المكان ينبغي أن يكون مبجـلاً، ويعـد مكاناً مقـدسـاً، بسبب عدد من المعجزات، والآيات والمدهشات قد عملها الرب هناك.

وتقع كنيسة القديسة حنة إلى الشمال من الهيكل، وعلى الطريق إلى البركة، فهي قد كانت أم مريم المباركة، وهذا هو المكان الذي قيل بأنها ولدت فيه أم الرب، وتم اكتشاف خزان ماء من قبل الفرنجة، أمام هذه الكنيسة، ومن الممكن رؤية بقايا البركة القديمة هناك مع قناطرها الخمس محفوظة حتى هذا اليوم، ونحن نقرأ أنه في أيام المسيح كان ينزل ملاك إلى هناك، وعندما كان يلمس الماء، كان الماء يشفي المرضى، وهنا شفى المسيح رجلاً مريضاً، كان منذ ثمانية وثلاثين عاماً يعيش مع عجزه، وينزل الإنسان إلى البركة من خلال إحدى القناطر، وطعم الماء هناك مراً، وهو يشفي عدداً كبيراً من الناس المرضى.

وفي داخل المدينة يبجل المسيحيون أيضاً أماكن جلد يسوع المسيح، وتتويجه، والسخرية منه، والأشياء الأخرى التي عانى منها من أجلنا، لكن في هذه الأيام ليس أمراً هيناً اكتشاف أين وقعت هذه الأمور، خاصة بسبب أن المدينة نفسها تعرضت منذ ذلك الحين مراراً للخراب والدمار.

الفصل ٣٣:

والآن في خارج المدينة يغادر الإنسان ماراً بالقسم الأعلى من المدينة، من باب داود إلى الطريق الذي يقود إلى بيت لحم، التي كانت تعرف بالقديم باسم إفراتا، وهي واقعة على مسافة مرحلتين في الجنوب الغربي من القدس، على الطريق إلى الخليل، وبيت لحم —حسبما قلنا من قبل— مكان ولادة المسيح، والمعلف موجود هناك، علاوة على ذلك إن الكنيسة الموجودة هناك، جميلة جداً، وواسعة، وصنعت بشكل رائع، وتتمتع بمرتبة أسقفية، وقد قتل الأبرياء من قبل هيرود واستشهدوا في بيت لحم وجوارها.

ولدى العودة من هناك نحو المدينة، يرى الإنسان على الطريق قبر

راحيل، زوجة يعقوب، ثم يتسلق الإنسان جبل صهيون، الذي كان في أيام المسيح، أعلى نقطة في المدينة، وفي وسطها، لكنه الآن في الخارج، وفي ذلك المكان هناك الغرفة التي غسلت فيها أقدام الحواريين من قبل ربهم ومعلمهم، وهو قد أقام عشاء معهم، وترك قداس جسد الرب ودمه، وأخبرهم أيضاً مسبقاً بجميع الذي كان سيحدث له حتى موته، وهو علاوة على ذلك، المكان، الذي أرسل إليهم وهم فيه، بعد القيامة الروح القدس، وهناك —كما قيل— غادرت أم الرب الحياة، و لذلك السبب بنيت هناك كنيسة على اسمها، وهي كنيسة عندما ينظر الإنسان من الداخل، يشاهد كم كانت رائعة البناء في العصور القديمة، لكنها هدمت من قبل الغدارين المسلمين.

وينبغ عند سفح جبل صهيون نبع يبدو صافياً تماماً، لكن طعمه مرّ، ويطلق الناس عليه اسم نبع سلوان، وهو يرسل ماؤه داخل مجرى يسيل به نحو الأسفل وهو المجرى نفسه لجدول قدرون الذي يتدفق في الشتاء، وفي هذا المكان كان هناك رجل ولد أعمى، وقد استرد بصره، وذلك حسبما قرأنا في الانجيل، وأبعد نحو الجنوب هناك [حقل] حق الدم، الذي شري ليكون مكاناً لدفن الغرباء.

ويبدأ جدول قدرون في الشمال، ويجري نحو الجنوب، من خلال وادي شعفاط، ولايكون ماء فيه إذا لم يكن هناك مطر قد تساقط، وفي هذا الوادي، بين المدينة وجبل الزيتون، توجد كنيسة مريم أم الرب، وذلك حيث دفنت من قبل الرسل، ومايزال قبرها محترماً ومشرفاً هناك، هذا ومن التاريخ القديم للمسيحية، كما ذكر جيروم المبارك في كتاباته، قد جرى تشييد بناء رائع في ذلك المكان، وقد كان هذا البناء فيما مضى واسعاً بشكل غير اعتيادي، وكنيسة جميلة وحسنة التخطيط في ذلك المكان، لكنها دمرت فيما بعد من قبل الأمم الخائنة، وخرائبها ماتزال مشاهدة حتى الآن بشكل واضح، وهذا هو المكان أيضاً، الذي كان فيه

في أيام المسيح قـرية صغيرة اسمهـا جثيسماني، وذلـك حيث وضع ابن الرب للمحنة، وجـرى اعتقـاله، وهنا خلف وراءه رسله عندمـا كـانوا نائمين بعمق، وابتعـد عنهم مقـدار رميـة حجـر، وذلـك باتجاهه جبل الزيتـون، ليصلي هناك، ويوجـد الآن في تلك البقعـة بيعـة مكرسـة للمخلص.

ومن هناك يتسلق الإنسان إلى جبل الزيتون، الذي هو مرتفع إلى حد أنه متحكم بالمنطقـة كلهـا، وذلك هو المكان الذي اعتـاد الرب أن يعلم فيه حوارييه، والذين كانوا من أهل المدينة يتجمعون لسماعه، ويقال بأنه علم هناك الصلاة الربانيـة إلى حوارييـه، وتفوه بصلواته إلى الأب، وفيما بعد حمل من قمـة الجبل إلى السماء، والرسل ينظرون إليه، ويـوجد هناك كنيسـة تأسست في العصـور القديمـة، وهي تحتـوي على قبـور كثير من القـديسين، ومن هذا الجبل من الممكن رؤيـة العـربيـة ووادي الأردن بوضـوح، والبحـر الملحي النتن، الذي يغطي سـدوم وعمـوره، وهما المدينتان اللتان جرى تدميرهما فيما مضى بشكل تام بغضب من الرب.

وليس بعيـداً عن منحـدرات هذا الجبل، وإلى الجنوب الشرقي، يصل الإنسان إلى بيت عنيـا، حيث أقام الرب لعـازر، وحيث عفا عن ذنوب مـريم المجـدلية، وحيث أيضـاً تمت ضيـافتـه وإكرامـه في بيت سمعـان المجـذوم، وإلى هذا اليوم مـازال ضريح لعـازر يبجل هناك، وبسبب أن المخلص غـالبـاً مـاأمضى الوقـت هناك، فإن المكان مقـدس، ومـوضع تبجيل.

وهذه الأماكن واقعة خارج المدينة.

هذا وإن نهر الأردن، حيث تعمـد المسيح، يبعـد عشر مـراحل إلى الشرق من المدينة، ويفصل هـذا النهـر اليهـودية عن العـربيـة، ويصل الإنسان إليه من خلال أريحا، التي كانت فيما مضى مدينة عظيمة، وعلى

يسارها تقع الصحراء، التي صام فيها الرب لمدة أربعين يوماً، وهناك يرى الإنسان جبلاً عالياً، فهناك أغوي الرب من قبل الشيطان.

هذا وإن الناصرة هي المكان الذي حمل به فيه، والجليل هو المكان الذي ظهر فيه لحوارييه بعد قيامته، وجبل الطور، والصحراء، فالمكان الأول هو الموضع المرتفع الذي أطعم فيه بخمسة أرغفة مع سمكتين وأشبع خمسة آلاف إنسان، والمكان الثاني هو حيث أطعم بسبعة أرغفة أربعة آلاف إنسان، وجميع الأماكن هي التي غالباً ماطرقها ملك المجد، عندما كان طفلاً، وجميع هذه الأماكن بعيدة عن القدس.

....

وعلاوة على ذلك عمل الامبرطور هدريان المدينة جميلة بشكل رائع، وزينها بصورة فخمة، وبلط شوارعها وساحاتها، وهو الرجل الذي من اسمه أخذت القدس اسمها، فصارت من بعده تعرف باسم إيلياء، وجهز جميع الشوارع بمصارف، وبذلك عندما كانت الأمطار تتساقط، كانت جميع قاذورات المدينة تغسل، وتنجرف خلال تلك المصارف، وكانت هذه المدينة فيها كفايتها من صهاريج الماء، التي حوت دوماً كميات وافرة من المياه، واحتلت المدينة مساحة مسورة لابأس بحجمها، ولذلك لم تظهر صغيرة متعبة، أو واسعة مرهقة.

- ٥ -

حول موقع القدس والأماكن المقدسة في داخل المدينة أو من حولها (١١٢٨-١١٣٧م)

مدينة القدس قائمة في الجزء الجبلي من اليهودية، في مقاطعة فلسطين، ولها أربعة أبواب:

على الشرق، وعلى الغـرب، وعلى الجنوب، وعلى الشمال، ففي الشرق هناك البــاب الذي يمضي الإنسـان منه نزولاً إلى وادي شعفــاط، ومن خـلاله يـذهب الإنسـان إلى خـارج المدينة إلى جبـل الزيتـون، وإلى نهر الأردن، وإلى الغـرب هناك باب داود، وذلـك باتجاه البحـر وعسقـلان، وإلى الجنوب هناك البــاب الذي حمل اسمــه من جبل صهيــون، ومنه يذهب الإنسان إلى كنيسة القديسـة مريم على جبل صهيون، وإلى الشمال هناك الباب الذي يعـرف باسم باب القديس اسطفـان، لأنه خارج هذا الباب جرى رجمه، وهذا الباب نادراً مايفتح.

ومن خـلال باب داود، نحن دخلنـا إلى المدينة المقـدسـة، وكـان على يميننا برج داود، وقريباً جداً منا عنـدما دخلنا، فبرج داود قائم في غربي المدينة، وهو أعلى من كل مكان فيها.

وهيكل الرب موجود في الجهة الشرقية في الجزء المنخفض من المدينة، فوق وادي شعفاط، وله أربعة أبواب، باب في الشرق، وآخر في الغرب، وثالث في الجنـوب، ورابع في الشمال، وهناك صخـرة كبيرة في الوسط، حيث يوجد مذبح، فهناك جـرى تقديم الرب من قبل والديه، واستقبل من قبل القديس سمعان، وإلى هنالك دخل، عندما وعظ الناس.

وضريح الرب مـوجود داخل المدينـة، على بعد قليل إلى اليسـار منا، ونحن ذاهبــون إلى الهيكل، وكنيسـة الضريح مستــديرة، وبنيت بشكل

جميل جداً، وضريح الرب موجود في وسط هذه الكنيسة، وهو مزين بصورة جيدة، ومرتب بشكل جميل، وفي الخارج هناك في الشرق موضع أكرا (الجمجمة) حيث كان الرب قد صلب، ويصعد إليها الإنسان بست عشرة درجة، فهناك صخرة كبيرة، حيث صليب المسيح كان قد نصب، وتحت هناك الجلجلة، المكان الذي إليه تساقط دم المسيح من خلال وسط الصخرة، وهناك أيضاً مذبح مكرس على شرف الأم المقدسة للرب، وفي الخارج إلى الشرق يوجد المكان الذي عثرت فيه القديسة هيلانة على الصليب، وقد بنيت كنيسة كبيرة هناك، وفي الاتجاه الآخر، نحو الساعة السادسة (أي الجنوب) هناك مشفى من أجل الفقراء، والناس المرضى، ومشفى القديس يوحنا المعمدان، وعلى مقربة من هناك كنيسة القديسة مريم للاتين، وفي كنيسة القديس يوحنا المعمدان هذه، هناك ابريق من الحجر، فيه حول الرب الماء إلى خمرة.

وهيكل الرب، الذي تقدم ذكره أعلاه، متفوق في جماله على جميع الكنائس، وهناك ابريق ماء حجري آخر، حول فيه الماء إلى خمرة، مثلما عمل في قانا الجليل، وتحت الصخرة، القائمة في وسط الهيكل، ينزل الإنسان بدرجات إلى المكان الذي كان فيه فيما مضى قدس الأقداس، وهنا صلى زكريا عندما أعلن له الملاك جبريل عن ميلاد يوحنا المعمدان المبارك، وهناك يوجد المكان الذي جلس فيه الرب، عندما جلب الفريسيون امرأة اعتقلت وهي تزني.

وإلى الجنوب من هنا قصر سليمان، وإلى الشرق من القصر كنيسة القديسة مريم، التي إليها ينزل الإنسان بدرجات كثيرة، ويوجد هنا مهد المخلص، وفراشه، وفراش أمه، وإلى الجانب اليساري من الهيكل، وخارج أسواره، هناك كنيسة القديسة حنة، التي كانت أم أم المسيح، وخارجها قيل كانت هناك بركة الضأن.

ليس بعيداً، خارج أسوار المدينة، إلى الجنوب، هناك الكنيسة التي

تعرف باسم كنيسة القديسة مريم لجبل صهيون، حيث ماتت السيدة الأكثر مباركة جسدياً، وفي هذه الكنيسة المكان الذي يعرف باسم الجليلي، حيث ظهر المسيح بعد قيامته هناك إلى حوارييه، وفي تلك المرحلة لم يكن توما موجوداً معهم، وفي هذه الكنيسة، باتجاه الشرق، المكان الذي ظهر فيه بعد ثمانية أيام، وذلك عندما كانت الأبواب مغلقة، وجاء ظهوره الآن مجدداً لحوارييه، وكان توما موجوداً، وقال لهم «سلام معكم»، وأراهم يديه وطرفه، ومنحهم أن يتعلموا، وأن يبشروا وفقاً لكلام الانجيل، وإلى الأعلى يصعد الإنسان الدرجات إلى المكان الذي أقام فيه العشاء مع حوارييه، وهناك موجودة المنضدة نفسها التي تعشى عليها، وهناك قدم جسده للأكل، ودمه من أجل محي الذنوب، وهناك أعطى الروح القدس الضوء إلى الحواريين في يوم عيد الحصاد.

وإلى اليسار هناك توجد كنيسة القديس اسطفان، وذلك عندما جرى جلبه من كفرجمالا، وهناك دفن من قبل البطريرك جون، وتحت الجبل يوجد [حقل] حق الدم، وهو مكان الدفن للمسافرين، وعلى الطرف الآخر من الجبل هناك كنيسة القديس بطرس، حيث بكى بمرارة لدى سماع صوت الديك، وذلك بسبب ذنب الانكار، وفي الأسفل دون هذا هناك النبع، الذي يعرف باسم بركة سلوان، فهناك استرد رجل ولد أعمى بصره بناء على أوامر الرب.

وبيت لحم، مدينة داود، قائمة على مسافة مرحلتين باتجاه الساعة التاسعة [نحو الجنوب الغربي]، وهناك كنيسة القديسة مريم، وهي معمولة بشكل جميل جداً، ففي داخل كهف هناك، ولدت العذراء المباركة جداً بمخلص العالم، وهناك يوجد المعلف الذي جرى تمديد المسيح فيه، وأمام الكهف هناك مائدة من الرخام، عليها أكلت أم الرب مع الملوك الثلاثة، وأمام الكهف هناك بئر مياهه صافية وباردة، فيه —كما قيل— سقط النجم، وهو النجم الذي قاد الحكماء الثلاثة إلى

مدخل هذا الكهف، ولدى الخروج من الكنيسة، هناك كهفين إلى جانب الباب، كهف علوي وكهف سفلي، ففي الكهف العلوي راقدة باولا المقدسة كثيراً، وعند قدميها العذراء المقدسة كثيراً يوستوخيوم، ويمضي الإنسان نزولاً إلى الكهف الأسفل بوساطة سلم درجاته طويلة، وهناك ضريح، فيه يرقد الجسد المقدس كثيراً لجيروم المبارك كثيراً، الذي هو المعلم الممتاز، وهذه هي بيت لحم، التي فيها، وفي جميع المنطقة من حولها، أمر هيرود بوحشية بوجوب قتل جميع الأطفال.

وكنيسة القديسة مريم، فيما يعرف باسم وادي شعفاط، بين القدس، وجبل الزيتون، في وسط الوادي، هناك ضريح أم الرب، حيث دفن الرسول جون المبارك جسدها الأعظم قداسة، وخارج تلك الكنيسة يوجد المكان الذي يعرف باسم جثسيماني، والكهف الذي خان فيه يهوذا الرب لصالح اليهود، وعلى رمية حجر إلى اليمين هناك مكان الصلاة، وذلك حيث صلى إلى الأب في ساعة آلامه، وتساقط عرقه مثل نقاط من دم، وسال إلى الأرض، وظهر أمامه ملاك لتشجيعه، وفي قمة هذا الجبل مكان للصلاة، وذلك حيث صعد إلى السماء، وعلى مقربة من هناك كنيسة أخرى، حيث نظم الرب صلاة «أبانا».

وعلى مقربة من هناك بيت فاجي، التي كانت فيما مضى قرية كهنة، وعلى بعد حوالي الميل باتجاه الساعة الثالثة [أي الجنوب الشرقي] توجد بيت عنيا، حيث أقام الرب لعازر، وقبره موجود هناك، وهناك أيضاً كنيسة القديسة مريم المجدلية، وذلك حيث كان فيما مضى بيت سمعان المجذوم، وحيث غفر لها الرب ذنوبها.

وعلاوة على ذلك، إن نهر الأردن على مسافة جيدة عن القدس، أي حوالي العشرين ميلاً، والطريق وعر، وتبعد أريحا ميلين عن الأردن، ويجري نهر الأردن من الشمال إلى الجنوب، وقرب الأردن هناك كنيسة القديس يوحنا المعمدان، فهناك يتولى الرهبان الأرثوذكس خدمة الرب

وعبادته، وخلف الأردن توجد العربية.

وليس بعيداً عن هذا المكان الذي تعمد فيه الرب، يوجد البحر الميت، وذلك حيث ينتهي نهر الأردن، فهناك جرى تدمير سدوم، وعاموره، ودومه، وساعور، منذ زمن طويل، بناء على حكم عدل من الرب، وعرف البحر الميت بهذا الاسم لأن مامن شيء حي يمكن أن يعيش فيه، ولاحتى السمك يمكن أن تسبح أو أن تعيش هناك، ومامن مخلوق يمكنه أن يشرب منه، وإذا ماحاول أي طائر أن يطير فوق هذا البحر، فإنه يسقط على الفور ويموت، وأطلق على هذا البحر اسم نهر الشيطان، ويبعد الجبل حيث صام الرب لمدة أربعين يوماً وليلة، حوالي ثلاثة أميال عن أريحا.

- ٦ -

عرض حول توضع الأماكن
(بعد عام ١١٥٧م)

كانت الخليل منذ مابعد الطوفان حتى قدوم بني اسرائيل عاصمة فلسطين، ومكان عاش فيه العمالقة، وهي موجودة في ديار سبط يهوذا، وهي مدينة كهنة، ومدينة للالتجاء.

وهي على بعد ستة أميال عن القدس، وهي قائمة على الحدود بين الصحراء واليهودية.

وهي في المنطقة التي صاغ فيها الخالق العلي الأعلى أبانا الأول آدم.

وهي جزئياً مزروعة وجزئياً براري.

وتأسست الخليل من قبل العمالقة، قبل سبع سنوات من تأسيسهم تنيس التي هي مدينة في مصر، وكان اسم الخليل ممرا، صدوراً عن أصدقاء إبراهيم. [سفر التكوين: ١٤/ ١٣].

واسم المدينة هذا عرف به جبل عالي، بقي عند سفحه ابراهيم لمدة طويلة، والمكان معلم بشجرة بلوط، تحتها ظهر ثلاثة ملائكة له، وقد عبد بينهم واحداً.

والثالوث المقدس هو الذي يخبرنا أنه عندما يعبد الثالوث من قبلنا ينبغي أن يعبد متحداً.

وقد أطلق عليهم اسم ضيوفه.

وعندما كانوا جالسين إلى المائدة أحضر لهم شاة، وحليب أيضاً، وزبدة، وفي الخليل تحرك بوساطة رؤيا من الرب، فأقام مذبحاً، وعليه ضحى إليه بتواضع.

وعلى مقـربة من هذه البلـوطة يجري الاحتفـال بشكل فخم بعيـد الثالوث المقدس، في كل عام، مما يمنح البهجة للجماعات المسيحية.

وبقيـت هذه البلـوطة منـذ ذلـك الحين حتى أيـام حكم الامبراطـور ثيـودوسيـوس حيـة، وذلك حسبما ذكـره جيروم، ولقـد قيل بأن الجذع والجذر بقيا هناك، مـع أنهما كانا جافين، فقـد تبرهن أنهما دواء، لأن أي راكب يحمل قطعة منها معه، فإن دابته لاتتقيأ.

وعرفت الخليل باسم «أربعة»، وقبل ذلك الوقت حملت اسم «قرية»، وقد أضيف هذا إلى اسمهـا، ومعنى كلمة قرية، باللغة العـربية «مدينة»، وعلى هذا عندما نقول: «قرية أربعـة» نعني «مدينة أربعة»، ومرد هذا إلى وجود أربعة راقدين في قبر عـام، وهم: آدم، أول المخلوقات، والبطاركة العظماء الثلاثة: ابراهيم، واسحق، ويعقوب، في كهف مزدوج، في حقل عفرون، وهناك أربعة زوجات معهم، وهن: حواء أمنا، وسارة، ورفقة، وليا.

والخليل واقعـة بعـد وادي الدموع، وقـد عـرف بهذا الاسم، لأنه في هذا الوادي بقي آدم لمدة مائة سنة يبكي على ابنه هابيل، وفي الخليل ولد له شيـث، الذي منـه ولد المسيـح، وكـــذلك ولـد له الأبنـاء والبنات الآخرين.

ومن هنـا، حمل باتجاه الجنوب، مـن قبل الرب، ليتملـك السلطة على جنة عـدن، ومعنى هذا الاسم بالاغـريقيـة والعبرية «حديقـة البهجـة»، ولكن تبعاً للتاريخ القـديم، فإنه بعد سقوطه، جرى نفيـه مهاناً من قبل الرب، إلى هنا إلى الخليل، لكيون فلاحاً فقيراً على ترابه الأصيل.

وهذا هو الحقـل الذي منه يستخـرج بالحفـر السكان الأصليـون التراب، وينقلونه بعيداً، حيث يبيعـونه في مختلف أرجاء مصر والعـربية، لأنه ضروري لأغـراض دوائيـة، وهو يستخـدم بمثابة مـادة تجميليـة في

بعض الأمـاكـن، وهذا الحقل، مهما جـرى حفـره بالعـرض وبالعمق، يجدونه أنه غير ناقص التراب في نهاية العـام، وذلك بنعمـة ربانيـة، لأن تربة هذا الحقل حمراء.

وتماشياً مع التقاليد العبرانية، كان آدم أحمر اللون.

وفي الخليل، عمل جـاسـوسـا الأرض المقدسـة شـالب ويشـوع أول استطلاعهما.

وفي الخليـل اختير داود لأن يكـون ملكـاً، وذلـك مـن قبـل الـرب، ومسح من قبل صموئيل، وقد حكم لمدة سبعة أعوام، وحول ذلك قال الرب: «وجدت داود يتماشى مع قلبي» [المزامير: ٨٩/ ٢٠].

وفي الخليل ولـد الأبناء الستـــة لدواد، وهـم: أمنون من أخينـوعم، وكيـلاب من أبيجـايل، وأبشـالـوم من معكة، وأدونيـا من حجيت، وشفطيا من أبيطال، ويثرعام من عجلة [صموئيل ٢/ ٣/ ٣].

وعبر كـالب بن يفونه من الخليـل، وهزم ثلاثة من أبناء عناق، وهم: شيشـــاي Sheshai , وأخيمان Achiman , وتولماي Tolmai.

وفي المنطقة التالية للخليل في مـواجهة الفلسطينيين كانت هناك دبير، التي كـانت تعرف من قبل باسم قـرية— سفـر، يعني «مدينة الكتـابة»، التي استولى عليها أوثونئيل.

وعلى بعد ثلاثة أميـال إلى الجنوب من الخليل، هناك مكان دفن لوط، ابن أخي ابراهيم.

وعلى مسـافـة عشرة أميـال وراء الخليل، نحـو الفلسطينيين هناك بئر السبع، وهي مـدينة جميلة وفخمـة كانـت لبني اسرائيل منذ زمن طويل مضى، ومعنى اسمهـا «بئر القسم»، لأن ابراهيم واسحق دخـلا هناك

بمعـاهدة مع أبيمالك، وفي بير السبع زرع ابـراهيم كـرمـا، حيث توجـه بالدعـاء هناك لاسم الاله السرمدي، وقـد سكن هناك لمدة طويلة، ومن بعده اسحق، الذي إليه ظهر الرب هناك، وباركه وبارك ذريته.

وعلى بعـد ستـة أميـال من الخليل، بـاتجاه الجنوب بيت— فـاروئيل، الذي يشكل الحدود مابين اليهودية ومصر، والفلسطينيين والعربية، وقد كـــانت فيما مضى مـــدينة غنيـــة ومليئة بالسكان، وهنـا استقبلت أم المخلص، بعدما أنذرها الرب لتهرب مع ابنها يسوع، وقد قادها زوجها المقترنة به يوسف، وجاء استقبالها للمرة الأولى ضيفة خارج اليهودية.

وعلى مسافـة عشرة أميال من الخليل إلى الشرق هناك بحيرة اسفلت، وعرفت هذه البحيرة أيضاً باسم البحر الميت، ولسبب مماثل باسم بحيرة الشيطان، لأنه نتيجـة لوحشيتـه وللغضب جـرى دمـار المدن الأربع: سدوم، وعمـوره، وساعور، ودومه، وحـدث التدمير بشكل مخيف بنار الكبريت، في تلك البحيرة لاسرافهـن، ولأنهن حـافظن على شرورهن، ومعنى اسم سـدوم هو «الجمهــور الصـامت»، أو الأعمى، وعمـوره: «خـوف الناس» أو الخيـانة، أمـا معنى ساعـور فهـو «البحـر» أو «ميناء البحر»، ومعنى دومه: «النشوة».

وعلى الطريق نزولاً مـن اليهـودية، وعلى بعــد ميل عن البحيرة تقع سيجور، ومعنى سيجور هو صغير أو قليل، وعرفت أيضاً باسم «بلع»، ومعنى ذلك «اختفى»، كما تعرف أيضـاً باسم «زرع» وهو اسم سرياني، وهي تعـرف أيضـاً باسم «بعلزرع»، ويكـون هذا عندمـا يجري توحيـد الاسمين ودمجهما.

وإلى سيجــور هـذه هرب لوط، تحت قيــادة الملائكة، مـن ســدوم، وبوســـــاطة صلواته أنقـــذ من النار والـدمـــار، ولدى الـذهـاب إلى

سيجور، هناك ماتزال علامات من بقايا زوجة لوط، التي تحولت إلى عمود من ملح.

وفوق سيجور في الجبال أمام اليهودية، سكر لوط ونام مع ابنتيه، فولدتا منه: مُآب، وعمون.

وتدعى سيجور من قبل معاصرينا باسم «بلدة النخيل».

وتعرف منطقة هذه المدن الخمسة باسم «البنتابولس» Pen-tapolis، لأن الموجود هناك هو خمسة مدن، وقبل المدن وقبل دمار منطقتهم، كان البنتابولس وادياً كثيف الأشجار، وقد مضى ملوك المدن الخمسة إلى الحرب ضد خدر لامور (أو خدر لغومير) ملك العيلاميين، وقاتل عمرافيل ملك شنعار، وعروج ملك بنطش، وتينال ملك الأمم، وقاتلوا بيرا ملك سدوم، وبيرشا ملك عموره، وشنعاب ملك دومه، وشمبر ملك ساعور، وملك بلع، وهزم الخمسة، واستولى العدو على مقتنياتهم وعلى طعام سدوم وعموره، وأخذوا لوطاً، ابن أخي ابراهيم، معهم أسيراً.

وبين سيجور وأريحا منطقة عرفت باسم عين الجدي، وهي مصدر خمور عين الجدي، والمكان الذي كان من المعتاد نمو شجر البلسم فيه بوفرة كبيرة، وفوق بحيرة اسفلت يجمع الإنسان كثيراً من الشب، وأيضاً كثيراً من القطران.

والشب هو من ماء ملح الأرض، ويتكون في الشتاء من تمازج الكلس مع الماء، ويبلغ النضوج بوساطة شمس الصيف، ونال الشب Alumen, [المقابل اللاتيني لـ Alum] اسمه من الضوء Lumen [معنى ضوء باللاتيني]، وذلك بسبب أن الألوان التي تمزج به تصبح أقل دكانة.

والقطران سائل شديد الرائحة، أقرب إلى السواد، وهو مفيد لطلاء الجمال، لإزالة الحكة، ولدهن أشجار الكرمة لإزالة الحشرات التي تأكلهم.

وبعد بحيرة اسفلت هناك جبل مصنوع كلياً تقريباً من الملح الشفاف، ويستخرج من البحيرة نفسها كتل (أحجار الطواحين) لأنها شيء ضروري في تلك المناطق.

ويستخرج الحمر (القار) من البحيرة، الذي هو مفيد لاستخدامات الأطباء.

والبحيرة نقية إلى درجة أنه يمكن أن يشاهد خلالها الأبنية القيمة، والخرائب، ولكنها مرة كثيراً إلى حد أنه لايمكن أن يتحملها أي كائن حي، ولذلك مامن طائر يطير فوقها، ويوجد جزر في البحيرة عليهن ينمو تفاح أخضر، تراه جيداً وصالحاً للأكل، ولكن إذا ماالتقطت واحدة منهن وفتحتها فإنها تتفتت إلى رماد، ويخرج منهن دخان، كما لو أنهن كن يحترقن، وتبدو الأشجار على الجزر وهي مغطاة بالجمرات والرماد، وكأنها تمثل النهاية المحترقة للمدن، وتؤخذ الأخشاب من الجزر بوساطة القوارب، وهي تستخدم للأغراض المحلية.

وإذا صدف وأمضى أي واحد من الناس ليلة قرب البحيرة، وترك حقيبته مليئة بالخمرة أو بالماء على الأرض، فإنه سوف يجد في اليوم التالي مافيها وقد صار مراً، وغير قابل للشرب، مهما كان حلواً من قبل.

وهناك على الطرف الآخر من البحيرة زردم، وهي جزيرة، إليها ذهب سابا المبارك للقيام بالصيام الكبير منفرداً، لكن بغضب الشيطان التهبت نار فجأة، فتركته محروقاً تماماً، ولمدة سبعة أيام كان أشبه بالميت، ولكن برحمة من الرب شفي، واسترد صحته، ومع ذلك بقي

من دون لحية بعد ذلك، وعندما عاد إلى الوطن إلى اخوانه، وجدوا صعوبة في التعرف عليه أنه سابا.

وعبر منطقة بحيرة اسفلت، وعلى سفوح العربية، هناك شيوه (صفا) Shaveh , وهي مدينة قديمة، كان خدرلغومير قد هزمها.

والبنتابولس، التي تقدم ذكرها أعلاه ، موجودة على الحدود بين اليهودية والعربية.

[يحتوي النص الآن، على ماأورده جيروم في الرسالة ٧٨، حول المحطات في الصحراء التي عسكر فيها موسى مع بني اسرائيل، أثناء الخروج من مصر إلى جبل سيناء وكنعان، وهذا ليس له علاقة بالحج، وبعيد عن النصوص التالية، واعتمد المؤلف هنا، مثلما فعل من قبل على رسالة فيتيلوس، انظرها في الموسوعة الشامية في الجزء٣١، ومن أجل المحطات انظر ص٣٥٣-٣٦١].

وسيناء هو جبل بالعربية عظيم الارتفاع، وصعب أن تتسلقه، فالطريق إلى أعلاه يحتاج إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة خطوة، ويقول النساك والرهبان الذين يعيشون هناك، بأن المكان منذ أيام موسى، موقعاً تسير فيه ملائكة السماء، وجبل سيناء مغطى غالباً بالدخان، والبروق المضيئة، وقد قيل عن سيناء (وماقيل هو صحيح) أنه تحيط به كل يوم سبت نار سماوية، لكنها نار لاتحرقه، وكل من يلمسها لاتؤذيه، وقد ظهرت مراراً مثل لحف [أغطية— بطانيات] بيضاء، تسير حول الجبل، بسهولة وانسياب، وتهبط أحياناً مصحوبة بأصوات مرعبة، من الصعب تحملها. ويخفي عبيد الرب الأكثر قداسة أنفسهم هناك في كهوف، وفي قلايات الدير.

ويوجد على قمة جبل سيناء كنيسة جميلة ومبجلة، وموقعها هو حيث أعطى الرب موسى الشريعة، وقد كتبت بيديه على ألواح من حجارة،

وهذه الكنيسة محترمة إلى درجة أن مامن واحد يتجرأ على الدخول إليها، ولا أن يتسلق الجبل ما لم يكن مقبولاً من الرب في الاعتراف، ومالم يكن قد قام أولاً بالصوم والصلاة، والرهبان والنساك منصرفون كثيراً إلى الدين، إلى حد أنهم تحرروا من آلام الجسد، أو الروح، وهم فقط يقاتلون للرب، وهم على درجة كبيرة من الشهرة إلى حد أن الناس يتحدثون عنهم باحترام من حدود أثيوبيا إلى أقصى حدود فارس، ويفعلون ذلك بكل لغة من لغات الشرق موجودة بينهم، وهم متملكون بصورة حرة وتامة الديرة في مصر وفارس، وحول البحر الأحمر وفي العربية، ولذلك حياتهم فيها و فرة كبيرة.

وهم محترمون إلى درجة أن ما من واحد يتجرأ على الاساءة إليهم في أي شيء، وإذا ماأساء إليهم أي واحد، يحدث أنه يتعرض للعقوبة من قبل الرب بقسوة، ويعيش كل واحد في قلاية منفردة حول الجبل، وهم لايعيشون حياة جماعية، بل بعيداً عن التكتلات الجماعية، وفي سيناء بقايا العليقة التي ظهر فيها الرب إلى موسى في وسط لهيب من النار.

وفي منطقة حور (أور) جبل عدن، وهو يعرف باسم «جبل الرمال»، لأنه واقع في منطقة رملية، وهو صعب التسلق، ومرتفع بشكل مدهش، وقد تشكل بشكل طبيعي وكأنه برج مرتفع، مع أجزاء شديدة الانحدار، وكأنها قد قطعت باليد، ويستغرق الطريق من حوله أكثر من يوم واحد والأشجار حول أطراف الجبل نادرة، وكثير من الطيور من مختلف الأنواع تطير حول الجبل على شكل أسراب، ويبدو الجبل نفسه من دون مزروعات أو رطوبة، وبعيد عن أية منطقة فيها مزروعات في الصحراء.

وسمعت من الناس الذين يعيشون على مقربة منه يذكرون، أنه بتصميم من الرب، تمّ الكشف عن طريق صعود إلى الجبل إلى رجلين، كان الأول بينهما رشيقاً ونشيطاً، وقد تسلق بسهولة الأجزاء الخفية من

الجبل، لكن الآخـر تمكن بصعـوبة بالغـة من الوصـول إلى منتصف الطريق، وحين صـار هناك كـان متعبـاً، منقطع الأنفـاس، فجلس على الأرض، وقطع الرجل الأول الطريـق وتسلق بقيـة الجبل، وتعجب من طبيعة الجبل، ومن الهدوء الذي كـان سائداً هناك، فقد كـان الهواء نقياً، وكـانت هناك رائحة الورود، وطيب رائحـة المزروعات والأشجـار، كما توفـرت أنواع من الحجـارة، شـوهدت خـلال الجدول، حيث توفـرت ينابيع رائعـة، ووفـرة من أشجـار الفـواكـه، مع جمال لثمارهم، وكـانت الطيـور تغرد وتغني، كما توفـرت مسـاحات من الأمـاكن الظليلة، ومن المواضع المكسوة بالعشب الأخضر، وهناك قـرر، ووعد نفسه، إذا سمح الرب، أن يتمتع بالحياة وأن يموت.

ونظر من حوله، فـاعترته الدهشة لغياب صاحبـه، وبادر على الفور، مسرعاً خفيفـاً مندفعاً وسعيداً، ومبتسماً لنفسه، وهو يصفق بيـديه، نحو حافة الجبل، ودعا صديقه ورفيقه، راغباً بأنه سوف يرغب أيضاً بالعيش على ذلك الجبل، الذي قال بأنه يـوجد فيه نبع دائم، ووعـده بأنه سيجد المكان مثل الجنة، لكنه رفض الصعـود إلى الأعلى، والدخول إلى المكان، ولاندري لم فعل ذلك، هل كـان خـائفـاً من صعـوبة الجبل، أم أنه منع بمانع رباني، وهكذا بقي في مكانه، واكتفى بالأشياء التي رآها وسمعها، وقـال وداعـاً لصـديقـه وبذل جهـوده بالنزول إلى الأسفل، ثم عـاد إلى المكان الذي جاء منه، وأعلن عن الذي رآه وسمعه.

ويوجـد حول جبل عـدن جبال أخـرى كثيرة، وهضاب، وصخـور، وأخـاديد، وهي من الذروة حتـى الأسفل منحـوتة على شكل أقـواس، وكهوف، وأقبيـة، وقلايات من مختلف الأنواع، وفيها قـالوا بأن النساك المقدسين والرهبان اعتادوا على العيش في الأيام الخالية.

وعند سفح جبل عـدن ينبع نبع، لايجري جـدول منه، وإذا مـارأيتـه خيّل إليك أنه قـد يسقي حصـانين أو ثلاثة، لكنه في الحقيقـة قـد يسقي

أكثر، وقد تبرهن أنه لم تظهر عليه الزيادة أو النقصان.

[هناك اقتباسات من جيروم، الرسالة ٧٨ متواصلة، ثم يبدأ النص الجغرافي ثانية، انظر فيتيلوس ص٣٥٩-٣٦١].

وبين الأردن وأريحا هناك بيت حجلة، ومعنى هذا الاسم «مكان الخاتم»، والسبب -كما قيل- في أخذ شكل الخاتم هو أن أبناء يعقوب ساروا على شكل دائرة، عندما كانوا يندبونه، وذلك عندما أعادوه من مصر إلى الخليل.

وبين أريحا والجلجال هناك عمق- عخور، الذي معناه وادي عخور، أي جيشان الناس أو الحشود، فهناك جرى رجم عخور [عخان] لأنه سرق بعض الأشياء المكرسة.

وجرى الاستيلاء على أريحا، ومن ثم تسميتها اليبوسية.

وفي الجلجال ختن يوشع الناس للمرة الثانية، وأقام الحجارة التي جلبوها من الأردن، لأن تابوت العهد بقي هناك لمدة طويلة.

وتتصل العربية بأدوم بأراضي بوصترا [بُصرى]، التي هي بُصره، التي منها جاء باراخ (برخئيل) البصري، لكن هناك بصره أخرى في جبال أدوم، التي حولها قال إشعيا «من ذا الآتي بثياب مصبوغة من بصره»؟ [اشعيا: ٦٣/ ١] والطرخونية وعيطوره هي أجزاء من أدوم المتجهة نحو دمشق، وفي هاتين المنطقتين -تبعاً لانجيل لوقا- استحوذ فيليب على الطرخونية، وكان عوص، الابن الأول لآرام، وحفيد سام هو الذي أسس الطرخونية، ومنه حملت البلاد اسم عوص، الذي جاء منه يعقوب المبارك.

وكانت بوصترا فيما مضى عاصمة أدوم، وأدوم أسفل سورية، وسورية هي دمشق.

وكــان أليعــازر ابــن وكيل ابراهيم هو الذي أســس دمشق، في تلك المنطقـة التي قتل فيها قـابيل أخـاه، ولهذا السبب، إن معنى اسم دمشق هو «شرب الدم» أو «قبلة الدم».

وكانت دمشق فيما مضى عاصمة سورية، لكن تلك المكانة نقلت من قبل أنطوخيوس إلى أنطاكية، وقد عـرفت باسم سورية من اسم سوري حفيد ابراهيم وابن قطوره.

وعــرفت دمشق باسم آخــر هو «آرام» وبـاسم ثالث هو «أرفــاد»، وكانت دمشق فيما مضى المطرانية اللاهوتية في سورية.

وعـرفت منطقة دمشـق، وفقاً لزكـريا، باسم سـدرات Sedrath , وقد سكـن أجزاء منها عيسـو، الذي عرف أيضـاً باسم سعير، وأدوم، ومن أدوم جزء في سورية اسمه أدمه.

وفي سعير توجد مدينة أدمه.

وفي أدمه ليس بعيـداً عن دمشق، في جبل سعير، قـد عاش الحوريون في سعير، وهـم الذين قتلهم خدرلغومر.

وفي منطقـة أدمه، على بعـد ثلاثة أميال عن الأردن، هناك نهر يبـوق، وهو الذي عبره يعقوب عنـدما كان عـائداً من بلاد الرافـدين، وتصارع مع الملاك.

وعلى بعد أربعة أميال عن دمشق، يوجد المكان الذي ظهر فيه المسيح لشاول [كـوكب] وقال: «شاول، شاول، لماذا أنت تعـذبني؟»، وتشريفاً لهذه الحادثة، هناك كنيســة مبجلة جــداً في دمشق، تحت اشراف رئيس أساقفة أرثوذكسي.

وعلى مسافة أربعـة وعشرين ميلاً من دمشق إلى الجنوب، وعند سفح جبل لبنان، توجـد بانياس وهي مـدينة فخمة، وهي تعرف أيضـاً باسم

بلنياس أبيلينا، من «جمال» الأماكن الصالحة هناك للسكنى، واسمها أيضاً قيسارية فيليب، وهذا الاسم اشتق من اسم قيصر.

وتقع بعلبك على بعد ميل إلى الشرق من مدخل وادي البقاع، وهي مدينة في موقع مناسب تماماً، وقد تأسست من قبل سليمان، بسبب وفرة الأشياء الجيدة، ولترف امتلاكها غابة، وقد سماها «غابة لبنان» وذلك عندما بنى بيتاً من عاج، وأطلق على هذا أيضاً اسم «غابة لبنان».

وعند سفح لبنان ينبغ فرفر وأبانا، نهرا دمشق، ويجري أبانا عابراً جبال لبنان، وعبر سهل عرقة، ثم إنه يتصل بالبحر الكبير، في المنطقة التي انسحب إليها يوستاخيوس المبارك، بعدما حرم من زوجته وأولاده.

وعرقة هذه، مدينة في الحقيقة لايمكن حصارها، وقد تأسست من قبل عرقايت، الابن السابع لكنعان، وهي موجودة عند سفح لبنان، على ثمانية أميال إلى الشرق من طرابلس، وتشكل عرقة بداية فينيقيا، والنهاية الأخيرة لجبل الكرمل، الذي تبدأ منه فلسطين.

ويشطر لبنان فينيقيا عن سورية.

ويجرى فرفر خلال سورية حتى ربله، يعني أنطاكية، حيث يمر عابراً أسوارها، وعلى بعد عشرة أميال عن المدينة، يصب في البحر المتوسط، في ميناء السويدية، أي ميناء القديس سمعان، وذلك على مسافة عشرة أميال عن المدينة.

وعند سفح لبنان، وليس بعيداً عن بانياس، هناك «أر» و«دن» حيث هناك نبعين يصدران عنهما، وتحت جبل جلبوع يتشكل الأردن، الذي فيه تعمد المسيح من قبل يوحنا، ويطلق على الوادي الذي فيه يجري الأردن، من جبل جلبوع إلى بحيرة اسفلت، اسم الغور.

وألون، التي هي كلمة عبرية (الصحيح اغريقية) هو أيضاً الاسم الذي يطلق على السهل الواسع والزراعي، الذي يمتد نزولاً من الجبال، ويتتابع من لبنان إلى صحراء فاران، ويشمل ألون وادي بيسان، يعني الوادي الذي يمتد من بيسان إلى الأردن.

وعبر الأردن إلى الشمال هناك بعل، وبعل معون، وعما مدينتان فخمتان، قد بنيتا من قبل أبناء رأوبين، وإلى الشمال هناك بيت ـــرام، التي بنيت من قبل سبط جاد.

وفي ألون، فوق الأردن هناك عمون، أي بيت حنينا، التي فيها جرى تعميد يوحنا.

وفي هذه الزاوية لبيت حنينا هناك عشتاروت قرنايم، حيث قالوا بأن يعقوب قد عاش.

ويفصل الأردن الجليل عن أرض بوصترا، ومعنى اسم الأردن هو «المنحدر»، لأنه يجري منحدراً.

ويجري «دن» من نبعه تقريباً تحت الأرض إلى ميدان، التي ليست بعيدة عن ثمان، عاصمة منطقة السواد، وميدان سهل خصب وعريض، فيه يصبح «دن» مرة أخرى مكشوفاً ومرئياً، ولهذا السبب يعرف باسم ميدان، لأن «دن» ينبع في وسطه، وفي اللغة العربية معنى كلمة ميدان «ساحة»، والساحة تعرف باللغة اللاتينية بفوريوم Forum, لكن ميدان عرف بهذا الاسم لأنه يحدث في كل عام اجتماع حشد لايحصى من الناس في هذا السهل، يجلبون أي شيء يريدون بيعه، ويمكثون هناك، ويقوم جيش كبير من الفرثيين والعرب بحراسة هؤلاء الناس، وذلك أثناء رعيهم لقطعانهم في هذه المراعي الغنية، وكلمة ميدان مشكلة من «مي» و«دان»، ومعنى كلمة «مي» بالعربية «الماء»، ومعنى «دان» النهر، وذلك اشتقاقاً من السهل الذي

أتينا على ذكره، وأصبح نهراً، ويجري خلال السواد.

وجزء من السواد هو أرض عوص، وفي السواد هناك قبر يعقوب، الذي يبجل حتى الآن من قبل الأرثوذكس والسوريين، والشعوب، ومن السواد كان نعمان، التي جاء منها سوفر النعماني.

ويجري دان تحت مدينة جدر (أم قيس)، ويجري إلى جانب الحمامات الطبية (الحمة) وفي سهول الشوك حتى يتحد مع نهر «أر» تحت جلبوع.

وفي سهول الشوك، وقع الأمير الثالث للجليل بعد تانكرد، وكان اسمه جرفاس أوف باسوكي Basoches, وكان من أصل نبيل، من أسرة فرنجية، وقع أسيراً إثر انتصار طغتكين ملك سورية، وقد حمل أسيراً إلى دمشق، وعندما —بعد وقت قصير— سكر طغتكين، حتى لم يعد مع نفسه، أمر بقطع رأسه، فأرسل إلى الرب ذلك الشهيد المشهور، وعندما عاد في الصباح إلى نفسه ثانية، حزن وغضب، لأنه كان من الحماقة قتل مثل ذلك الرجل النبيل، فأمر بدفنه، لكن من دون رأسه، حيث عمله كأساً، وزينه بشكل غني بالذهب والجواهر، واحتفظ به بمثابة تذكار لنفسه، حيث اعتاد أن يشرب منه.

وليس بعيداً عن بانياس يصنع الـ «أر» بنفسه بحيرة (الحولة)، ثم هناك بعد ذلك بحر الجليل، الذي يبدأ بين كفرناحوم، وبيت صيدا، ومن بيت صيدا كان بطرس وأندرو، وجون، وجيمس، وجيمس بن ألفيوس.

وعلى مسافة أربعة أميال من بيت صيدا هناك كوروزين، التي فيها سوف ينشأ المسيح الدجال.

وعلى بعد خمسة أميال جدر، التي هي مدينة رائعة جداً، والتي حولها قد قيل: «هو سكن مع سكان جدر»، ومعنى كلمة جدر: «في الظلام».

وعند النهاية القصوى للبحر هناك كفرناحوم، التي كان اخلاصها موضوعاً في وعظ المسيح.

وعلى مسافة ميلين من كفرناحوم، هناك سفح الجبل، حيث وعظ الحشود، وحيث شفى المجذوم، وعلى بعد ميل من هذا السفح، هناك المكان الذي أطعم الرب فيه خمسة آلاف إنسان، ومن هذه الواقعة أطلق على المكان اسم «المائدة»، وتحت ذلك مباشرة يوجد المكان الذي أكل المسيح فيه بعد قيامته.

وفوق ساحل بحر الجليل هناك جرجوسيا، وهو المكان الذي شفى فيه الذين تلبسهم الشياطين.

وعند رأس البحر، على اليسار، هناك في الجبل وادي جنسارت، وهو مكان عثر فيه على الذهب، ومن هنا جاء اسم بحيرة جنسارت.

وعلى ميلين من جنسارت المجدل، المكان الذي جاءت منه مريم المجدلية.

وهذه المنطقة تعرف باسم جليل الأمم، وهي موجودة في ديار سبطي: زبلون، ونفطليم، التي منها جاء طوبياس، وفي مناطق من هذا الجليل، كان هناك عشرون مدينة، هي التي أعطاها سليمان إلى حيرام، ملك صور.

وعلى ميلين من المجدل تقع مدينة كينيرث Kinnereth, التي هي الآن طبرية.

وكان هيرود الأصغر هو الذي أسس طبرية، وسماها طبرية تشريفاً للقيصر طايبيروس.

وهكذا عرفت البحيرة أيضاً باسم طبرية.

وتستغرق الرحلة حول هذه البحيرة حوالي اليوم، ولهذا البحر المزية

الطبيعيـة التـالية، وهي أن يكون نتنـاً وغير قابل للشرب، مـالم تلقى فيـه قاذورات المدينة والمزارع المجاورة.

وعلى مسافة أربعة أميال من طبرية تقع مدينة بيت أوليا(★)، التي منها جاءت يودث التي قتلت هولوفرنس.

وتبعـد دوثيم أربعــة أميـال إلى الجنوب من طبريـة(★★)، فهنا عثـر يوسف على إخوته، وهم تولوا بيعه هناك.

وعلى مسافة إثني عشر ميلاً عن طبرية، تقع الناصرة، التي هي حاضرة الجليل، وهي التي نشأ فيها المسيح، ومعنى كلمة الناصرة «الزهرة».

وفي كنيس الناصرة، فتح يسوع سفـر اشعيا، وشرح معانيـه إلى اليهود، وعند الجانب الشرقي من الناصرة هناك نبع صغير، منه اعتـاد يسوع أثناء طفولته، أن ينضح الماء ليزود أمه ونفسه.

وعلى مســافة ميلين من الناصرة توجـد مدينة الصفـورية، على الطريق الذي يقود إلى عكا، ونالت المدينة اسمها من صفت الذي أسسها.

وحنة المباركة، أم أم المسيح جاءت من الصفورية.

وعلى مسافـة خمسة أميال من الناصرة، هنا قـانا الجليل (كفركنا) وهي مدينة قديمة في ديار سبط أشير، وهناك حوّل يسوع الشاب الماء إلى خمرة، ومن قانا جاء سمعان الكنعاني، وفيليب وناثانئيل.

وعلى بعد ميل إلى الجنوب من الناصرة مكان يعـرف باسم «السقوط»، وهو قمة جبل، منها رغب أقرباء يسوع أن يلقوه، لكنه اختفى من بينهم.

وعلى مسافة أربعـة أميال إلى الجنوب من الناصرة، يوجد جبل الطور،

(★) الاشارة هنا في الحقيقة إلى صفد، ولعل بيت أوليا هي الآن مثليا.

(★★) لعل المقصود هنا خان يوسف، لأن دوثان قرب طولكرم.

وهو في وسط الجليل، وهو مستدير بشكل مدهش ومرتفع، وهنا المكان الذي تغير فيه شكل المسيح، وأظهر مجده إلى خاصته، وعلى طريق النزول من جبل الطور التقى ملكيصادق بابراهيم، وهو عائد من هزيمة أمالك، وقدم إليه خبزاً ونبيذاً.

وعلى بعد ميلين إلى الشرق من الطور هناك جبل حرمون، وعن الجبلين قال صاحب المزامير: «الطور وحرمون باسمك يهتفان» [المزامير: ٨٩/ ١٢]، وهناك حرمون آخر في أدوم، مجاور لسلسلة لبنان الشرقية.

وتباحث ملكيصادق وابراهيم حول العشور تحت الطور.

وعلى بعد ميلين من الطور هناك نين، التي كانت فيها مضى من مدن بني اسرايل، وعند بابها أعاد يسوع إلى الحياة ابن الأرملة.

وهناك فوق نين جبل عين دور، وبين عين دور والطور، في سهل نين توجد قدوميم، أي مجرى جدول قيسون (نهر المقطع)، حيث على ضفته هزم باراخ الأدوميين، وذلك بناء على تحريض من دبوره، وجرى قتل سيسرا من قبل يئيل.

وعلى بعد ثلاثة أميال إلى الشرق من الطور، هناك شارون [تل صارم، أو سهل ابن عامر].

وعلى مسافة خمسة أميال من الطور هناك يزرعيل، أي زرعين، التي هي مدينة قديمة، وفي يزرعيل حكم اهاب وجيزبل، وجاءت نبوت من يزرعيل، وهي التي رجمت عند مؤامرة جيزبل، ولهذا السبب ماتت، عندما تسبب ياهو بسقوطها، وقبرها مايزال هناك.

وبعد يزرعيل هناك سهل مجيدو، حيث مات يشوع، بعدما جرى خداعه من قبل ملك السامرة، ومن هناك نقل جسده، ودفن في صهيون.

وعلى مسافة ميل من يزرعيل هناك جبل جلبوع (فقوعة)، التي فيها

سقط شاؤول ويوناثان، وفي جبال جلبوع هناك قرية تحمل اسم جلبوع (جلبون).

وعلى بعد ميلين من جلبوع هناك مدينة بيسان، التي هي حاضرة الجليل، وعلى أسوار هذه المدينة جرى تعليق رأس شاؤول.

وفي الجليل قرية الكوش Elkosh, التي جاء منها النبي ناحوم.

وعلى بعد خمسة أميال عن يزرعيل هناك بلدة جنين، التي منها تبدأ السامرة.

وبين جنين ومجدو، غور، وهو مكان فيه قتل ياهو —ملك اسرائيل أخزيا ملك اليهودية.

وعلى مسافة عشرة أميال من جنين، هناك السامرة، وقد أطلق الاسم أيضاً على المنطقة التي من حولها.

وسنحريب هو الذي أسس المنطقة، ومن السامرة جاء السامريون، وبعدما جرى تدمير المدينة وتسويتها بالأرض من قبل أنطوخيوس، أعيد بناؤها من قبل هيرود بن أنتباتر تشريفاً لأغسطس قيصر، وأطلق عليها اسم أوغسطا، الذي هو بالاغريقية سبسطية، ويقال بأن يوحنا المعمدان قد دفن في هذه المدينة بين إيليا وعوبيديا، فقد قطع رأسه من قبل هيرود عبر الأردن في قلعة مكرون Macheron, وقد قيل بأن جسده قد أحرق من قبل يوليان المرتد، ورمى بالرماد في الريح، وكان رأسه قد نقل منذ زمن بعيد إلى الاسكندرية من قبل الكاهن مارسيلوس، ثم نقل من بعد ذلك بوساطة فلسيلوس الراهب إلى أكوتين مع ثلاث أيقونات، في أيام حكم ببن، لأنه حدث له، عندما كان عائداً من قتل الوندال، أن أعيد إلى الحياة عشرين فارساً كانوا قد سقطوا في الحرب، بفضل جون المبارك.

لكن اصبع السبابة، التي أشار بها إلى يسوع ليقدم من أجل تعميده، فقد أخذته العذراء تغريس Tigris معها عبر الألب، وهو الآن محفوظ بكل تشريف في الكنيسة في مورين Maurienne وفي سبسطية كانت امرأة قد افترست ابنها، وقد حملها على ذلك الجوع، الأمر الذي وقع أيضاً في القدس لمريم.

وفي السامرة تنبأ اليشع أيضاً، وأطعم مائة نبي في الكهوف.

وفي السامرة، مدينة شونيم Shunem, التي جاءت منها المرأة الشونيمية، ومن السامرة جاء سمعان مجوس.

وعلى مسافة أربعة أميال من سبسطية تقع شكيم (نابلس) التي بناها عمور، وسماها شكيم على اسم واحد من أولاده، وأطلق عل هذه المدينة فيما بعد اسم نابلس، أي المدينة الجديدة، وكان أبناء يعقوب قد دمروا شكيم، وقتلوا عمور، لأنهم غضبوا لاقتراف الزنا مع أختهم، وإلى شكيم أعيدت عظام يوسف ونقلت من مصر، ودفنت في شكيم قرب النبع قرب سفح جرزيم، وصنع يربعام العجلين الذهبيين، حيث وضع أولهما في دان، والثاني في بيت ايل.

وذهب السوريون والسامرة إلى أن هناك أربعة جبال تظلل شكيم هي: عيبال، ودان في الشرق، وبيت إيل، وجرزيم في الجنوب، لكن جيروم رأى أن اثنين منهم موجودين في أرض الميعاد فوق أريحا، وهما جبلا عيبال، حيث بنى يوسف مذبحاً للرب من الحجارة الطبيعية، بناء على أوامر موسى، وجرزيم على مقربة منه، فمنهما معاً من الممكن سماع أصوات الأشخاص وهم يتباركون، أو يتلاعنون.

وأسس اليبوسيون لوز (خربة لوزه)، وذلك على مسافة ميل من شكيم، وهي تعرف بالعبرية باسم ألموس، وهنا أراد ابراهيم، بناء على رسالة من الملاك، أن يضحي بابنه اسحق، وانطلق إلى سفح الجبل مع

الشاب ومع الأتان، وفي الحقيقة تمت التضحية بكبش عوضاً عنه، وفي كل عام يقوم المسلمون تقليداً، منهم لإبراهيم بالتضحية، ومثل ذلك يفعل سلطان فارس (الخليفة العباسي) الذي هو الأكثر قوة فيما بينهم، وكذلك أمير ممفيس، فهم يضحون بجمال بأيديهم.

وبعدما نام يعقوب هناك، وحدثت له رؤيا السلم، أطلق من قبله على المكان اسم «بيت ايل» أي بيت الرب، لكن بعدما وضع يربعام هناك العجل الذهبي، صارت تعرف باسم «بيت أون» Bethaven, يعني بيت الصنم، وأطلق إبراهيم على المكان اسم «الرب يرى»، وقد شيد يعقوب عموداً من الحجر هناك.

وعلى بعد ميل من شكيم توجد بلدة عسكر، قرب الحقل الذي أعطاه يعقوب إلى ابنه يوسف، وهناك أيضاً نبع أو بئر يعقوب، الذي فوقه حدثنا الانجيل بأن المسيح تحادث مع امرأة سامرية وذلك حيث تقوم الآن كنيسة هناك، وليس بعيداً عن شكيم مكان البطمة، التي أخفى يعقوب تحتها الأصنام.

وعلى بعد ستة أميال إلى الجنوب من شكيم توجد تمنه هناك، وهي مدينة يوشع، التي بقي فيها ومات، وقبره مازال باقياً هناك.

وعلى مسافة عشرة أميال من شكيم هناك قرية صنجيل وهي (قلعة) نالت اسمها من الكونت صنجيل الذي كان في الجيش الفرنجي، وعسكر هناك في اليوم الذي تقدم على رؤيتهم القدس، الحاضرة الأعظم قداسة في اليهودية.

وعلى بعد أربعة أميال من القدس توجد إفراتا، التي أسسها اليبوسيون، والتي فيما بعد سماها يعقوب بيت لحم، أي «بيت الخبز»، وهي التي فيها ولد المسيح، ومن بيت لحم: بوعز، وعوبيد، والد ايشا أويسي، والد الملك داود، الذي من ذريته انحدر المسيح، ثم بعد مكان

الميلاد في بيت لحم، هناك المزود، الذي تمدد فيه الطفل يسوع، وقد أخذ إلى روما من قبل الملكة هيلانة، وهو محفوظ بتشريف في بازيليكا القديسة مريم الكبيرة.

وعلى مسافة ميل من بيت لحم باتجاه الشمال، أشع النجم للرعاة عند ولادة المسيح، وتم هناك غناء الترنيمة التالية من قبل الملائكة: «المجد للرب في الأعالي»، وإلى بيت لحم جاء المجوس لعبادة الرب، وهناك جرى من قبل هيرود قتل الأولاد، والعدد الأكبر من الأبرياء مستلقين مدفونين هناك، على بعد ثلاثة أميال من بيت لحم إلى الجنوب.

وعلى بعد ميلين إلى الغرب من بيت لحم توجد راما (بيت جالا)، التي عنها قيل: «صوت سمع في راما»، وفي بيت لحم مدفون جسد جيروم المبارك، مع جسدي باولا، ويوستوخيوم.

وعلى بعد أربعة أميال من بيت لحم توجد تقوع، التي جاء منها النبي عاموس، الذي جسده مدفون هناك.

ومن هذه المنطقة جرى حمل حبقوق بوساطة ملاك إلى بابل، وفي تقوع اعتاد كثير من الأنبياء على الاجتماع للبحث في اللاهوت.

وعلى مسافة أربعة أميال من بيت لحم على الطريق إلى حبرون، توجد كنيسة القديس خريطون، وذلك حيث عندما كان ينتقل من هذا العالم، انتقلت الجماعة كلها التي كانت معه أيضاً بالطريقة نفسها.

وعلى بعد ميل من بيت لحم، على الطريق الذي يقود إلى القدس، هناك قبراتا (قبة راحيل، أو قبر راحيل)، وهو المكان الذي عندما مات بنيامين ماتت راحيل حزناً، ودفنت هناك من قبل يعقوب، وقد وضع فوق القبر اثني عشرةحجرة، ماتزال موجودة حتى الآن.

وعلى بعد ميل من قبراتا، وإلى يمين الطريق، وفي منتصف المسافة مابين القدس وبيت لحم يوجد بيت عرقة، حيث هناك قتل الملاك في ليلة

واحدة مائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً من جيش سنحريب، ونجا سنحريب وعاد إلى نينوى، وقد قتل هناك من قبل ولديه.

ووفقاً للتقاليد العبرانية كان الولد الأول انجاباً لنوح هو سام، وهو كما قالوا كان ملكيصادق نفسه، الذي كان الأول الذي تولى تأسيس «سالم» بعد الطوفان، وقد حكم عليها بمثابة ملك وكاهن، وقام اليبوسيون بالاستيلاء عليها من بعده، وسموها يبوس على اسم جدهم يبوس الذي كان الابن الثالث لكنعان، ثم جرى دمج الاسمين مع بعضهما، فصارت تعرف باسم يبوس— سالم، وفيما بعد، باتت تدعى من قبل سليمان باسم يروسوليما (تقريباً يبوس— سالومونيا)، وعرفت لدى الشعراء باسم سوليما، ثم من قبل ايليوس هادريان، عندما أعاد عمارتها، باتت تعرف باسم ايلياء، وهي صهيون، التي تعني بالعبرية «مشهد»، والقدس هي «مشهد السلام».

والقدس هي حاضرة اليهودية، وهي موجودة عند سرة الأرض، أي في وسط العالم، ولذلك قال داود: «لقد عملت خلاصاً في وسط الأرض».

والقدس متفوقة على جميع مدن الدنيا، في الصلاة وأعمال الإحسان.

وحكم داود في القدس ثلاثة وثلاثين عاماً، وذلك بعدما توقف شاول عن كونه ملكاً، وكان اشعيا النبي من القدس، وهو الذي قطع من قبل الملك منشا بمنشار خشب.

وفي القدس جبل موريا، وهو مكان رأى داود الملاك فوقه وهو يقتل [الناس]، وكان واقفاً فوق أرض بيدر أورنان اليبوسي، وهي الأرض التي بنى عليها سليمان فيما بعد الهيكل.

وقد شرع ببناء هيكل الرب، بعد مضي ثلاثة آلاف ومائة عام وعامين من آدم، وألف وأربعمائة عام من الطوفان، وألف ومائتي عام من مغادرة

ابراهيم لبلاد الرافدين، وخمسمائة عام وعامين من مغادرة بني اسرائيل لمصر، ومائتين وأربعين عام على تأسيس صور.

وبنى سليمان الهيكل (أي بيت ايل) والمذبح مقابل نفقات عالية، وكرسه بمهابة وتقوى، لكن في أيام الملك صدقيا، دنسه نبوخذ نصر بصورة كاملة، وشوّهه ونهبه، ودمر المدينة، ثم أمر بصدقيا مع أولاده بالظهور أمامه في ربله (يعني أنطاكية التي تعرف باسمين آخرين هما: حماه وأفامية) [ربلة على العاصي إلى الغرب من حمص، وحماه مدينة تبعد كثيراً عن أنطاكية، وتقع أفامية إلى الغرب من حماه] حيث قتل أولاد صدقيا بحضور والدهم، ثم اقتلع عينيه.

ثم دمر نبوخذ نصر كل من صهيون والهيكل، الذي أعيدت عمارته فيما بعد في ظل حكم قورش، ملك الفرس، من قبل عزرا الكاتب، ونحميا، ثم جرى تدمير هذا الهيكل مرة أخرى من قبل أنطوخيوس، ثم أعيدت عمارته في ظل المكابيين، وجرى تدنيس هذا الهيكل من قبل بومبي، الذي أقام هناك عندما فرّ من أمام يوليوس قيصر، وأخيراً تم تدمير هذا الهيكل الثالث حتى أساساته، في ظل حكم تيتوس وفسبسيان.

وحول هذا الهيكل يقول بعضهم بأنه أعيدت عمارته في ظل حكم الامبراطور قسطنطين من قبل هيلانه، وقال آخرون لابل كان ذلك من قبل الامبراطور هرقل، وقال آخرون بأن ذلك كان من قبل الأغسطس جستنيان، بيد أن آخرين يقولون بأنه بني من قبل أمير ممفيس في مصر تشريفاً لاسم «الكبير»، يعني الرب العلي الأعلى، وهذا معلن من خلال الكتابة العربية المنقوشة، وعلاوة على ذلك، إنه لدى وصول الفرنجة، مامن شيء ظهر في أعمال زينته عن الشريعة، ولاشيء بالاغريقية.

وقد قيل بأن الهيكل الحالي هو الهيكل الرابع، وفي الهيكل الذي كان

قبله جرى ختان الطفل يسوع، وقد تم تقديم غرلته من قبل ملاك في الهيكل إلى شارل الكبير، ومن قبله نقلت إلى غاليا ثم إلى آخن، ونقلت فيما بعد من قبل شارل الجريء إلى منطقة بواتو في أكوتين، إلى كارو Charroux.

وجرى تقديم يسوع في الهيكل من قبل أمه، وتم تسلمه من قبل سمعان، ومن الهيكل طرد يسوع الناس الذين كانوا يبيعون ويشترون، وأطلق سراح المرأة التي اقترفت الزنا، وحررها من أيدي الذين اتهموها، ومن الهيكل جرى إلقاء جيمس المبارك على أم رأسه، وفي الهيكل كانت البشارة التي أعلنها الملاك إلى زكريا حول ولادة ابنه، وفيما بين الهيكل والمذبح مات زكريا بن براخيا، وجرى تحويل هذا المذبح، فيما بعد من قبل المسلمين إلى مزولة حتى يمكن مشاهدته من قبل الجميع، في الساحة في القدس، وإلى جانب القديسة حنه، وليس بعيداً عن الباب الذي يفضي إلى شعفاط هناك بركة الضأن.

وفي وسط القدس أقام يسوع فتاة من الموت، وفي القدس جرى قتل جيمس الثاني بالسيف من قبل هيرود، ثم جرى نقله إلى يافا، ومن هناك فيما بعد إلى اسبانيا.

وفي داخل الهيكل منطقة هي مسكن الفرسان الجدد الذين يحرسون القدس.

وفي القدس Xenodochium أو الـ Nosokomion, ونقلت كلمة Xenodochium الاغريقية وترجمت إلى اللاتينية بمعنى ملجأ للمسافرين والناس الفقراء، أما الـ Nosokomion أي المشفى، فهو المكان الذي يعتني بالناس المرضى، الذي كانوا ينقلون إليه من الساحات والأزقة.

وخلف أسوار القدس، بين برج تانكرد، وباب القديس اسطفان،

هناك مكان اقامة للمجذومين.

وقد قيل بأن الأمير اليهودي هركانوس، كان أول من أقام مشفى، بالأموال التي أخذها من قبر داود.

وفي المنطقة خارج مدينة القدس باتجاه الشرق، هناك وادي أبناء هنوم Hinnom وفيه توفث Topheth, وهو المكان الذي لم يخجل فيه بنو اسرائيل من عبادة أصنام الأمم، وعرف وادي هنوم باسم وادي جهنوم Gehinnom, بسبب أن العبرانيين ذبحوا هناك أبناءهم للشياطين، وأطلق عليه أيضاً اسم وادي الأوثان، لأنهم عبدوا الأوثان هناك، ووادي جثسيماني هو وادي شعفاط، ووادي جهنوم متصل بجثسيماني.

وفي أيام حكم سليمان بنيت بركة سلوان، التي هي موجودة على سفح صهيون، وتقريباً في وادي شعفاط.

ووفقاً لتقاليد العبرانيين تنبع مياه سلوان في شيلو، ويجري جدول سلوان بصمت لأنه موجود تحت الأرض، وتحت سلوان هناك نبع روجل (عين أم الدرج)، وإلى جانبه جرى دفن اشعيا المبارك، فهذا ماقيل، وبعد نبع روجل هناك «الزاحفة»، وهي صخرة إليها جلب أدونيا الأضاحي للذبح والتقدمة.

وفوق سلوان، إلى الجنوب هناك بركة فولر Fuller والحقل الملاصق لحقل شجرة التين، الذي فيه حق الدم، حيث يجري دفن المسافرين، وفوق حق الدم يوجد جيجون، حيث جرى مسح الملك سليمان، ليكون ملكاً، من قبل صادوق الكاهن.

وقالوا بأن جيمس المبارك جرى دفنه في وادي شعفاط، ومن هناك نقل إلى القسطنطينية، وفي وادي شعفاط جرى دفن الملك شعفاط، في آبدة ذات سقف مائل.

وعلى بعد ميل عن القدس، باتجاه البحر الميت، يوجد بيت عنيا، حيث استقبل سمعان يسوعاً بمثابة ضيف، وهناك استحقت مريم الغفران من الذنوب، وهناك أقام لعازر من الموت.

وبين بيت عنيا وجبل الزيتون يوجد بيت فاجي.

وعلى جبل صهيون غسل يسوع أقدام حوارييه، وتناول العشاء معهم، وفي القدس باع يهوذا يسوع إلى اليهود، وعند منعطف جبل الزيتون، المكان الذي صلى فيه يسوع إلى الأب، وأيضاً حيث قال لبطرس: «أولم يكن بإمكانك أن تسهر معي ساعة»، وهناك عندما رجع يهوذا إلى جتسيماني، تمت خيانته لليهود، فقاموا بربط يسوع وقدموه في رواق سليمان إلى حنان وقيافا، ثم اقتادوه إلى صهيون إلى مكان كان اسمه Lithostortos (دار رئيس الكهنة)، وهو مكان مايزال حتى الوقت الحالي يحمل هذا الاسم نفسه خارج باب الكنيسة.

ثم إنهم اقتادوه إلى الجمجمة، وذلك بعد كثير من السخرية، وهناك جرى صلبه بين لصين.

وفي ميدان التجار، هناك كنيسة اسمها «اللاتينية»، وسبب ذلك أن اللاتين كانوا قد تملكوها منذ أيام الرسل، وهذا هو المكان الذي بكت فيه أم الرب على ابنها بعد آلام المسيح، ومثلها فعل الحواري فبكى معلمه.

وتحت موضع الجمجمة إلى اليمين، وأنت داخل إلى الكنيسة، هناك بيعة، وذلك حيث قيل بأن المريمات الثلاث بكين من أجله، عندما كان يتألم على الصليب، وليس بعيداً عن هناك دفن يوسف يسوعاً.

وفي عشية عيد الفصح من كل عام، حيث يستعد كثير من الناس لها، يجري تكريم ضريح الرب بالنار التي تشتعل بشكل رباني، وفي المكان القائم بين الضريح، وموضع الآلام، ظهرت مريم المجدلية ليسوع.

وفي المكان الذي اسمه السجن، انتظر يسوع، أثناء اعداد الصليب من أجله.

وعلى مسافة ثمانية أميال من القدس، هناك يثروبولس Eutheropolis, أي عمواس، فهناك ظهر لاثنين من حوارييه كانا يسيران على الطريق، وفي جبل صهيون ظهر لحوارييه عندما كان توما غائباً، وبعد ذلك أيضاً عندما كان حاضراً.

ومن على جبل الزيتون صعد الى الأب، وهناك جسد بلجيا المباركة مدفون.

وفي جبل صهيون ماتت مريم المباركة، ومن هناك حملت إلى شعفاط من قبل الرسل،وفي جبل صهيون نزلت الروح القدس على الحواريين،وفي جبل صهيون،يقال بأن داود وسليمان،وملوك القدس الآخرين قد دفنوا، وأمام الباب الغربي للقدس، جرى رجم اسطفان المبارك، ومن هناك نقل الى صهيون، ودفن مع نيقوديموس Nicodemus, وبين القدس وشعفاط هناك كنيسة، قالوا بأنها بنيت حيث جلس شاول، عندما قاموا برجم اسطفان.

وليس بعيداً عن القدس هناك كهف، إليه نقل أسد — بناء على أمر من الرب— في ليلة واحدة، اثني عشر ألف شهيد، كانوا قد قتلوا من قبل خسرو (كسرى).

وعلى بعد ميلين هناك الموضع الذي نمت فيه شجرة صليب الرب.

وليس بعيداً عن موضع الجمجمة، يوجد المكان، الذي فيه تم العثور على الصليب.

وكانت هيلانة بعدما فتشت بدقة موضع الجمجة، تسببت بتنظيف الموقع، وحطمت تمثال فينوس، الذي وضعه هادريان هناك لإهانة المسيحيين.

وجبل الزيتون هو متصل بجبل العدوان، حيث أغوي الملك سليمان من قبل نسائه على عمل تمثال لكموش ومولوك.

وعلى بعد ثلاثة أميال من القدس هناك عناتا، التي جاء منها ارميا العناتي.

وعلى بعد مسافة ميل من القدس، وعلى الطريق نحو جاجا، هناك مكان اسمه سكوبولوس Scopulus, حيث خرج سبط لاوي لمواجهة الاسكندر.

وعلى بعد خمسة أميال إلى الجنوب من القدس، توجد البلدة، التي زارت فيها مريم اليزابث وسلمت عليها، وهناك —كما قيل— ولد جون.

وعلى مسافة ميلين من القدس، على الطريق الذي يقود إلى نابلس، هناك جبل جبعة، ومدينة فنحاص حيث يقال بأنه دفن هناك [المتداول هو أن القبر في عورتا إلى الجنوب من نابلس، وجبعة هي تل عاصور].

وعلى بعد ميل إلى الجنوب من عمواس هناك جباتا، حيث حبقوق مدفون.

ومن جبعة صار شاؤول ملكاً في الجلجال، في جبعة جرى اغتصاب زوجة أحد اللاويين.

وبين القدس وعسقلان، قرب بيت شمس، هناك ابن— عزير Eben- ezer, وهو المكان الذي استولى فيه الفلسطينيون على تابوت الرب، (لعل الموقع هودير أبان إلى الشرق من عين شمس)، وبيت-هورون Beth- Horon موجود في ديار أبناء يوسف، وهي المدينة التي إليها هزم يوشع القبائل، وهناك بيتان تحت اسم بيت هورون، هما بيت هورون الفوقا،وبيت هورون التحتا، وقد بنى سليمان الفوقا، أما التحتا فقد أعطيت إلى اللاويين ليتملكوها.

وفي منطقة بيت هورون ولد النبي يوئيل، وكذلك دفن.

وعلى بعد سبعة أميال من القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى نابلس، هناك جبعون، التي جاء منها الجبعونيون، وهناك جبعون أخرى قرب راماوريمون، وذلك حيث كان سليمان قد نال النبوءة الربانية، وحيث كان يوشع بن نون يقاتل، فتوقفت الشمس، كما يقال.

وفي المنطقة التلية للخليل يوجد موقع زيف (تل زيف)، الذي يعرف أيضاً باسم الكرمل، فهناك كانت قرية نابال الكرملي، والكرمل هذه هي التي طلب فيها داود أرغفة وطعاماً لرجاله من نابال، وكان ذلك عندما هرب من وجه شاؤول، وقابلت أبيجايل داود عندما كان مغادراً للكرمل، وتمكنت من تهدئته بوساطة هدايا سخية، وبعد وفاة نابال اتخذها داود زوجة له.

وهناك زيف أخرى، التي منها جاء الزيفيون، وفي الصحراء العائدة لهذه القرية، اختبأ داود من أمام شاؤول، وزاره يوناثان، وهنا أيضاً المكان حيث استولى داود على كأس شاؤول ورمحه.

وعلى مسافة ثمانية أميال من عمواس، على الطريق الذي يقود إلى الخليل، توجد مدينة كيلا (خربة كيلا) حيث اختبأ داود في إحدى المرات.

وعلى مسافة تسعة أميال من القدس، على الطريق الذي يقود إلى الرملة، يوجد جبل مودين، التي جاء منها ماتياس أبو المكابيين، ولقد كانت هذه في يوم من الأيام مدينة لاترام تقريباً، ومن الممكن رؤية بحرين من هناك، هما: البحر الكبير، والبحر الميت، وفي مودين يرقد ماتياس مع أولاده الأربعة وحفيديه، تحت سبعة اهرامات ماتزال موجودة حتى الآن.

وعلى الطريق النازل من القدس إلى أريحا تقوم أدوميم، وهي تعرف

الآن باسم الصهريج الأحمر (الخان الأحمر)، وقد أتى الرب على ذكر هذا المكان، عندما وصف الرجل الذي وقع بين اللصوص.

وعلى بعد ثلاثة عشر ميلاً من القدس هناك أريحا، وقد انقسم نهر الأردن عند وصول إيليا واليشع، فعندما جرى اعتقال إيليا، رمى رداءه إلى اليشع، وهو الآن محفوظ بالقسطنطينية بمثابة كنز ثمين.

وعندما كان يسوع يسير خلال أريحا، تسلق زكا على شجرة جميز.

وكان في أريحا، في أيام القديس سابا بيتاً للمضافة، فيه كثيراً من المحبة قد أبديت، وكان هو على رأسه، وحدث أنه كان لديه ضيف صديق اسمه توما من مدينة مادبا، وقد أكل الرجلان مع بعضهما وأكل معهما أيضاً الرجلان المقدسان كثيراً: بولص، وثيودور، ووقتها جرى إخبار المبارك سابا أنه ليس لديهم خمرة، ولاأي مشروب مهما كان، باستثناء قليل من مرق الحنظل، الذي فيه يطبخون الخضار من أجل الوجبة، وجلب ذلك السائل إلى أمام سابا، وعندما باركه، تحول إلى خمرة، وكانت كمية وافرة إلى حد أنها كانت كافية إلى جميع الذين كانوا في المضافة، للأيام الثلاثة التالية، وعندما عاد ضيوفه إلى وطنهم أعطى الخمرة إلى توما وأصحابه، واحتفظ ببعضها للذين كانوا مرضى لشفائهم بها عندما يدهنون بها.

وفي أريحا جلس رجل أعمى على الطريق، وقد استحق الشفاء من قبل الرب.

وعند الصوة الثانية من أريحا، هناك المكان الذي صام فيه يسوع أربعين يوماً وأربعين ليلة، وهو مكان يعرف الآن باسم الأربعين (خلف عين السلطان)، وذلك حيث أغواه الشيطان، وقال له: «قل لهذه الحجارة حتى تصبح خبزاً».

وعلى بعد ميلين من الأربعين، باتجاه الجليل هناك جبل مرتفع، من

فوقه مكن الشيطان يسوعاً من رؤية جميع ممالك العالم.

وتحت الأربعين هناك مجرى النبع الذي كـان مـراً، لكن اليشع جعله عذباً، بصب الملح فيه.

وعلى بعـد عشرين ميلاً من القـدس، هناك اللد، التي هي ديوبولس، ومعنى ذلك المدينة المزدوجة.

وفي منطقـة ديوبولس توجد تمنـه، التي كانت فيها مضى قـرية كبيرة، فهناك جـز يهوذا صـوف غنمـه،عندمـا اضطجع مع تامـار، على مفـرق الطرق (وذلك على بعد ميل من تمنه) وقد ولدت له: فارص، ورازح.

وعلى مسافـة أربعة أميال من ديوبولس، هناك أرمـاثا، أي راماثيم— زوفيم، وهي مدينة: القـانه، وصموئيل، وقـد ذكر الانجيل هذا المكان، على أنه المكان الذي دفن فيه يوسف.

والأربطة التي أخذها يوسـف هذا نفسه عندما أنزل يسـوعاً من على الصليب، قـد أخـذهم حـاليـاً أسقف بيت لحم، وحملهم إلى بيت لحم، وكــذلك واحــد من مســامير الرب، ذلك أن اثنين من هذه المســامير محفوظين في بيعة ملك القدس.

وعلى بعد ميلين من ديوبـولس باتجاه البحر، توجد قـرية باث، حيث نحت نيقوديموس صورة خشبية لوجه الرب، هي موضع اكرام في لوكا Lucca في ايطاليا.

وعلى مسافـة ميلين من ديوبولس باتجاه البحر، توجد يافـا، التي فيها أعـاد بطرس طابيتـا إلى الحيـاة، وحيث ظهـرت الملاءة لبطرس [أعمال الرسل: ١٠/ ١١]، ويشــار إلى صخــرة هنـاك، عليهـا أثار أغــلال أندروميدا.

وعلى مسافة ستة أميال من يافا هناك أرسوف، التي بناها سليمان.

وعلى بعد عشرين ميلاً إلى الشرق من أرسوف، توجد دور (خطأ دور هي الطنطورة قرب حيفا)، وهذه هي المدينة التي سماها هيرود قيسارية، تشريفاً منه لأغسطس قيصر، فهناك بني ميناء من الرخام الأبيض، وهناك عمد بطرس كورنيليوس، وحول بيته إلى كنيسة، ورسمه أسقفاً، وهناك أيضاً مدفون أربعة عذراوات كن نبيات، وقد قيل كان في قيسارية هذه يوسبيوس الأستاذ، أسقفاً، وفي قيسارية كان فيما مضى برج ستراتو، فهناك فى هذا المكان جلس هيرود مرتدياً أثوابه الأرجوانية، فضرب بانتقام رباني ومات.

وفي أيام المسلمين كانت قيسارية مزدهرة إلى حد أنها أصبحت جنة بين بابل وبابليون (أي مابين بغداد في بلاد فارس وممفيس في مصر)، وهناك جرى دفن رجال نبلاء وأقوياء، وفي جميع المناطق حول المدينة، يوجد في الحدائق حجارة صغيرة لها فتحات، من أجل المزج مع وقود النار والبخور، وعندما كان يحمله الهواء، تصبح رائحة المدينة كلها طيبة، وبذلك كان يجري طرد الروائح السيئة، ويصبح المواطنون مبتهجة قلوبهم، لكن الآن كل هذه الأشياء قد دمرت تدميراً كاملاً.

ويوجد في الأنهار حول قيسارية تماسيح، التي هي ثعابين مرعبة، ولايشبه فم التمساح أي فم، لأن الفك العلوي متحرك، لكن الجزء السفلي يبقى ثابتاً، وليس للتمساح مخرج سفلي، وعندما يمتلىء التمساح بالطعام ينام على ضفة النهر، ويقصد مكان استراحته المعتاد، ثم إنه يرتاح على قدميه، ورقبته ممتدة، وينام وفمه مفتوح ليتمكن من التنفس، وعندما يصبح التمساح نائماً، تزحف بعض الديدان فوقه، وتدخل إلى أمعائه، وتتغذى على طعام التمساح، وتعمل إحدى الديدان بمثابة بواب للبقية، وحارس، لأنه يخشى أن يستيقظ التمساح، ويحبسهم في الداخل، وهكذا فإنه يلسع ثم يلسع ثانية العرق الأسفل في الفك العلوي، وبذلك يجري خداع التمساح من قبل الحيوانات.

ويكره التمساح الإنسان أكثر من كراهيته لأي مخلوق آخر، لكن هناك ثعبان آخر (ابن عرس) اسمه ثعبان الماء، يحب الإنسان أكثر من جميع المخلوقات، وهو يكره التمساح، والتمساح يكرهه، ولذلك يسعى كل واحد منهما على الدوام لاصطياد الآخر، ويخفي ثعبان الماء نفسه في الوحل، ثم يدخل إلى جوف التمساح، لأنه أثناء قيام التمساح بصيد الأسماك، يبتلع سمكتين أو ثلاثة من دون أن يلاحظ، ويقوم ثعبان الماء أثناء وجوده في السجن المغلق عليه، فيسبب الاضطراب في الأجزاء الداخلية للتمساح، ويدمر الكبد، ويجرح القلب، ثم يحدث فتحة في جنبه، ويخرج من هناك وقد مات عدوه.

وسوف أتحدث باختصار عن كيفية حصول التماسيح في قيسارية، وكيف جاءوا إليها، فقد كان هناك في الأيام الخالية أخوان حكما بسلطة متساوية، ولأن الأخ الكبير لم ينفرد لوحده بالسلطة أعدّ فخاً لأخيه، الذي كان معروفاً باصابته بالجذام، وخطط لإحضار زوجين من التماسيح من النيل، ووضعهم في هذه الأنهار، فبذلك يمكن لأخيه (الذي اعتاد في فصل الصيف الاستحمام في النهر) أن يموت، وبالتالي سوف يحكم لوحده، وفي الحقيقة كان هذا ماحدث، وصار الأخ الأكبر الملك لوحده.

وعلى مسافة عشرة أميال إلى الشرق من قيسارية، توجد أسخريط، التي جاء منها يهوذا الخائن، الذي أطلق عليه اسم الأسخريوطي.

وعلى بعد ستة أميال من أسخريط هناك بورفيريوم Porphyrium, عند سفح الكرمل، وهي قد كانت فيما مضى مدينة ممتازة.

وجبل الكرمل هو المكان الذي تحدث فيه ايلياء مع اليشع لمدة طويلة، وحيث قام بحضور أربعمائة وأربعين كاهناً من كهنة بعل، بتقديم أضحية للرب، وأعطيت إليه نار من السماء، وجرى اعتقال

الكهنة، ومـن ثم جـــرى نقلهم وهم أسرى مـن هناك عبر قيشـــون، وأعدموا بالسيف، وهرب إيلياء من جزبل Jezbel, ووصل من هناك إلى حوريب، وحوريب هو جبل واقع إلى جانب جبل سيناء.

وعلى مسـافة ثلاثة أميـال من الكرمل هناك جبل قاين (تل قيمـون)، وعند نبع واقع عند سفحـه قتل لامخ أخاه قـاين بسهم، وقتل بقوسـه قائده.

وعلى بعد عشرة أميـال من جبل قاين توجد عكـا، التي عرفت باسم بيطولومي من اسم الملك بطليموس الذي أسسها، ويصل إلى هذا الميناء العـدد الأكبر من السفن المسيحيـة، وذلـك أكثـر مما يصل إلى أي مكان آخر، على السـاحل بين عسقلان وجبل طوروس، وهكذا يصل إلى هذا الميناء، وتتجمع البضائع الضرورية للحياة من أفـريقيا، وأوروبا، وآسيا، وهذا هو المكان الـذي يظهـر فيـه نبع في شهـر آب من كـل عـام، على شـاطىء البحـر، في نقطة ليسـت بعيـدة عن الأسـوار الشرقيـة، وتسيل الجداول إلى البحر، ويتحرر الشخص الذي يشرب من هذه الجداول من الإمسـاك إذا مـارغب بذلك، ولهذا السبب يتجمـع خلق كثير في هذه البقعة، ممن يسكنون فيها بين الفرات والنيل.

وعلى بعـد سـتـة عشر ميلاً مـن عكا، تقع صـور، التي عـرفت في العصـور الخاليـة باسم سرّا Sarra صـدوراً عــــن اسم نوع من الأسماك مـوجـود بوفـرة هناك، ويطلق السـوريون على هذا السمك، بلغتهم الخاصـة اسم «سر» Sar ومن هنا جـــاء أصل اسم هذا السمك «سرّي» Sarrae أو سردين، ويطلـق العبرانيـــون على مدينة تير Tyre اسم «صور»، والاسم الشـائع الآن لدى الجميع هو «صور»، وقد أسس الفينيقيون مدينـة صور، عندما جاءوا من البحر الأحمر.

وعلى بعد أربعة عشر ميلاً عن صور، تقع مدينة صيدا، وأسس صيدا صيدون، الابن الأول لكنعان بن حام، ومنه جاء الصيداويون، أو الصيداوي، وحكم في صور وصيدا فونكس Phoenix, أخو كثموس (قدموس) المصري الطيبي، وكان ذلك عندما جاء إلى سورية، ومنه ومن اسمه صار الناس يدعون باسم «الفينيقيين»، وكذلك جميع منطقة فينيقيا، وقد احتلت صور المكان الرئيسي فيها، وحكم حيرام في صور، عندما كان سليمان ملكاً في القدس، ولم ترغب صور باستقبال المسيح، عندما سار على طول الساحل، فهذا مايقوله السوريون ويعلنونه، ولكن بعدما قام يسوع من الموت، استقبلت بولص، حيث بشر بالشريعة وبالانجيل باسمه، ثم إن بولص ركع بعد ذلك على الرمل وصلى من أجل أن تقوم رحمة المسيح بتمتينها في إيمانها.

وليس بعيداً عن صور هناك الصخرة التي يقولون بأن يسوعاً قد جلس عليها، وهي التي بقيت من دون التعرض للأذى وسليمة من زمانه حتى جرى طرد المسلمين من المدينة، ولكن فيما بعد جرت سرقتها من قبل الفرنجة وكذلك من قبل البنادقة، وفي المكان الموجودة فيها، وفوق بقاياها، قد بدأ الآن العمل ببناء كنيسة، جرى تكريسها إلى المخلص.

وقدمت صور —حسبما حدثنا بيد Bede المبجل— كثيراً من الشهداء للرب، لم يستطع بعلمه أن يحصيهم، فالرب وحده فقط هو الذي يستطيع تعدادهم، وفي صور اختبأ أورجين Origen وفيها دفن.

وهاجم الاسكندر الكبير صور، ووصل سورها بالبر، وهو السور الذي يحميها هذه الأيام من جهة البحر.

وقام البطريرك وورموند، صاحب الذكرى المباركة، بفضل نعمة

الرب، وبإذن منه، في أيامنا بحصار صور بشجاعة، والاستيلاء عليها، بمساعدة البنادقة، براً وبحراً.

ومن منطقة صور وصيدا، خرجت المرأة الكنعانية، وجاءت إلى يسوع وقالت له: «ارحمني يابن داوداً، ولدى التجول في تلك المنطقة، وخلال وسط حدود من الديكابولس (المدن العشرة) حتى الجليل، أعاد السمع إلى الرجل الأعمى، والكلام إلى الأخرس.

وعلى بعد ستة أميال من صيدا، على شاطىء البحر، باتجاه صور، هناك صرفند الصيداويين، التي إليها جرى ارسال اليشع من قبل الرب إلى الأرملة الصرفندية، حتى تعطيه طعاماً، وحينها مكثا معاً، شبعا بقليل من زيت الزيتون مع قليل من الطحين، وهنا أقام اليشع من الموت ابن الأرملة أماثوس Amathus, أي يونه، وجمعت المرأة قطعتين من الخشب في الصرفند.

وفي جبال صيدا والصرفند، جاث— حافر (المشهد على ثلاثة أميال من الشمال الشرقي للناصرة)، وهي البلدة التي جاء منها يونه.

ومن صيدا جاء ديدو، الذي بنى قرطاج في أفريقيا.

واستولى الفينيقيون على صيدا، واستمروا يسمونها صيدا، بحكم أن صيدا بلغتهم معناها «سمك».

وعلى مسافة ثمانية عشر ميلاً من صيدا، توجد بيروت، وهي مدينة غنية جداً، وكان في بيروت تمثال لمخلصنا، كان نيقوديموس، قد صنعه بيديه، وحدث بعد وقت قصير من آلام المسيح، وللسخرية منه، أن تم استهزاءً من قبل بعض اليهود، صلب التمثال، فأخرج دماً وماء، ولهذا السبب آمن كثيرون بالمسيح وعاد كل واحد من الناس، على كثرتهم، جرى مسحه بنقطة من التمثال، إلى الصحة التامة ثانية.

وعلى بعـد عشرين ميـلاً إلى الشرق من بيروت، هناك بيبلوس، التي هي جبيل، وبالعبريـة غـوبل، فهي كـانت الميناء الـذي نقل منه خشب لبنان، لبناء بيت الرب في القدس، حيث أنه شحن من جبيل إلى يافا.

وعلى مسـافـة عشرين ميـلاً من جبيل باتجاه الشرق توجـد طرابلس، وهي مـدينة سكان المنطقـة وحـاضرتها، وهي محمية بأسـوار جبـارة وبالبحر.

وعلى بعد اثني عشر ميـلاً إلى الشرق من طرابلس ألبانا (أبانا)، الذي هو نهر عرقة، ومن هذا النهر تبدأ مملكة القدس.

والقدس هي المكان الـذي تأصلت فيه ثلاثة أشيـاء: من خلال يهوذا المكابي: الصـلاة العـامـة على الميت، والمنـافع العـامـة، ومن خـلال هركانوس، المشفى العام.

وبُني البرج الذي اسمـه برج داود من قبل هيرود، وعنـدمـا دمـر تيتوس وفسبسيان المدينة تركا هذا البرج قائماً بمثابة علامة على النصر.

والقلعـة التي بناها داود لنفسـه، والتي فيهـا نظم المزامير، هي بين الكنيسـة التـي بنيت الآن (وزينت) على صهيـون، وبين بيت لحم (الأفضل القول: باتجاه بيت لحم)، وذلك على رابية عـالية جداً، وظلت مـوجـودة في هذا الموقع حتى أيام الابن الأصغـر لمتاثيـاس، الذي دمـر القلعـة والرابية، وعندمـا دمـر تيتوس وفسبسيـان المدينة، لم يخليـاها من سكانها فقط، بل جرداها من تابوت العهد، والأشيـاء الموجودة فيه، فقد أخذاهم معهما إلى رومـا، وذلك حسبما هو ظاهر في النقـوش، الموجودة على قـوس النصر، الموجـود بين البـالاديوم Palladium, وتل البالاتاين Palatine, بعد كنيسة القديسة مريم الجديدة.

وأعطيت مفـاتيـح هذا البرج أولاً إلى الدوق غـودفـري من قبل البطريرك ديبرت Daybert, ولذلك هيأ كل مـاكـان بـإمكانه

وقدمه إلى البطريرك مع الألقاب في الكنيسة، وكان غودفري مسروراً أنه امتلك اللقب الأول والمرتبة الأعلى، لكن ليس تحت لقب ملك، بل «عبد الرب».

ونذر بالاضافة إلى ذلك، أنه لو سمحت له العناية الربانية بالاستيلاء على عسقلان، فإنه سوف يعطي جميع موارد القدس، ويضعها في أيدي جنود الرب في الضريح المقدس، وتحت سلطة البطريرك، لكن بعد إكماله العام تقريباً، واجه نهايته، وكان من غير الممكن بالنسبة له تجاوزها، وقد دفن وسط نحيب لايوصف أمام الجلجلة، وذلك حيث جرى صلب ربنا، وعلى قبره كتبت هذه الأبيات الشعرية:

هنا يرقد حاج فرنجي، الذي موضع
صهيون المقدس ابتغى وقصد، ونجم رائع هو
الدوق غودفري. فقد أصبح للمصريين سبب
الخوف، وهزم العرب، وأوقع الفرس بالفخ
وانتخب ملكاً، لكنه لم يختر اسم ملك
وكذلك رفض تاج الملك، لكن تحت المسيح
اختار أن يخدم. وكان همه أن يعيد
مرة أخرى شرائع صهيون إليها نفسها (القدس)
وفي العقيدة الكاثوليكية أن يتبع العقيدة الصحيحة
وأن يراها قد اتبعت من الجميع، وجميع الهرطقات
من حوله جرى تدميرها، وساد الحق والصواب
وهكذا توج مع جميع القديسين في عليين

فخر الجنود، وقوة الشعب، وأمل رجال الدين.

★★★ ★★★ ★★★

وخلفه أخوه بلدوين....

وبلدوين دي بورغ خلفه

وبعد هذا كان فولك المحترم هو الثالث— كونت أوف

أنجو، وأوف سينوماني Cenomani

- ٥ -

مختارات من كتاب حول الأماكن المقدسة
تأليف
بطرس الشماس
(١١٣٧م)

القدس وأماكنها المقدسة:

شيد ضريح الرب، الذي كنا قد تحدثنا عنه من قبل، في وسط الهيكل، والهيكل موجود في مركز المدينة باتجاه الشمال، ليس بعيداً عن باب داود، وخلف القيامة حديقة، فيها تحدثت مريم المقدسة مع الرب، وخلف الكنيسة، وخارجها مركز العالم، وهو المكان الذي عنه قال داود: «أنت عملت خلاصاً في وسط الأرض»، كما وقال نبي آخر: «هذه هي القدس، أنا أقمتها في وسط الأمم».

....وليس بعيداً عن مركز العالم هناك السجن، وهناك جرى وضع الرب في الأغلال، وجلد، وقرب ذلك جرى سلبه، واقتسام ملابسه.

وعلى الجمجمة (أكرا) حيث جرى صلب الرب، هناك صدع بالجبل، ويصعد الإنسان إلى جبل أكرا بوساطة سبع عشرة درجة، وهناك سبعة مصابيح معلقة في ذلك المكان، كل واحد منها له غطاء من الفضة، وتحت هناك الجلجلة إلى حيث سال دم المسيح وسقط على الصدع في الصخرة.

وإلى الشرق، وتحت جبل الجمجمة، هناك هيكل الرب، في جزء آخر من المدينة، وهوالذي بني من قبل سليمان، وهو له أربعة أبواب: الباب الأول موجود على الشرق، والثاني على الغرب، والثالث على الجنوب، والرابع على الشمال، مما يشير إلى الجهات الأربع للعالم، وفي خارجه له ثماني زوايا، والتفاف كل زاوية اثنتي عشرة خطوة، وفي وسط الهيكل

هناك جبل كبير مطوق بالأسوار، فيه كانت موجودة الخيمة، وهناك كان تابوت العهد، الذي بعد تدمير الهيكل، جرى نقله إلى روما من قبل الامبراطور فسبسيان.

وعلى الطرف اليساري من الخيمة، وضع المولى يسوع قدمه، وكان ذلك في مناسبة أخذ سمعان له بين ذراعيه، وماتزال طبعة قدمه موجودة هناك تماماً، وكأنها قد عملت فوق شمع، وعلى الطرف الآخر من الصخرة فتحة الخيمة، التي ينزل إليها الناس بوساطة اثنتين وعشرين درجة، وهناك صلى الرب، وقدم أيضاً زكريا أضحية، وخارج الهيكل، المكان الذي قتل فيه زكريا بن براخيا، وفوق الصخرة، في وسط الهيكل، هناك مصباح ذهبي، يحتوى على دم المسيح، الذي سال من خلال صدع الصخرة.

وليس بعيداً إلى الجنوب، قد بني هيكل سليمان، الذي فيه قد عاش، والذي له خمسة وعشرين باباً، وهناك في داخله ثلاثمائة واثنين وستين عموداً، وليس بعيداً عن هناك، يوجد مهد المسيح وحمامه، وفراش الأم المقدسة للرب، وتحت هيكل الرب ودونه نحو الشرق الباب الجميل، الذي منه جاء الرب داخلاً، وهو جالس على ظهر فلو ابن أتان، وهناك أيضاً شفى بطرس، الرجل الأعرج، وإلى الشمال هناك كنيسة القديسة حنة، وذلك حيث عاشت مريم المباركة لمدة ثلاثة أعوام، وعلى مقربة منها هناك بركة الضأن، التي لها خمس قناطر.

منديل رأس المسيح:

ومنديل الرأس الذي مسح به المسيح وجهه، أو الذي يعرف باسم ورنيقا Veronica, قد جرى حمله إلى روما في أيام القيصر تايبيروس، وكذلك القصب الذي ضرب به رأسه، ونعليه والأربطة التي كان ربط بها، وغرلته، ودمه، فهذا كله محترم في روما.

وادي شعفاط. جبل الزيتون. بيت عنيا:

عبر جدول قـدرون هناك كهف، وفوقـه كنيسة، أقيمت فـوق المكان الذي قام فيه اليهود باعتقال المخلص في يوم الخميس بعد العشاء، وهذا المكان موجود عند رأس وادي شعفاط.

وليس بعيداً عن هناك مكان استشهاد اسطفـان المقدس، وليس أيضاً بعيداً عن ذلك المكان يوجد الموقع الذي صلى عليه الرب، وذلك عندما أخـذ عـرقـه يتسـاقط مثل نقـاط من الدم، وعلى الطريق إلى بيت عنيـا، القرية التي جلبت منها الأتان.

الخليل:

في الخليل قام بيت داود، حيث جـزء منه مازال مـوجوداً حتى الآن، وإلى هذا اليـوم مازال الناس يذهبـون إلى الصلاة في القـاعة التي عـاش فيهـا، وليس بعيداً عن الخليل، أي على مسـافة ثلاثمائـة ياردة، في المكان الذي اسم أبراميري Abramiri, يوجد بيت يعقوب، حيث بنيت كنيسة من دون سقف.

....وأبراميري هو كـرم، فيه الكهف المدفـونة فيـه أجساد أحـد عشر ولداً من أولاد يعقـوب، لأن عظام يوسف دفنـت منفـردة في كنيسـة خـاصـة بهم، وليس بعيـداً عن الخليل قبر أبنير Abner ابن نير Ner.

أريحا. الأردن. البحر الميت:

إذا مارغب إنسـان بالذهاب من القدس إلى الأردن، يمضي نازلاً عبر طريق جبل الزيتـون، ومن جبل الزيتون صعـد المسيح إلى السماء، وكان هناك أنه عمل الصلاة الربانية.

وجبل صهيون هو نحو الجنوب، وهناك ماتت مريم المقدسة، وهناك

تناول الرب العشاء مع حـوارييه، وإلى هناك أيضـاً أرسل الروح القدس إلى حوارييه.

وفي الكنيسـة الموجودة في بيـت لحم، المائدة التي أكلت عليهـا مـريم المقدسـة مع الملوك الثلاثة، الذين جـاءوا يطلبون المسيح ابن الرب، وفي داخل هذه الكنيسة أربعة وستين عموداً، وهناك مدفون الأطفال، الذين قتلهم هيرود، بحثاً عن المسيح وطلباً له.

الجليل:

....جبل حـرمـون، جبل عظيم الارتفـاع، ومن هناك يتوفـر مشهـد يغطي جميع الجليل، وهو مشهـد لانظير لـه بالجمال، لأن السهل الواسع كله هو كروم عنب، وحقول زيتـون، وهناك الحقل الذي أكل فيه الرب مع حـوارييه، ومـازال يمكنك رؤية الصخـرة التي عليها أراح ذراعـه، وليس بعيـداً عن هذا الجبل هناك نبع باركه المخلص، وهو مفيـد للناس المرضى بجميع الأنواع.

وفي قرية نين بيت الأرملة، التي أعيد ابنها إلى الحياة، والذي هو الآن كنيسة، ومكان الدفـن الذي كانوا ذاهبين لتمديده فيـه، مايزال مـوجوداً حتى هذا اليوم.

وفي الناصرة حديقة، اعتاد الرب أن يكون فيها بعد عودته من مصر.

- ٨ -

نقول من رحلة نيقولا أوف بفيرا Veronica من الدانمارك إلى القدس [حوالي عام ١١٤٠م]

ومن هناك، أي من روما، توجد عشرة أميال إلى تيـــ..... ام Ti, am [....] ثم بعـــد ذلك هناك سفـــر يوم إلى فلورنشـــوبورغ Florenciusborg, ثـم يوم آخـــــر إلى سيبران Separan, وهناك يتدفـق نهر غاريليم Garileam, وهو يفصل مملكة روما عن صقليــة، وهنـاك كـامبـانيـا Campania أو بول Pull قائمـة إلى الجنوب الشرقي، وإيطاليا إلى الشمال، ثم إن.... نابورغ [....] naborg على بعـد اثني عشر ميـلاً عن سيبران، ثم من هناك ستـة أميال إلى جبل مونتاكاسين Montakassin, حيث يوجد هناك دير كبير، وسـور دفاعـي يحيط بعشر كنائس، والأهم بين هذه الكنائس كنيسة بندكتيه، لايمكن للنساء أن يدخلنها، وهناك أيضاً كنيسة مارتين، التي بناها بندكت، وهي التي فيهـا اصبع الرسول متى، وذراع الأسقف مـارتين، وكـذلك هنـاك كنيســة أندرو، ومثل ذلك كنائـس: مـريم، واسطفـان، ونيقــولا، ثم إنه من هناك سفـر يـومين إلى كـابا Kapa, وتقع جــــرمــــانـوس— بورغ Germanus- borg بعـــد مونتـاكاسين، وبعد ذلـك هناك سفر يومين إلى بينيفينت Benevent التي هي أكبر مدينة في بول Pull, وإلى الجنوب الغربي من هناك توجد ساليرنيبورغ Salerniborg, حيث يوجد أحسن الأطباء، وتقع سيبونت Sepont عند سفح ميخائيلفول Michialsfiall, التي هي ثلاثة أميـال في العـــرض وعشرة أميـال بالطول، وهي بعيـدة بعض الشيء عن الجبل، وهناك يوجـد كهف ميخـائيل، وقطعـة القماش

الحريري التي أعطاها للمكان، ثم هناك سفر يوم إلى بارل Barl, وبعد ذلك سفر ستة أميال إلى ترون Traon, ومن هناك أربعة أميال إلى بيسينوبورغ Bissenoborg, وبعد ذلك أربعة إلى مالفيتابورغ Malfetaborg, وبعدها أربعة إلى ايفنت Ivent, ثم ستة إلى نيقولا Nicholas في بار Bar, حيث هو مدفون.

وفيما يلي طريق آخر، يتجه أكثر غرباً إلى كابا Kapa: من روما بورغ Romaborg إلى ألبانوبورغ Albanusborg, ومن هنا يسافر الإنسان على طول طريق Flaian [إقرأ: Traian] التي يستغرق السفر من طرف إلى آخر ثلاثة أسابيع، خلال تخوم وغابات، وهي من أعظم المنشئات الإنسانية وأكثرها شهرة، لأن الإنسان يسافر طوال اليوم خلال غابات، وكل خطوة هي خطوة غير ممكنة، إلاّ عبر طريق فلايان Flaian, ثم يصل الإنسان إلى تيرينتيانا Terentiana, وهي التي دمرها الرومان، ولذلك هي الآن صغيرة، ثم يصل إلى فونديانا Fundiana, ومن بعد ذلك إلى غايدا Gaida, وبعد ذلك هناك سفر يومين إلى كابا، ومن ثم يسافر الإنسان إلى بينيفنت، ويتابع من هناك إلى مانوبل Manupl, وبعد ذلك إلى برنديزي، ويوجد في ذلك الخليج فينيار Feneyiar, حيث هناك عرش بطركي، وهناك أيضاً الآثار المقدسة لمرقص ولوقا.

وعلى مسافة قصيرة من دوراكور Duracur تقوم ماريوهوفن Mariohofn, ثم يصل الإنسان إلى فيزغاردز هوفن Visgardzhofn, ومن ثم انكلسن Engilsnes, وبعد ذلك هنالك مسافة قصيرة إلى جزيرة باسينشيا Paciencia أو صقلية، حيث هناك نار بركانية، ومياه تغلي، مثلما هو موجود في آيسلاند

Tceland, ثم يصل الإنسان إلى البلدة التي اسمها مأخوذ من مارتين، وهي موجودة في بلغاريا، وبعد هذا يبحر الإنسان إلى الجزيرة التي اسمها كو Ku، وذلك حيث تلتقي الطرق من بول وميكليغاردر Mikligardr، لكونها واقعة إلى الشمال الغربي من بول، وذلك عبر جزيرة في البحر، ويتابع من كو إلى جزيرة اسمها رودس، ثم على الإنسان الابحار إلى بلاد الاغريق وإلى رودا كاستالي Raudakastali، وبعدها يصل إلى باتيرا Patera، وكان الأسقف نيقولا قد ولد هناك، ومدرسته ماتزال قائمة هناك، ثم يصل إلى ميرابورغ Mireaborg حيث كان أسقفاً، ثم هناك مسافة قصيرة إلى جالاداان Jalandanes في أرض الأتراك، ثم يصل بعد سفر يومين في البحر إلى قبرص Kipr، وهناك يوجد خليج يسميه الشماليون Norsemen أتالسفيورد Atalsfiord، لكن الاغريق يسمونه غولّس Gullus [اقرأ Gulfus= خليج]ساتيلا Satalie، وعلى قبرص توجد بلدة يطلق عليها اسم بفّا Baffa [بافوس]، حيث يوجد هناك حصن الفرنجة Varangians، وهناك كان قد مات ايريكر Eirikr ملك الدانماركيين Danes، الذي كان ابن سوين Sveinn أخو كنوتر Knutr المقدس، وقد أوقف مالاً في لوكا Luka، وبناء عليه يمكن لكل رجل يتكلم بالدانماركية، أن يشرب خمرة من دون مقابل بكمية كافية، وقد بني مشفى على بعد مسافة ثمانية أميال من بلازينزوبورغ Plazinzoborg، حيث يقدم الطعام إلى أي واحد، وسمح له البابا باسكال بنقل كرسي رئاسة الأساقفة من ساكسلاند Saxland إلى الدانمارك.

ومن قبرص رحلة يومين في البحر إلى عكا الموجودة في أرض القدس، ثم يصل الإنسان إلى كفر ناحوم، التي كانت تعرف بالعصور

القديمة باسم بولوميدا Polomaida,   ثم إلى قيسارية، ثم يصل إلى يافا، التي عملها بلدوين ملك القدس صليبية، بالتعاون مع ملك النيرويج— الملك سيغورور ماغنوسون -Siguror Magnus, son   وبعد هذا يصل إلى عسقلان القائمة في أراضي المسلمين، وماتزال غير صليبية، وإلى الشرق من عكا صور، ثم صيدا، وبعد ذلك طرابلس، ثم اللاذقية، وهناك خليج نحن نسميه - Anpekio, Fiord   يمتد في قلب الأرض، وهناك في الخليج مدينة أنطاكية، حيث أسس الرسول بطرس كرسي بطركي، وجميع هذه المدن موجودة في سورية، ومنطقة الجليل موجودة في بلاد عكا، وهناك يوجد جبل كبير اسمه الطور، وذلك حيث ظهر موسى وإيليا إلى الرسل، وبعد هذا تأتي الناصرة، حيث جاء الملاك جبرائيل لمقابلة مريم، وحيث عاش المسيح لمدة ثلاثة وعشرين عاماً، ثم تأتي قرية اسمها هناك غيلين Gilin,   وبعدها تأتي Kastali- Iohannis   التي عرفت من قبل باسم السامرة، فهناك تمّ العثور على آثار يوحنا المعمدان، وهناك أيضاً بئر يعقوب، الذي منه، طلب المسيح، من امرأة، أن تعطيه شربة ماء، ثم تأتي بعد ذلك نابلس، ثم بعد ذلك Maria Maka.

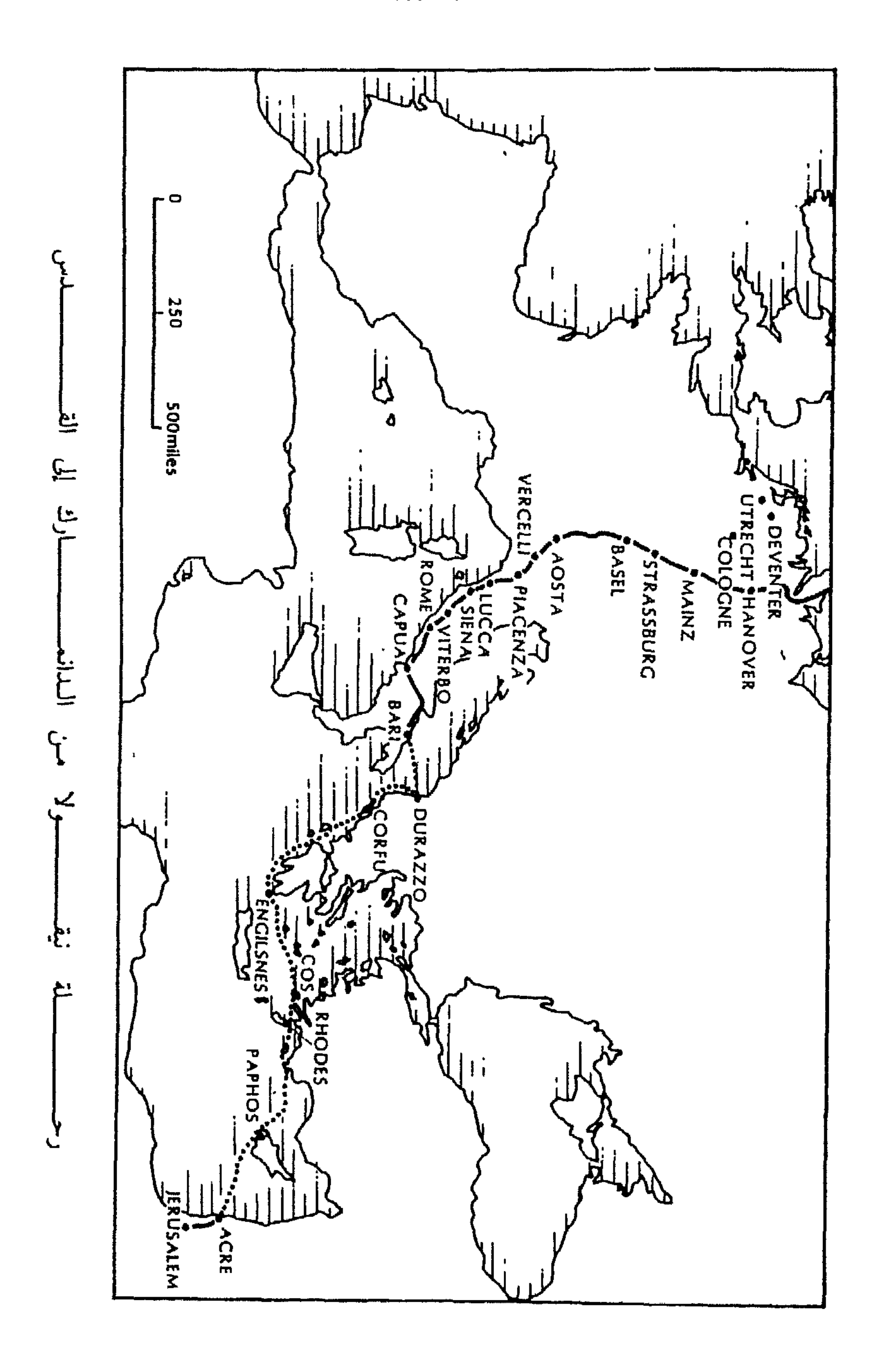
ثم يصل المرء إلى مدينة القدس، التي هي الأعظم بين جميع مدن العالم، وهي مشهورة في الأغاني في كل مكان في العالم المسيحي، بسبب أن العلامات الرائعة لآلام المسيح ماتزال مشاهدة هناك، ويوجد هناك الكنيسة التي فيها ضريح الرب، والمكان الذي وقف فيه صليب الرب، وذلك أنه يمكن للإنسان أن يرى بوضوح دم المسيح على الصخرة، وكأنه سال حديثاً، وهكذا سوف يبقى حتى يوم القيامة، ويتلقى الناس الضوء نازلاً من السماء، عشية عيد الفصح، وهذه الكنيسة، تعرف باسم كنيسة الضريح المقدس، وهي مفتوحة فوق الضريح، ومركز الأرض موجود هناك، حيث تشع الشمس مباشرة من السماء في يوم عيد

القديس يوحنا، وهناك يوجد مشفى يوحنا المعمدان، وهذا المشفى هو الأفخم في العالم كله، ثم هناك برج داود، وفي القدس يوجد هيكل الرب، وهيكل سليمان.

وإلى الجنوب الغربي من القدس هناك جبل اسمه جبل صهيون، فإلى هناك نزل الروح القدس على الرسل، وأكل المسيح هناك عشية خميس العهد، والمنضدة التي أكل عليها ماتزال قائمة هناك، وعلى بعد أربعة أميال باتجاه الجنوب، تقوم بيت لحم، وهي بلدة صغيرة وجميلة، فهناك كان المسيح قد ولد، وعلى بعد قليل عن القدس قرية بيت عنيا، حيث أقام المسيح، لعازر من الموت، وإلى الجنوب الشرقي لمدينة القدس توجد بحيرة اسمها البحر الميت، فهناك أغرق الرب مدينتين هما: سدوم، على الطرف الأقصى، وعموره على هذا الجانب، ويصب الأردن هناك لكنه لايمتزج مع مياه البحيرة، لأنه ماء مقدس كثيراً، وإلى الشرق من المدينة هناك جبل، يدعى جبل الزيتون، حيث من عليه صعد المسيح إلى السماء، ويوجد بين جبل الزيتون والقدس الوادي الذي يعرف باسم وادي شعفاط، حيث يوجد هناك قبر الملكة مريم، ثم هناك مسافة طويلة إلى الأربعين، حيث صام الرب، وحيث أغواه الشيطان، ويوجد هناك قرية ابراهيم، كما وقائم هناك أريحا، ويوجد هناك أيضاً بلدة ابراهيم، ثم هناك مسافة قصيرة إلى الأردن، حيث تعمد المسيح، فهو هناك يجري من الشمال الشرقي، إلى الجنوب الغربي، ويوجد فيما وراء النهر Rabitaland, هذا وإن أرض القدس التي يسمونها أرض سورية موجودة على هذا الجانب، ويوجد على ضفة النهر بيعة صغيرة، حيث خلع المسيح ملابسه، وهكذا بقيت هذه البيعة بعد زمان طويل شاهداً على البقعة، وخارج الأردن إذا ماستلقى الإنسان على ظهره فوق أرض مستوية، ثم رفع ركبته بقبضة يده على الرأس، ثم رفع ابهامه من رسغه، من الممكن وقتها رؤية نجم القطب فوق عالياً، لكن ليس عالياً جداً.

وفي العـــودة إلى الوطن من عند الأردن، هناك سفـــر خمســـة أيام إلى عكا، وبعد ذلك سفر أربعـــة عشر يوماً بالبحر من هناك إلى بول Pull, وهي مسافة ١٨٠٠ من الأميال، وبعـد ذلك سفر أربعة عشر يوماً على الأقـدام من باري Bar إلى مـدينة رومـا، ثم سفـر ستـة أســابيع قصيرة من الجنوب إلى مونديا Mundia, ثم بعد ذلك سفر ثلاثة أشهر باتجاه الشمال إلى هيدابور Heidaboer, لكن بالسفر أكثر شرقاً [إقرأ: غرباً] فإن ايلاين— فيغر Ilians- Vegr, تحتاج إلى تسعة أسـابيع سفر حتى يصل الإنسان إليها، ثم سفـر سبعة أيام من هيـــدابور إلى فيبيـــورغ Vebiorg, ثم هناك نهر سكـــــــودوبورغ Scoduborg, مـوجود في منتصف الطريق بينهما، ومن فيبيـــورغ سفر يومين إلى ألابورغ Alaborg.

وهذا الدليل مع قـائمـة المدن، وجميع هذه المعلومـات قـد كتبت بناء على إمـلاء راعي الدير نيقـولا، الذي كان حكيماً ومشهـوراً، مبـارك مع ذكرى صـالحة، وعالماً بكثير مـن الأشياء، وعاقـلاً وصادقـاً، وهنا أنهى روايته.



رحلة نيقولا من الدانمارك إلى القدس

- ٩ -

دليل آيسلاندي

(حوالي عام ١١٥٠م)

على الجانب الجنوبي لتلك الكنيسة القائمة فوق موقع الجمجمة (أكرا) باب، وعندما يدخل الإنسان، يوجد على الجانب الأيمن بيعة، حيث تقاطر الدم وسال من صليب الرب، وهناك يمكن للإنسان أن يشاهد الدم، وشرقي البيعة هناك صخرة، وعلى الجانب الشمالي من الصخرة هناك سلم حلزوني فيه تسع عشرة درجة، من أجل الصعود إلى الصخرة، ثم بعد ذلك على مسافة قامة نحو الشرق، المكان الذي وقف فيه الصليب، عندما جرى تعذيب الرب، وتوجد فتحة في الصخرة هناك، ومن هناك تقاطر الدم الى موضع البيعة، وإلى الجنوب منها، على مسافة قامة واحدة إلى الفتحة في الصخرة، وذلك حيث تصدعت الصخرة، وكان ذلك عندما أبعد الرب عن نفسه خشبة الصليب، التي صلب عليها فيما بعد، وإلى الجنوب من هناك، في مواجهة الجدار، هناك مذبح القديس سمعان، حيث الرسالة التي كتبت بأحرف ذهبية جاءت من عليين★، والى غربي باب الكنيسة هناك بيعة خارج الجدار، وهناك موجودة يد آناستاسيا★★ المقدسة، وهي غير مهترئة إلى جانب المذبح، وإلى جانب المذبح في وسط الهيكل تقوم كنيسة Pulcro فوق

★— الاشارة هنا إلى ما عرف باسم الرسالة السماوية، أو رسالة الأحد، وهي كانت مشهورة في العصور الوسطى، في العالم المسيحي، بنصوص مختلفة، والجميع متفقون على الادعاء أنها من المسيح نفسه، لكن هناك من قال بأنها كتبت بدم المسيح، بعصا ذهبية، أو من قبل واحد من الملائكة، والنصوص مختلفة أيضاً في تسمية المكان الذي نزلت عليه أرضاً، وهي دوماً كانت موجودة في المعابد الرئيسية للعالم المسيحي.

★★— من الواضح أن هناك سوء فهم لكلمة القديس أناستاسيا، ذلك أن معنى هذه الكلمة بالاغريقية «كنيسة القيامة»، أما بالنسبة ليد القديس غير المهترئة، فلربما في ذلك اشارة إلى بعض الآثار المقدسة التي كانت محفوظة في كنيسة القديسة مريم للاتين.

مذبح الرب، وجميع الأبراج مذهبة، وينبغي على الانسان أن يدخلها من الشرق، ومن ثم توجد مسافة قامة واحدة إلى الصخرة التي دحرجت من مدخل الضريح، ومن الممكن للإنسان أن يمشي حولها، وعلى بعد قامة واحدة إلى الغرب، توجد الصخرة التي فيها ضريح الرب، وعندما يدخل الإنسان إلى الضريح، يجد تابوتاً من الحجر على الجهة اليمنى، عليه حجارة رخامية، ويمضي الإنسان نحو الجنوب خارجاً من كنيسة Pulkro, والهيكل مفتوح من الأعلى فوق الكنيسة هناك، وإذا ماكانت المدينة تحت سيطرة المسيحيين، فإن الضوء ينزل من عليين، عشية عيد الفصح، على المصابيح الواقفة هناك أمامه، وهناك يقوم، مع بداية كل صباح، الذين يطبقون القداسات السريانية وجميع طقوسها، بالغناء بأماديح الرب، وإلى الشمال من كنيسة Pulkro, هناك بيعة موجودة على جدار الهيكل، حيث مايزال هناك سلسلة حديدية، وهي التي غلّ بها ربنا، وإلى الشرق من كنيسة Pulkro, وعلى بعد أربع قامات توجد السدة الخارجية، وهي مبنية من الحجارة، ويوجد في السدة مذبح مرتفع، وباب إلى الجانب الغربي، حيث يمكن للإنسان أن يسير طوال الطريق من حول ذلك، ومن زاوية تلك السدة، التي تواجه الجنوب الشرقي، يوجد إحدى عشرة درجة مضاف إلى ذلك عشرين درجة إلى الجنوب من أجل النزول إلى الأرض، حيث توجد بيعة، في المكان الذي عثر فيه على صليب الرب، والصلبان هناك مرسومة على الأرض، على ألواح رخامية، على شكل الصلبان وهي ممددة، وإلى الجنوب من السدة، هناك بيعة قائمة في الجدار الجنوبي، إلى الشرق من الصخرة التي عليها تعذب، وقائم هناك عمود، إليه ربط، وهناك جرى ضربه قبل تعذيبه وصلبه، وفي السدة الموجودة خلف المذبح العالي، هناك مقعد عليه —يقول الناس— جلس الرب، عندما وضع تاج الشوك على رأسه، وضغط عليه قبل أن يصلب، وهناك أبواب إلى الهيكل على كل من جهتي الشرق والغرب، وإلى الغرب من الهيكل هناك بيعة فيها مدفون القديس كاريتاس Karitas

[اقرأ: شارتون Chariton]   سليم غير مهترىء.

وهيكل الرب قائم في موقع مرتفع باتجاه الشرق أكثر منه باتجاه مركز مدينة القدس، وتقف في وسط الهيكل صخرة ارتفاعها قامة، وعرضها كثيراً من القامات، فإلى هناك يقول الناس بأن ابراهيم جلب ابنه اسحق ليضحي به للرب، ويوجد هناك طوق حديدي موضوع حول الصخرة، ويوجد داخل الهيكل أعمدة من الحجارة من كلا اللونين الأبيض والأسود، والأحمر، والأزرق، والأخضر، وإلى الشرق من القدس يوجد جبل الزيتون، وعلى هذا الجبل، حيث أعلى نقطة فيه، هناك تقوم كنيسة ميكائيل(كنيسة الصعود)، حيث فيها تقوم صخرة عالية، عليها موجودة الحجرة التي عليها خطا الرب عندما صعد الى السماء، ومن الممكن للإنسان أن يشاهد طبعة قدمه اليسرى، وطولها أربعة عشر إنشاً، وكأنه قد خطا حافياً فوق صلصال، ويوجد بين الجبل والقدس جبل شعفاط، فهناك توجد كنيسة مريم، وعلى الجانب الجنوبي منها يوجد باب، مضاف إليه أربعين درجة للنزول عليها إلى الأسفل إلى أرض الكنيسة، ويقوم في الجزء الآخر من الكنيسة مذبح، وبعده على مسافة قصيرة هناك ناووس مريم، وفوقه غطاء حجري، ويوجد هناك دير مريم، وإلى الشمال من الكنيسة يوجد البيت الذي اعتقل فيه اليهود الرب، ويمكن للانسان أن يشاهد طبعات أصابعه على الصخرة التي ضربها بيديه، عندما قفز الرجال الأشرار عليه، وفي الجنوب، عند سفح جبل الزيتون توجد قلعة بيت عنيا، حيث هناك دير للراهبات، وعلى مقربة من تلك الكنيسة ضريح لعازر، ويوجد من القدس مسافة ميلين إلى بيت عنيا، ويوجد من هناك اثني عشر ميلاً إلى قلعة الروضة Rauda*,   ومن هناك ميلين إلى الأردن.

* ـ هذه تسمية آيسلاندية صحيحة لقلعة قامت على منتصف الطريق إلى أريحا، لكن إذا حسبنا عدد الأميال المعطاة فهذا يقودنا إلى قلعة كانت موجودة في أريحا اسمها القرنطينا Quarentena.

- ١٠ -

وصف فلسطين والقدس للشريف الادريسي (١١٥٤)

يعد الشريف الادريسي—أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد عبد الله بن ادريس، من أعظم الجغرافيين العرب في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، ويعد أيضاً بين كبار الرحالة حيث تجول في بلدان المغرب والمشرق، ثم أمضى الشطر الأكبر من حياته في صقلية، وهناك قام بأعمال جغرافية مهمة، منها صنعه لملكها روجر كرة تمثل الأرض من الفضة، وأشهر مؤلفاته الجغرافية كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وبما أن معلوماته عن فلسطين أيام الحروب الصليبية، يمكن تصنيفها مع ما تركه عنها الحجاج من الغرب الكاثوليكي، قمتُ باثبات هذا الذي كتبه، وفي الحقيقة اتبعت الترتيب نفسه للكتاب الذي نقلت عنه نصوصي الجغرافية الحالية، وهو:

Jerusalem Pilgrimage 1099- 1185, by John Wilkinson with Joyce Hill and W.F Ryan, London 1988.

وأما حدود فلسطين وهي أول أحواز الشام وحدودها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح إلى اللجون وعرضها من يافا إلى أريحا مسيرة يومين، وزغر وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وجبال الشراة مضمومة إليها، وهي منها في العمل إلى حدود أيلة.

وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وزغر إلى بيسان وطبرية تسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تنحدر وتجتمع، فيكون منها

نهـر زخار أوله من بحيرة طبرية، فيأخـذ من طبرية وجميع الأنهار تصب إليه مثـل نهر اليرموك والحدُ، وأنهار بيسان ومـا ينصب من كـور مآب، وجبال بيت المقدس، وجبل قبر إبراهيم عليـه السلام، وجميع ما ينصب أيضاً من نابلس فإنه يجتمع الكل منها حتى يقع في بحيرة زغر، وتسمى بحيرة سـادوم وغامـوراء، وهما كانتـا مـدينتين لقوم لوط، فغـرقهما الله تعالى فعـاد مكانهما بحيرة منتنة، وسميت البحيرة الميتة لأن مـا فيها شيء له روح، لاحـوت، ولا دابة، ولا شيء متكون مثل مـايتكون في سـائـر المياه الراكـدة والمتحركـة وماؤها حار كـريه الرائحة، وفيـه سفن صغار يسـافر بها في تلك الناحيـة، وتحمل عليهـا الغلات، وصنوف التمـر من زغر والدارة إلى أريحا، وسـائر أعمال الغـور، وطول هذه البحيرة ستون ميلاً وعرضها اثنا عشر ميلاً.

ومن ريحا إلى زغر يومان.

ومن زغر إلى جبال الشراة ومن جبال الشراة إلى آخر الشراة يومان.

ومن ريحا إلى بيت المقدس مرحلة.

ومن بيت المقدس إلى عمان، والبلقاء، يومان.

[ومن الرملة إلى قيسارية مرحلة كبيرة]

وريحا المذكورة من أجمل بقـاع الغور، وعمتا، وبيسان، وأكثـر غلات بلاد الغور النيلج، وأهله سمر بل هم إلى السواد أقرب.

والجي بلد من بلاد فلسطين صغير ماؤه حار وهواؤه وخيم.

وأما مـدينة بيسان فصغيرة جـداً، وبها نخل كثير وينبت بها السـامان الذي يعمل منه الحصر السامانية، ولا يـوجد نباته البتة إلا بها وليس في سائر الشام شيء منه.

وفلســطين ماؤها من الأمــطار والسيول وأشــجارها قليلـة وديـار

فلسطين حسنة البقاع بل أزكى بلاد الشام، ومدينتا الشام هما الرملة، ثم بيت المقدس.

فأما الرملة فهي مدينة حسنة عامرة، وبها أسواق وتجارات ودخل وخرج، ومنها إلى يافا التي على ساحل البحر الملح نصف يوم.

ومن الرملة إلى قيسارية مرحلة كبيرة.

ونابلس مدينة السامرية، وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام وبها جلس السيد المسيح وطلب من المرأة السامرية الماء ليشرب، وعليه الآن كنيسة حسنة، ويزعم أهل بيت المقدس أن السامرية لا يوجد أحد منهم إلا بهذه المدينة.

وبآخر مدن فلسطين مما يلي الجفار، وطريق مصر، مدينة غزة وبينهما من الأميال ثلاثون ميلاً.

ومن فلسطين إلى مدينة عسقلان مرحلة كبيرة.

وبين عسقلان وغزة نحو من عشرين ميلاً وهي الآن عامرة بأيدي الروم، ومرسى غزة تيدا.

ومن ميماس إلى عسقلان شرقاً عشرون ميلاً.

والعريش مدينة كانت ذات جامعين مفترقة المباني، والغالب على أرضها الرمال، ولها ثمار وجمل فواكه، وهي على مقربة من البحر.

وأيضاً فإن الطريق من الرملة إلى يبنى(نصف مرحلة ،و منها) إلى يزدود في البر مرحلة، ومن يزدود إلى غزة، وقد تقدم ذكرها مرحلة.

ومن غزة إلى مدينة رفح، وهي مدينة صالحة مرحلة، ومنها إلى العريش مرحلة ومن العريش إلى الورادة وهي منزل قرب البحر مرحلة.

ومن الورادة الى الفرما، وهي مدينة على بحر الشام، مجاورة لبحيرة تنيس مرحلة.

وأما مدينة عسقلان فهي مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق، وليس لها من خارجها بساتين، وليس بها شيء من الشجر، واستفتحها صاحب القدس بعساكر الروم من الإفرنج وغيرهم في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وهي الآن بأيديهم، وعسقلان معدودة في أرض فلسطين، ويقابلها في جهة الجنوب ناحيتان جليلتان وهما: جبال، وشراة، فأما جبال فمدينتها تسمى دراب، وشراة أيضاً مدينتها تسمى أذرح، وهما في غاية الخصب وكثرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان وعامة سكانها من قيس.

وكذلك بين جنوب منها وشرق قرية مؤتة، ومنها إلى عمان تمر فيما بين شعبي جبل يقال له الموجب، وهو واد عظيم عميق القعر، ويمر فيما بين هذين الشعبين وليسا بمتباعدين، وذلك يمكن ان يكون بمقدار ما يمكن أن يكلم إنسان إنساناً، وهما واقفان على ضفتي النهر فيسمع بعضهما بعضاً، ينزل فيه السالك ستة أميال ويصعد ستة أميال.

ومن عسقلان الساحلية —المتقدم ذكرها —إلى حصن الماحوز الأول على البحر خمسة وعشرون ميلاً، ويقابله في البرية كوم زنجل، وبيت جبريل، وهما محلان ينزل بهما، ثم إلى الماحوز الثاني خمسة وعشرون ميلاً، ومنها إلى مدينة يافا وهي فرضة بيت المقدس وبينهما مرحلتان خفيفتان.

وبيت المقدس مدينة جليلة قديمة البناء أزلية، وكانت تسمى إيلياء، وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب وهي في ذاتها طويلة وطولها من المغرب إلى المشرق، وفي طرفها الغربي باب المحراب، وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام، وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة، وهو مغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله، ولها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون، ومن جهة الشمال باب يسمى باب عمود الغراب، وإذا دخل

الداخل من باب المحراب وهو الباب الغربي — كما قلناه — يسير نحو المشرق في زقاق شارع إلى الكنيسة العظمى، المعروفة بكنيسة القيامة، ويسميها المسلمون قمامة، وهي الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض ومغاربها، فيدخل من باب في غربها فيجد الداخل نفسه في وسط القبة التي تشتمل على جميع الكنيسة وهي من عجائب الدنيا، والكنيسة أسفل ذلك الباب، ولايمكن أحداً النزول إليها من هذه الجهة، ولها باب في جهة الشمال ينزل منه إلى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة، ويسمى هذا الباب باب شنت مرية، وعند نزول الداخل إلى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة المعظمة ولها بابان وعليها قبة معقودة قد أتقن بنيانها وحصن تشييدها، وأبدع تنميقها، وهذان البابان أحدهما يقابل الشمال، حيث باب شنت مرية، والباب الآخر يقابله من جهة الجنوب، ويسمى باب الصلوبية، وعلى هذا الباب قنبار الكنيسة ، ويقابلها من جهة الشرق كنيسة عظيمة كبيرة جداً، يقدس فيها إفرنج الروم ويقربون.

وفي شرقي هذه الكنيسة منحرفاً بشيء لطيف إلى الجنوب الحبس الذي حبس فيه السيد المسيح، ومكان الصلوبية، وأما القبة الكبيرة فهي قوراء مفتوحة للسماء، وبها دار الأنبياء مصورون، والسيد المسيح، والسيدة مريم والدته، ويوحنا المعمدان، وعلى المقبرة المقدسة من القناديل المعلقة على المكان خاصة ثلاثة قناديل ذهب، وإذا خرجت من هذه الكنيسة العظمى، وقصدت شرقاً ألفيت البيت المقدس الذي بناه سليمان بن داؤود عليه السلام، وكان مسجداً محجوجاً إليه في أيام دولة اليهود، ثم انتزع من أيديهم وأخرجوا عنه إلى مدة الإسلام، فكان معظماً في ملك المسلمين، وهو المسجد المعظم المسمى بالمسجد الأقصى عندهم، وليس في الأرض كلها مسجد على قدره، إلاّ المسجد الجامع الذي بقرطبة من ديار الأندلس، وفيما يذكر أن مسقف جامع قرطبة أكبر من مسقف الجامع الأقصى، وصحن المسجد الأقصى هو في تربيع، وله مائتا باع في عرض

مائة وثمانين باعاً، نصفه مما يلي المحراب مسقف بأقباء صخر على عمد كثيرة صفوفاً، والنصف الثاني صحن لاسقف له، وفي وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة، وهذه القبة مرصعة بالفص المذهب والأعمال الحسنة من بناء خلفاء المسلمين، وفي وسطها الصخرة المسماة بالواقعة، وهو حجر مربع كالدرقة في وسط القبة رأسها الواحد مرتفع عن الأرض مقدار نصف قامة، أو أشف من ذلك، ورأسها الثاني لاصق بالأرض، وطول هذه الصخرة مقارب لعرضها يكون بضعة عشر ذراعاً في مثلها، وينزل من باطنها وأسفلها إلى سرداب كالبيت المظلم طوله عشرة أذرع في عرض خمسة، وارتفاع سمكه يشف على القامة، ولايدخل إلى هذا البيت إلاّ بمصباح يستضاء به، ولهذه القبة أربعة أبواب، والباب الغربي منها يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين، وبالقرب من الباب الشرقي من أبواب هذه القبة الكنيسة المسماة بقدس القدس، وهي لطيفة القدر والقبلي منها يقابله المسقف الذي كان مصلى للمسلمين، فلما استفتحها الروم، وبقي بأيديهم إلى وقت تأليفنا لهذا الكتاب صيروا هذا المسقف من المسجد بيوتاً يسكنها الجيل المعروفون بالداوية، ومعناه خدام بيت الله، ويقابل الباب الشمالي بستان حسن مغروس بأنواع الأشجار، ودائر هذا البستان أعمدة رخام مضفورة بأبدع مايكون من الصنعة، وفي آخر البستان مجلس برسم الغذاء للقسيسين والمدرجين.

وتخرج من هذا المسجد أيضاً شرقاً فتصل إلى باب الرحمة المغلوق، كما قدمنا، وبالقرب من هذا الباب باب آخر مفتوح يعرف بباب الأسباط، عليه الدخول والخروج، وإذا خرجت من باب الأسباط سرت في حدود مقدار رمية سهم فتجد كنيسة كبيرة حسنة جداً على اسم السيدة مريم، ويعرف المكان بالجسمانية، وهناك قبرها يبصر جبل الزيتون، وبينه وبين باب الأسباط نحو ميل.

وفي طريق الصعـــود إلى هذا الجبل كنيســة عظيمــة حسنة متقنة البناء، تسمى كنيسة باتر نصتر [الصلاة الربانية]، وعلى أعلى الجبل كنيسة أخرى حسنة معظمـة وفيهـا رجـال ونسـاء محبـوسـون يبتغـون بذلك أجـر الله سبحـانه، وفي شرقي هذا الجبـل المذكـور منحـرفـاً قليـلاً إلى الجنوب قبر العازر الذي أحياه السيد المسيح، وعلى ميلين من جبل الزيتون القرية التي جلب منهـا الأتان لركوب السيـد المسيح عند دخـوله إلى أورشليم، وهي الآن خراب لاساكن بها.

وعلى قبر العازر يؤخـذ طريق وادي الأردن، وبين وادي الأردن وبيت المقدس مسافـة يوم واحد، ومن قبل أن تصل إلى وادي الأردن مدينة ريحا السـابق ذكـرها، وبينهـا وبين الوادي ثلاثة أميـال، وعلى الوادي المسمى الأردن كنيسـة عظيمة على اسم شنت يوحنا، يسكنهـا رهبان الإغـريقيين، ووادي الأردن يخرج مـن بحيرة طبريـة، ويصـب في بحيرة ســــادوم وغامـوراء، اللتين كانتا مدينتي قـوم لوط فغرقهما الله بذنوب أهلهما، ومما يلي قبلة وادي الأردن برية متصلة.

وأما مـايلي بيت المقدس في ناحية الجنوب، فـإنك إذا خرجت من باب صهيون وسرت مقدار رميـة حجر وجدت كنيسة صهيـون. وهي كنيسة جليلة حصينة، وفيها العلية التي أكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ، وفيه المائدة باقيـة إلى الآن، ولها ميعاد في يوم الخميس، ومن بـاب صهيون تنزل في خندق يعرف بوادي جهنم، وفي طرف الخندق كنيسة على اسم بطرس، وفي هذا الخنـدق عين السلوان، وهي العين التـي أبرأ بها السيـــد المسيح الضرير الأعمى، ولم تكن له قبل ذلك عينان، ومن هذه العين المذكورة إلى الجنوب الحقل الذي يدفن فيه الغـرباء، وهي أرض اشتراها السيد لذلك، وبقربها بيـوت كثيرة منقورة في الصخر، وفيهـا رجال قـد حبسوا أنفسهم فيها عبادة.

وأمـا بيت لحم وهو الموضع الـذي ولد فيـه المسيح فبينه وبين القـدس

ستة أميال، وفي وسط الطريق قبر راحيل أم يوسف، وأم ابن يامين ولدي يعقوب عليهم السلام، وهو قبر عليه اثنا عشر حجراً، و فوقه قبة معقودة بالصخر، وبيت لحم هناك كنيسة حسنة البناء متقنة الوضع، فسيحة مزينة إلى أبعد غاية، حتى إنه ماأبصر في جميع الكنائس مثلها بناء، وهي في وطاء من الأرض، ولها باب من جهة المغرب، وبها من أعمدة الرخام كل مليحة، وفي ركن الهيكل من جهة الشمال المغارة التي ولد بها السيد المسيح، وهي تحت الهيكل، وداخل المغارة المزود الذي وسد به، وإذا خرجت من بيت لحم نظرت في الشرق منه كنيسة الملائكة الذين بشروا الرعاة بولادة السيد المسيح.

ومن بيت لحم إلى مسجد إبراهيم في الجنوب، نحو من ثمانية عشر ميلاً وهي قرية ممدنة، وفي مسجدها قبر إبراهيم، وإسحق، ويعقوب عليهم السلام، وكل قبر من قبورهم تجاه قبر امرأة صاحبه، وهذه المدينة في وهدة بين جبال كثيفة الأشجار، أعني شجر الزيتون، والتين والجميز، وفواكه كثيرة.

وليس بشمال بيت المقدس شيء من البناء، ومن مدينة بيت المقدس شمالاً إلى مدينة نابلس يومان، وكذلك من نابلس إلى الرملة يوم كبير.

ومن بيت المقدس إلى عمان والبلقاء يومان وبعض يوم.

ومن بيت المقدس إلى طبرية تسعون ميلاً، وكذلك من طبرية إلى الرملة ثلاث مراحل، وطبرية مدينة الأردن الكبرى، وهي قصبتها، فمنها إلى صور يومان كبيران، ومنها إلى عقبة أفيق نحو يوم، ومنها إلى بيسان بعض يوم، ومنها إلى عمتا مدينة الغور إلى آخر عمل الأردن، ومنها إلى موضع يعرف بالجميلة يوم.

ومن طبرية إلى عكة يومان خفيفان، وهي مدينة جليلة على جبل مطل، طويلة في ذاتها، قليلة العرض، وطولها نحو من ميلين، وأسفلها

من جهة الشرق بحيرة عذبة الماء، طولها اثنا عشر ميلاً في عرض مثلها، وبها مراكب سابحة تحمل فيها الغلات إلى المدينة، ولها سور حصين، ويعمل بها من الحصر السامانية كل عجيبة، وقليلاً ما يصنع مثلها في بلد من البلاد المعروفة وفي هذه المدينة حمامات حامية من غير نار توقد لها، فهي حارة في الشتاء والصيف، وفيها حمام يعرف بحمام الدماقر، وهو كبير عظيم، وماؤه في أول خروجه حار تسمط فيه الجداء والدجاج، ويسلق فيه البيض، وماؤه ملح، وبها حمام اللؤلؤ وهو أصغر من حمام الدماقر، وماؤه حار عذب وهذا الماء الحار يخترق في الدور المجاورة له، وبه يغتسلون ويتصرفون، ومن حماماتها حمام المنجدة، وماؤه حار عذب، وليس فيها حمام توقد له النار، إلاّ الحمام الصغير الذي بها، وذلك أنه بناه أحد الملوك الإسلامية في داره ليدخله هو ومن له من أهل وولد وحاشية، فلما مات أخرج وجعل للناس عامة فهم يدخلونه وماؤه يسخن بالنار وحده، وفي جهة الجنوب منها حمامات كثيرة مثل عين موقعين، وعين الشرف، وغيرهما تصب إليها عيون مياهها حارة مدى الدهر، ويقصد إليها من جميع النواحي أهل البلايا من الناس مثل المقعدين، والمفلوجين، والمرياحين، وأصحاب القروح والجرب، فيقيمون بها في الماء أيام، فيبرؤون بإذن الله من ذلك.

ومدن سواحل فلسطين منها عسقلان، وأرسوف، ويافا، وهذه كلها مدن تتقارب مقاديرها وصفاتها وأحوال أهلها، مع أنها لطاف حصينات كثيرة العمارات، وبها شجر الزيتون والكروم كثيرة جداً، ويافا في ذاتها مدينة ساحلية، وهي فرضة لبيت المقدس، وبينهما ثلاث مراحل خفاف.

وبين يافا والرملة عشرون ميلاً.

وقيسارية بلد كبير عظيم له ربض عامر وحصن منيع حسن.

وبين يافا وقيسارية ثلاثون ميلاً، ومن قيسارية إلى نابلس مرحلة،

وكـذلك من قيسـارية إلى الرملة مـرحلتان خفيفتـان، ومن قيسـارية إلى مدينة حيفا على الساحل يومان.

وحيفـا تحت طرف الكرمل، وهو طرف خـارج في البحـر، وبه مـرسى حسن لإرساء الأساطيل وغيرها، ومدينـة حيفا هي فرضة لطبرية، وبينهما ثلاث مراحل خفاف.

ومن حيفـا إلى مـدينة عكة مـرحلـة في البر، وهي من الأميـال ثلاثون ميـلاً، وفي البحـر رؤوسية ثمانيـة عشر ميـلاً، ومـدينة عكة كبيرة واسعـة الأرجاء، كثيرة الضيـاع ولها مرسى حسن مـأمون، وناسها أخـلاط، فمن طبرية إلى عكة يومــان، ومن عكة إلى حصن الزيب اثنـا عشر ميـلاً، وهو حصن حسن على ضفة البحر الملح.

ومنه إلى النواقير وهي ثلاثة جبال بيض شـواهق مطلة على ضفة البحر نحو من ثمانية عشر ميـلاً، ومن وسط النواقير إلى مدينة الإسكندرية خمسة أميال.

ومن الإسكندرية إلى مـدينة صور خمســة عشر ميلاً وهي مـدينة حسنة على ضفـة البحـر وبها للمـراكب إرسـاء وإقــلاع وهو بلد حصين قـديم والبحـر قد أحـاط به من ثلاثة أركـانه ولهذه المدينة ربض كبير ويعمل بها جيد الزجـاج والفخار، وقد يعمل بها من الثيـاب البيض المحمولة إلى كل الآفـاق كل شيء حسـن، عـالي الصفـة والصنعـة، ثمين القيمــة، وقليـلاً مايصنع مثله في سائر البلاد المحيطة بها هواء وماء.

ومن صور إلى طبرية يومان كبيران، ومنها إلى عدوان، وهوحصن منيع على البحـر، ومنه إلى صرفند عشرون ميــلاً، وهو حصن حسن، ومنه إلى صيدا عشرة أميال، وبين صـور وصرفند يقع نهر ليطة، ومنبعه من الجبال، ويقع هناك في البحـر، ومن مدينـة صور في البر إلى طبرية يومـان كبيزان، ومن صور إلى دمشق أربعة أيام.

- ١١ -

رواية الراهب بيلارد أوف أسكولي Belard of Ascoli
(١١٥٥م أو مابين ١١٤٢-١١٨٧)

تبعد القـدس سفر يوم واحد عن البحر الغـربي، أي خمسة وعشرين ميـلاً أو ثلاثين Perna. وهي مـوجـودة على جبل، وقلعـة صهيـون تتفوق بارتفـاعهـا على جميع الأماكن المرتفعـة في المدينة، وهي مقـابل جبل الزيتون إلى الغـرب، والغرفـة العليا عند قمـة هذا الحصن هي المجاورة للسـور، وهذه الغرفة العليا، كـانت مكاناً واسعاً ومبلطاً، فيـه تم العشـاء [الأخير]، وفيـه ظهر المسيح لتـلاميـذه، عندمـا كـانت الأبواب مغلقة، وإلى هناك نزلت الروح القـدس على الرسل والتلاميذ، وهناك أيضاً ماتت مريم العذراء المباركة.

والهيكل موجود على مكان مستو في المدينة، تحت الحصن إلى الشرق.

وجـرى جلد المسيح في قـاعــة المحكمـة، أي... وقـرب هذا المكان السجن الذي اقتيد منه بطرس المبارك من قبل الملاك.

وبركـة الضأن هي فـوق المنطقة المسـتوية نفسهـا، مثل الهيكل، وهي على بعـد حوالي الـربع ميل عن الهيكل، وعـرض وادي شعفاط حـوالي الغلوة، وموقعه هو أنه بين جبل الزيتون والقدس.

وقمة قبل الزيتون على مسافة عن.....

وبيت فـاجي مـوجـودة بين جبل الزيتـون وبيت عنيـا، التي هي إلى الشرق.

وبركــة سلوان مـوجــودة في وادي شعفـاط بين صهيــون، وجبل الزيتون.

عودة...... جدول قدرون، الذي هو في الوادي نفسه، وهو يسيل عندما تكون هناك أمطاراً غزيرة.

ومزرعة جثسيماني موجودة عند سفح جبل الزيتون، باتجاه الغرب، والحديقة التي إليها دخل المسيح مع حوارييه هي موجودة في هذه المزرعة نفسها عند رأسها، وفي هذه الحديقة سرداب محفور في صخرة جبل الزيتون، يمكن أن يستوعب ثلاثمائة إنسان، وفي نهاية هذا السرداب هناك سرداب آخر أصغر، مثل قلاية راهب واحد، وفي هذا السرداب الأصغر غالباً ماوقف المسيح يصلي، وهناك ألقي القبض عليه، وعند مدخله مرئي بوضوح شكل ثلاثة أصابع من يده المقدسة، مطبوعة على صخرة السرداب، وهي التي قيل بأنه عملها عندما ألقي القبض عليه، وهذا السرداب هو الآن كنيسة.

وعلى بعد قليل، أمام هذا السرداب، هناك قبر العذراء المباركة، الذي إليه ينزل الإنسان بثلاثين درجة تحت الأرض، وفي تلك الحديقة يوجد مكان الصلاة، حيث صار عرق المسيح مثل نقاط من دم.

وجبل أكرا قائم بعد القدس، وهناك حوالي الثلاثين خطوة بين هذا المكان، الذي هو مكان الصلب والجلجلة من جانب، والمكان الذي تم العثور فيه على الصليب، وكذلك ضريح المسيح، وهؤلاء في كنيسة واحدة.

والمكان المعروف باسم جبل أكرا مكان واسع، وهو يشبه حزمة كبيرة من القش، وهو معمول من الحجارة، التي لم تجلب من أي مكان آخر، لكنها نابتة بشكل طبيعي من الأرض، وعلى قمته هناك فتحة عميقة في الصخرة نفسها، فهنا جرى تثبيت الصليب، والفتحة

واسعة ومستديرة، وهي واسعة بقدر حجم رأس إنسان واحد، وعميقة مقدار ثلاثة أشبار أو أربعة.

وعلى مقربة من هذا المكان، على الأرض، وليس فوق الصخرة، جرى صلب اللصين.

وفي صخرة الصلب، ظاهر في جهة اليمين صدع، هو الذي كان له شرف تلقي دم المسيح الذي سال وتساقط من جنبه.

وضريح المسيح هو صخرة كاملة، مربعة في جزئها العلوي، وفي الداخل تشبه المربع، ولها باب يشبه باب الفرن، وهي في الداخل طولها قرابة العشرة أقدام أو أكثر، وحوالي أربعة أقدام بالعرض.

والحجر الذي دحرج إلى باب الضريح كبير جداً، وهو مستدير من الجانب الأول، ومن الجانب الآخر مسطح، وهذا الحجر موجود إلى جانب الضريح.

والجلجلة هي المكان الذي عثر فيه على الصليب، في حفرة عميقة، بعيدة عن مكان الصلب مايزيد على خمس خطوات، وحوالي المسافة نفسها من الضريح.

والناصرة موجودة في مقاطعة الجليل الكبرى، وهي على بعد ستين ميلاً أو أكثر عن القدس، وهي ليست مدينة كبيرة، ومع ذلك لها رئيس أساقفة.

وغرفة سيدتنا، التي إليها جاء الملاك وهي فيها، كانت كهفاً، وهذا الكهف موجود إلى جانب المدينة، في داخلها إلى الشرق، وهو ليس معمولاً من الحجارة، بل محفوراً في الصخر، وطوله أربع خطوات، والشيء نفسه بالعرض.

وهناك طريق مستقيم بين القدس والناصرة، وهو يقود إلى نين، ومجاور لمزرعة اسمها عين دور، وبين الناصرة ونين سهل يدعى فارام Pharam.

وبعد نين هناك السامرة، المدينة والمقاطعة، وبعد هذا كانت مدينة Sychar.

وجبل جلبوع موجود بين نين والسامرة.

وجبل الطور جبل مقدس، عليه تغير شكل يسوع، وهو قريب من الناصرة، على بعد حوالي الميل نحو الشرق.

وبعد Sychar, تبدأ مقاطعة اليهودية، التي في وسطها تقوم مدينة القدس.

وبيت زكريا، الذي فيه حيت العذراء المباركة اليزابث، واقع على مسافة سبعة أميال عن القدس، وذلك إلى الغرب، حيث يوجد الآن كنيسة مكرسة على شرف المبارك يوحنا المعمدان، وقرية عمواس موجودة قرب هذا البيت، وهي على بعد ميل واحد كبير مع زيادة قليلة عن القدس، وبما أن هذين المكانين على مسافة متساوية، فإنه في هذه المزرعة، في المكان الذي ظهر فيه المسيح لاثنين من تلاميذه، يوجد الآن كنيسة.

ومدينة بيت لحم، مدينة صغيرة، وهي على بعد خمسة أميال إلى الجنوب من القدس، وهي التي فيها مهد الرب، وذلك عند الطرف الشرقي من المدينة، وكان المكان كهفاً واسعاً، مع مدخل عريض، وكان الكهف مكاناً يمكن للإنسان أن يلتجىء إليه إذا كان هناك مطر، وذلك مالم يدخل الهواء إلى داخله، ومساحته هو خطوتين جداء

خطوة ونصف الخطوة، وهو محفور في زاوية الصخرة.

ووادي أو موضع الرعاة هو على مسافة ميل واحد إلى الشرق من المهد، ويوجد الآن هناك كنيسة.

...وعلى بعد سفر يوم [ولقد بحثوا عنه وطلبوه] بين معارف العذراء المباركة وبين أقربائها، ولربما كان هؤلاء المعارف والأقرباء زكريا واليزابث.

وعلى ضفة نهر الأردن مكان تعميد المسيح، وهو يبعد خمسة وعشرين ميلاً أو أكثر عن القدس، ويوجد هناك كنيسة مكرسة على شرف جون المبارك.

وحول موضع التعميد سهل الجليل، ومقابلنا مدينة أريحا.

والجبل العالي، وصحراء المسيح على ميل واحد من أريحا، وإذا مارجعنا إلى الخلف، فهناك الطريق التي تأتي عليه من القدس، ففي منتصف هذا الطريق الجبل، حيث فيه ليس عند القمة كهف حفر في الصخر، فيه صام المسيح، ويمكن الوصول إليه من خلال ممر ضيق معلق في وسط الهواء، ومن قمة هذا الجبل جعل الشيطان المسيح يرى جميع ممالك العالم، والكهف هو حوالي أربع خطوات بالطول، والشيء نفسه بالعرض، وذلك لأن شكله مربعاً.

وعند سفح هذا الجبل جدول ماء قام اليشع بتنقية مائه بالملح، وهو واسع بما فيه الكفاية لإدارة طاحون ماء.

وكفرناحوم قائمة على جانب البحر، فهي بلدة إلى جانب بحر الجليل، وهي تبعد حوالي الخمسة عشر ميلاً عن الناصرة.

وبحر الجليل، أو بحر طبرية، أو بحيرة جنسارث هم واحد،

والمكان نفسه، وبعد هذا البحر كفرناحوم، باتجاه الجنوب، يوجد الجبل، الذي غالباً ماقام المسيح بالوعظ فيه، وأعطى بشكل خاص قداساً على الجبل.

وأيضاً في هذا الجبل أطعم الرب خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة، لكن تلك المدينة موجودة عند سفح ذلك الجبل، وفي ذلك المكان الكثير... الأحجار المقطوعة بشكل جيد، وملقاه هناك.

وعلى الطرف الآخر لهذا الجبل، على الجانب الشمالي قرب شاطىء البحر، هناك المكان الذي أكل فيه المسيح مع حوارييه بعد القيامة، وفي هذا المكان هناك كنيسة، وأمواج البحر هي على حوالي ثماني خطوات أو عشر خطوات عن هذا المكان.

وهناك مسافة ميلين إلى المكان الآخر، الذي هو المجدل، بعد البحر، فمن هناك جاءت مريم المجدلية، وعلى بعد أربعة أميال أخرى، بعد البحر، توجد مدينة طبرية.

وقرب طبرية، وإلى جانب البحر، يوجد بيت صيدا، وكذلك كورزين هي بعد طبريا، وإلى جانب البحر، وجميع هذه المدن هي على بعد سبعين ميلاً عن القدس.

وقرية قانا قائمة بين الناصرة وطبرية، وهي مكان العرس في كهف محفور في الصخر، يمكنه أن يتسع لحوالي الخمسين شخصاً.

وبيت عنيا هي قرية قائمة على جبل الزيتون نحو الشرق، وهي على مسافة حوالي الثلاثة أميال عن القدس، وفي هذه القرية قبر لعازر.

والمكان الذي التقت فيه مريم المجدلية بالرب على طريقه لإقامة

[لعازر] موجود خارج القرية، على بعد ربع ميل، حيث هناك ملتقى طرق واضح.

وفي المكان الموجودة على جبل الزيتون، الذي صعد منه الرب، ظاهر هناك شكل القدم اليسرى للرب، مطبوع على الصخر، ومن غير الممكن الرؤية بوضوح طول وعرض القدم، فالذي ظاهر فقط طبعة نهايات الأصابع مع جزء من أخمص القدم.

ومدينة عكراتون أو عكا، موجودة في منطقة الجليل إلى جانب البحر الغربي.

وجبل لبنان موجود في منطقة الجليل، حيث يوجد عند سفحه نبعان هما: «أر» و«دن»، اللذان يتحدان ويشكلان نهر الأردن، وهذا هو النهر الذي يتعرج في منطقة السامرة، وينتهي في منطقة اليهودية، ليس بعيداً عن القدس، حيث يصب في بحيرة سدوم، وغاموره، ومن هناك يدخل إلى البحر بوساطة طريق سري.

ومدينة أشدود موجودة في منطقة السامرة، بجوار البحر الغربي.

ومدينة أريحا، موجودة في هذه المقاطعة على هذا الجانب من نهر الأردن، وبين أريحا ونهر الأردن الجليل.

ومدينة غزة وكذلك يافا، موجودتان في منطقة اليهودية، بجوار البحر الغربي.

وفي وسط منطقة اليهودية تقع مدينة القدس.

وبيت لحم مدينة موجودة إلى الجنوب من القدس، باتجاه صهيون، بين هذه المدينة ومدينة الخليل.

وممرا هي قرية صغيرة، حيث هناك رابيـة عليها بيت ابراهيم، وهذا البيت هو كهف محفـور في الصخـر، وهو في زاوية مع شجـرة قـائمـة أمام مدخله.

وأنا الراهب بيـلاردوس أوف ايسكولوم Belardus of Es-culum, قـد رأيـت جميع هذه الأشيـــاء، وتفحصتهم، وكتبت ملاحظات حولهم، يمكن أن يكون منها فائدة للآخرين.

- ١٢ -

الدليل السابع

(١١٦٠م)

إذا مارغب أي واحد بالدخول إلى القدس، عليه السير باستمرار نحو الشرق، ووقتها سوف يدخل إليها من باب القديس اسطفان، فهناك خارج الباب قد رجم، وبعد دخوله عليه أن يطلب أماكن القدس بالتتابع.

ويوجد في القدس ضريح الرب، وعند أبواب الدخول للضريح، وخارج الباب، هناك كنيسة أكرا (الجمجمة) وذلك حيث كانت القديسة مريم، وحيث وقف القديس يوحنا، وكان ذلك عندما قال الرب: «انتبهي أيتها المرأة إلى ابنك.... ولد، انتبه إلى أمك» وخارج البوابة، على الجهة اليسرى هناك مذبح القديس يوحنا المعمدان.

وداخل البوابة، ومرة أخرى إلى اليمين، يوجد جبل أكرا (الجمجمة)، حيث جرى صلب الرب، وتحت ذلك، هناك الجلجلة، حيث سقط دم الرب على الصخرة، وهناك يوجد رأس آدم، وهناك أيضاً قدّم ابراهيم أضحيته، وعلى الطرف الآخر، عند سفح جبل أكرا، يوجد مكان مع عمود، فهناك جرى جلد الرب، وعلى مقربة من هناك إلى الشرق، نزولاً أربعين درجة، يوجد المكان الذي تمّ العثور فيه على الصليب المقدس من قبل القديسة هيلانة.

وفي الكنيسة، هناك ضريح الرب، وعلى مقربة من هناك إلى الشرق، في موضع قريب من السدة، يوجد مركز العالم، وذلك حيث تمدد الرب، بعدما أنزله نيقوديموس من على الصليب، وعلى يسار ذلك الموضع يوجد سجن الرب، والمكان التالي لذلك، هو المكان الذي يجري تبجيل الصليب المقدس فيه.

وبعـد كنيسـة الضريح هناك كنيسة القـديسة مـريـم، التي تدعى «اللاتينية» فهناك —كما قيل— قـامت القديسـة مريم المجدليـة، ومريم زوجـة كليفـاس بتمـزيق شعـريهما، عنـدمـا وضع الرب على الصليب، وهناك أيضاً مشفى القديس يوحنا المعمدان.

ومن ذلك المكان، وعلى بعـد رميتي سهم يوجـد هيكل الرب، الذي عمل من قبل الملـك سليمان، وهو له أربعـة مـداخـل، واثني عشر باباً، وفي وسط الهيكل مـوجود صخـرة كبيرة، عليها كـان تابوت العهد قـد وضع، والذي فيـه الآن عصـا هرون، ولوحي الشريعـة، والشمعـدان الذهبي، والوعـاء الذي فيه المن الذي نزل من السماء، وهناك أيضـاً نار الأضحيـة، والزيت مـازال يجري، وهو الذي به جـرى مسح الملوك والأنبيـاء، وبعد هذا الموضع الذي جـرى فيه تقـديم ابن الرب، وهناك رأى يعقوب السلم نازلاً من السماء.

وعلى يسار السدة مكتوب:

يسوع ملك الملوك قد جرى

مرة تقديمه، ابن العذراء الملكة:

وتعمل هذه الذكرى أكثر قيمة

المكان المقدس الذي جلس فيه.

ورأى يعقـوب السلم، وذكـرى له جـرى بناء مـذبح، وعلى الجانب الأيمن الموضع الذي ظهـر فيه الملاك لزكريا، وتحت ذلـك هناك معبد، كان في الأيام الخاليـة قدس الأقـداس، فهناك أطلق الرب سراح المذنبة التي اعتقلت بجريمة الزنا.

كل الشعوب الذين يعترفون بذنوبهم

انني أحللهم الآن من الشرور والآثام

فهناك جرى الإعلان عن ولادة يوحنا المعمدان، وهنا يوجد العمود الذي قام المسلمون بتزيينه، وذلك في المكان، الذي قيل بأن ابراهيم قد رغب أن يضحي بابنه فيه، وهناك أيضاً الكنيسة، حيث جرى رمي القديس جيمس على أم رأسه من أعلى الهيكل، وهناك خارج سور الهيكل مذبح، إلى جانبه جرى قتل القديس زكريا، وقرب باب ساحة الهيكل يوجد الباب الجميل.

وعلى الجانب الآخر من هيكل سليمان، بين الهيكل والباب الذهبي، هناك أشجار، فمن هناك قطع الأطفال الأغصان، عندما جلس الرب على ظهر الأتان، وهناك بعد هيكل سليمان، في زاوية المدينة، يوجد مهد المسيح، وفراش أمه، وحمام، وهناك أيضاً ضريح القديس سمعان.

وإلى الشرق بعد الهيكل هناك باب، وإلى الشمال هناك بركة الضأن، وعلى مقربة من هناك توجد كنيسة القديسة حنة، والبئر الذي ينزل إليه الحجاج، وعلى مقربة من القديسة حنة، توجد كنيسة القديسة مريم المجدلية، وإلى الشرق، بعد كنيسة الضريح، توجد كنيسة القديس شارتون.

وإلى الجنوب هناك جبل صهيون، حيث جرى تأسيس كنيسة جميلة على شرف القديسة مريم، ومنها حملت إلى السماء، أما بالنسبة لجسدها المقدس جداً، فقد أنزل إلى وادي شعفاط، وإلى اليسار من هناك توجد بيعة في المكان الذي كانت فيه قاعة المحكمة، حيث هناك حكم على المسيح، وعلى الجانب اليساري هناك موضع الجليلي، وذلك حيث ظهر الرب إلى سمعان والنساء، وفي الأعلى، بعد السدة، يوجد المكان الذي نزل إليه الروح القدس على الرسل، وفي الكنيسة نفسها توجد المائدة

التي تناول عليها المسيح العشاء، وذلك عندما قال: «خذوا، كلوا، هذا هو جسـدي»، وفي الأسفل يوجد الموضع الذي غسل فيه أقدام تلاميذه، والحوض موجود هناك، وهوالحوض الذي حوى الماء، وفي ذلك المكان وقف يسوع عندما قال: «سلام معكم»، وهناك لمس توما جنبه، وعلى الجانب الأيسر، مذبح القديس اسطفان، وذلك حيث دفن.

وخارج الكنيسة هناك كنيسة صغيرة، في المكان الذي كان يوجد فيه قاعة المحكمة، وهو المكان الذي جرى جلد المسيح فيه، وتتويجه بالشوك، والسخرية منه، فهذا كان بيت قيافا، وخلف جبل صهيون، توجد كنيسة في المكان الذي هرب إليه بطرس عندما أنكر الرب عند صياح الديك، وباتجاه الوادي هناك بركة سلوان، وهناك جرى دفن النبي اشعيا.

وبين القديس وجبل الزيتون يوجد وادي شعفاط، حيث جرى دفن القديسة مريم، من قبل الرسل، وهناك جدول قدرون، وهناك أيضاً المزرعة التي عرفت باسم جثسيماني، فمن هناك أبعد الرب بطرس وبقية الحواريين، عندما صلى قائلاً: «ياأبا الأب كل شيء مستطاع لك، فأجزعني» وهكذا دواليك، فهنا توجد الحديقة، حيث جرى اعتقاله من قبل اليهود، وعلى بعد رمية حجر من هناك يوجد الموضع الذي صلى فيه، وتقاطر فيه عرقه على الأرض مثل نقاط من الدم، وإلى جانب هذا الموضع، ضريح الملك شعفاط، الذي من اسمه حصل الوادي على اسم «شعفاط»، وهناك توجد كنيسة حيث جرى دفن جيمس، والقديس سمعان الأكبر، وزكريا، وليس بعيداً عن هناك نحو الجنوب، مكان [حقل] حق الدم، أو موضع دفن الغرباء.

ومن على جبل الزيتون صعد الرب إلى الأب، وهناك أمر الحواريين

بالتبشير إلى جميع المخلوقات، وعلى مقربة من هناك، حيث جرى عمل «الصلاة الربانية»، وعلى مسافة ضئيلة من هناك، يوجد ضريح القديس بيلاغيوس، وبين جبل الزيتون، وبيت عنيا، بيت فاجي، إلى حيث أرسل الرب بطرس وجون من أجل جلب الأتان، وليس بعيداً عن هناك بيت عنيا، حيث أقام الرب لعازر، وغفر للمرأة التي كانت مذنبة، وهنا كان أيضاً بيت سمعان المجذوم، وعلى مقربة من هناك الموضع الذي قابلت فيه القديسة مرثا الرب.

ويبدأ الطريق الذي يقود من القدس إلى بيت لحم من باب داود، وينزل إلى كنيسة القديس إلياس، وذلك حيث يقوم، وعلى الطريق هناك قبر راحيل، وفي بيت لحم كان المسيح قد ولد، وهناك يوجد قبر القديس جيروم، والبئر الذي سقط فيه النجم، وهناك رسم للمائدة التي أكلت عليها مريم مع الملوك الثلاثة، وفي هذه المنطقة توجد قبور الأبرياء، وفي كهف العذراء المباركة يوجد مذبح، في المكان الذي ولدت فيه، وليس بعيداً عن بيت لحم توجد الكنيسة التي أقيمت حيث ظهر الملائكة للرعيان، وهناك كنيسة فوق المكان الذي استراحت فيه القديسة مريم عندما كانت حاملة بالرب، وفي النهاية القصوى يوجد الطريق الذي يقود إلى الخليل، التي تبعد خمس مراحل عن القدس.

وفي ذلك المكان خلق الله آدم، وليس بعيداً عن هناك بيت قابيل وهابيل، وليس بعيداً عن هناك المكان الذي ظهر فيه الرب على شكل ثالوث لابراهيم، وإلى الشرق الموضع الذي سلمت فيه القديسة مريم على اليزابث، وعلى مرحلتين من هناك تقوم قرية عمواس.

وخارج الباب توجد كنيسة الصليب المقدس، وذلك حيث جرى قطع خشبة الصليب، وفي القدس المكان الذي وضع فيه القديس

بطرس بالسجن، وفي الهيكل يوجد نبع ماء حي، وهذا هو السبب الذي جعل النبي [حزقيال] يقول: «أنا رأيت مياه تخرج» [حزقيال ٤٧/ ١].

ومن القدس إلى جبل أربعين مسافة سبع مراحل، وعند سفح هذا الجبل هناك بستان ابراهيم، وعلى مقربة من هناك توجد أريحا، وعلى بعد مرحلتين من هناك يوجد نهر الأردن، ومن النهر إلى جبل سيناء سفر ثمانية عشر يوماً، ومن القدس إلى السامرة، التي اسمها الآن نابلس، اثنتي عشرة مرحلة، وهناك يوجد البئر، حيث تحادث الرب مع المرأة السامرية، وهناك يوجد الجبل، حيث رغب ابراهيم بالتضحية بابنه، ومن هذا المكان إلى سبسطية مسافة مرحلتين، وهنا في هذا المكان جرى قطع رأس يوحنا المعمدان، وبعض رماده مازال محفوظاً هناك.

والمسافة من هناك إلى جبل الطور هي عشر مراحل، فهناك تغير شكل الرب، وإلى جانب ذلك الجبل وملاصقاً له يوجد جبل حرمون، وفي ذلك المكان هناك مدينة نين، وذلك حيث أحيا الرب الولد الوحيد لأمه أمام الباب، وإلى الشرق هناك بحر الجليل، وذلك حيث أشبع الرب خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة مع سمكتين، وإلى الغرب توجد مدينة الناصرة الفخمة، وهناك تلقت العذراء المباركة البشارة من الملاك، فهناك كان يوجد بيتها.

وهذه الأماكن وأماكن أخرى من المتوجب تبجيلها من قبل المؤمنين.

- ١٣ -

الدليل الثاني★

(حوالي ١١٧٠م)

بوساطة الطريق العالي وأنت ذاهب من عسقلان إلى المدينة المقدسة، توجد هناك بلدة الناصرة، وعلى بعد ميلين من هناك يوجد جبل الطور، الذي فيه جرى تغيير شكل المسيح، وعلى مقربة من هناك توجد مدينة طبرية، وهي بجوار بحر الجليل، حيث عمل الرب كثيراً من المعجزات، وعند نهاية البحر هناك المائدة، حيث أعطى الرب الطعام لخمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة مع سمكتين.

ثم تأتي مدينة سبسطية، التي هي مبجلة من أجل آثار القديس يوحنا المعمدان، ثم إنك تذهب إلى نابلس، حيث يوجد البئر الذي جلس عليه الرب، عندما تحادث مع امرأة من السامرة.

ومن هناك تأخذنا الرحلة إلى المدينة المقدسة، وأول شيء إلى كنيسة القديس اسطفان، وذلك حيث جرى رجمه، ومن هناك نذهب إلى كنيسة الضريح المقدس، ونمضي أول كل شيء إلى موضع الجمجمة، حيث تألم، وهنا جرى نصب الصلبان الثلاثة، وتركوا طابعهم، في سبيل أن يتم الاصغاء إلى صلواتنا، ومن أجل عبادة الواحد الذي صلب.

ومن هناك يذهب الإنسان إلى الجلجلة، حيث سال دم الرب من خلال الصخرة المتصدعة، ثم يذهب الإنسان إلى المذبح، الذي من المعتقد أنه أقيم فوق المكان الذي كان فيه قطعة العمود الذي ربط إليه المسيح عندما جرى جلده، وهناك يوجد طريق يقود نزولاً إلى المكان

★- من أجل الدليل الأول، انظر الموسوعة ج٩٣ ص١١-١٤.

الذي اكتشف فيه الصليب المقدس، وكان هذا في كهف، و الصخرة ماتزال مرئية فوقه، والمذبح الموجود في الوسط هو لتشريف الملكة هيلانه، والمذبح اليساري هو لتشريف القديس قورياكوس Quriacus, وهذا كان يهودياً، وهو الذي أبان الموضع الذي كان فيه الصليب، وكان عندما شاهد معجزة قيامة الميت، اهتدى إلى الإيمان، وأصبح أسقف القدس.

وفي وسط سدة الكهنة النظاميين يوجد مكان مبجل كثيراً، وهذا كان بسبب أن المسيح جرى تمديده هناك، بعدما أنزل من على الصليب، وذلك قبل أن يؤخذ إلى الضريح، ويوجد هناك مصباح لاينطفىء مطلقاً، والمذبح الكبير مقام على شرف القديسة مريم، ثم يزور الإنسان الضريح المقدس.

وفي هذا مذبح جنوبي في كنيسة زينت بشكل موائم، فهناك الصليب المقدس محفوظ، وبعدها هناك كنيسة أخرى سريانية، فيها يحتفظون أيضاً بالصليب المقدس، وتقريباً عند طرف الكنيسة في الجانب الجنوبي هناك المكان الذي يدعى السجن، فهناك تمت حراسة المسيح أثناء إعداد الصليب على الجبل.

وتحت خمسة أعمدة من أعمدة الكنيسة، جرى دفن الأربعين شهيداً، وشخصيتهم معروفة من خلال حقيقة أنه يحتفل بعيدهم في التاسع من آذار، وبعد موضع الجمجمة، يوجد مكان بابه مغلق، فيه كما قال جيروم جرى دفن آدم، ويقول بعض الناس بأن نقاطاً من الدم ملأت فمه، ولهذا السبب قام من الموت.

وبعد الكنيسة الرئيسية، هناك ثلاث بيع على الجنوب، البيعة الأولى منهن مكرسة على شرف.... الثالوث المقدس، والأخيرة، على جانب الساحة، مكرسة على شرف القديس جيمس الكبير، ولقد قيل بأن

الرب قد جلس في المقعد الموجود عند المذبح المتوسط، وقام بمباركة جون من على اليمين، وجيمس من على اليسار، وكان ذلك عندما سألت أمهم بوجوب «جلوسهما في مملكته، واحد على يمينه والثاني على يساره»، ويقال بأن القديس جون قد وقف فوق مكان مذبحه، عندما عهد المسيح بأمه إليه.

وأيضاً وقفت العذراء الأكثر قداسة في المكان القائم الآن فيه المذبح الكبير، للكنيسة الرئيسية نفسها، ونظرت إلى ابنها وهو يتألم، وخارج الكنيسة نفسها، على جهة الجمجمة (أكرا) هناك بيعة صغيرة مكرسة على شرف مريم المجدلية، وذلك في المكان الذي وقفت فيه المريمات الثلاث أثناء الآلام.

وهناك كنيسة مكرسة للقديس يوحنا المعمدان، على الجهة المواجهة للكنيسة الرئيسية، وهي ليست مبجلة فقط بسبب آثارها المقدسة كثيراً، بل بسبب أن أعظم الصدقات تعطى فيها، وهناك من الواضح وجود ستة أعمال من الرحمة يجري تنفيذها، وعلى مقربة من هناك كنيسة القديسة مريم للاتين، وهي مشهورة منذ زمن طويل، كما أنها مشهورة أيضاً بسبب الآثار المقدسة التي تحتويها، ومنها هناك: رأس القديس فيليب الرسول، مع بعض من شعر القديسة مريم.

ويوجد مكان على جبل صهيون، فيه ظهرت الروح القدس، ونزلت على الرسل، على شكل ألسنة من اللهب، فأضاءت قلوبهم، وهناك تمت عملية غسل أقدام التلاميذ، والمائدة نفسها موجودة هناك، التي أقيم عليها العشاء، وهذا المكان موجود أمام الأبواب التي عرفت باسم أبواب «الروح القدس»، وإلى الجنوب هناك المكان الذي عرف باسم الجليلي، الذي عنه قيل: «هو سوف يذهب قبلكم إلى الجليل» [مرقص: ١٦/ ٧]، وعلى الجانب المواجه للشمال يوجد المكان الذي ماتت فيه القديسة مريم في هذا العالم.

وفي نهاية هذا الجانب، إلى الشرق، يـوجـد مـذبـح مـدفـون تحتـه: القـديس اسطفـان، والقديس جمالإيـل، والقديس أبيبـاس، والقـديس نيقوديموس.

وخارج السـاحة إلى الشمال هناك كنيسـة مقامـة على شرف القديس بطـرس في السجـن، وذلـك حيث احتفـظ بـه هيرود سجينـاً مغلـولاً بسلسلتين.

وعندمـا نـذهب عـائـدين إلى هيكـل الرب، إن المكان الأول الذي يصل الإنسان إليـه، هو مكان التقدمة المقـدس، ويأتي بعد ذلك المكان الذي نام فيـه يعقـوب ورأى السلم، وتصـارع مع الملاك، وحيث في ذكرى ذلك أقـام حجراً، وتحت السـدة، إلى الجنوب هناك كهف محفور في الصخـر، وهـو الذي يدعى باسم «مكان الاعتراف»، وكـان سبب ذلك أن امـرأة قـدمت إلى المسيح، حيث قـال لها: «أمـا دانك أحـد»؟ وهكذا إلى آخره (يوحنا ٨/ ١٠).

وعند رأس الهيكل توجـد بيعة القـديس جيمس، وذلك حيث ألقي به من شاهق على أم رأسه، وقتل بعصا القصار، هذا وكان جيمس بن ألفيوس Alphaeus, الأسقف الأول للقدس.

وليس بعيـداً عن هناك الباب الذهبي ظاهر يشـار إليه، وهو البـاب الذي دخل منه إلى القـدس، عندمـا جـاء من جبل الزيتـون، وهو على ظهـر أتان، والأطفال يصرخـون: «أوصينا لابن داود» [متى: ٢١/ ٩، ١٥]، ويفتح هذا الباب فقط في يوم عيـد السعف، وفي يوم عيد تمجيد الصليب المقدس.

ومن هناك من الممكن رؤيـة المكان الذي فيـه: المهـد، والحمام، وقبر سمعـان، وهناك يقـال بأن المسيح مكث مع سمعـان لمدة سنة ونصف السنة.

وعلى مقربة من الباب المتوجه نحو وادي شعفاط، توجد كنيسة القديسة حنة، أم القديسة مريم، وذلك حيث كانت ساكنة عندما كانت حاملة، ورعته (ورعتها؟).

وعلى مقربة من هناك، توجد بركة الضأن التي لها خمس قناطر، وهذه البركة هي المكان الذي يجري اخبار الذين يزورون، بأن خشبة الصليب قد بقيت هناك لمدة طويلة، ولكن الداوية يرونك بركة أخرى، ويقولون بأنها كانت بركة الضأن.

ومن هناك يذهب الإنسان إلى وادي شعفاط، حيث يوجد قبر القديسة مريم، ويوجد هناك قبل باب الدير مكان اسمه جثسيماني، فهنا خانه يهوذا، وهناك على أقل من رمية حجر —حسبما يقولون— ترك طبعة أصابعه، وفي تلك البيعة هناك أربعة أماكن منفصلة عن بعضها، فهناك وجد حوارييه نائمين كل ثلاثة مع بعضهم.

وخارج الساحة، وعلى بعد رمية حجر، توجد كنيسة مكرسة على اسم المخلص، وذلك حيث صلى ثلاث مرات، وتقاطر عرقه منه كأنه نقاط دم.

وبعد منطقة السير في شعفاط يجري جدول قدرون، وفي داخل وادي شعفاط هناك مياه سلوان، وهناك أيضاً حيث يعيش النساك، توجد بيعة مكرسة على شرف القديس جيمس، [وحقل] حق الدم موجود تقريباً على حدود وادي شعفاط، وهو الحقل الذي شري بالثلاثين قطعة من الفضة، من أجل دفن الغرباء هناك، فهناك لايرفض دفن أحد.

ولدى الصعود إلى جبل الزيتون، إن أول كنيسة تواجه الإنسان، هي كنيسة «باترنُصتر» ومرد هذا إلى أن المسيح علم هناك «أبانا»، وعلى رمية حجر من هناك، موجود تحت المذبح المكان الذي كتب

عليه بخط يده «أبانا» بأحرف اغريقية، وبعد ذلك تأتي كنيسة العذراء المقدسة بلجيا، وفي الكنيسة التي بنيت على قمة الجبل، من الممكن هناك رؤية مكان الصعود.

ويلي ذلك، لكن ليس بعيداً، بيت فاجي، ثم تأخذنا الرحلة إلى بيت عنيا، ثم إلى الأردن، حيث يصل الإنسان أولاً إلى أريحا، حيث هناك بستان ابراهيم وحيث من هناك يجري جدول اليشع.... حيث هناك اثني عشر نبعاً، وسبعين شجرة نخيل، وعندما يكون الإنسان زائراً إلى هناك، يجد مكاناً محمياً من قبل أناس رهبان، ويعرف هذا المكان باسم «أربعين»، بسبب أن المسيح صام هناك لمدة أربعين يوماً. وعند قمة الجبل هناك المكان الذي أغواه فيه الشيطان، ومن هناك يذهب الإنسان إلى الأردن.

وهناك مكان يعرف باسم مقبرة الأسد، خارج مدينة القدس، حيث أجساد كثير من القديسين راقدة مدفونة، وبعد ذلك يأتي دير الجورجيين الذي اسمه «عند الجذل» أو «الجذع»، لأنه هناك كانت الشجرة التي قطع منها الصليب المقدس، وفوق مكان «الجذل» يوجد مذبح نصب هناك.

وعلى الطريق الذي يقود إلى بيت لحم قبر راحيل، وهناك المكان الذي جرى فيه تبجيل ايليا، وكذلك كنيسة بنيت من أجله، وفي المكان الذي ولد فيه الرب مطرقة ومسامير صلبه، وهناك دفن جيروم، وهناك كثيراً من آثار الأبرياء المقدسين.

وليس بعيداً عن هناك مكان اسمه «المجد للرب في الأعالي»، لأنه في اللحظة التي ولد فيها الرب سمعت الملائكة وهي تغني مع بعضها: «المجد للرب في الأعالي».

وبين جبل الزيتون وجبل جيجون، مكان اسمه «عند الرعاة»، لأن

الرعـاة عندمـا كـانوا سهـرانين هناك، أشع نور، وغنى الملائكة معلنين بأن المسيح قد ولد.

ولدى الذهاب إلى القديس ابراهيم في حبرون، فإنك تجد أولاً جذر (بلوطة) ممراً، وهناك الآن كنيسة مبنية على شرف الثالوث المقدس.

وإلى جـانب حبرون هناك مكان هو حيث قتل قـابيل أخـاه هابيل، وهناك أيضـاً الجبل الذي عليـه قدم كل واحـد منهما للرب أول ثماره، وهناك الأرض المشار إليها بأن آدم قد خُلق منها.

وفي العودة إنك تسافر مـاراً بكنيسة القديس يوحنا المعمدان، حيث بشر بعماد التـائبين في الصحـراء، وهناك نبع مـاء لايتـوقف، وهذا قـد انبثق عندما بشر وكان يصلي.

ومن هناك تأخـذنا الرحلة إلى القـديس زكـريا، حيث عـاش مع القديسـة إليزابث، ومارس أعمال نسكه، وسلمت هناك مريم المقـدسة على اليزابث، فتحرك الطفل في رحمها فرحاً.

ومن هناك يسافر الرحالة من خلال القلعة التي اسمها عمواس، إلى المدينة المقدسة.

وبعـد المدينة يوجـد مـوضع جيجـون، حيـث يوجـد الآن دير للأرثوذكس، وبعـد جبل الزيتون على اليسار، يوجـد دير للسريان، في الوادي مابين جبل الزيتون وجبل جيجون...

ومن جبل الزيتـون يمكن للإنسـان أن يشـاهد البحيرة التي اسمهـا «البحـر الميت»، وذلك حيث جـرى اغـراق المدن الأربع: سـدوم، وغـامـوره، والبقيـة، وفي هـذه البحيرة يصب الأردن، وهناك يجري ابتلاعه.

وفي المدينة هناك دير لليعـاقبة، حيث يوجد رأس القـديس جيمس،

وذراع القديس اسطفـان رائد الشهداء، ويمتلـك اليعاقبة أيضـاً كنيسة القديسة مريم المجدلية، فهناك يعرضون شعرها.

وفي كنيسـة الضريح المقـدس هناك أبواب مواجهـة لبيعـة السريان، التي يحتفظون فيها بالصليب المقدس.

وهناك بوابة، عندها وقفت القديسة مريم المصرية، ولم يكن بإمكانها الدخول من دون توبة صحيحة.

المحتوى

٩٣٨	اكتشاف مؤامرة ضد البابا
٩٤٠	اعتقال بعض المتهمين
٩٤١	عقد بارلمان في فرنسا
٩٤٢	مصالحة بين كنيستي درم وسينت ألبان
٩٤٣	موت اللاندغريف
٩٤٥	البابا يرسل أربعة كرادلة نواباً له
٩٤٦	أخذ فردريك الولاء لابنه هنري
٩٤٧	قوانين جديدة عملها ملك انكلترا
٩٤٨	مصالحة بين أسقف درم وراعي دير سينت ألبان
٩٥٠	فرض أتاوة بابوية
٩٥١	ازدياد سلطة الراهب جون
٩٥٢	خوف رجال اللاهوت
٩٥٣	ظلم لم يسمع بمثله
٩٥٤	التماس مرفوع إلى البابا
٩٥٥	دعوة نبلاء انكلترا إلى بارلمان
٩٥٦	ارسال رسل إلى برابانت
٩٥٧	انتخاب كونت هولاندا ملكاً لألمانيا
٩٥٨	وصول بعض النبلاء إلى انكلترا طالبين للهدايا
٩٥٩	وصول أسقف سابينا إلى انكلترا
٩٦٠	وصول أخوة الملك لأمه إلى انكلترا
٩٦١	زواج بعض البروفانسيات من نبلاء انكليز
٩٦١	زواج وليم أخو الملك
٩٦٢	وفاة أسقف روان
٩٦٢	حمل بعض النبلاء للصليب
٩٦٣	تعيين وليم بويلي حاكماً على غسكوني
٩٦٣	نقل ادموند المعترف
٩٦٥	نذر الايرل رتشارد بالمشاركة في بناء مزار ادموند المعترف

١٠١٣	فرار كونراد بن فردريك
١٠١٤	كيف غزيت مطردة كنيسة القديس ألبان
١٠١٥	تأسيس سوق جديد في ويستمسنتر
١٠١٦	فيضان غير اعتيادي للبحر
١٠١٧	هزة أرضية في سافوي
١٠١٧	طعن رئيس رهبان ثيفورد
١٠٢٠	وفاة رئيس رهبان بينيثلي
١٠٢١	عقوبة حادة لزاني
١٠٢٢	وقوع عدة حرائق
١٠٢٣	الأوامر غير العادلة لرئيس أساقفة كانتربري
١٠٢٤	رسل إلى البابا من عند التتار
١٠٢٥	مظالم البلاط الروماني ضد الانكليز
١٠٢٧	مظلمة جديدة للبابا
١٠٢٨	وفاة راعي دير وولثام
١٠٢٨	موت سيمون لانغتون
١٠٢٨	موت جون بلند
١٠٢٩	ارسال الراهب متى إلى نورماندي
١٠٣١	اجازة البابا إلى راعي دير القديس ألبان
١٠٣٢	هزة أرضية في انكلترا
١٠٣٣	خاتمة العام
١٠٣٤	طلب الملك منحه هدايا
١٠٣٤	الاحتفال بعيد القديس ادوارد
١٠٣٥	عودة ايرل ليستر
١٠٣٦	ظلم الملك لسكان لندن
١٠٣٧	الملك يستجدي المال
١٠٣٨	الملك يستجدي المال من الأساقفة
١٠٣٩	رسالة الملك إلى أساقفة انكلترا

١٠٦٧	تقارير غير مؤكدة
١٠٦٧	عودة أسقف نورويك
١٠٦٨	الاستيلاء على دمياط
١٠٦٨	اجتماع رهبان الطائفة السوداء
١٠٦٨	الحجرة التي حملت طبعة قدم المسيح
١٠٦٩	ولادتان غير طبيعيتان
١٠٦٩	مباراة مقارعة في بريكلي
١٠٧٠	تكريس أسقف درم
١٠٧٠	خلافات بين راعي دير وسيتمنستر ورهبانه
١٠٧٠	خلاف بين راعي دير بيتربورا ورهبانه
١٠٧١	انتخاب جون أوف كاين راعياً لدير بيتربورا
١٠٧١	روبرت باسلو يترك البلاط
١٠٧٢	اعتقال كونت غوزني
١٠٧٣	تكريس كنيسة بيوليو
١٠٧٣	تحول ملك التتار إلى المسيحية
١٠٧٥	موت ملك سكوتلندا
١٠٧٦	موت هوغ برون
١٠٧٦	موت كونت طولوز
١٠٧٧	موت بطرس دي غينور
١٠٧٧	موت المعلم سيمون النورماندي
١٠٧٨	وفاة وليم أوف درم
١٠٧٨	وفاة روجر فتز— جون
١٠٧٨	وفاة عدد من النبلاء الفرنسيين
١٠٧٩	احتفال الملك بعيد الميلاد في وينكستر
١٠٨٠	ولادة كونتسة كورنوول لصبي
١٠٨٠	فرض غرامة على وولترد
١٠٨١	المصالحة بين راعي دير ويتسمنستر ورهبانه

١١٠٢	موت واحد من الأرمن في انكلترا
١١٠٢	ارسال المال إلى الملك الفرنسي
١١٠٣	عودة النبلاء الانكليز
١١٠٤	تقارير زائفة عن الأرض المقدسة
١١٠٤	تكريس كنيسة ونغريف
١١٠٥	قرار رئيس أساقفة كانتربري القيام بزيارات تفقدية
١١٠٦	طغيان رئيس أساقفة كانتربري
١١٠٧	معارضة كنيسة القديس بارثلميو للزيارات التفقدية
١١٠٩	رفض الملك الإصغاء للذهاب إلى الشكاوي
١١١٠	استعداد رئيس الأساقفة للذهاب إلى البلاط الروماني
١١١١	رسالة أسقف لندن إلى راعي دير القديس ألبان
١١١٣	اجتماع هيئة رهبان الدومينيكان
١١١٣	اضطراب بين سكان لندن
١١١٤	صكوك امتيازات جديدة من الملك
١١١٥	اعطاء ختم الملك إلى وولتر أوف كيلكني
١١١٦	متابعة الملك الفرنسي زحفه
١١١٦	الخلافات بين الانكليز والفرنسيين
١١١٧	استراتيجية وليم لونغوسبي
١١٢١	الملك الانكليزي يستخرج المال من جميع المناطق
١١٢٢	طغيان غيوفري لانغلي
١١٢٣	ذهاب رئيس أساقفة كانتربري إلى روما
١١٢٣	موت روبرت أوف ليكسنغتون
١١٢٣	تقارير حول الاستيلاء على القاهرة
١١٢٤	الاستيلاء على دمياط
١١٢٨	عروض السلطان على الصليبيين
١١٢٩	اعلام السلطان بخيانة المتولي للقاهرة
١١٣٠	تحسن أحوال الامبراطور فردريك

١١٩٩	عودة غي أخو الملك من الأرض المقدسة
١٢٠٠	كيف أغنى ملك انكلترا اخوته
١٢٠١	أسقف لندن يقسم على الالتزام بمراسيم رئيس الأساقفة
١٢٠٢	ذهاب البابا إلى بيروسيا
١٢٠٢	شكاوى البنادقة ضد ملك فرنسا
١٢٠٣	اتحاد بعض الرهبان
١٢٠٣	عودة سيمون ايرل ليستر من غسكوني
١٢٠٤	اجراءات الايرل سيمون
١٢٠٥	عودة الايرل سيمون
١٢٠٦	ادخال عبارة دون التقيد في المحاكم العلمانية
١٢٠٧	اطلاق سراح بعض الأسرى الصليبيين
١٢٠٧	تحليل عمدة لندن وكهنتها
١٢٠٨	تقارير حول هنري باث
١٢٠٩	كفالة هنري باث
١٢١١	احصاء نفقات الملك
١٢١١	تأسيس دير للنساء من قبل كونتسة آرونديل
١٢١١	جلب أخبار وفاة فردريك إلى المالك الغربية
١٢١٢	وصية الامبراطور فردريك
١٢١٣	ايقاع عقوبة الحرمان الكنسي بعميد لندن وكهنتها
١٢١٤	موت الايرل وولتر
١٢١٦	ثبات أمير أنطاكية أمام الموت
١٢١٧	قطع أشجار رئيس أساقفة كانتربري
١٢١٧	الحرب بين أولاد ملك الدانمارك
١٢١٨	عودة ايرل ليستر إلى غسكوني
١٢١٩	عقد بارلمان في لندن
١٢٢٠	تثبيت ايثيلمار في كرسي وينكستر
١٢٢٠	وفاة وليم دي كانتيلوب

١٢٢١	اجتماع أساقفة انكلترا في دنستيبل
١٢٢٢	زيارة تفقدية لأسقف لنكولن
١٢٢٣	اخضاع و يلز للقوانين الانكليزية
١٢٢٣	تثبيت أسقفي وينكستر ورروكستر
١٢٢٤	عبور راعي دير ويستمنستر البحر
١٢٢٥	أوضاع أنطاكية البائسة
١٢٢٥	ذهاب عمدة لندن إلى البلاط الروماني
١٢٢٥	اغناء ملك انكلترا الأجانب
١٢٢٦	وفاة الكاردينال وليم أسقف سابينا
١٢٢٧	خلافات بين راعي دير ويستمنستر والرهبان
١٢٢٨	رسالة من ألفونسو ملك قشتالة إلى ملك انكلترا
١٢٢٩	رسالة من البابا
١٢٣٠	وصول الملك إلى سينت ألبان
١٢٣١	اعتقال الفارس روبرت
١٢٣١	وفاة سيسليا دي ساندفورد
١٢٣٣	مغادرة البابا ليون
١٢٣٤	وصول البابا إلى ميلانو
١٢٣٥	عودة راعي دير ويستمنستر
١٢٣٦	فقدان ملك فرنسا للمال في البحر
١٢٣٧	فيضان في فريزلاند
١٢٣٧	عودة هنري أوف باث إلى البلاط
١٢٣٨	عودة أسقف وينكستر من البلاطِ الروماني
١٢٣٩	موت بوينتز بيبر وتأبينه
١٢٤١	وصول راعي دير كلوني إلى انكلترا
١٢٤١	العثور على جثث بعض الرهبان في سينت ألبان
١٢٤٢	وفاة قهرمان الملك
١٢٤٢	استدعاء السماسرة إلى العدالة

١٢٤٤	اجتماع الرعاة وثورتهم في فرنسا
١٢٤٦	وصول رئيس أساقفة كانتربري إلى انكلترا
١٢٤٦	تزايد أعداد الرعاة في فرنسا
١٢٤٧	وصول الرعاة إلى أورلين
١٢٥٠	نهاية الواعظ الثاني للرعاة
١٢٥١	نهاية الواعظ الثالث
١٢٥٢	توبة الحشود الضالة
١٢٥٣	تدمير دمياط
١٢٥٣	ظهور بعض الطيور الغريبة في انكلترا
١٢٥٣	البابا يحلل كثيراً من النبلاء
١٢٥٤	الاستيلاء على كاستيلون في غسكوني
١٢٥٥	معاقبة بعض المنغمسين بالشهوات الجسدية
١٢٥٥	تقارير من الأرض المقدسة
١٢٥٦	وصول الملك إلى سينت ألبان
١٢٥٦	سقوط غزير للأمطار
١٢٥٦	زيارة تفقدية لسينت ألبان
١٢٥٨	رسالة الملك الفرنسي
١٢٦٢	عاصفة مدمرة
١٢٦٣	فيضان البحر
١٢٦٤	عودة ملكة سكوتلندا إلى بلادها
١٢٦٤	مبارزة في روكستر
١٢٦٤	خاتمة العام
١٢٦٥	احتفال الملك بعيد الميلاد في يورك (عام ١٢٥٢)
١٢٦٦	منح الفروسية لملك سكوتلندا
١٢٦٦	زواج ملك سكوتلندا من ابنة ملك انكلترا
١٢٦٧	تقديم ملك سكوتلندا الولاء إلى ملك انكلترا
١٢٦٨	امتياز الايرل مارشال

١٢٩٧	الحاق الأذى براعي دير رامس من قبل الملك
١٢٩٨	الخطر الذي أحاق بكنيسة القديس ادموند
١٢٩٨	الخلاف حول كنيسة فليمستد
١٣٠٠	موت روبرت باسليف
١٣٠٠	وفاة رتشارد دي ويندوفر
١٣٠١	البابا يمنح بعض السلطات إلى أسقف لنكولن
١٣٠٢	اعاقة مشروع سلام بين البابا وشيعة فردريك
١٣٠٣	منح حق الزيارة التفقدية إلى رئيس أساقفة كانتربري
١٣٠٤	كيف شفى طفل الكثير من الناس
١٣٠٥	عقد سلام بين راعي دير ويستمنستر والرهبان
١٣٠٥	منح امتياز إلى دير ويستمنستر
١٣٠٦	صك ملك انكلترا
١٣٠٦	غضب ملك انكلترا من راعي دير ويستمسنتر
١٣٠٧	أخبار من الأرض المقدسة
١٣٠٨	أخبار أفضل من الأرض المقدسة
١٣٠٩	شكوك حول شروط الهدنة
١٣١٠	موافقة الملك الفرنسي على الهدنة ورسالة حولها
١٣١١	اجتماع بين السلطان والملك الفرنسي
١٣١٣	موت ألفونسو ملك اسبانيا
١٣١٣	مرض ألفونسو أخو الملك الفرنسي
١٣١٤	حزن الملكة الفرنسية بلانشي
١٣١٤	عبور الراهب وليم الألب
١٣١٥	ارسال الايرل سيمون إلى غسكوني
١٣١٦	اعطاء غسكوني إلى ادوارد ابن الملك
١٣١٧	معركة دموية بين الغسكونيين والايرل سيمون
١٣١٩	اجتياح الأجانب لانكلترا
١٣٢٠	حر وجفاف خلال الصيف

١٣٤٨	اطلاق سراح أسرى صليبيين من مصر
١٣٤٩	جلب عظام وليم صاحب السيف الطويل إلى عكا
١٣٤٩	الإجراءات العنيفة لوليم أوف بلنسية
١٣٥١	عمل غير شريف اقترفه غيوفري دي لوزنغنان
١٣٥٢	اتهامات ضد الفارس روبرت دي لي هو
١٣٥٣	الاجراءات القضائية لناظر أساقفة انكلترا
١٣٥٣	وصول ألبيرت موثق البابا إلى انكلترا
١٣٥٥	انشغال ألبيرت بمصالحه
١٣٥٥	وصول رئيس الأساقفة إلى لندن
١٣٥٦	خلاف بين رئيس الأساقفة وأسقف وينكستر
١٣٥٧	إجراءات أسقف وينكستر
١٣٥٨	رفع شكوى إلى رئيس الأساقفة
١٣٦٠	ذهاب رئيس الأساقفة إلى اكسفورد
١٣٦١	اعلان قرار رئيس الأساقفة في اكسفورد
١٣٦٢	موت بلانشي ملكة فرنسا
١٣٦٣	موارد جون مانسيل
١٣٦٣	احصاء موارد الأجانب في انكلترا
١٣٦٤	معاناة رهبان السسترشيان في انكلترا
١٣٦٥	مختصر أخبار العام
١٣٦٦	احتفال الملك بعيد الميلاد في وينكستر
١٣٦٦	تطويب بطرس الدومينيكاني
١٣٦٦	انتخاب برانكليون شيخاً لروما
١٣٦٧	ارسال هدية فخمة من شعب وينكستر إلى الملك
١٣٧٠	مغادرة المعلم ألبيرت
١٣٧١	طرد اليهود من فرنسا
١٣٧١	موت راعي دير القديس أوغسطين في كانتربري
١٣٧٢	خسارة كنيسة القديسة مريم في يورك

١٣٧٢	استباحة مدينة تيفولي
١٣٧٣	زواج ايرل غلوستر من ابنة أخي الملك
١٣٧٤	ادعاء ملك اسبانيا الحق في غسكوني
١٣٧٦	قيود الزيارات التفقدية
١٣٧٦	عبور بعض النبلاء البحر من أجل الزواج المتقدم ذكره
١٣٧٧	ارغام اللنديين على دفع مبلغ من المال
١٣٧٧	مراسيم من أجل تقوية المملكة
١٣٧٩	وفاة رتشارد دي ويتز أسقف شيستر
١٣٨٠	تجدد الاضطرابات بين الغسكونيين
١٣٨٠	نهب بضائع الفقراء
١٣٨١	منح امتياز إلى كنيسة وولتهام
١٣٨٢	الفرنسيون يطلبون مساعدة الايرل سيمون
١٣٨٢	دعوة البابا إلى العودة إلى روما
١٣٨٣	عقد بارلمان عظيم
١٣٨٩	عزل الايرل سيمون من ولاية غسكوني
١٣٩٠	عودة هنري أوف باث إلى البلاط
١٣٩١	معجزات عند قبر رتشارد أسقف شيكستر
١٣٩١	انتخاب جون كلبنغي لأسقفية شيكستر
١٣٩١	زيارة تفقدية للطائفة السوداء
١٣٩٢	استعدادات الملك لحملة إلى غسكوني
١٣٩٣	مذبحة في أحواز فلاندرز
١٣٩٣	قيام رئيس أساقفة كانتربري بزيارة تفقدية
١٣٩٤	استقبال مارشال انكلترا لزوجته ثانية
١٣٩٤	مغادرة ملك انكلترا إلى غسكوني
١٣٩٤	وفاة توماس أوف هارتفورد رئيس شمامسة نورثأمبرلاند
١٣٩٦	الكارثة التي نزلت بالجيش الفرنسي
١٣٩٦	وصول ملك انكلترا إلى بوردو

١٣٩٩	مشاعر الشكوك الفرنسية تجاه البواتيين
١٤٠٠	رسالة أسقف لنكولن إلى البابا
١٤٠٤	سخط البابا من الرسالة
١٤٠٥	كرم روبرت أوف سوئندون
١٤٠٥	موت رالف راعي دير رامسي
١٤٠٦	طوفان مدهش
١٤٠٦	احتفال بعيد القديس ادوارد
١٤٠٧	حصول ملك انكلترا على قلاعه في غسكوني
١٤٠٨	ارسال سفراء من عند ملك انكلترا إلى ملك اسبانيا
١٤٠٩	عدوان حاد قام به المسلمون ضد الصليبيين
١٤٠٩	مجاعة كبيرة في غسكوني
١٤١٠	اعفاء دير القديس ألبان من دين مستحق
١٤١٠	انتشار سمعة ملك اسبانيا
١٤١٠	نصيحة ملك اسبانيا إلى ملك انكلترا
١٤١١	مرض أسقف لنكولن
١٤١٤	شكوى أسقف لنكولن من الحبر الروماني
١٤١٥	شكواه من ظلم الكنيسة
١٤١٩	وفاة روبرت أسقف لنكولن
١٤٢٠	موسيقى وأصوات في السموات
١٤٢١	مجاعة كبيرة في غسكوني
١٤٢٢	اطلاق الملك سراح بعض الأسرى
١٤٢٢	وفاة وليم دي فيزي
١٤٢٣	آلام فرسان شروبري
١٤٢٣	تجاوزات بعض المسلمين
١٤٢٤	حملة كونراد بن فردريك
١٤٢٥	خلاف بين رئيس أساقفة كانتربري والهيئة الكهنوتية في لنكولن
١٤٢٦	ذهاب رئيس الأساقفة إلى دير القديس ألبان

١٤٢٧	امتياز دير القديس أوغسطين في كانتربري
١٤٢٨	ولادة ملكة انكلترا لابنة
١٤٢٨	ذهاب سيمون ايرل ليستر إلى الملك
١٤٢٩	اضطرابات في جامعة باريس
١٤٣٠	وصول البابا إلى روما
١٤٣١	أمثلة على جشع الرومان
١٤٣١	اضطراب الأنواء والبحر
١٤٣١	طرد شعب لى راؤل ونفيه
١٤٣٢	فيضانات البحر والأنهار
١٤٣٢	معجزات في كنيسة لنكولن
١٤٣٣	خلاصة أحداث العام
١٤٣٣	امضاء الملك الشتاء في غسكوني
١٤٣٤	انتخاب هنري ليكسنغتون لأسقفية لنكولن
١٤٣٤	ظاهرة مدهشة في السماء
١٤٣٥	ولاية مخادعة
١٤٣٧	ذهاب بعض المسلمين إلى فرنسا للتعميد
١٤٣٨	وصول غرباء إلى انكلترا
١٤٣٩	مؤامرة في بيون
١٤٣٩	دفن جون هانسارد
١٤٣٩	صقيع لم ينقطع
١٤٤٠	اصلاحات البابا
١٤٤١	الحلم المرعب الذي رآه البابا
١٤٤٣	هزيمة جيش البابا
١٤٤٣	انتخاب أسقف لنكولن
١٤٤٤	موت أسقف كارلآيل
١٤٤٤	موت وليم إيرل فيرير
١٤٤٥	كراهية الصقليين لهنري بن فردريك

١٤٦٨	وفاة هوغ أسقف إيلاي
١٤٦٩	رعد وبرق غير اعتيادي
١٤٦٩	انتخاب توماس أولدبردج لأسقفية كارلأيل
١٤٧٠	وصول نبلاء اغريق إلى بلاط روما
١٤٧١	البابا يمنح مملكة صقلية إلى ملك انكلترا
١٤٧٣	وفاة كونراد ملك صقلية
١٤٧٤	سرور البابا بوفاة كونراد
١٤٧٥	ارسال راهبين من سينت ألبان إلى روما
١٤٧٥	قحط الأرض
١٤٧٦	أسر بعض النبلاء في بواتو
١٤٧٨	وفاة وليم كانتلوب
١٤٧٨	ولاية غير اعتيادية من الملك
١٤٧٩	حول وليم أوف كيلكني
١٤٧٩	انتخاب وليم أوف كيلكني لأسقفية إيلاي
١٤٧٩	موت ثلاثة من رعاة الديرة
١٤٨٠	رعد ومطر
١٤٨٠	اضطرابات في الأنواء
١٤٨٠	حالة الأسى لدى الملك الفرنسي
١٤٨١	تعيين رهبان رجال عدالة
١٤٨١	كيف سدد الملك ديونه
١٤٨٢	الملك يطلب السماح له بالعبور من فرنسا
١٤٨٢	عبور كونتسة كورنوول القنال
١٤٨٣	كيف ظلم أسقف وينكستر رهبانه
١٤٨٥	كيف رهن الملك بطيش نفسه ومملكته للبابا
١٤٨٦	موت البابا انوسنت الرابع
١٤٨٦	رؤيا مرعبة حول هذا البابا
١٤٨٨	تعيين الاسكندر الرابع بابا

١٥٠٥	استمرار تساقط الأمطار
١٥٠٥	تنين بحر مدهش
١٥٠٥	فيل في انكلترا
١٥٠٦	ذهاب الملك إلى كنيسة القديس ألبان
١٥٠٦	مقتل أحد الفرسان من أجل ميراثه
١٥٠٧	المعجزات عند قبر روبرت في لنكولن
١٥٠٨	رؤيا البابا الاسكندر
١٥١٠	الرغبة العامة بعقد تحالف مع ملك انكلترا
١٥١٠	عقد البارلمان العظيم في لندن
١٥١٢	الأنواء القاسية
١٥١٢	وفاة وولتر دي غري
١٥١٣	حمل جسده إلى يورك
١٥١٣	جفاف كبير
١٥١٤	معجزات في كنيستي لنكولن وشيكستر
١٥١٤	تعيين رئيس شمامسة لنكولن محل وليم وولف
١٥١٤	تحطيم جيش البابا
١٥١٧	مظالم بلاط البابا
١٥١٨	مراعاة الامتيازات في انكلترا
١٥١٨	الاتهامات ضد روبرت روس وجون بالأويل
١٥١٩	اتهامات رينالد باث للسكوتلنديين
١٥٢٠	فقر بعض الكنائس في انكلترا
١٥٢١	خسوف غير اعتيادي للقمر
١٥٢١	وفاة وارن دي مونتشينسل
١٥٢٢	مرض جون الفرنسي
١٥٢٢	مغادرة جون دي غري للبلاط
١٥٢٢	ذهاب الملك إلى سكوتلندا
١٥٢٤	خلاف بين جامعة باريس والرهبان الدومينيكان

١٥٢٤	مصالحة جون بالأويل مع الملك
١٥٢٥	عودة الملك من سكوتلندا
١٥٢٥	استيلاء الملك على بعض الأموال
١٥٢٦	تكريس وليم كيلكني أسقفاً على إيلاي
١٥٢٦	وصول أسقف طليطلة إلى لندن
١٥٢٧	زواج ابن ملك فرنسا من ابنة ملك قشتالة
١٥٢٨	تبديد الأموال من قبل ملك انكلترا
١٥٢٨	مشورة سيئة من أسقف هيرفورد
١٥٣٠	خيانته غير الاعتيادية
١٥٣١	وصول زوجة ادوارد إلى دوفر
١٥٣٢	الأوضاع التعيسة لمملكة انكلترا
١٥٣٣	منح ادموند ابن ملك انكلترا مملكة صقلية
١٥٣٤	اعاقة الملك انتخاب رئيس أساقفة يورك
١٥٣٤	صلب اليهود لأحد الصبيان
١٥٣٨	شنق عدد من اليهود
١٥٣٨	وصول المعلم روستاند إلى انكلترا من عند البابا
١٥٣٩	البارلمان الذي عقد إثر مهمة روستاند
١٥٤٠	روستاند يدعو إلى حرب صليبية ضد مانفرد
١٥٤١	هدنة في الأرض المقدسة
١٥٤١	مضايقة الملك لرئيس أساقفة يورك
١٥٤١	انسحاب جون دي غري من البلاط
١٥٤٢	رسالة البابا إلى أسقف هيرفورد
١٥٤٣	عقد مجمع في لندن
١٥٤٦	أسقف هيرفورد يسعى إلى اثارة شقاق ديني
١٥٤٧	عودة ادوارد من غسكوني
١٥٤٧	ترتيبات السلام بين أسقف درم وجون بالأويل
١٥٤٨	اصلاح جامعة باريس

١٥٧٣	رسالة البابا إلى رئيس رهبان دير القديس ألبان
١٥٧٤	اطلاق سراح السجناء اليهود
١٥٧٤	اجتماع أساقفة انكلترا في لندن
١٥٧٤	استدعاء رؤساء رهبان السسترشيان
١٥٧٦	التماس رئيس رهبان ويردون الرحمة من الملك
١٥٧٧	رسالة البابا لصالح السسترشيان
١٥٧٩	اغلاق الموانىء
١٥٧٩	مبارزة في بلايث
١٥٧٩	رسائل وساطة لصالح طائفة السسترشيان
١٥٨٠	اعتدال البابا في مطالبه
١٥٨١	الفتور العام تجاه البابا
١٥٨١	انتخاب جايل لأسقفية سالسبري
١٥٨٢	انتخاب رالف أوف نورويك لرئاسة أساقفة دبلن
١٥٨٢	سفر رئيس رهبان ويستمنستر
١٥٨٢	مرسوم جديد للملك حول تقليد الفرسان
١٥٨٣	اقامة سلام بين الفلمنكيين والألمان والفرنسيين
١٥٨٣	عاصفة ثقيلة
١٥٨٤	مرسوم في ذكرى الملك أوفا
١٥٨٥	المقاطعات التي كانت تحت حكم الملك أوفا
١٥٨٥	ملحق الملك أوفا بدير القديس ألبان
١٥٨٦	اضطرابات في روما
١٥٨٦	معركة عند سوق بوتولف
١٥٨٧	رسالة البابا إلى ملك انكلترا وملكتها
١٥٨٩	طلب رهبان أبنغدون اذن الملك لانتخاب رئيس للرهبان
١٥٩٠	قدوم جون دي ديا من عند البابا
١٥٩٠	تأكيد اقحام رئيس رهبان وينكستر
١٥٩٠	مكوس جديدة على سكان لندن

١٥٩١	الاستيلاء على ممتلكات روبرت دي روس
١٥٩١	تأسيس السلام بين رئيس رهبان القديس ألبان وويستمنستر
١٥٩٢	تكريس سيوول رئيساً لأساقفة يورك
١٥٩٢	سلام بين أسقف ايلاي ورئيس رهبان رامسي
١٥٩٣	فضيحة في دير الثالوث المقدس في لندن
١٥٩٤	الاعتراف بهانفرد ابناً شرعياً للامبراطور فردريك
١٥٩٥	اطلاق سراح شيخ روما
١٥٩٥	قدوم ملك سكوتلندا وملكتها إلى انكلترا
١٥٩٦	ذهاب ملك انكلترا لاستقبال ملك سكوتلندا وملكتها
١٥٩٧	تقديمات ثمينة من الملك إلى كنيسة القديس ألبان
١٥٩٧	خروج ادوارد لاستقبال الملك
١٥٩٨	وصول أخو ملك اسبانيا إلى انكلترا
١٥٩٨	منح هنتغدون إلى ملك السكوتلنديين
١٥٩٩	هدايا رئيس رهبان وينكستر إلى مائدة البابا
١٥٩٩	جريمة عمدة نورثأمبتون
١٦٠٣	أصل الفريضة المقيتة التي فرضت على الأساقفة
١٦٠٤	الرسالة الشائنة للبابا
١٦٠٦	رفض رئيس رهبان ورهبان ديري درم وغيسبون الخضوع
١٦٠٧	تهديد ملك قشتالة بغزو غسكوني
١٦٠٨	احتلال عمادة يورك
١٦١٠	موت بعض الأساقفة
١٦١١	طلب الملك المال من النبلاء
١٦١٢	انتخاب أسقف لإيلاي
١٦١٢	وضع كنيسة القديس ألبان تحت الحرمان
١٢١٣	فضيحة في دير غلاستونبري
١٦١٤	تثبيت رئيسي أساقفة ودبلن
١٦١٤	جباية العشور من قبل أسقف هيرفورد

١٦٣٥	موت بعض النبلاء
١٦٣٦	جمع رؤساء رهبان السسترشيان
١٦٣٧	موت بعض النبلاء
١٦٣٧	رفض الملك قبول أسقف ايلاي
١٦٣٨	ارسال رسل إلى ملك فرنسا
١٦٣٨	حصول أسقف سالسبري على اذن بالاحتفاظ بموارده
١٦٣٨	الوصاية التي منحت إلى الملكة
١٦٣٩	طائفة رهبانية جديدة
١٦٣٩	تعيين شيخ جديد لروما
١٦٣٩	انتخاب روجر دي مولند لأسقفية شيستر
١٦٤١	وصول رئيس أساقفة ميسينا
١٦٤٢	موت بعض الأساقفة والنبلاء
١٦٤٣	زواج بلدوين ايرل ديفون
١٦٤٣	منح الملك إلى كنيسة القديس ألبان
١٦٤٤	أسماء الملوك القديسين لانكلترا
١٦٤٤	اضطرابات في جامعة اكسفورد
١٦٤٥	عودة رئيس رهبان دير ويستمنستر
١٦٤٥	نهب ممتلكات أسقفية ايلاي
١٦٤٦	ذهاب أسقف ايلاي إلى روما
١٦٤٧	معجزات عند قبر القديس ألبان
١٦٤٧	ارسال مبعوثين إلى ملك فرنسا
١٦٤٨	زيادة عدد وصايات الملكة
١٦٤٨	طائفة جديدة من الرهبان
١٦٤٨	موت مرغريت اخت القديس ادموند
١٦٤٩	عقد بارلمان لوداع الايرل رتشارد
١٦٤٩	استدعاء رئيس أساقفة كانتربري إلى روما
١٦٥٠	مرض أسقف هيرفورد

١٦٦٥	وعد أساقفة انكلترا بدفع مبلغ إلى الملك
١٦٦٦	وفاة وولتر أسقف نورويك
١٦٦٦	مرسوم جديد في روما حول الانتخابات الرهبانية
١٦٦٧	استعدادات الملك لحملة إلى ويلز
١٦٦٨	وصول الايرل رتشارد إلى ألمانيا
١٦٦٨	تتويج الايرل رتشارد ملكاً على ألمانيا
١٦٦٩	تعيين جون أوف أفني قهرماناً للملك
١٦٦٩	الخصام بين رهبان دير وينكستر ورهبان غلاستونبري
١٦٧٠	موت موريس فارس ايرلاندا
١٦٧٠	موت روبرت أوف سوثندون
١٦٧٠	استيلاء الويلزيين على قلعة عائدة لايرل غلوستر
١٦٧٠	موت أليس رئيس راهبات كيتباي
١٦٧١	وفاة رئيس رهبان نورويك
١٦٧١	مرض الملك
١٦٧١	مقتل مرافق لوليم دي بلنسية
١٦٧٢	وفاة روجر أوف ويستهام
١٦٧٢	معجزة في كنيسة القديس ألبان
١٦٧٣	مغادرة جامعة باريس لمكانها
١٦٧٣	غارات مدمرة للويلزيين
١٦٧٤	خطاب ألقاه للويلين
١٦٧٥	مرض أسقف هيرفورد
١٦٧٦	اتهام روستاند أمام البابا
١٦٧٦	وصول ملك انكلترا مع جيشه إلى شيستر
١٦٧٧	تثبيت سيمون دي وانتون أسقفاً على نورويك
١٦٧٧	ابتعاد عواطف ملك اسبانيا عن ملك انكلترا
١٦٧٨	عودة مخزية للملك
١٦٧٨	ارسال رسل إلى ملك فرنسا

١٦٧٨	موت نيقولا فارنهام
١٦٧٩	خلاف بين ملكي الدانمارك والنيرويج
١٦٧٩	عودة الملك من ويلز
١٦٨٠	خلع رئيس رهبان دير كليرفو
١٦٨٠	مرسوم جديد في روما بشأن الأساقفة
١٦٨١	عودة هنري بن رتشارد ملك ألمانيا إلى انكلترا
١٦٨٢	الحرمان الكنسي لرئيس أساقفة يورك
١٦٨٢	وصول الملكة إلى كنيسة القديس ألبان
١٦٨٣	خصوبة بيترايس كونتسة بروفانس
١٦٨٣	طغيان التتار
١٦٨٤	دمار الحشيشية من قبل التتار
١٦٨٤	تعيين بطرس دي أوريفالي مستشاراً للملك
١٦٨٤	نبلاء سكوتلندا يتحكمون بالملك والملكة
١٦٨٥	المعارك بين جيمس أودلي والويلزيين
١٦٨٦	ادعاء ملك اسبانيا بملك ألمانيا
١٦٨٧	رسالة ملك اسبانيا إلى ملك انكلترا
١٦٨٩	تحويل منطقة الحدود مع ويلز إلى صحراء
١٦٨٩	مختصر أخبار العام
١٦٩١	احتفال ملك انكلترا بعيد الميلاد في لندن
١٦٩١	وصول أسقف ايلاي إلى انكلترا
١٦٩٢	وفاة وليم هيرون عمدة نورثأمبرلاند
١٦٩٣	اتهامات ضد بعض مواطني لندن
١٦٩٣	وفاة جون أوف أفني
١٦٩٣	تواضع البابا للشيخ برانكليون
١٦٩٥	غضب البابا ضد ملك انكلترا
١٦٩٦	عودة روستاند إلى انكلترا
١٦٩٦	تكريس ثلاثة أساقفة في كانتربري

١٦٩٧	ترتيبات حول المؤن في دير القديس ألبان وعقد اتفاقية
١٧٠١	تثبيت الاتفاقية من قبل الملك
١٧٠٢	من الذي كان وراء تحقيق الاتفاقية
١٧٠٢	عودة روستاند من بلاط روما
١٧٠٣	وصول مبعوث بابوي إلى انكلترا
١٧٠٣	وصول سفن محملة بالقمح إلى انكلترا
١٧٠٤	الطبيعة المدهشة للفصل
١٧٠٥	أوضاع رتشارد ملك ألمانيا
١٧٠٥	وصول توماس أوف سافوي إلى انكلترا
١٧٠٥	الغرامة التي فرضت على سكان لندن
١٧٠٥	انتهاء الهدنة بين الانكليز والويلزيين
١٧٠٦	حشد فرسان انكلترا ضد الويلزيين
١٧٠٦	عقد بارلمان في لندن
١٧٠٨	اجتماع الفرسان للزحف ضد الويلزيين
١٧٠٩	تكريس أسقف كارلآيل
١٧٠٩	وفاة رئيس أساقفة أرماغ
١٧٠٩	اضطرابات رئيس أساقفة يورك
١٧١٠	مرض أسقف هيرفورد
١٧١٠	تخلي ادوارد عن عزبه إلى وليم دي بلنسية
١٧١٠	وصول الراهب الفرنسيسكاني مانسيوتوس من عند البابا
١٧١١	جواب البارلمان للملك
١٧١٢	فرض البابا أمراً خداعاً على ملك انكلترا
١٧١٣	موت رئيس أساقفة تريف
١٧١٣	منح الملك مساعدة مالية
١٧١٤	ارسال سيمون باسليف بمهمة لاستخراج الأموال
١٧١٥	ذهاب سيمون باسليف إلى دير القديس ألبان
١٧١٩	خداع سيمون المتقدم ذكره

١٧٢٠	شق الرهبان الفرنسيسكان طريقهم إلى داخل مدينة القديس ادموند
١٧٢١	اكمال أعمال البارلمان
١٧٢٢	الأنواء غير الموسمية
١٧٢٣	بعثة خاصة إلى الملك الفرنسي
١٧٢٣	تأسيس دير رهباني من قبل جون مانسيل
١٧٢٣	وفاة سيوول رئيس أساقفة يورك
١٧٢٤	أقوال وأفعال رئيس الأساقفة المذكور
١٧٢٦	معجزة الماء الذي تحول إلى خمرة
١٧٢٧	مجاعة كبيرة في انكلترا
١٧٢٧	رسالة ملك اسبانيا إلى ملك ألمانيا
١٧٢٩	عودة رئيس رهبان القديس ادموند من البلاط الروماني
١٧٢٩	البارلمان الذي عقد في اكسفورد
١٧٣٣	الخلاف في روما بين البابا والشيخ برانكليون
١٧٣٤	حصول رئيس رهبان دير رامسي على اقامة السوق في سينت ايف
١٧٣٤	وفاة رتشارد رئيس رهبان دير ويستمنستر
١٧٣٥	موت فيليب رئيس رهبان دير ويستمنستر
١٧٣٦	انتخاب رئيس لأساقفة يورك
١٧٣٦	موت بسبب المجاعة
١٧٣٧	مغادرة إخوة الملك لأمه انكلترا
١٧٣٩	مصادرة مبلغ من المال في دوفر
١٧٣٩	رغبة الويلزيين بالتصالح
١٧٣٩	قبول أهل لندن بالمشاركة بقرارات البارونات
١٧٤٠	تسميم عدد من النبلاء في انكلترا
١٧٤٠	عدم استقرار فولك أسقف لندن
١٧٤١	الكلام القاسي الذي وجهه الملك إلى ايرل ليستر
١٧٤٢	العثور على أوراق مختومة بختم البابا
١٧٤٣	العثور على السم

١٧٤٣	وحشية أسقف وينكستر
١٧٤٤	نقاهة ايرل غلوستر
١٧٤٥	كيف دمر برانكليون بعض حصون قطاع الطرق
١٧٤٥	شكاوى ضد البواتيين
١٧٤٥	السماح للبواتيين بالعودة إلى الوطن عبر فرنسا
١٧٤٦	زيادة المجاعة في انكلترا
١٧٤٧	الإعلان عن صوم
١٧٤٨	وفاة أسقف لنكولن
١٧٤٨	مغادرة مندوب البابا لانكلترا
١٧٤٩	مصادرة أموال أسقف وينكستر
١٧٤٩	قلق ملك فرنسا من أجل إقامة سلام مع انكلترا
١٧٥٠	تعيين أربعة فرسان للبحث في مآسي الفقراء
١٧٥٠	غضب الملك ضد فيليب لوفل
١٧٥٢	إلقاء عمدة نورثأمبتون في السجن
١٧٥٢	وفاة روجر أوف ويكهام
١٧٥٢	وفاة وليم أوف تارنتوم
١٧٥٣	ارسال رسل إلى البابا
١٧٥٣	خيانة ضد الويلزيين
١٧٥٤	تكريس رئيس أساقفة يورك
١٧٥٤	رغبة رئيس أساقفة كانتربري بأداء قداسات في كنيسة القديس ألبان
١٧٥٥	انتخاب أسقف للنكولن
١٧٥٦	تكريس كنيسة سالسبري
١٧٥٦	خلع فيليب لوفل
١٧٥٦	متابعة المراقبة ضد العمد
١٧٥٧	ارسال مندوبين من انكلترا إلى بارلمان كامبري
١٧٥٧	تكريس أسقف لنكولن
١٧٥٨	تتويج مانفرد ملكاً على أبوليا

١٧٧٦	عودة وليم هورتون إلى انكلترا
١٧٧٧	وفاة توماس كونت فلاندرز
١٧٧٨	ارسال وفد إلى بارلمان ملك فرنسا
١٧٧٨	استيلاء الرهبان الدومينيكان على دير دنستيبل
١٧٧٩	موت كونتسة بولون
١٧٨٠	كيف جرى تعيين شيخين جديدين في روما
١٧٨٠	الخلافات التي تفجرت في ثلاث جامعات
١٧٨٠	الخلاف بين ايرلي غلوستر وليستر
١٧٨١	العوائق في طريق إقامة سلام بين ملكي فرنسا وانكلترا
١٧٨٢	معركة بين الداوية والاسبتارية
١٧٨٣	حصول البابا على المنصب الامبراطوري للايرل رتشارد
١٧٨٣	وباء حاد
١٧٨٤	ادانة وولتر سكوتني
١٧٨٧	**ذيل تاريخ متى باريس**
١٧٨٧	ترتيبات بين ملكي انكلترا وفرنسا
١٧٨٨	حرمان مانفرد كنسياً
١٧٨٨	تحكم الأجانب بانكلترا
١٧٨٩	وفاة البابا الاسكندر
١٧٨٩	موت يهودي في كنيف
١٧٩٠	تحليل الملك من يمينه
١٧٩٠	صد رجال العدالة في هيرفورد
١٧٩٠	مقتل الفلورنسيين
١٧٩٠	الحرب في هنغاريا
١٧٩١	طرد البواتيين من انكلترا
١٧٩٢	تحرير انكلترا من استغلال الرومان
١٧٩٢	كيف حبس الملك نفسه في برج لندن
١٧٩٣	ارسال مندوبين من عند البارونات إلى الملك

١٧٩٤	التحالف ضد المستشارين الأشرار
١٧٩٤	طرد الامبراطور بلدوين من القسطنطينية
١٧٩٥	مختصر أخبار العام
١٧٩٥	مغادرة الملك لبرج لندن
١٧٩٦	انسحاب الملك من يمينه
١٧٩٦	خضوع الملك والنبلاء إلى تحكيم ملك فرنسا
١٧٩٧	قرار ملك فرنسا ضد البارونات
١٧٩٧	عودة الملك من البارلمان الفرنسي
١٧٩٨	أعمال روجر مورتيمير ضد البارونات
١٧٩٩	إجراءات البارونات
١٨٠٠	توقف انهيار السلام
١٨٠١	تحصين قلعة ويندسور
١٨٠١	اعطاء قلعة ويندسور إلى الايرل سيمون
١٨٠١	اعطاء صقلية إلى الكونتت شارل
١٨٠٤	زحوف الملك والبارونات
١٨٠٤	رسالة البارونات إلى ملك انكلترا
١٨٠٤	جواب الملك على الرسالة
١٨٠٥	رسالة رتشارد ملك ألمانيا إلى البارونات
١٨٠٦	رفض طلب البارونات
١٨٠٧	استراتيجية سيمون دي مونتفورت
١٨٠٨	المعركة بين بارونات انكلترا والملك
١٨٠٨	رغبة البارونات بالسلام
١٨١٠	مآسي وفواجع انكلترا
١٨١١	وصف العام
١٨١٢	إجراءات سيمون دي مونتفورت
١٨١٢	إجراءات أهل تخوم ويلز
١٨١٢	حرمان البارونات كنسياً

★★★ ★★★ ★★★